المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مركز الدراسات العليا الإسلامية المسائية

الفلك وعلاقته بالعقيدة في الكتاب والسنة

اعداد الطالب

عبدالله محمد سعيد الإنصاري

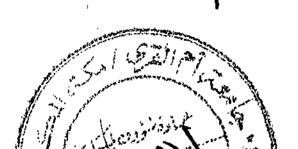
إشراف الدكتور

فاروق أحمد الدسوقي

بحث مقدم إلى مركز الدراسات العليا المسائية في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في الدراسات الاسلامية

عام ١٤١١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

* ملخص رسالة الفلك وعلاقته بالعقيدة في الكتاب والسنة *

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد ،

يثبت تاريخ الفكر البشري أن بعض المذاهب الفلسفية أو العقائد الوضعية الباطلة قد ارتبطت ارتباطاً « وثيقاً » بل وانبثقت من المعلومات والتفسيرات الفلكية القديمة المعاصرة لهذه المذاهب فجاءت بعض عقائد هذه الفلسفات وثنية والحادية .

ولما اهتمت البشرية بالمكتشفات الحديثة في مجال العلوم التي تعد أداة لتوضيح آيات الآفاق ومن ضمنها علم الفلك ، برزت معلومات صحيحة تتناسب في معظمها مع ما جاء في القرآن عن الفلك باعتباره آيات ودلالة على وحدانية الله عز وجل الخالق سبحانه ويعتبر بيان هذا كله وتوضيحه والبرهنة عليه الهدف الرئيسي من هذا البحث .

ففي الباب الأول : تحدث البحث عن علم الفلك وموضوعه ونموه خلال تاريخ الحضارات المكتوبة حيث ثبت أن أكثر المفاهيم والتفسيرات الفلكية القديمة عبارة عن أوهام وأباطيل بالقياس مع حقائق القرآن الكريم ونتائج علم الفلك المعاصر .

ومن ثم تناول الباب الثاني مقارنة بين تفسير ومراحل خلق السموات والأرض في القرآن الكريم والسنة المطهرة وأرجح النظريات العلمية المعاصرة في هذه المسألة مما يؤكد رفع التعارض والاختلاف بين ماجاء في نصوص الوحي وبين العلم ، كذلك أكدت نتائج هذا الباب بطلان تفسير الخلق في الفلك القديم والعقائد الوثنية والشركية المبنية عليه .

وأفردنا الباب الثالث لتفسير حركة الأجرام السماوية في القرآن الكريم وعلم الفلك المعاصر حيث ثبت قرآنيا « وعلميا » أنها مسخرة بقدرة الله عز وجل وأنها ليست ذات فاعلية مستقلة كما زعم بذلك ملاحدة الفلاسفة نتيجة لأوهامهم التي تلقوها من علم الفلك القديم .

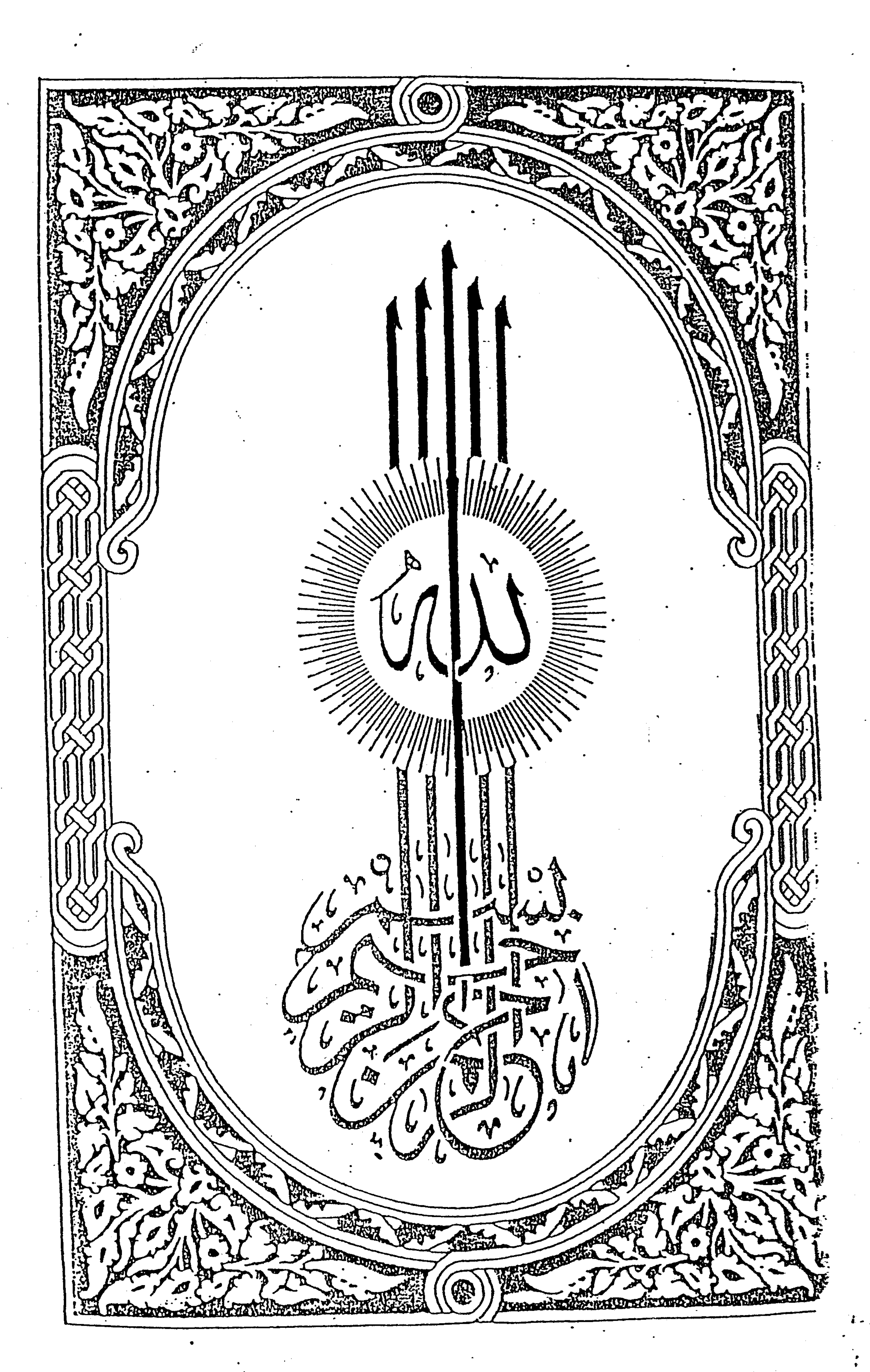
واستعرضت في الباب الرابع تفصيلاً لتفسير ارسطو الطبيعي للكون والفساد بالعلل الأربع ونظرية الكندي في خلق الله عز وجل – الكائنات بالتولد ونظرية الفيض والصدور وعقول الكواكب التسعة عند الفارابي وابن سينا ، وقد ثبت أن هذه النظريات الشركية والالحادية كلها مزيفة ونتيجة أوهام وأباطيل الفلك القديم ، كما تضمن هذا الباب عرض بعض النظريات الالحادية الحديثة في تفسير نشأة الكون والتي حاول أصحابها أن يلصقوها تعسفاً بعلم الفلك الحديث وهي نظرية الذرة البدائية ونظرية الكون الأزلي الثابت ونظرية التفسير الميكانيكي للكون مع العناية ببيان مصادمة هذه النظريات للثابت من علم الفلك الحديث من ناحية ، ومع ما جاء في القرآن الكريم والسنة من ناحية أخرى .

كما تضمن هذا الباب فصلاً للتنجيم قديماً وحديثاً وعلاقته بالعلم وموقف العقل والدين منه مبرزين مواضع الاختلاف والتصادم بينه وبين علم الفلك الحديث من ناحية وبين التوحيد الاسلامي من ناحية أخرى .

وموضوع الباب الخامس – وهو ثمرة البحث -: (الفلك والتوحيد) حيث توصلنا بفضل الله تعالى الى رؤية آيات الله عز وجل بالنظر في الآفاق من خلال عظم الأجرام السماوية وكثرتها ونظام حركتها الدقيق والتي هي براهين ساطعة على قدرة الله عز وجل وعلمه وخبرته وعظمته وقوته اللامحدودة وجبروته وحكمته وأنه وحده الخالق المدبر النافع الضار ، ومن ثم جاءت نتيجة البحث وهي أن بعض ما انتهى اليه علم الفلك الحديث من أهم دلائل الآفاق المثبتة لوحدانية الله سبحانه والموجبة لافراده بالخلق والتدبير وعبادته وحده بخلاف علم الفلك القديم الذي ثبت أنه بما احتواه من أوهام وأباطيل علة من علل الشرك بالله عز وجل .

العميد	المشرف	الطالب
د . عابد السفياني	د . فاروق الدسوقي	عبد الله الانصاري

عنه كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ٥/٨


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ﴾ .

فصلت : آية ٥٣

المقدمـــــــــة :

الحمد لله القائل ﴿ ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليـــل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ (آل عمـــــــران : ١٩٠)

والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذى ورد عنه قوله (ان الشمس والقمر من آيات الله ....) الحديـــــث

واشهد ان لا اله الا اللـه وأشهد أن محمدا عبده ورسولـــــه .

أما بعـــــد :

فان الله سبحانه علاوة على ما أودعـه فى النفس الانسانيه من فطـرة موحدة بربوبيته ، دل على وحدانيته أيضا بما اودعه فى الكون مـــن نظام بديع وسنن محكمة ثابتة تدل على قدرته المطلقة وعلمه الواســـع المحيط . وقوته التى لاحد لها وسائر صفات الكمال التى تليق به سبحانه .

لقد شغل الكون عقول المفكرين منذ بدء الخليقه ، فبدأ الانســـان يتطلع الى ملكوت الله عز وجل محاولا استكشاف اسراره ورغبة فى معرفـــة الحقيقة مدفوعا بفطرته الموحده الامر الذى ينتهى بـه الى ادراك ان هذا الكون العظيم البديع قد خلقه خالقه بالحق ولحكمـه ، ويقر بكل مـــا يجب على الانســـان نحو خالقـــه .

فظهرت انواع العلوم التى من اهمها علم الفلك الذى احتوى فـى أول عهده الى عصر نزول القرآن كثيرا من الضـــــــلال مما أدى بكثيـر من الاقوام والشعوب الى الشرك وعبادة الاجرام السماويه وانتشار علـــم التنجيم الذى لايزال موجودا حتى يومنا هذا . نتيجة لتصورهم ان الاجرام السماويه هى مصدر النفع والضرر وهذا ينافـى كمال الربوبيـه لكونـــه سبحانــه النافع الضار .

كما ادى هذا الى فساد تصور الالوهيه عند الفلاسفه قديما . ثم نزل الوحى على المصطفى صلى الله عليه وسلم فبين ان هذه الاجرام وافلاكها ما هى الا نظام محكم تحت تسخير خالقها تدل على الوحدانيه التى تقرها الفطره ، وان النفع والضر ماهو الا من خالقها . وان هذه الاجرام - كما هى سنة الله العامه فى الخلق - لها اعمار معينه تنتهى بعد انتهاء مهمتها المطلوبه منها . هذه المهمة هى آثار رتبها سبحانه وعلقها بها ، ترتبط بحياة الانسان على الارض ، توضح جانبا من حقيقة الابتلاء للانسان فى كون ارجاع الامر لخالقها والتوجه اليه فى كل حركة من حركات حياته .

ونصوص الوحى المتضمنة للفلك تبدو بوضوح وجلاء وثيقة الصلة بالتوحيد . كما ان علم الفلك الحديث يؤكد هذه الصلة ويدعمها تحقيقا لقوله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآ فاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق او لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣)

وقد حدا بى هذا كله الى الاهتمام بالموضوع لتوضيح هذه الصلة وبيانها . وقد أكد رغبتى هذه ماوجدته من دعوة متكرره فى نصوص القرآن الكريم الى التفكر فى خلق الكون حيث قال تعالى : ﴿ او لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وآن عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ (الاعراف : ١٨٥) وقوله تعالى : ﴿ قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخره ان الله على كل شئ قدير ﴾ (العنكبوت : ٢٠) .

ومما دفعنى الى هذا الموضوع أيضا ما يتضمنه القرآن من براهين على خصوبة .

المواضيع المتعلقة بالكون فى مجال العقيدة والتوحيد .

وما يتضمنه القرآن أيضا من ترابط وثيق بين العلم والدين الأمر الذى يرد زعم القائلين بالتفرقة بين الدين والعلم .

ومع ذلك وبالرغم من هذا كله فاننا نجد ان من كتب فى مجالات العقيدة المتعلقة بالكون والفلك يكاد يصل الى حد القلة وبالذات فى مجال الرسائل الجامعية . مع العلم ان المسلمين فى حاجة لمثل هذه المواضيع ليستفيد منها المطلعون عليها من دعاة للاسلام يذودون عن الاسلام .

المنهج والصعوبات :

ولقد نهجت فى هذا البحث منهجا يجمع بين ما قاله المفسرون قديما وحديثا لتوضيح بعض الجوانب من خلال ما استجد فى علم الفلك الحديث فى تفسير النصوص المتعلقة بالفلك مع التركيز على الجانب العقدى وماله علاقة بالتوحيد لتبين الصلة الموجوده فى نصوص الوحى المتضمنة للفلك مع التوحيد .

الا ان هناك صعوبات واجهتنى فى الحصول على معلومات فلكية من مصادرها العلمية . لكنى بحمد الله تعالى تغلبت على هذه الصعوبات بالعزوف عن المقدمات العلمية والرياضية التى يصل منها عالم الفلك المتخصص الى نتائجه ، واكتفيت بالنتائج النهائية الموجوده فى هذه المصادر والتى هى فى بحثنا تعتبر من المعطيات والمقدمات الاولى لهذا العلم والتى تفيد جميع المثقفين فى مجال العقيدة المتعلقة بامور الكون .

خطوات البحث :

اشتمل البحث على خمسة ابواب هى :

الباب الاول : علم الفلك وموضوعه ومراحل نموه • بحيث احتوى على ثلاثة فصول اولها يتحدث عن مادة فلك ومترادفاتها واقوال المفسرين فى ذلك •

اما الفصل الثانى فيتحدث عن مراحل نمو علم الفلك حتى هذا العصر

اما الفصل الثالث فاستعرض موضوعات علم الفلك فى اللغة ونصوص الوحى وعلم الفلك •

الباب الثانى : يتحدث عن خلق السموات والارض وما بينهما بحيث احتوى على خمس فصول اولها يتحدث عن خلق السموات والارض بالحق واقوال المفسرين فى المقصود بالحق ثم عن فتق السموات والارض •

اما الفصل الثانى : فعن بناء السماء ودحو الارض والمعانى المستفادة منهما اما الثالث فيتحدث عن الزمن وعلاقته بخلق السموات والارض والفصل الرابع يتحدث عن كيفية تمهيد الارض للحياة الانسانية • اما الفصل الخامس فعن الفضاء الكونى ، مكوناته وامكانية السفر فيه •

الباب الثالث : تعرضت فيه لنظام حركة الاجرام فى افلاكها فى السماء الدنيا بحيث اشتمل على اربعة فصول اولها عن النجوم واعمارها وانواعها وثانيها عن نظام حركة هذه النجوم فى افلاكها • اما الفصل الثالث فتحدث عن المجموعة الشمسية ونظام حركتها وبالذات الشمس والقمر والارض لما لها من ترابط وثيق بحياة الانسان ، اما الفصل الرابع من هذا الباب فقد تعرض للآثار التى علقها سبحانه بالاجرام السماوية وعلاقة ذلك بحياة الانسان على الارض •

الباب الرابع : يتحدث عن الفلك والعقائد الوثنيه فقد احتوى ثلاثة فصول اولها توضيح العلاقة بين تصور الفلك والعقيدة قديما وحديثا

بحيث اشتمل على الفلسفات الالحاديه فى تفسير الكون والرد عليها والمعتقدات فى الاجرام السماوية عند الصابئة .

اما الفصل الثانى فقد خص علم التنجيم بالتوضيح والتفصيل وعلاقته بالعلم وموقف كل من العقل والدين منه .

والفصل الثالث تعرض لعبادة بعض الاجرام السماوية فى انحاء المعموره .

الباب الخامس : فكان عن التوحيد والفلك بحيث اشتمل على فصلين

الفصل الاول معرفة الله سبحانه بدلائل الفلك ، وهو التوحيد المعرفى من كونه سبحانه منعوت بنعوت الكمال حيث يشهد الكون بذلك فهو دلالة على بعض صفات الفاعل سبحانه تقريرا لما فى الفطرة من الوحدانيه له سبحانه .

اما الفصل الثانى فقد تحدث عن ما تستلزمه معرفه الله من التوجه اليه وحده دون هذه الاجرام ونقض عقيده الصائبه فى ذلك لأن الكون كله عابد لله وحده مطيع لله وحده .

واخيرا لايفوتنى التوجه بالشكر الى جامعة ام القرى والقائمين عليها واخص بالذكر فضيلة الدكتور فاروق احمد الدسوقى الذى أشرف على اعداد هذا البحث بحيث لم يبخل بوقته فى مساعدتى وتوضيح ما أستشكل على من صعوبات واجهتنى فى البحث فله جزيل الشكر .

الباب الاول

علم الفلك موضوعه ومراحل نموه

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الاول : تحديد معنى الفلك ومترادفاته

الفصل الثانى : مراحل نمو علم الفلك

الفصل الثالث : موضوعات علم الفلك

الفصل الاول : تحديد معنى الفلك ومترادفاته

ويشتمل على المباحث :

أولا : مادة فلك فى اللغة العربية والقرآن

ثانيا: مادة عالم فى اللغة العربية ونصوص الوحى

ثالثا: تصور العالم واقوال المفسرين فى ذلك

المبحـــث الاول

أولا : مادة فلك فى اللغة العربيـــة :-

قال ابن فارس " الفاء واللام والكاف أصل صحيح يدل على استدارة فى شئ.. ولذلك قيل فلك ثدى المرأة اذ استدار ومن هذا القياس فلك السماء "(١)

" والفلك مدار النجوم والجمع افلاك . والفلك واحد افلاك النجـــوم وفلك كل شئ مستداره ومعظمه . وفلك البحر موجه المستدير المتـــردد. والفلك اسم للدوران خاصة ".(٢)

"وقال بعض العرب الفلك هو الموج اذا ماج البحر فاضطرب وجـــاء وذهب . والفلك التل من الرمل حوله فضاء . وقيل أجوبة من الرمـــل غلاظ مستديرة كالكذان (٣) تحفرها الظباء ، والفلكه اكمة من حجر واحـــد مستديرة . والفلكة جانب الزور وما أستدار منه ".(٤)

"وفى حديث ابن مسعود " تركت فرسك كأنه يدور فى فلك " شبـــه فى دورانه بدوران الفلك وهو مدار النجوم من السماء ".(٥) " أما الفلـــك بالضم السفينه (٦) . " والفلكه بسكون اللام المستدير من الأرض فـــى غلظ وسهولـــه "(٧)

ويظهر من هذه الاقوال ان الفلك عبارة عن مسارات بأشكال دائريـــه أو أقرب مايكون الى الشكل الدائرى فى الفضاء الكونى تسبح فيها النجـوم والكواكب وسائر الاجرام السمايـــة .

---

(١) مقاييس اللغه لابن فارس ٤٥٢/٤ بتحقيق عبد السلام هارون- دار الفكر ١٣٩٩هـ
(٢) لسان العرب لابن منظور ٤٧٨/١٠ الطبعة الاولى - دار صادر - بيروت .
(٣) الكذان : حجارة رخوة كأنها مدر - مقاييس اللغة ١٢٦/٥
(٤) تاج العروس فى شرح القاموس للزبيدى ١٦٩/٧ - دار الفكر .
(٥) النهاية فى غريب الحديث والاثر لأبن الاثير ٤٧٢/٣ - دار الفكر-بيروت
(٦) تاج العروس ٧ / ١٧٠
(٧) لسان العرب ٤٧٨/١٠

ثانيا : مادة فلك فى القرآن الكريم :

وردت هذه المادة فى القرآن الكريم خمسا وعشرين مرة منها ثلاث وعشرون مرة بمعنى السفينة وذلك فى معرض الامتنان من الله سبحانه وتعالى على بنى آدم قال تعالى :﴿ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما﴾ (الاسراء : ٦٦) وقال تعالى :﴿الم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ..﴾(لقمان : ٣١) .

كما وردت بمعنى مدار النجوم فى موضعين من القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون ﴾ (الانبياء : ٣٣) . وفى قوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾(يس : ٤٠)

وعن سعيد بن جبير [١]عن ابن عباس قال " فى فلك كفلك المغزل" وعن مجاهد[٢]قال فلك كهيئة حديدة الرحى " وعن الحسن [٣] " الفلك طاحونه كهيئة المغزل " وقال آخرون " بل هو القطب الذى تدور به النجوم " وقال آخرون " هو موج مكفوف تجرى الشمس والقمر والنجوم فيه " .[٤]والفلك ليس هو السموات وانما هو مدار بين السموات والارض فى الفضاء الكونى كما نقل السيوطى عن بعض المفسرين قوله " الشمس والقمر والنجوم مسخرة فى فلك بين السماء والارض " .[٥]

(١) سعيد بن جبير الاسدى مولاهم الكوفى ثقة ثبت فقيه من الطبقة الثالثة قتل على يد الحجاج عام ٩٥ هـ ولم يكمل الخمسين ـ تقريب التهذيب ٢٩٢/١

(٢) مجاهد بن جبر المكى المخزومى مولاهم من الطبقة الثالثة ـ المقرىء المفسر أحد الاعلام الاثبات مات عام ١٠٤هـ ـ ميزان الاعتدال ٤٣٩/٣،تقريب التهذيب ٢٢٩/٢ .

(٣) الحسن بن يسار البصرى مولى الأنصار سيد التابعين فى زمانه حجه من الطبقة الثالثة مات عام ١١٠هـ ميزان الاعتدال ٥٢٧/١ ،تقريب التهذيب ١٦٥/١ .

(٤) جامع البيان للطبري ٢٢/١٧ ، ٨/٢٣ ـ دار الفكر ١٤٠٥ هـ .

(٥) الدر المنثور للسيوطى ٦٢٧/٥ ـ الطبعة الاولى ـ دار الفكر ١٤٠٣ هـ .

المبحث الثاني

أولا : مادة العالم فى اللغة العربية :

"علم : العين واللام والميم أصل صحيح يدل على أثر بالشىء يتميز به عن غيره ،ومن الباب العالمون وذلك أن كل جنس من الخلق فهو فى نفسه معلم وعلم . وقال قوم العالم سمى لاجتماعه . قال تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قالوا الخلائق أجمعون "(١)

" والعالم بفتح اللام وانما لم يضبط لشهرته وقال بعضهم هو اسم بنى على مثال فاعل كخاتم وحكى بعضهم الكسر اى الخلق . وسمى الخلق عالما لانه علامه على الصانع أو تغليبا لذوى العلم وعلى كل مشتق من العلم لا من العلامة . ولا واحد للعالم من لفظه لان عالما جمع اشياء مختلفه فان جعل عالم اسما لواحد منها صار جمعه لاشياء متفقه والجمع عالمون وقيل جمع العالم الخلق العوالم".(٢) ومعناه ان جمع كلمة عالم اذا قصد منها الخلق هى عوالم ويذكر صاحب اللسان ان من الاقوال فى معنى العالم " هو ما احتواه بطن الفلك . والعالمون اصناف الخلق . والعالم الخلق كله ولايجمع على فاعل بالواو والنون الا هذا " (٣) ويذكر الفيروزآبادى أن معنى العالم " اسم للفلك ومايحويه من الجواهر والاعراض . وهو فى الأصل اسم لما يعلم به كالخاتم لما يختم به فالعالم آلة فى الدلالة على موجده وخالقة . وأما جمعه فلان كل نوع من هذه الموجودات قد يسمى عالما . فيقال عالم الانسان وعالم النار ، وأما جمعه جمع السلامة -

---

(١) مقاييس اللغه ٤ /١٠٩

(٢) تاج العروس ٤٠٧/٨

(٣) لسان العرب لابن منظور ٤٢٠/١٢

أى جمع مذكر سالم " عالمين ، ـ فلكون الناس فى جملتهم" (١)

والرأى عندى فى معنى العالم المراد به الخلائق اجمعون مأخوذ من العلم والعلامة لأن فيه دلالة على موجوده وخالقة وأما ماذهب اليه ابن منظور والفيروز آبادى بأن العالم آسم للفلك وما يحويه من الجواهر والاعراض ففى الأخذ به شىء من التوقف وذلك للأسباب التالية :

أولا : ان هذا المعنى للعالم ليس من آصل اللغه وانما هو ناشىء عن تصور محدود للوجود مقصور على الفلك المشاهد ومن ثم يخرج منه الغيبيات وهذا مخالف لعقيدة الاسلام ولما فى نصوص القرآن .

ثانيا: ان هذا المعنى للعالم ناشىء عن تصور للعالم عند المتكلمين والفلاسفة الذين تكلموا فى الجواهر والاعراض وليس من آصل لغوى .



---

(١) بصائر ذو التميز فى لطائف الكتاب العزيز ، للفيروز آبادى ٩٥/٤ بتحقيق محمد النجار ـ المكتبة العلمية ـ بيروت .

ثانيا : مادة العالم فى نصوص الوحى :-

وردت هذه المادة بصيغة الجمع المذكر السالم فى ثلاثة وسبعين موضعا من الكتاب العزيز منها اثنان واربعون موضعا مضافة الى كلمة رب قال تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ (الفاتحه : ١) وقال تعالى:﴿ قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين﴾ (الانعام : ١٦٢) . وفى السنة المطهرة من المواضع التى اضيفت فيها العالمين الى كلمة رب ما ورد فى دعاء الاستفتاح فى الصلاة عن على بن ابى طالب رضى الله عنهما قال (كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة قال : وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ...) (1). وقد ذكر هذا فى حديث طويل بروايات مختلفة فى صحيح مسلم والسنن لابى داود والترمذى والنسائى . كما اورد النسائى بسند صحيح عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما . (أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا ركع قال اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربى خشع سمعى وبصرى ولحمى ودمى وعظامى لله رب العالمين) (2) . فيظهر من هذا ان كلمة العالمين وردت فى الادعية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أكثر من موضع كدعاء الاستفتاح والدعاء فى الركوع والدعاء فى حالة الانتباه من النوم .

كما وردت مادة العالم فى الكتاب العزيز غير مضافه الى كلمة

---

(1) جامع الاصول فى احاديث الرسول لابن الاثير ٢٠٦/٤ بتحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية لعام ١٤٠٣ هـ

(2) سنن النسائى - كتاب الافتتاح - باب نوع آخر من الدعاء فى الركوع ١٩٢/٢ ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الاولى لعام ١٣٤٨ هـ .

رب احدى وثلاثين مرة مثل قوله تعالى: ﴿ يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين ﴾ (البقرة : ٤٧) وقال تعالى: ﴿ ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ (آل عمران : ٣٢) .

ويذكر الدامغانى فى النظائر [١] فى مادة (ع ل م) أن كلمة العالمين وردت فى القرآن على خمسة أوجه .

١ - العالمين بمعنى الأنس والجن قال تعالى: ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ (الفرقان : ١) وقال تعالى ﴿ ان هو الا ذكر للعالمين ﴾ (التكوير : ٢٧) .

٢ - العالمين عالمو الزمان قال تعالى: ﴿ ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقنهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ﴾ (الجاثية : ١٦) اى البشر فى زمانهم .

٣ - كل ولد آدم قال تعالى: ﴿ واذ قالت الملائكة يامريم ان الله أصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (آل عمران : ٤٢) . والاستدال بالآية للمعنى الذى ذهب اليه الدامغانى صحيح لأحاديث كثيرة فى فضل مريم بنت عمران منها قول النبى صلى الله عليه وسلم (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون . وفضل عائشه على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) .[٢]

(١) قاموس القرآن (اصلاح الوجوه والنظائرفى القرآن الكريم) للدامغانى ص ٣٣١ بتحقيق عبدالعزيزسيدالأهل - دار العلم للملايين - الطبعة الرابعة لعام ١٩٨٣ م .

(٢) صحيح البخارى ٣٦/٥ - كتاب فضائل الصحابه . باب فضل المهاجرين النسخة اليونينيه، دار احياءالتراث - بيروت .
فتح البارى ، كتاب فضائل الصحابه - باب فضل عائشة ١٠٦/٧ بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقى - دار المعرفة - بيروت .

٤ - الخلق من بعد نوح عليه السلام لقوله تعالى: ﴿سلام على نوح فى العالمين﴾ (الصافات : ٧٩) .

٥ - أهل الكتاب قال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين﴾ (آل عمران : ٩٧) يعنى أهل الكتاب لأنهم لايرون الحج واجبا عليهم .

ويظهر والله أعلم أن الوجوه الخمسة التى ذكرها الدمغانى لم تستوفى المعاني التى وردت بها مادة العالمين فى القرآن كالسموات والأرض .

فقد قال تعالى : -

: ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ (الجاثية :٣٦)

وقوله تعالى حكاية عن فرعون فى مجادلته لموسى عليه السلام ﴿قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين﴾ (الشعراء : ٢٣ ، ٢٤) .

المبحث الثالث

تصور العالم واقوال المفسرين فى ذلك : - تختلف نظرة المسلمين اختلافا" كبيراً عن نظرة الماديين فى تصور العالم فالماديون ينظرون الى العالم المحسوس المرئى المتمثل فى الفضاء الكونى وما فيه من اجرام سماوية بما فى ذلك الأرض وما عليها ثم بعد ذلك يتوقف ادراكهم لما فى خارج هذا الحدود ويصبحون عاجزين تماما عن تصور عوالم أخرى غير العوالم المحسوسه المرئية وذلك لعدم ايمانهم بالغيب .

اما نحن المسلمين فلدينا مصادر التشريع - القرآن والسنة - التى تخبرنا ان هناك عوالم متعددة قال تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وقال تعالى حكاية عن بلقيس حينما جاءت الى سيدنا سليمان للايمان بالله تعالى: ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ (النمل : ٤٤) فالقرآن يتحدث دائما عن عوالم متعددة وليس عالما واحدا .

" ويثبت القرآن الكريم نوعين من العوالم فهى متعددة وكثيرة من حيث العدد ولكنها اثنان فقط فى النوع هما عالم الغيب وعالم الشهادة "(١)

وقد اجاب الزمخشرى فى تفسيره عن سبب جمع عالم على عالمين فقال " ليشمل كل جنس مما سمى به ولمعنى الوصفيه فيه وهى الدلاله على معنى العلم "(٢) ويقول الالوسى فى تفسيره " انما اتى الرب سبحانه بالجمع المعرف لأنه لو افرد وعرف بلام الاستغراق لم يكن نصا فيه لاحتمال العهد

(١) مفاهيم قرآنية حول حقيقة الانسان . د. فاروق الدسوقى ص ١٧، الطبعة الثانية لعام ١٤٠٦ هـ ، المكتب الاسلامى بيروت .

(٢) الكشاف للزمخشرى ٨/١ - ٩ - دار المعرفة - بيروت ، توزيع دار الباز .

بأن يكون أشارة الى هذا العالم المحسوس . وقد غلب استعماله فى العرف بهذا المعنى فى العالم المحسوس لالف النفس بالمحسوسات فجمع ليفيد الشمول قطعا " (١) وتقسيم الكائنات الى غيب وشهادة هو بالنسبة للانسان ولكل الكائنات حتى الملائكة فهناك ماهو غائب عنهم وما هو مشهود لهم . ومن ثم فليس فى الوجود سوى الله عز وجل الذى يعلم كل شىء ويعلو على كل شىء فليس بالنسبة الى علمه غيب او شهادة (٢) قال تعالى:﴿ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ (التغابن : ١٨) .

وبالرجوع لاقوال المفسرين نجد ان الروايات فى تفسير العوالم اختلفت اختلافات شتى نذكر منها مايلى عن ابن عباس وغيره قولهم فى تفسير رب العالمين " رب الجن والانس " (٣). وأستدل البغوى فى تفسيره لهذا القول بقوله تعالى:﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ (الفرقان : ١) وهذا القول يؤدى الى فهم خاطئ لقوله تعالى:﴿ قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين﴾ (الشعراء ٢٣-٢٤)

ويصحح هذا المفهوم رواية اخرى عن ابن عباس فى تفسير رب العالمين قوله " اله الخلق كله السموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن ومن بينهن مما يعلم ومما لايعلم " (٤).

---

(١) روح المعانى للالوسى ٧٨/١-٧٩ - دار احياء التراث العربى - بيروت .
(٢) مفاهيم قرآنية ص ١٧
(٣) جامع البيان للطبرى ٦٣/١ وتفسير ابن كثير ٢٣/١ - دار المعرفة بيروت - طبعة ١٤٠٢ هـ .
(٤) جامع البيان للطبرى ٦٢/١ ، الدر المنثور للسيوطى ٣٤/١ .

ونقل الطبرى والقرطبى وابن كثير والسيوطى عن ابى العاليه [1] قال "الجن عالم والأنس عالم وسوى ذلك للأرض أربع زوايا فى كل زاوية ألف وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته" .

وهذا يدل دلالة مخالفة لمعنى الآية المتبادر الى الذهن . لأنه لم يذكر السموات ومن فيهن وفى الحديث الذى رواه الامام احمد فى مسنده والترمذى فى سننه وابن ماجه باسناد حسن عن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى أرى ما لاترون وأسمع ما لاتسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع أربع أصابع الا ملك واضع جبهته لله ساجدا ....) الحديث .[2]

ونقل من بعض اهل العلم ان " العالم عبارة عمن يعقل وهم أربعة أمم الأنس والجن والملائكة والشياطين ولايقال للبهائم عالم لأن هذا الجمع انما هو جمع من يعقل خاصة " .[3]

ويفهم هذا القول ان قوله تعالى:﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ اى رب العقلاء دون البهائم وهذا يتعارض مع قوله تعالى:﴿ وما من دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون ﴾ (الانعام : ٣٨) .

(١) ابو العاليه الرياحى : هو رفيع بن مهران مولاهم البصرى ادرك الجاهلية واسلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين ودخل على ابى بكر وصلى خلف عمر ، تهذيب . التهذيب ٣ / ٢٨٤ .

(٢) مسند الامام احمد ١٧٣/٥ - الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ - المكتب الاسلامى
سنن الترمذى - كتاب الزهد ٥٥٦/٥ تحقيق احمد شاكر - دار احياء التراث العربى - بيروت .
سنن ابن ماجه - كتاب الزهد ١٤٠٢/٢ هـ - تحقيق محمد عبدالباقى - دار الفكر - بيروت .

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ١٣٨/١ - دار احياء التراث العربى ، تفسير ابن كثير ١ /٢٣ .

ومعلوم ان الامم تنقسم الى قسمين الامم العاقلة والامم غير العاقلة وهو ماتفيده الآية السابقة ويؤيد ذلك ماروواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (قرصت نملة نبيا من الانبياء فأمر بقرية النمل فاحرقت فأوحى الله اليه أن قرصتك نمله أحرقت أمة من الامم تسبح) (١) وكذلك ما روى عن عبدالله بن مغفل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولا أن الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم ...) (٢) .

وبالرجوع الى اللغه فقد ذكر ابن فارس فى مقاييس اللغه عن بعضهم " كل شئ يضم اليه ما سواه مما يليه فان العرب تسمى ذلك الشئ أما" (٣)

---

(١) جامع الاصول فى احاديث الرسول ٥٣١/٤
(٢) مسند الامام احمد ٥٤/٥ ، ٥٦ سنن الترمذى - كتاب الاحكام والفوائد ٧٨/٤ .

سنن ابى داود - كتاب الصيد ١٠٨/٣ - مراجعة وتعليق محمد محى الدين عبدالحميد - دار الفكر بيروت .

سنن النسائى بشرح السيوطى - كتاب الصيد والذبائح ١٨٥/٧ - الطبعة الاولى ١٣٤٨ هـ ، دار الفكر .

كمـا ورد فى تفسير العـالمين فقيل : أهل كل زمـان عـالم [1] لقولـــه تعالى حكايـة عن نبى الله لوط عليه السلام حينما حاج قومه ﴿ أتـأتـــون الذكران من العـالمين ﴾ (الشعراء : ١٦٥) وقد عزا هذا القول الالوسى فى تفسيره الى جعفر الصادق .

وهذا المعنى صحيح لان السياق يخصص العـالمين بـالبشر .

---

(١) تفسير القرطبى ١٣٨/١ .

ونقل عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه " أن لله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها الى غربها عالم واحد ".[1]

وعن سفيان ابن عينيه [2] قال " العالمين هو جميع الأشياء المختلفة "[3]، وعن قتاده [4] ومجاهد قولهم " العالمون جميع المخلوقين " [5] والى هذا ذهب القرطبى فى تفسيره وقال " لأنه شامل لكل مخلوق وموجود " ودليله قوله تعالى : ﴿ قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين ﴾ (الشعراء : ٢٣ - ٢٤) .

ثم هو مأخوذ من العلم والعلامة لأنه يدل على موجده وذكر أبو السعود فى تفسيره .

---

(١) تفسير القرطبى ٧٣٨/١ .

(٢) سفيان بن عيينه الهلالى ثقة حافظ فقيه أمام حجه من رؤوس الطبقة الثانية ،مات عام ٩٨ هـ تقريب التهذيب ٣١٢/١ ،تهذيب التهذيب ١١٧/٤ .

(٣) تفسير بن عيينه ص ٢٠٣ جمع وتحقيق أحمد صالح محايدى - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - المكتب الاسلامى .

(٤) قتادة بن دعامة السدوسى ثقة ثبت وهو رأس الطبقة الرابعة تقريب التهذيب ١٢٣/٢ .

(٥) تفسير البغوى معالم التنزيل ٢٧/١ .

" ان العالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب ، غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اى فى القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه يطلق على كل جنس منها فى قولهم عالم الافلاك وعالم وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع أيضا كما فى قولنا العالم بجميع اجزائه محدث ".(١)

---

(١) تفسير ابى السعود ٢٠/١ تحقيق عبدالقادر احمد عطا ، طبعة عام ١٤٠١ دار الفكر بيروت ـ المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم .

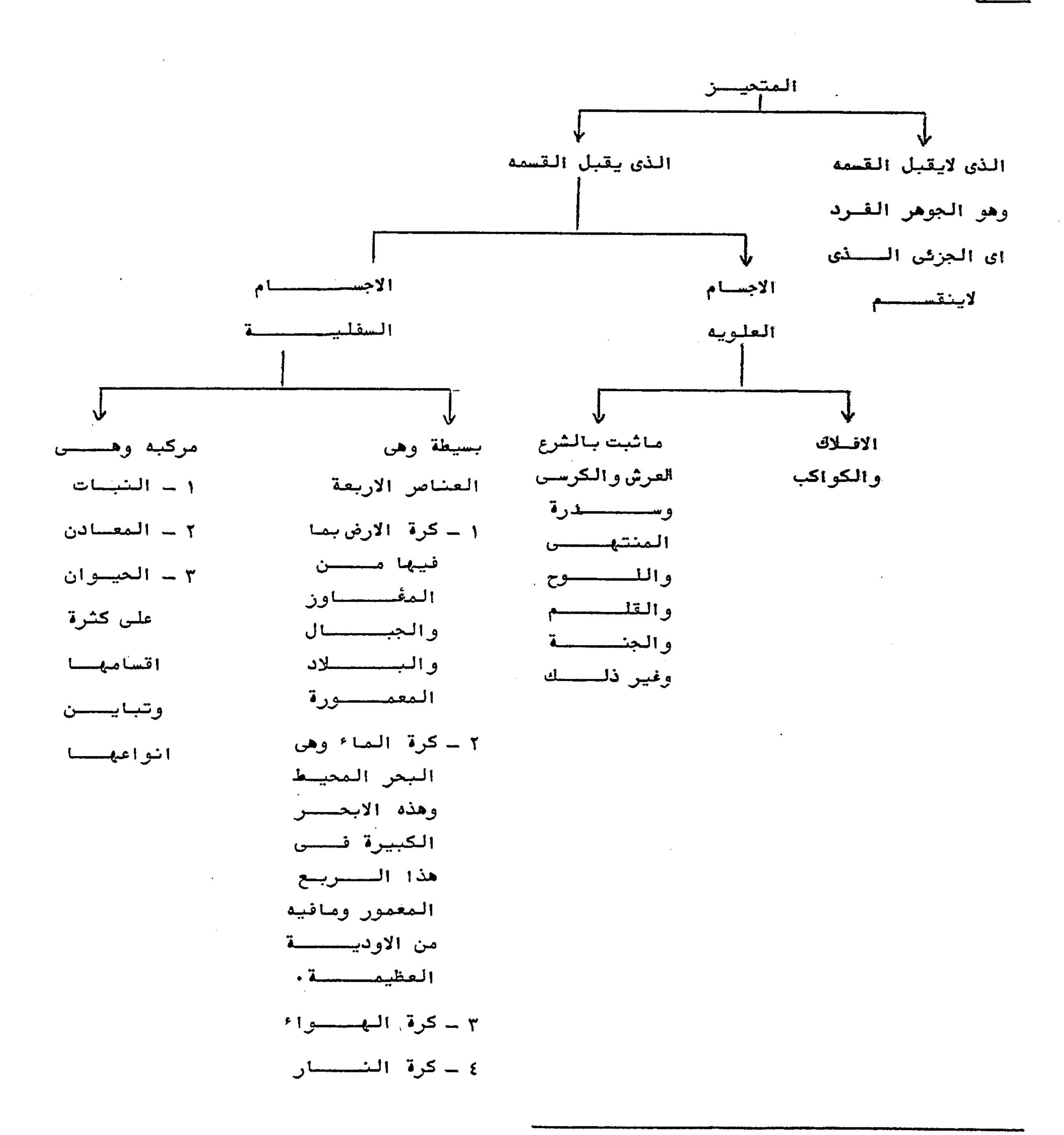
واما طريقة الرازى فى تقسيم الوجود فهى مقتبسه من طريقة الفلاسفة وان لم يكن يوافقهم فى ذلك تماما كما سنلاحظ في تفسيره لقوله تعالى " الحمد لله رب العالمين " (١)

فالموجود يتفرع الى : ١ – واجب لذاته وهو الله تعالى وحده ٠

٢ – وممكن لذاته وهو كل ما سوى الله وهو العالم ٠

والممكن عنده ينقسم الى ثلاثة اقسام :

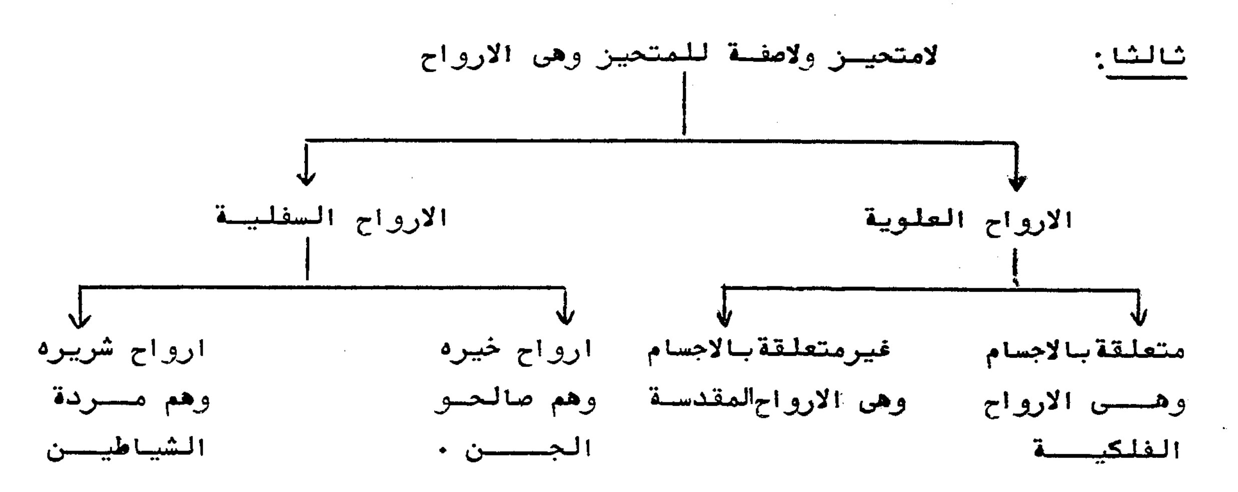
أولا :



(١) التفسير الكبير للامام الرازى ٢٢٩/١ – الطبعة الثالثة – دار احياء التراث العربى – بيروت

ثانيا : صفة المتحيز وهى الاعراض . وقد ذكر منها المتكلمون مايقرب من من اربعين جنسا .

ثالثا: لامتحيز ولاصفة للمتحيز وهى الارواح



والرازى فى هذا التقسيم يثبت للافلاك أرواحا كالفلاسفة مع ان ذلك لم يأت به القرآن الكريم ولم تورده السنه المطهرة . لكنه يختلف عن الفلاسفة فى انه لم يثبت ان الافلاك احياء ناطقة حركتها من نفسها بل حركتها من تسخير الله وأنها مفتقرة اليه كما أن الرازي لم ينسب للافلاك اختيارا ودواما ازليا الا انه جعل فيها دلالة على السعادة والنحوس وغير ذلك من الخصائص . وذلك عندما تعرض لتفسير قوله تعالى ﴿ ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابه وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لأيات لقوم يعقلون ﴾ (البقرة : ١٦٤) بعد ان افرد فصولا فى ترتيب الافلاك ومعرفتها ومقادير حركتها وكيفية الاستدال بها على الصانع . كما قال الرازى عن اختصاص الكواكب " واختصاص كل واحد منها بما اختص به لابد وأن يكون بتخصيص مخصص " .(١)

---

(١) تفسير الرازى ١٨٩/٤

والأقوال السابقة توضح لنا تصور العالم عند المفسرين لكن المفهوم السائد عند البشر لمعنى سماء وأرض كما يذكر الفيروز آبادى " بأن الأرض يعبر بها عن أسفل الشئ كما يعبر بالسماء عن أعلاه " [١] وهى الدلالة اللفظية لمعنى سماء وأرض .

من هذا يظهر أن كل عالم محدد بأرض وسماء فالأرض يعيشون عليها والسماء مظلة لهم ونصوص الوحى تخبر أن العوالم محددة بالسموات والأرض حسب المفهوم السابق لمعنى سماء وأرض قال تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما ﴾ (الطلاق : ١٢) فعالم الانسان وما يشاركه من المخلوقات الأخرى محددة بهذه الأرض الذى تظله هذه السماء .

ومما يؤكد هذا ما جاء فى السنة المطهرة حديثا أورده الحاكم وصححه الذهبى عن صهيب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها (اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين فأنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها) [٢] كما ورد هذا الحديث بروايات متقاربة فى سنن الترمذى والمعجم الأوسط للطبرانى حينما شكا خالد بن الوليد رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم أرقا يصيبه فى الليل . [٣]

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٢ / ٥٣ .

(٢) مستدرك الحاكم وبذيلة التلخيص للذهبى ١ / ٤٤٦ ، ٢ / ١٠٠ دار المعرفة بيروت .

(٣) سنن الترمذى ـ كتاب الدعوات ٥ / ٥٣٨ والمعجم الأوسط للطبرانى ١ / ١٢٩ بتحقيق د . محمود الطحان ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ مكتبة المعارف الرياض .

ومما يثبت ويؤكد أن كل سماء وكل أرض يكون عالما " من المخلوقات الخاصة بهذا العالم قول الله عز وجل ﴿ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين واوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (فصلت : ١١ - ١٢) . فقوله تعالى﴿ فأوحى فى كل سماء أمرها ﴾ " أى قاموسها وقانونها وطبيعتها وطبيعة الخلق فيها والحكمة من وجودها والمهام الموكوله لكل مخلوق فيها "(١)

---

(١) مفاهيم قرآنية حول حقيقة الانسان - د . فاروق الدسوقى ص ٢٠

الفصل الثانى : مراحل نمو علم الفلك

ويشتمل على المباحث :

أولا : علم الفلك عند الشعوب القديمة

ثانيا: علم الفلك عند العرب والمسلمين وفى العصر الحديث

مراحل نمو علم الفلك : -

قبل الحديث عن مراحل نمو علم الفلك لابد من التطرق الى تعريف علم الفلك .

تعريف علم الفلك : -

(١) هو علم دراسة الأجرام السماوية بدأ" برصد مواقعها وحركاتها لتعين الفترات الزمنية.[١] وعلم الفلك يسمى علم الهيئة .
والهيئة فى اللغة : هى صورة الشئ وشكله وحالته .[٢]
تعريف علم الفلك " الهيئة " : -

(٢) يذكر ابن خلدون فى مقدمته تعريفا" لهذا العلم فقال : -
" هو علم ينظر فى حركات الكواكب الثابته والمتحركة والمتحيرة ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية .... وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست ما يفهم فى المشهور أنها تعطى صورة السموات وترتيب الأفلاك والكواكب بالحقيقة بل انما تعطى أن هذه الصور والهيئات للأفلاك لزمت عن هذه الحركات ".[٣]

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ٢ / ١٣١١ .
(٢) لسان العرب لابن منظور ١ / ١٨٩ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٧ ـ الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ ، دار الباز للنشر والتوزيع .

وفى هذا التعريف يظهر ان تقسيم الاجرام السماوية حسب المعلومات فى الفلك القديم تنقسم الى قسمين اجرام ثابته واجرام متحركة فالاجرام الثابته هى خلاف السيارات والتوابع وذوات الاذناب وذلك للبعد الشاسع بحيث لاترى حركتها واما المتحركة فهى السيارات وهى عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل وهى ماتسمى بالكواكب المتحيرة ويقصد بتحيرها اختلاف مواقعها فى السماء وتقدمها أو تأخرها عن الشمس او عن بعضها . كما ان الشمس والقمر تعد من الكواكب المتحركة .

(٣) وقال اخوان الصفا "ان علم الهيئة هو معرفة تركيب الافلاك وكمية الكواكب واقسام البروج وابعادها وعظمها وحركتها وما يتبعها فى هذا الفن".(١)

(٤) وقد عرف طاش كبرى زاده هذا العلم بقوله " هو علم يعرف منه احوال الاجرام البسيطة العلوية والسفلية واشكالها وأوضاعها ومقاديرها وابعادها ".(٢)

(٥) وذكر حاجي خليفة فى كشف الظنون بأن هذا العلم يتفرع غن الفلسفيات التى قسمها الى أربعة أقسام رياضية ومنطقية وطبيعية وآلهية .

وقال " ان علم الهيئة مندرج تحت علم الاسطر نوميا وهى علم النجوم بالبراهين الذى هو فرع من القسم الرياضى من العلوم الفلسفية " (٣)

ويذكر ايضا فى تفسير كلمة اسطرلاب بأن أصلها يونانى يقال لها

---

(١) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ــ حكمت نجيب ص ١٧٧ ــ الطبعة الرابعة ١٩٨٥م ــ جامعة الموصل .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ــ طاش كبرى زاده ٣٤٨/١ ــ الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

(٣) كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة ١٢٨٩/٢ ــ طبعة ١٤٠٢هـ دار الفكر .

باليونانية اسطر لافون ، فأسطر هو النجم ، لافون هو المرآة أى مرآة النجم ومن ذلك سمى علم النجوم اسطر ونومى .[١] (Astronorny)

نشأة علم الفلك : -

يظهر أن نشأة هذا العلم عن عبادة الأجرام السماوية ومشاهدة حركاتها لتحديد أيام الأعياد والقرابين ،ويذكر صاحب كتاب قصة الحضارة فى حديثه عن العلم الهندى بأن نشأة علم الفلك عن التنجيم نشأة غير مقصودة ثم أخذ رويدا رويدا ينفض عن نفسه الأغلال .[٢]

وعلم التنجيم يعتمد على النظرية القائلة بتأثير النجوم فى شئون الانسان ،وهو علم قديم جدا يعتبر آساس علم الفلك القديم .[٣]

---

(١) كشف الظنون ١٠٦/١

(٢) قصة الحضارة - ول ديورانت ٣٣٥/٣ - الادارة الثقافية فى الجامعة العربية

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ٥٤٩/١ - دار الشعب بمصر ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

المبحـــث الاول

علم الفلك عند الشعوب القديمــــــة :-

أولا : مصــــــر :

اهتم المصريون القدماء منذ بدء تاريخهم فى الألف الثالث قبـــل الميلاد بعلم الفلك وذلك لمحاولتهم السيطرة على فيضان النيل . ولمـــا لاحظوا ان الفيضان مرتبط بالفصول انتقلوا الى الحساب الشمسى بـــدلا من الحساب القمرى . كما عرف المصريون المزولة - الساعة الشمسيـــة وكيفيـــة قراءتها .(١)

وقد عرف المصريون التقاويم وقدروا الفترة التى تلزم الشمـــس لاتمام مسار كامل بين النجوم خلال سنة نجميـــة اتخذوها وحدة اساسية لقياس الزمن وتعرفوا على قوام السنة وهى اثنا عشر شهرا كل منها ثلاثـــون يوما أضافوا اليها فى النهاية خمسة أيام هى أيام النسىء .. واستندوا فى تقدير السنة النجميـــة على ظاهرة شروق الشعرى اليمانية .(٢)

ثانيا : فى بلاد مابين النهرين (العراق) .

البابليــــــون :

لعل سبب اهتمام البابلين بالفلك قيامهم بعبادة بعض الاجـــــرام السماويـــة فربطوا معرفتهم الفلكية بنظامهم السداسى فى الحساب وجعلـــوا محيط الأرض ومحيط الفلك ٣٦٠ درجة كقسمة الدائرة عندهم وقسموا اليـــوم

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب - عمر فروخ ص ٤١ - الطبعة الثالثة ١٩٨٠م دار العلم للملايين بيروت .

(٢) الجغرافيا الفلكية - شفيق عبدالرحمن على ص ١٨ - دار الفكر العربى.

الى ٢٤ ساعة والساعة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية . كما جعلوا اليوم الاول من كل اسبوع هو اليوم الأول من الشهر واصبح الشهر عندهم متكونا من أربعة اسابيع . وادركوا ان السنة تزيد على ثلاثمائة وستين يوما .(١)

كما عرف البابليون الخسوف والكسوف ويذهب بعضهم الى أن ارصادات البابلين كانت دقيقة واصبحت مادة لعلم الفلك بعد ذلك . اما الآلات التى كانت تستعمل فى عهدهم هى الساعة الشمسية والساعة المائية لقياس وقت الليل وكذلك الساعة الكرية التى تصور قبة السماء كما برع البابليون فى رصد الكواكب والنجوم .(٢)

الكلدانيون :

برع الكلدنيون فى علم الفلك عندما ورثوا حضارة العراق واقاموا دولتهم فى بابل عام ٦٢٥ قبل الميلاد فربطوا ايام الاسبوع بعطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل وبالشمس والقمر وفى نفس الوقت استقرت اسماء البروج الاثنى عشر على مانعرف اليوم . وصنع أحد علمائهم قبل عام خمسمائة قبل الميلاد جداول لحركات الشمس والقمر وبين مقادير حركاتها فى اليوم والشهر والسنة وحسب اوقات الخسوف والكسوف وبين أن طول السنة ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ١٥ دقيقة و٤١ ثانية (أى اكثر من طول السنة الحقيقى بـ ٢٦ دقيقة و ٥٥ ثانية) .

واستطاع عالم آخر من علمائهم نحو عام ٣٧٩ قبل الميلاد أن يصنع

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب ص ٤٢ .

(٢) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ص ١٧٩ .

جداول فلكية أكثر دقة .

وفى هذه الفترة توصل الكلدانيون الى قيمة النسىء لغرض المطابقة بين السنة القمرية والسنة الفلكية .[1]

ثالثا : فى الهند والصين : -

لم يتطور علم الفلك فى الهند على أسس علمية الا بعد فتح الاسكندر لبلاد السند عام ٣٢٧ قبل الميلاد . أما كتاب السند هند . وهو الذى يضم معظم معارف الهنود فى العلوم العددية - فمتأخر النشأة جدا .

ونشأة علم الفلك عند الصينين متأخرة فى الزمن .[2]

رابعا : فى اليونان :

طبق اليونانيون القوانين الهندسية التى ابتدعوها ، كحساب المثلثات السطحية والفلكية فى رصد مدارات الكواكب بواسطة الآلات التى اعدوها لهذا الغرض . وعرفوا نظرية الافلاك المشتركة المراكز أو نظرية المركز الشمسى ، نتيجة للوصف التركيبى للظواهر الفلكية التى رصدت من قبلهم .

وفى القرن الثانى قبل الميلاد قام احد علمائهم بعمليات رصد متعددة وجديدة لم تكن معروفة من قبل حيث طبق علم الهندسة على الفلك وصنع الاسطرلاب ووضع الازياج . وكانت نشاطاته والنتائج التى توصل اليها بمثابة حجر الأساس لعلم الفلك .

وفى القرن الثانى بعد الميلاد قام بطليموس بجمع ماكان متفرقا

---

(١) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ص ١٧٩

(٢) تاريخ العلوم عند العرب ص ٤٤

فى أيدى اليونانيين والروم وغيرهم من أهل القسم الغربى من العالم حينذاك ونسقها الا انه لم يحاول تصحيح ماكان فيها من اخطاء وكان كتابة المجسطى [١] المرجع الاول والاخير للنظام الفلكى القديم الذى يقول بدوران الشمس والكواكب حول الارض الشبيهه بالكرة ، والثابته فى مركز العالم ووضعه فى ثلاثة عشره مقاله .[٢]

فعلم الفلك اليونانى ، كان علما نظريا يستند على العقل ،ويبتعد عن اسلوب التجربة بالمفهوم العلمى فوضعوا فكرة " نظام الكون البديع" مما يبين لنا الاتجاه الواضح لاحترام اليونانين للقوانين وتفسيرها تفسيرا يستند على علاقتها بنظام عقلى شامل . أما اهم الاعمال التى قاموا بها فهى : -

- تفسير الحركة اليومية للاجرام السماوية .
- تعيين اطوال الفصول عن طريق عمل ارصادات شمسية دقيقة .
- تفسير حركات الشمس والقمر والكواكب على مدار السنة .
- قياس ابعاد الشمس والقمر عن الارض .[٣]

---

(١) المجسطى : كلمة يونانية معناها الترتيب ، وهو من أهم ماصنف فى علم العيئة .. (كشف الظنون ٢/١٥٩٤ .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٧٤ - طبعة عام ١٣٩٨ هـ - دار المعرفة ،بيروت
(٣) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ص ١٨٠ - ١٨١ .

المبحث الثانى

أولا : علم الفلك عند العرب والمسلمين :-

قدم الشعر الجاهلى بعض الدلائل على أن العرب كان لديهم فى الجاهلية بعض المعرفة عن مبادىء علم الفلك . فأشعارهم واخبارهم تدل على شيوع معرفة الفلك والجو بينهم فى حياتهم اليومية . وكان هدف العرب معرفة احوال الرياح وحوادث الجو فى فصول السنة وأشتهر منهم فى معرفة النجوم جماعة منهم ، بنو مارية بن كلب وبنو مرة من همام الشيبانى .(١)

ويذكر الجاحظ فى كتابه الحيوان اقوال لبعض الاعراب فى النجوم فقال "سئلت اعرابيه فقيل لها : أتعرفين النجوم ؟ قالت : سبحانه الله أما أعرف أشباحا وقوفا على كل ليلة "ووصف أعرابى لبعض أهل الحاضرة نجوم الانواء ونجوم الاهتداء ونجوم ساعات الليل والسعود والنحوس فقال قائل لشيخ عبادى (٢) .

كان حاضرا :-

:" اما ترى هذا الاعرابى يعرف من النجوم مالا نعرف قال : ويل أمك من لايعرف أجذاع بيته ". (٣)

والمقصود باجذاع بيته اعمدة البيت حيث كانت من جذوع النخل .

وكان للعرب فى الجاهلية عناية بحركات القمر فحسبوا به الشهور والسنين . ثم راوا ان الفصول الاربعة تختلف وقوعها فى الاشهر القمرية بين سنة وأخرى فلجأوا الى النسىء فكانوا يزيدون فى كل سنة ثالثة

---

(١) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ص ١٨٢ .

(٢) العبادى نسبة الى العباد بالكسر وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٣) الحيوان للجاحظ ٣١/٦ بتحقيق عبدالسلام هارون - دار احياء التراث العربى - بيروت .

شهرا وكان حسبانه تقريبا ومضطربا اذ لم يكن لهم معرفة لقواعد الهندسة والمثلثات .(١)

أما بالنسبة لعلم الفلك عند العرب فى العصر الاسلامى فنظر لأن هذا العصر كان عصر تأسيس لدولة الاسلام بحيث كانت ايام الخلافة الراشده أيام جهاد وفتوحات فان هذا العلم لم يعرف بصفته العلمية نظرا لأنشغال المسلمين بما هو أهم فى انتشار الاسلام . ولايعنى هذا ان علم الفلك لم يحظى بالاهتمام من قبل المسلمين فى هذا العصر بل أن كتب التفسير مليئة بآراء لكثير من علماء الاسلام من الصحابه والتابعين تدل دلالة واضحة على أن المسلمين لم يغفلوا هذا الجانب من العلم ذلك لأن نصوص الوحى تدعو الى النظر فى آفاق الكون للتعرف على خلق الله التى تزيد المسلمين اجلالا لربهم وخالقهم فقد ورد فى الكتاب العزيز مايوجه المسلمين الى النظر فى الكون قال تعالى :﴿ ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لأيات لأولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (آل عمران : ١٩٠ - ١٩١) .

ونظرا لأن علم الفلك من العلوم الصرفه فهذه العلوم لاتزدهر الا فى اوقات الاستقرار وحيث أن الفتوحات أخذت اكبر وقت من عصر الراشدين والدوله الاموية فان علم الفلك لم يأخذ صفته العلمية الا فى العصر العباسى . ورغم ذلك فان العصر الاموى لم يخل ممن شغف بهذا العلم فان خالد بن يزيد بن معاوية بن ابى سفيان رغم كونه خطيبا شاعرا

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب ص ١٦٠ .

فصيحا الا أنه شغف بالعلوم وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء .[١]

لقد كان اتجاه علماء المسلمين الى دراسة علم الفلك بدافع دينى حرصا منهم على تفهم النصوص القرآنية التى تتحدث عن الفلك . ونظرا لما لاقاه العلماء من تشجيع من خلفاء الدولة العباسية حيث ازدهر العلم فى عهدهم واخذ الصيغة العلمية بشكل أوضح من العصور المتقدمة من أيام دوله الاسلام .

فلقد عمل علماء العرب والمسلمين على خدمة الانسانية فزاوجوا بين الحضارات السابقة صورة وطوروا حضارة منها جديدة طبعوها بطابع حضارتهم الخاص من خلال انجازاتهم الكثيرة القيمة . ومن أهم مميزات العرب أنهم لم يخضعوا خضوعا أعمى قط لحجة اليونان وانما تراهم منذ اوائل عهدهم بالعلوم قد نصبوا انفسهم مراجعين ومصححين للأخطاء التى اكتشفوها فى علوم اليونان وغيرهم فنبغوا فى تطبيق الرياضيات على علم الفلك والعلوم التطبيقية وفتحوا آفاقا جديدة فى الفلك بقياساتهم وأرصادهم ونظرياتهم .[٢] ومن أهم منجزات ،

العرب والمسلمين فى هذا العلم أنهم سلكوا فى هذا الفن المفهوم العلمى المعتمد على المشاهدة والاختبار والعلم حيث كانوا كثيرى العناية بالفلك يرصدون الأفلاك ويؤلفون الأزياج وهى عبارة عن جداول يسجل فيها حركة الاجرام السماوية ومساراتها . وبذلك طهروا الفلك من التنجيم .

---

(١) أثر العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ـ د.على عبدالله الدفاع ص ١٩ - ٢٠ ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ، مؤسسة الرسالة .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠

وهذه المنجزات يمكن ان نذكر منها على وجه الاختصـــــار .

١ - أول من عرف أصول الرسم على سطح الكرة وقالوا باستـــــــدارة الارض وبدورانها على محورها . وهم الذين ضبطوا حركة أوج الشمس وتداخـــل فلكها فى افلاك أخرى . واليهم يرجع الفضل فى اكتشاف بعض انـــــواع الاختلاف فى حركة القمـــــر .(١)

٢ - اكتشاف بعض الظواهر الفلكية التى مازالت تستخدم حتى اليوم فى علـــم الفلك كظاهرة رؤية الكواكب عند الأفق أو بالقرب منه اكبر منهـــــا وهى عند السمت أو قريبا من وسط السماء وقد قام ابن الهيثم بوصفهـــا وصفـــا دقيقا يعتبر المرجع فيها . (٢)

٣ - جعلوا علم المثلثات علما خاصا مستقلا عن الفلك ولم يتوقفوا عنـــــد المثلثات المتسوية بل تناولوا المثلثات الكرية وذلك لصلتها الوثيقـة بعلـــم الفلك .

٤ - تعييـــن ميل البروج عن فلك معدل النهار وهو ميل محور الأرض فـــــى دورانها حول نفسها بالنسبة لدورانها حول الشمس .وقد حدد البتانـــى زاوية الميل ٢٣ درجة بينما هى فى العلم الحديث ٢٣ درجة و ٣٥ دقيقـة اى ان الفرق بمعدل نصف درجة . كما اقام البتانى الدليل علـــــى تبعية القمر لحركة المبادرة الاعتدالية واستنتج أن معادلة الزمـــن تتغير تغيرا بطيئا على مر الأجيـــــال .(٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠ بتصـــرف .
(٢) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ص ١٨٨
(٣) أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ص ٤٧ - ٤٩ .

كما يرجع الفضل الاول فى فكرة نظرية الجاذبية الارضية الى البيرونى يقول صاحب كتاب الفلك عند العرب [1] عن فكرة الجاذبية بين نيوتن وآينشتاين كلاما مفاده أن الجاذبية عند آينشتاين ليست قوة تجذب الكتل بعضها البعض كما يقول نيوتن بل أنها عبارة عن مجال فالفضاء يتحدب حول الكتل الموجودة فيه ويكون التحدب اكثر كلما كانت الكتلة اكبر . والأرض تدور حول الشمس فى مدار معين لأن الله قدر لها هذا الأخدود التحدبى فى الفضاء فسارت فيه مسخرة لا لأن هناك جاذبية فى الشمس تجذبها اليها وهذه الفكرة هى نفس ما قاله البيرونى سوى انه لايذكر كلمة مجال الآن الفكرة عن الجاذبية بشكل مجال عند البيرونى هى نفس فكرة العصر الحديث والتى نادت بها النظرية النسبية لآينشتاتين فالبيرونى يقول " حول وسط العالم مركز الأرض - يتحرك ثقيلها الى المركز وخفيفها عن المركز والناس فى الأرض منتصبوا القامات على استقامة اقطار الكرة وعليها أيضا نزول الأثقال الى السفل . يرون السماء فوقهم قبة لا زوردية لايحسون منها اينما كانوا الا ما يقارب نصف الكرة بالقدر .... " .

٥ - اخترعوا ملاحة الجو . وما المصطلحات الاوربية الحديثة المستعملة فى الملاحة اليوم الا تحريف عن أصولها العربية . [2]

ولايسعنا الحديث اذا أردنا ان نستعرض منجزات العرب والمسلمين فى علم الفلك ويكفينا شاهد على قولنا ان كثيرا من المصطلحات الفلكية واسماء النجوم والكواكب دخلت اللغات الاوربية باسمائها العربية

---

(١) الفلك عند العرب - عبدالرحيم بدر ص ٧٩ - ٨٠ - الطبعة الاولى ١٩٨٦ م مؤسسة مصرى للتوزيع - لبنان .

(٢) اثر علماء العرب والمسلمين فى علم الفلك ص ٤٧ .

وكذلك اقوال المنصفين من علماء الغرب بفضل حضارة العرب فى هذا المجال وغيره وانه لولاها لما تقدمت الحضارة الغربية الى هذا المستوى الذى نراه اليوم ٠

ثانيا : الفلك فى العصر الحديث :-

وهو يبدأ من القرن السادس عشر للميلاد بعهد كوبر نيكس وكبلر وجاليليو ونيوتن حينما توالت تحسين المراقب واصبحت هناك فكرة صحيحة عن النظام الشمسى وتقدمت وسائل الرصد والتقنية الحديثة وحاول الانسان ان يعرف ماوراء النظام الشمسى .(١)

---

(١) مجلة الفيصل عدد ٤٣ لعام ١٤٠١ ص ١٢٣ ٠
والموسوعة العربية الميسرة ١٣١١/٢ ٠

الفصل الثالث

موضوعات علم الفلك

ويشتمل على المباحث :

أولا : السماء

ثانيا : الآفاق

ثالثا : البروج

رابعا : النجوم

خامسا : الشمس

سادسا : القمر

سابعا : المنازل

ثامنا : الكواكب

تاسعا : الارض

عاشرا : الشهب

الحادى عشر : الشواظ

الثانى عشر : الانواء

المبحث الاول

السماء ومترادفاتها فى اللغة :

"سمو: السين والميم والواو أصل يدل على العلو . يقال سموت اذا علوت وسما بصره : علا . وسمالى شخص ارتفع حتى استثبته".(١)

وفى حديث أم معبد فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم (وان صمت سما وعلاه البهاء) اى ارتفع وعلا على جلسائه .(٢)

والسماء : كل ما علاك فأظلك ولفظ السماء التى تظل الارض انثى عند العرب لأنها جمع سماءة والسماءة أصلها سماوة واذا ذكرت السماء عنوا به السقف والجمع أسميه ، وسمى وسموات وسماء . (٣)

وذكر اهل اللغة ان العرب تطلق لفظ السماء على بعض المعانى فيها : -

١ - السحاب .

٢ - المطر سمى سماء لانه ينزل من السماء وفى حديث هاجر (تلك امكم يابنى ماء السماء) يريد العرب لأنهم يعيشون بماء المطر ويتبعون مساقط الغيث .(٤)

٣ - ظهر الفرس لعلوه .

٤ - سقف البيت وسقف كل شئ .

٥ - الهلال اذا ارتفع عن الأفق يسمى سماوة الهلال .

---

(١) مقاييس اللغة ٣ / ٩٨

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤٠٥/٢

(٣) لسان العرب ٣٩٧/١٤ - بتصرف .

(٤) المرجعان السابقتان .

ولقد سمت السماء التى تظل الأرض باسماء عدة ذكر منها صاحب كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية [١].

على سبيل المثال : -

١ - الجرباء وكأنها سميت بذلك لما فيها من آثار المجرة والنجوم كأثر الجرب فى الدابة " وقيل الجرباء من السماء الناحية التى لا يدور فيها فلك الشمس والقمر ،وقيل الجرباء والملساء : السماء الدنيا وجربة معرفة : اسم للسماء " . [٢]

٢ - الرقيع وقالوا ما تحت الرقيع أرقع من فلان . ويذكر صاحب اللسان أن " الأرقع والرقيع : اسمان للسماء الدنيا سميت بذلك لأنها مرقوعة بالنجوم وقيل سميت بذلك لأنها رقعت بالأنوار التى فيها وقيل كل واحدة من السموات رقيع للأخرى والجمع أرقعة . والسموات السبع يقال أنها أرقعة كل سماء منها رقعت التى تليها فكانت طبقا لها كما ترقع الثوب الرقعة . وكل سماء يقال لها رقيع " . [٣]

السماء فى نصوص الوحى : -

ووردت لفظة السماء فى القرآن الكريم بصيغة المفرد والجمع وذكر الفيروز آبادى فى البصائر والدامغانى فى اصلاح الوجوه والنظائر ان السماء وردت فى القرآن على وجوه سته .[٤]

منها على سبيل المثال : -

---

(١) الأزمنة وتلبية الجاهلية لمحمد بن المستنير ص ١٢ - ١٣ ،تحقيق د . حاتم صالح الضامن - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .

(٢) لسان العرب ٢٦٠/١

(٣) المصدر لسان العرب ١٣٢/٨

(٤) بصائر ذو التمييز ٢٦٢/٣ ، اصلاح الوجوه والنظائر ص ٢٤٨

(١) السماء بمعنى سقف البيت قال تعالى : ﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ ﴾ (الحج : ١٥) .

(٢) السماء يعنى السحاب قال تعالى : ﴿ الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ﴾ (البقرة : ٢٢) . وقال تعالى : ﴿ وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ (الفرقان : ٤٨) . وقد اورد البخارى فى صحيحه فى بدء الخلق باب قوله تعالى : ﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ﴾ (الاعراف : ٥٧) .

حديثا يؤيد هذا المعنى عن عائشة رضى الله عنها قالت (كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيله فى السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سرى عنه ..) الحديث [١]

(٣) السماء بمعنى المطر قال تعالى : ﴿ ألم يرواكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴾ (الأنعام : ٦) .

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣٠٠/٦ كتاب بدء الخلق ،باب ماجاء فى قوله تعالى " وهو الذى يرسل الرياح " ، صحيح البخارى ١٣٢/٤-١٣٣

وقوله تعالى: ﴿ ياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولاتتولوا مجرمين ﴾ (هود : ٥٢) . وقوله تعالى ﴿ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا : يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ (نوح : ١٠ - ١١) .

وقد ورد هذا المعنى ايضا فى السنة المطهرة فعن سالم بن عبدالله عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (فيما سقت السماء والعيون او كان عثريا العشر وما سقى بالنضح نصف العشر) رواه الامام البخارى فى صحيحه وابن ماجه فى سنن عن ابى هريرة رضى الله عنه .(١)

(٤) السماء بمعنى المقابل للأرض قال تعالى : ﴿ آلم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير ﴾ (المائدة : ٤٠)

---

(١) صحيح البخارى ١٥٥/٢ ، كتاب الزكاة - باب العشر فيما يسقى من ماء السماء .
صحيح البخارى بشرح فتح الباب - كتاب الزكاة ٣٤٧/٣ وسنن ابن ماجه كتاب الزكاه ٥٨٠/١

وقال تعالى : ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولايطعم قل انى امرت أن اكون أول من اسلم ولاتكونن من المشركين ﴾ (الأنعام : ١٤) .

وقال تعالى : ﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾ (ق : ٦) .

وقوله تعالى : ﴿ والسماء بنيناها بأييد وانا لموسعون ﴾ (الذاريات:٤٧) ونظائرها كثير . كما ورد فى السنة معنى السماء بأنها المقابلة للأرض فى أحاديث كثيرة منها على سبيل المثال ما أورد الامام مسلم فى كتاب القدر عن عبدالله بن عمروبن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء) .[1] كما ورد فى مسند الامام أحمد وسنن الترمذى لفظ السماء بأسم الرقيع كما ورد من تسميات العرب لها عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (بينما نبى الله صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هل تدرون ماهذا ؟ فقالوا : الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه روايا الأرض يسوقه الله تبارك وتعالى الى قوم لايشكرونه ولايدعونه قال : هل تدرون ما فوقكم ؟ قال : الله ورسوله اعلم : قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ....) الحديث [2]

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٣/١٦ ، صحيح مسلم ٤٦/٤ كتاب القدرحديث ١٦

(٢) مسند الامام أحمد ٣٧٠/٢ وسنن الترمذى كتاب التفسير ٤٠٣/٥ حديث رقم ٣٢٩٨ .

السمـــــاء فى علـــم الفلك :

السماء فى الفلك يطلـــق على ما يبدو كالقبـــة فوق الأرض ويرجـــع لونها الأزرق الى تشتت موجات الضوء بوساطـــه حبيبات الغبار والبخار.(١) اى ان السماء هى الفلك الكلى وما يحيط بالأرض من الفضاء الواسع ويظهـــر فوقنا وحولنا كقبـــة عظيمة فيها سائـــر الاجرام السماويـــــة .(٢)

---

(١) الموسوعـة العربية الميســـرة ١٠١٠/٢

(٢) دائرة المعارف للبستانى ، ٣٣/١٠ بتصرف ، دار المعرفه ـ بيروت .

المبحث الثانى

الآفاق فى اللغة :-

" أفق - الهمزه والفاء والقاف أصل يدل على تباعد مابين اطراف الشئ واتساعه وعلى بلوغ النهاية . من ذلك الآفاق النواحى والأطراف وذكر بعضهم ان للسماء آفاق وللأرض آفاق فأما آفاق السماء فما انتهى اليه البصر منها مع وجه الأرض من جميع نواحيها وهو الحد بين ما بطن من الفلك وبين ماظهر من الأرض . وأما آفاق الأرض فأطرافها من حيث احاطت بك " (١) . والأفق ما ظهر من نواحى الفلك واطراف الأرض وكذلك آفاق السماء نواحيها .(٢) " وفى حديث لقمان حين وصف آخاه " صفاق أفاق " والأفاق الذى يضرب فى آفاق الأرض اى نواحيها مكتسبا واحدها أفق ، ويجوز أن يكون الأفق واحد وجمعا كالفلك " (٣)

الآفاق فى نصوص الوحى :-

وردت مادة أفق أو آفاق فى القرآن الكريم ثلاثة مرات وذلك فى

وقد نقل الطبرى والبغوى والقرطبى والسيوطى فى تفاسيرهم لسورة فصلت ،من أقوال المفسرين أن الآفاق هى : -

أقطار السموات والأرض ونواحيها من الأجرام السماوية والأشجار والأنهار والجبال والبحار .

أما بالنسبة لما ورد فى معنى الأفق الوارد فى سورتى النجم والتكوير فقد نقل الطبرى والبغوى وأبن كثير والسيوطى الى ان المفسرين ذهبوا الى انه الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر جهة المشرق عند مطلع الشمس حينما رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على حقيقته ساد بين المشرق والمغرب فى مكه المكرمة .

وهذا المعنى يفيد ان المراد بالأفق ناحية من نواحى السماء وقد ورد فى السنة المطهرة ان الأفق يأتى بمعنى النواحى من السماء فقد أورد الأمام مسلم فى صحيحه وأبو داود فى سننه عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايغرنكم من سحوركم أذ ان بلال ولابياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا ... يعنى معترضا) (١).

وفى مسند الأمام أحمد عن قيس بن طلق عن ابيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (ليس الفجر المستطيل فى الأفق ولكنه المعترض الأحمر) (٢) .

---

(١) صحيح مسلم ٧٧٠/٢ حديث رقم ٤٣ ، تحقيق محمد عبد الباقى ، دار أحياء التراث .
صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصوم ٢٠٥/٧ وسنن ابى داود ٣٠٣/٢ حديث رقم ٢٣٤٦ .
(٢) مسند الأمام احمد ٢٣/٤

كما ورد الأفق فى السنة بمعنين آخرين همـــــا

١ - الأفق بمعنى الشفق فقد روى الامام أحمد فى مسنده والترمذى فى سننـــه فى مواقيت الصلاة فى تحديد صلاة المغرب والعشاء الآخرة عن ابى هريـــرة رض الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (ان للصلاة اولا وآخـــرا ..... وان أول وقت المغرب حين تغرب الشمس وان آخر وقتها حيــــــن يغيب الأفق وان أول وقت العشاء الآخرة حين يغيب الأفق ...) الحديث[1]

٢ - الأفق بمعنى الفضاء وما يطرأ عليه من سواد الليل فقد روى الامـــام أبو داود فى سننه فى مواقيت الصلاة فى تحديد صلاة العشاء عن ابـــى مسعود الانصارى رض الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم يقـــول: (نزل جبريل صلى الله عليه وسلم فأخبرنى بوقت الصلاة فصليت معـــه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ، يحسب بأصابعـه خمس صلوات فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر حيـــن تزول الشمس .... ويصلى العشاء حين يسود الأفق وربما آخرها حتـــى يجتمع الناس ...) الحديث [2]

وكلا المعنين يدل على ان المراد بالأفق هو النواحى من السمـــــاء ذلك لأن الشفق ظاهرة ضوئية تحدث بعد الغروب حينما يحين موعد صـــلاة المغرب . وكذلك الفضاء وما يطرأ عليه من تعاقب الليل والنهار هـــو ناحية من السماء وليس كل السمـــــاء .

وسواء كان المعنى هذا أم ذاك فأنه موافق لما جاء فى معنى الآفـــاق

---

(١) مسند الامام احمد ٢/٢٣٢ وسنن الترمذى كتاب الصلاة ١/٢٨٣ حديث رقم ١٥١
(٢) سنن ابى داود كتاب الصلاة ١/١٠٧ حديث رقم ٣٩٤

فى اللغة وهو النواحى والاطراف وان الله سبحانه وتعالى قد أوضح آياته للمسلمين والمشركين فى ذاك العصر أو فى هذا العصر الذى نحن فيه والذى ظهرت آيات الله الكونيه وتظهر وستظهر جليه فى كل حين ووقت فى كل مجال من مجالات العلوم سواء فى مجال الآفاق او فى مجال الأنفس تحقيقا لقول الله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق او لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣)

الآفاق فى علم الفلك :

أورد البستانى فى دائرته أن الأفق عند أهل الهيئة - أهل الفلك - يطلق على دوائر ثلاث : -

١ - الدائرة الأولى :

الأفق الحقيقى وهى دائرة عظيمة ثابتة فى الفلك الاعلى يمر سطحها فى مركز العالم وقطبها الاعلى يسمى السمت[(١)] أوسمت الرأس والأوج ويسمى الأسفل سمت القدم أو الحقيقى وهى تقسم الكرة السماوية الى قسمين متساويين احدهما منظور والآخر غير منظور .

وكل نقطة على سطح الأرض لها أفق خاص بها فأفق النقطة الواحدة لايمكن ان يكون أفق النقطة الأخرى . هذا واذا نظرنا الى السماء من مكان مكشوف تماما كما لو كنا فى وسط البحر بحيث لايرى غير الماء والسماء يكون الخط الفاصل بين السماء والماء حولنا هو الأفق .

---

(١) السمت : نقطه وهمية فى الفضاء الكونى تقع فوق الراصد مباشرة - كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ١١٨ .

٢ - الدائرة الثانيـــــــة :

الأفق الحسى ويسمى أيضا بالأفق المرئى والشعاعى وأفق الرؤية وهـــى دائرة صغيرة ثابته حادثة فى الفلك الأعلى تماس الأرض من فـــوق أى تماسها من موضع قدم الناظر موازية للأفق الحقيقـــى .

ولما كان الخط الواصل بين سمتى الرأس والقدم عمودا على الأفق الحقيقـــى كان أيضا عموديا على الأفق الحســـى .

٣ - الدائـــــرة الثالثــــة :

الأفق النظرى وهى دائرة ثابته يرتسم محيطها فى سطح الفلك الأعلـــى من طرف خط يخرج من بصر الناظر الى سطح الفلك الأعلى مماســـــا للأرض اذا ادير ذلك الخط مع ثبات طرفة الذى فى البصر ومماســـــه للأرض دورة تامه وقطبا هذين الأفقين أيضا هما سمتا الرأس والقـــدم وهذه الدائرة تكون صغيرة وقد تكون كبيرة بحسب مركز الناظـــــر فاذا كان فى سهل تكون اصغر مما لو ارتفع على جبل وهذه الدائـــرة هى الفاصلة بين مايرى حقيقة من الفلك وما لايرى وأما الثانيـــــة فلا تفصل واما الأولى فقد تفصل وقد لاتفصـــل .

والتفاوت بين مركزى الأفق الحقيقى والأفق النظرى بقدر نصف قطــــر الأرض . وهو غير محسوس فى فلك ما الا فى فلك القمر ولذا كان الظاهـــر من فلك القمر دائما اصغر من الحقيقى بمقدار معتد بـــه وهكذا التفاوت بين مركزى الحقيقى والحســـى ".(١)

---

(١) دائرة المعارف للبستانـــى ٦١/٤ دار المعرفـة - بيروت . بتصرف .

اذاً من ذلك يظهر ان الأفق فى علم الفلك ينقسم الى ثلاثة أقسام :

١ - الأفق الظاهرى " النظرى " فى الفلك خط منحنى تبدو السماء عنده منطبقه على الأرض وهو مستدير لراصد فى البحر ولكنه فى البر يتبع التضاريس .

٢ - الأفق الحسى هو المستوى المماس لسطح الأرض عند مكان الراصد .

٣ - الأفق الحقيقى أو الهندسى فموازٍ للأفق الحسى عند مركز الأرض .(١)

---

(١) الموسوعه العربية الميسرة ١/١٨٠

المبحث الثالث

البروج في اللغة :

الباء والراء والجيم أصلان : أحدهما البروز والظهور والآخر الوزر والملجأ فمن الأول وهو سعة العين فى شدة سواد سوادها وشدة بياض بياضها ومنه التبرج وهو أظهار المرأة محاسنها .

والأصل الثانى البرج واحد بروج السماء . وأصل البروج الحصون والقصور ويقال ثوب مبرج اذا كان عليه صور البروج .(١)

والبرج : تباعد مابين الحاجبين . وكل ظاهر مرتفع فقد برج ، وانما قيل للبروج بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها .

والبرج : واحد من بروج الفلك وهى اثنا عشر برجا . اذا غاب منها ستة طلع ستة ولكل برج اسم على حدة .(٢)

البروج : النجوم . والبرج أيضا : القصر المستطيل .(٣)

البروج فى نصوص الوحى :

وردت مادة برج فى القرآن على ثلاثة أوجه كما ذكر اصحاب الوجوه والنظائر فى كتبهم .(٤) فالوجه الأول بمعنى التزين والتوسع كما فى وقوله تعالى : ﴿ وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ (الاحزاب : ٣٣) .

---

(١) مقاييس اللغة ٢٣٨/١
(٢) لسان العرب ٢١١/٢ - بتصرف
(٣) الأزمنة وتلبية الجاهلية لقطرب ص ٣١
(٤) اصلاح الوجوه والنظائر للدامغانى ص ٦٦ ، بصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى ٢٣٤/٢

وهذا الوجه بمعنى التبرج وليس البروج ولم ترد مادة برج فى السنة الا بهذا الوجه فقد ورد فى مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فى مبايعة أميمة بنت رقيقه وفيها (ولاتنوحى ولاتبرجى تبرج الجاهلية الأولى).[1]

الوجه الثانى بمعنى القصور قال تعالى ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ﴾ (النساء : ٧٨) .

الوجه الثالثة بمعنى النجوم وقال بعضهم بمعنى الكواكب ومدارتها قال تعالى : ﴿ ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزينهاللناظرين ﴾ (الحجر:١٦) وقوله تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ (الفرقان : ٦١) وقوله تعالى ﴿ والسماء ذات البروج ﴾(البروج:١)

البروج فى علم الفلك :

وذكر فى دائرة المعارف أن البرج فى اصطلاح الفلكيين قسم من أثنى عشر قسما من دائرة متوهمة فى الفلك واقعة بين خطيين موازيين لدائرة البروج مقسمة الى أثنى عشر قسما متساويا فيها حركة السيارات وتسمى هذه الدائرة باسماء عدة منها .

١ ـ منطقة البروج ، ٢ ـ فلك البروج ، ٣ ـ منطقة فلك البروج ٤ ـ نطاق البروج . ٥ ـ منطقة الحركة الثابتة . وأشهر أسمائها منطقة البروج وتسمى بالافرنجيه زودياك (Zodiaque) وهى يونانية الأصل مشتقه من زووت ومعناه حيوان لأن كوكبات البروج تظهر

(١) مسند الامام أحمد ٢/ ١٩٦ .

أشكالها على صور حيوانات مسماة بها . فأسماؤها على الترتيب من المغرب الى المشـــــرق هى :

الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان ، الأســد ، السنبله ، الميـــــزان ، العقرب ، القوس ، الجدى ، الدلو ، الحوت .

فالستة الأولى تسمى شمالية أو عالية لوقوعها الى شمالى خط الاستـــواء والستة الأخيرة تسمى جنوبية أو منخفضه لوقوعها الى جنوبه ثم الثلاثـــــة الأولى من هذه البروج ـ الحمل ، الثور ، الجوزاء تسمى بروجا ربيعيـــــة لأن الشمس تمر فيها فى فصل الربيع ، والسرطان والأسد والسنبله تسمـــــى بروجا صيفيه لأن الشمس تمر بها فى فصل الصيف ، والميزان والعقـــــرب والقوس تسمى بروجا خريفية لأن الشمس تمر بها فى فصل الخريف ، والجـــدى والدلو والحوت تسمى بروجا شتوية لأن الشمس تمر بها فى فصل الشتاء" (١)

وليست هناك أى أهمية فلكية خاصــة لكوكبات البروج من حيث الكبــــر أو العظم أو التأثير على أجرام الكون الأخرى أو مخلوقاته . بل أن النجوم أو الوحدات التى تتكون منها البروج تختلف فى الحجم والشكل والطبيعـــة والبعد والقرب من الأرض .

أما الخاصيــة أو الأهمية الوحيدة فهى وقوعها فى حزام مدار الشمـــس الظاهـــــرى . (٢)

" ومنطقة البروج هى منطقة يتوسطها مدار الشمس الظاهرى وعرضهـــــا ١٨ درجة . والبروج هى اثنتا عشر صورة أو مجموعة نجومية موزعة بالتساوى

---

(١) دائرة المعـــــارف ٣٠١/٥

(٢) مبادىء الكونيات ـ الأمين محمد احمد كعورة ص ١٣٦ ـ الطبعة الثالثـة ١٩٧٩ م ـ عالم الكتب ـ بيروت . بتصـرف

تقريبا على منطقة الحزام . وحيث أن الكرة السماوية مقسمة الى ٣٦٠ درجة فان منطقة كل برج تعادل ٣٠ يوما أو شهر تقريبا لأن دورة الشمس الظاهرية الكاملة تستغرق سنة شمسية ، أى أن الشمس تظهر فى منطقة البرج الواحد وتبقى حوالى شهر . ويسمى ذلك بوقت مرور الشمس على منطقة البرج ".[1]

خلاصة القول : ان البروج عبارة عن حزام من مجموعات من النجوم تزين السماء وتأخذ أشكالا ثابته المعالم لاتتغير بالنسبة لبعضها البعض نظرا لبعدها الهائل عنا وتمر الأرض أمام هذا الحزام وتكمله مرة كل عام .[2]

---

(١) المصدر السابق ص ١١٠
(٢) الله والكون - د. محمد جمال الفندى ص ٢٨٧ - لعام ١٩٧٦ - الهيئة المصرية العامه للكتاب .

المبحث الرابع

النجوم فى اللغة :-

نجم : النون والجيم والميم أصل يدل على طلوع وظهور ، ونجم النجم طلع ، ونجم السن والقرن : طلعا .[١]

وتجمع معاجم اللغة على أن العرب اذا اطلقوا كلمة النجم ارادوا الثريا حيث جعلوه علما لها .

"وهى عندهم من منازل القمر بل هى أشهرها " [٢]

ويذكر الاصفهاني فى المفردات والفيروز آبادى فى البصائر والزبيدى فى التاج ان النجم هو الكوكب الطالع والجمع أنجم وأنجام ونجم ونجوم ويقول ابن الاثير فى النهاية"ان النجم فى الأصل واحد من كواكب السماء".[٣] ويذكر ابن منظور فى اللسان ان النجم بمعنى النجوم وتجمع الكواكب كلها .[٤]

" ويقال ليس لهذا الحديث نجم أى أصل ومطلع . والنجم من النبات مالم يكن له ساق من نجم اذا طلع "[٥] " والنجمه بالفتح ويحرك نبت معروف فى البادية وهى شجيرة تنبت ممتده على وجه الأرض . والنجم نزول القرآن نجما نجما "[٦] .

---

(١) مقاييس اللغه ٢٩٦/٥
(٢) دائرة المعارف ٣١٤/٦
(٣) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢٣/٥ - ٢٥
(٤) لسان العرب ٥٦٩/١٢
(٥) مقاييس اللغه ٢٩٦/٥
(٦) تاج العروس ٧١/٩

" وتنجيم الدين : هو أن يقرر عطاؤه فى أوقات معلومه متتابعة مشاهرة أو مساناة وتنجيم المكاتب ، ونجوم الكتابة أصله أن العرب تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وغيرها فتقول : اذا طلع النجم حل عليك مالى : أى الثريا وكذلك باقى المنازل " .[1] ويظهر من الكلام أن أصحاب المعاجم اللغوية لايفرقون بين النجم الجرم السماوى والكوكب وأن كليهمابمعنى واحد مع أن الفرق واضح بين النجوم والكواكب فى القرآن والسنه المطهرة اللذين هما مصدر التشريع واللذان وردا بلغة العرب . فقد جاء فى وصف النجوم فى قوله تعالى ﴿ واذا النجوم طمست ﴾ (المرسلات : ٨) اى ذهب ضوءها بمعنى ان الضوء فيها صفة ذاتيه جعله الله لها ولم يقل عن الكواكب انها طمست . ونجد فى السنه المطهرة حديث فى وصف آنيه الحوض الذى اعطائه الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن أبى ذر الغفارى رض الله عنه (قال : قلت يارسول الله ما آنيه الحوض؟ قال : والذى نفس محمد بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة المظلمة المصحية ...) الحديث [2]

ويظهر من الحديث انه عطف الكواكب على النجوم والعطف يقتضى المغايرة وسنذكر الفرق بين النجوم والكواكب فى مبحث الكواكب .

النجوم فى نصوص الوحى :-

وردت مادة نجم فى القرآن الكريم ثلاثة عشرة مرة منها أربع مرات بصيغة المفرد وتسع مرات بصيغة الجمع ذكر فيها المنافع التى تعود على

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والاثر ٢٣/٥ - ٢٥

(٢) صحيح مسلم ١٧٩٨/٤ حديث رقم ٣٦ .

صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب الفضائل ٦١/١٥ - ٦٢ - مسند الامام احمد ١٤٩/٥ .

الانسان من النجوم كما ذكر القانون الذى يحكم حركتها وأن مواقعها تحتاج من الانسان الى تدبر وتفكر فقد ذكر سبحانه فى معرض القسم فى قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (الواقعه : ٧٥) ووصفه سبحانه بأنه عظيم وقد أوضح لنا علم الفلك الحديث ان المسافات بين النجوم والسرعات التى تتحرك بها هذه النجوم فى الفضاء الواسع الذى يعتبر جزءا من السماء الدنيا شيئا يفوق الخيال ولو اراد الانسان الانسان ان يستكشف هذا الفضاء لمعرفة مواقع النجوم وحركاتها لما وسعه عمر أجيال من عهد ابينا آدم الى يومنا هذا فسبحان خالق الكون ومدبره .

ويذكر الدامغانى فى الوجوه والنظائر وابن الجوزى فى نزهة الاعين ان مادة نجم حسبما يذكر أهل التفسير وردت فى القرآن على ثلاثة أوجه هى :(١)

أولا :

النجوم بمعنى الكواكب قال تعالى : ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ (النحل : ١٦) .

وقال تعالى : ﴿ فنظر نظرة فى النجوم . فقال انى سقيم ﴾ (الصافات : ٨٨) .

وقال تعالى : ﴿ والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب ﴾ (الطارق : ١ - ٣) .

وهذا الوجه لامعارضه فيه لأن المعروف عند العرب ان النجم بمعنى الكوكب وهو ماجرى على مفهومه لدى العرب .

---

(١) اصلاح الوجوه والنظائر ص ٤٤٩
نزهة الاعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر لابن الجوزى ص ٥٨٠ ، تحقيق محمد عبدالكريم كاظم الراضى - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

ثانيا :

النجوم بمعنى نجوم القرآن اى ماكان ينزل من القرآن متفرقا قال تعالى : ﴿ والنجم اذا هوى ﴾ (النجم : ١) وقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (الواقعة : ٧٥ - ٧٦) .

اختلف المفسرون فى المقصود بالنجم فى الآية الاولى فذهب أغلبهم أنه الثريا وذهب البعض الآخر الى أنه القرآن لكنه يذكر بصيغة التمريض وقيل انه القرآن لأنه كان ينزل منجما نجما نجما . اما الآية الاخرى التى فى سورة الواقعة فقد اختلف المفسرون فيها بين نجوم السماء وبين منازل القرآن وقد رجح الطبرى بعد ان نقل أقوال المفسرين بأن المقصود من الآية هو مساقط النجوم ومغايبها فى السماء .(١)

ثالثا :

النجم النبات قال تعالى : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ (الرحمن : ٦) وهذا المعنى صحيح لأن المقصود بالنجم النبات الذى لا ساق له كما ورد به كلام العرب ولان سياق الآية يدل على ذلك فقد ذكر النجم وبعده الشجر . ولايمنع من كون النجم فى الآية هو نجم السماء لما ذكر من سجود النجوم فى قوله تعالى : ﴿ الم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله

---

(١) تفسير الطبرى - جامع البيان ٢٧/٢٠٣ - ٢٠٤

فماله من مكرم ان الله يفعل مايشاء ﴾ (الحج : ١٨) كما ان بعض المفسرين ذهب الى ان النجم المقصود فى آية سورة الرحمن هو نجم السماء .

كما ورد مادة نجم فى السنه المطهرة بعدة وجوه منها :

أولا :

بمعنى الظهور عن حذيفه بن اليمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ان فى امتى أثنى عشر منافقا لايدخلون الجنة ولايجدون ريحها حتى يلج الجمل فى سم الخياط ثمانية منهم تكفيكم الدبيلة سراج من نار يظهر فى أكتافهم حتى ينجم فى صدورهم) .(١)

ثانيا :

أحد نجوم السماء مثل نجم الثريا

فقد ورد فى صحيح مسلم عن ابى بصرة رضى الله عنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فلما أنصرف قال (ان هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها . فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد) (والشاهدالنجم) (٢)

والنجم كما هو معروف عند العرب اذا اطلق أريد به الثريا .

وفى مسند الامام احمد عن العباس رضى الله عنه قال كنت عند النبى ذات ليلة فقال (أنظر هل ترى فى السماء نجم قال قلت نعم قال: قلت : أرى الثريا قال : أما أنه يلى هذه الأمة بعددها من صلبك اثنين فى فتنة) .(٣)

---

(١) مسند الامام احمد ٣٢٠/٤ صحيح مسلم ٢١٤٤/٤ كتاب صفات المنافقين حديث رقم ١٠
(٢) صحيح مسلم ٥٦٨/١ حديث رقم ٢٩٢
صحيح مسلم بشرح النووى ١١٣/٦ مسند الامام احمد ٣٩٧/٦ سنن النسائى ٢٥٩/١-٢٦٠
(٣) مسند الامام احمد ٢٠٩/١

ثالثا :

النجم بمعنى النبات الذى لاساق له عن ابى هريرة رضى الله عنه (قال سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى النجم الارجلين من قريش أرادا بذلك الشهرة) . (١)

رابعا :

من تنجيم الدين والمكاتب - عن عائشه رضى الله عنها قالت (ان بريرة دخلت عليها تستعينها فى كتابتها وعليها خمس أواقى نجمت عليها فى خمس سنين ..) الحديث .(٢)

خامسا :

النجم بمعنى نجم السماك عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة) قلت : أرأيت ان غلبتنى عينى أرأيت ان نمت ؟ قال : أجعل " أرأيت عند ذلك النجم . فرفعت رأسى فاذا السماك . ثم أعاد فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة قبل الصبح) . (٣)

النجوم فى علم الفلك :

النجوم اجرام سماوية ذات شكل كروى ، شديدة الحرارة متوهجة ملتمعة هى فى ذاتها مصدر اشعاع حرارى ضوئى - خاصية جعلها الله سبحانه وتعالى فى النجوم - ومصدر اشعاعات وطاقات اخرى وهى تعد من الوحدات الاساسية فى مجموعة الأجرام الكونية وأقر بها لنا الشمس .

---

(١) مسند الامام أحمد ٢/٤٤٣

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى ٥/١٨٥ كتاب المكاتب صحيح البخارى ٣/١٩٨ باب المكاتب ونجومه .

(٣) سنن ابن ماجه ١/٣٧١

وهى تنقسم حسب الترتيب الى :

١ - النجوم فوق العملاقة .

٢ - النجوم العملاقة .

٣ - النجوم المتوسطة .

٤ - النجوم الاقزام . (١)

---

(١) الجغرافيا الفلكية (دراسة فى المقومات العامة) ص ٨٠

المبحث الخامس

الشمس في اللغة : -

" الشين والميم والسين أصل يدل على تلون وقلة استقرار . فالشمس معروفة . وسميت بذلك لأنها غير مستقرة ، هى أبدا متحركة .

والشموس من الدواب الذى لايكاد يستقر ، ورجل الشموس اذا كان لايستقر على خلق" .(١)

والشمس تطلق على القرصة وعلى الضوء المنتشر منها والجمع شموس .(٢)

ويذكر صاحب التاج ان العرب تطلق لفظ الشمس على :(٣)

١ - الشمس ضرب من المشط كانت النساء فى الدهر الأول يتمشطن به .

٢ - الشمس ضرب من القلائد . وقيل هى معلاق القلائد . وقيل هى ضرب من الحلى مذكر . وقيل هو قلادة الكلب .

٣ - الشمس صنم قديم .

٤ - الشمس عين ماء يقال لها عين الشمس .

٥ - والشموس جمع شمس من اسماء الخمر لأنها تجمع به .

وقد سمى العرب الشمس وضوءها باسماء عدة نذكر منها :

١ - الجونه : عين الشمس وانما سميت جونه عند مغيبها لأنها تسود حين تغيب وقد يكون لبياضها وصفائها .(٤)

٢ - ذكاء " بالضم" اسم الشمس معرفة لاينصرف ولاتدخلها الألف واللام ،تقول: هذه ذكاء طالعة .(٥) ويقال لها ذكاء لأنها تذكو كما تذكو النار

---

(١) مقاييس اللغه ٢١٢/٣
(٢) بصائر ذوى التمييز ٣٤٥/٣
(٣) تاج العروس ١٧٣/٤
(٤) لسان العرب ١٠٢/١٣
(٥) المصدر السابق ٢٨٧/١٤

وللصبح ابن ذكاء لأنه من ضوئهـــــا .(١)

٣ - الا لاهة والألاهة بالفتح ويجوز أن تكون قراءة ابن عباس فى قولـــــه تعالى : حكاية عن قوم فرعون ﴿ ويذرك والاهتـــك .. ﴾ (الاعراف :١٢٧) اراد الشمس وأنث الاله بالهاء . (٢)

٤ - الضح : ضوء الشمس اذا تمكن من الأرض وقبل هو ضوءها عامة .(٣)

٥ - الغزالــة : الشمس اذا ارتفع النهار وقيل هى عند طلوعها وقيل هـــى عين الشمس .(٤) ومن أسماءها أيضا الضحاء ، والسراج ،ويوحـــى ، ويوح ، والصيخد ، عين الشمس .(٥) والعب بتخفيف الباء مثل الـــدم فهو ضوء الشمس وحسنها . والأيا مقصور فهو ضوء الشمس وحسنها .(٦)

الشمـــــس فى نصوص الوحــــى :

وردت كلمة الشمس فى القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة منها تســـع عشرة مرة مقترنه مع القمر بحيث أنها تقدمت على القمر فى ثمانية عشـــر موضع وتقدم القمر عليها فى موضع واحد فى قوله تعالى : ﴿ الم تـــروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمــــس سراجا ﴾ (نوح : ١٥ - ١٦) . كما وردت الشمس بصفة من صفاتهـــــا ولم تذكر بأسمها صراحة وذلك فى قوله تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فـــى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ (الفرقان : ٦١) . وفـــى قوله تعالـــى : ﴿ وجعلنا سراجا وهاجا ﴾ (النبأ : ١٣) . ونلاحـــظ فى أغلب المواضع التى ذكر فيها القمر مقرون بالشمس ترد عبارة " سخـــر"

---

(١) أدب الكاتب لابن قتيبه ص ٩٠ تحقيق محمد الدالى - الطبعة الاولـــى ١٤٠٢ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت .
(٢) الازمنه وتلبيه الجاهليـة ص ١٤
(٣) الافصاح فى فقه اللغه - عبدالفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى ص ٤٥٨- الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .
(٤) المصدر السابـــق نفس الصفحة .
(٥) المرجع السابـــق نفس الصفحة .
(٦) الازمنة وتلبية الجاهليـة ص ١٥

كما فى قوله تعالـى : ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾ (ابراهيم : ٣٣) وقوله تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (النحل : ١٢) .

مما يدل على أن لهذا الكون نظاما عاما هو سر من اسرار الخالق سبحانه يحتاج منا الى بحث وتفكر وتدبر .

أما بالنسبة للسنه المطهرة فان كلمة الشمس وردت فيها كثيرا واكثر المواضع التى ورد فيها ذكر الشمس كان فى تحديد مواقيت الصلاة وفى الكلام عن الكسوف والخسوف لكن كلمة الشمس وردت فى مواضع بغير معناها المعروف وذلك بمعنى الدابه غير المستقرة فى حديث رواه الامام مسلم واحمد فى مسنده عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (مالى آراكم رافعى ايديكم كأنها أذناب خيل شمس أسكنوا فى الصلاة ...) الحديث .[١]

والمقصود عدم استقرارهم فى الصلاة كصفة الخيل عندما تكون مضطربه ترفع يديها وأذنابها يستدل منها على عدم استقرارها وانها مضطربة .

الشمس فى علم الفلك : -

نجم من النجوم المتوسطة وهى مكونة من غازات وهاجه تتجمع فى صورة غير تامه التكور تتكدس فيها الغازات تكدسا عظيما نحو المركز وهى النجم الذى ندور فى فلكه لذا فهى أقرب النجوم الينا .[٢] وهى

---

(١) صحيح مسلم ٣٢٢/١ ، حديث رقم ١١٩
صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب الصلاة - تحريم سبق الامام بركوع أو سجود نحوهما ١٥٢/٤ .

(٢) الجغرافيا الفلكية ص ١٠١

كرة ضخمه من الغازات المتوهجة ذات الكثافات الكبيرة يصل محيطها الى حوالى (١٣٩٣٠٠٠) كم أو ما يعادل مائة وتسعة وثلاثين من مائة قدر محيط الأرض ولهذا فان حجم الكرة الشمسية يزيد على حجم الكرة الارضية بأكثر من مليون مرة . ونرى نجم الشمس صغيرا لبعده عنا الذى يصل الى ٩٣ مليون ميل .(١) والسطح المضئ منها يسمى المنطقة الضوئيه وتبلغ درجة حرارتها (٦٠٠٠) درجة مئوية . (٢)

---

(١) الشمس فى حياة الانسان - د. طه عثمان الفرا ، محمد محمود محمدين ص ١٧ لعام ١٣٩٦ هـ - مكتبه دار العلوم - الرياض .

(٢) الموسوعه العربية الميسرة ١٠٩٤/٢

المبحث السادس

القمر فى اللغة :

والجمع أقمار :"القاف والميم والراء أصل صحيح يدل على بياض فى شئ ثم يفرع منه .

من ذلك القمر : قمر السماء سمى قمرا لبياضه . وحمار أقمر أى أبيض ".(١)

"والقمرة بالضم لون الى الخضرة أو بياض فيه كدرة أو البياض الصافى. والقمر الذى فى السماء مشتق من القمرة والجمع أقمار .

والقمر بعد ثلاث الى آخر الشهر يسمى قمر لبياضه ".(٢)

والهلال جمعه أهله وهو القمر أول مايرى ليلة يهل ويسمى كذلك ثلاث ليال . والقمر اسم للهلال بعد ثلاث ليال . (٣)

وذكر فى صفة الدجال " هجان أقمر " هو شديد البياض.(٤)

اسماء ليالى الشهر حسب اشكال القمر والظهور عند العرب .

وردت فى لغة العرب مسميات عدة لليال الشهر تتعلق بالقمر وشكله الظاهر نذكر بعضا منها على سبيل الايجاز :

١ - الهلال يطلق على أول ليلة وان لم ير الا بعد الثالثة فهو قمر.

وأول ثلاث ليال من الشهر يقال لها الغرر لأن القمر كأنه غرة فيها.

٢ - ثم ثلاث - شهب - لأن بياض القمر مختلط بسواد الليل .

---

(١) مقاييس اللغة ٢٥/٥
(٢) تاج العروس ٥٠٤/٣
(٣) الافصاح فى اللغة ص ٤٥٩
(٤) النهاية فى غريب الحديث ١٠٧/٤

٣ - ثم ثلاث بهر - لأن القمر يبهر فيهن ظلمة الليل وبهوره طلوعه . وقال بعضهم :"القمر الباهر فى الليالى البيض كأنه يبهر السواد كله".

٤ - ثم ثلاث - عشر - كأنه لأن الليلة العاشرة فيهن .

٥ - ثم ثلاث - بيض - لأن القمر فى الليل كله فالليل فيه أبيض.(١)

٦ - البراء آخر ليلة من الشهر سميت بذلك لتبدوء القمر من الشمس .

٧ - المحاق ثلاث ليال من آخر الشهر سميت بذلك لامحاق القمر فيها أوالشهر

٨ - ليلة البدر ليلة أربع عشر وسمى بدرا لمبادرته الشمس بطلوع كأنه يعجلها . ويقال سمى بدرا لتمامه ولامتلائه .(٢)

٩ - ليلة السواء - يستوى القمر لثلاث عشرة " ليلة ثلاثة عشر " وتلك التمام والقمراء .(٣)

القمر فى نصوص الوحى :

القمر الذى ذكر فى القرآن والسنه هو التابع للأرض الذى كان له علاقة بحياة الانسان كما ذكر ذلك فى مصدرى التشريع .

وقد ورد لفظ القمر فى القرآن سبعة وعشرين مرة منها تسعة عشر مرة ذكر مقرون مع الشمس كما ذكرنا سابقا وذكر ثمان مرات مفردا منها مرتين فى موضع القسم وذلك فى قوله تعالى : ﴿ كلا والقمر . والليل اذ أدبر . والصبح اذا أسفر . انها لاحدى الكبرى ﴾ (المدثر : ٣٢-٣٥) وقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق ﴾ (الانشقاق : ١٦ - ١٩) .

---

(١) الازمنة وتلبية الجاهلية ص ٢٠
(٢) ادب الكاتب لابن قتيبه ص ٨٨
(٣) الافصاح فى اللغة ص ٤٥٩ - ٤٦٠

كما ورد اسم القمر حسب ظهور ومعرفة الاوقات والشهور به بلفظ أهله جمع هلال فى قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها وأتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (البقرة : ١٨٩) .

اما القمر فى السنه المطهرة فقد ورد بلفظ الهلال وذلك لمعرفة الشهور التى فيها مناسبات دينية مثل هلال رمضان وهلال شوال وهلال شهر الحج .

فقد ورد فى صحيح البخارى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : (لاتصوموا حتى تروا الهلال ولاتفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له)[١]

وعن قيس بن طلق عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله عز وجل جعل هذه الأهله مواقيت للناس صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فاتموا العدة) .[٢]

كما ورد لفظ القمر كثير فى السنه وذلك فى الحديث عن الكسوف والخسوف ، كما ورد بمعنى الشديد البياض وذلك فى حديث الاسراء عن ابن عباس رضى الله عنهما (ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى الدجال فى صورته رؤيا عين ليس رؤيا منام وعيسى وموسى وابراهيم صلوات الله عليهم فسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال " أقمر هجانا.)[٣]

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى - كتاب الصوم ١١٩/٤ صحيح البخارى ٣٤/٣ باب قول النبى اذا رأيتم الهلال .
(٢) مسند الامام احمد ٢٣/٤
(٣) مسند الامام احمد ٣٧٤/١

الأقمـــــار فى علم الفلـــــك :

القمر هو تابع الأرض الطبيعى الوحيد واقرب جار لنا فى الفضــــاء وعلى آية حال ليس كوكبنا وحده هو الذى له قمر فلبعض الكواكب الاخـــرى عدة أقمار فمثلا للمشترى وهو أكبر كوكب فى مجموعتنا الشمسيـة أكثـــر من أثنى عشـر قمرا .

ولكن كلمـــة قمر انما تعنى قمـرنا نحــــن .

" والقمر هو المع اجرام السماء بعد الشمس . وهو لايشع الضوء ذاتيـا ولكن يعكس أشعـة الشمس . ولكن فى الحقيقة ليس ذلك الصخر البنى المصفر اللون والكامل التكوير تقريبا الا واحدا من أصغر الاجرام السماويـــة ويبلـــــــــــغ قطره ربع قطر الأرض ومن ثم فهو اصغر من حيـــث الكتلـه اذ تبلغ كتلة الأرض ثمانين ضعفا من كتلة القمر ".(١)

" والقمر جسم مظلم كروى ، ولكن تضىء أشعة الشمس نصفـه المقابل لها . ويتغير الجزء المستضىء من القمر من يوم لآخر فى الحجم والشكل .

فأول ما نراه يكون خطا رفيعا منحنيا مستنيرا . ثم يزداد حجمـــه شيئا فشيئا حتى يصير دائرة تامه ، ثم يأخذ فى التناقص حتى يصبـــح خطا كما كان فى أول ظهوره .

وتدعى الاشكال المختلفة بأوجـه القمـــر ".(٢)

" والقمر شديد الصغر بالنسبة للنجوم لكنه يبدو كبيرا فى الفضـــاء لأنه قريب منا نسبيا حيث يبعد عنا نحو (٣٨٤٠٠٠) كيلو متر وهو أقـــرب

---

(١) كتاب المعرفة ـ الأرض والكون ص ١٠٨

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ١٣٩٤/٤

الينا من أى جسم طبيعى آخر فى الفضاء وهو يدور فى مدار حول الأرض كما تدور الارض حول الشمس وتستغرق دورته الكاملة حول الارض نحو ٢٩ يوما ونصف . والواقع ان دورته هذه كانت تستغرق يومين وربع أقل من ذلك لو أن الأرض كانت ثابته لا تدور .

ولما كانت الأرض تتحرك فقد وجب على القمر بمشيئة الله أن يقطع أكثر من مدار واحد كامل ليعود الى المكان ذاته ".(١)

---

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٥٠

المبحث السابع

المنازل فى اللغة :

مادة نزل :

النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شئ ووقوعة ونزل من دابته نزولا ونزل المطر من السماء نزولا .[١]

والنزول : الحلول ، وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم ينزل نزولا ومنزلا ، ونزل من علو الى سفل : انحدر ، والمنزل والمنزله : موضع النزول . وجدت القوم على نزلاتهم آى منازلهم .[٢]

المنازل فى القرآن الكريم :

وردت مادة نزل وأنزل فى القرآن الكريم على عدة وجوه ذكر منها الدامغانى فى كتابه تسعة أوجه [٣] لكنه يتعرض للمنازل التى تخص القمر والتى ورد ذكرها فى القرآن فى موضعين هما :

١ - فى سورة يونس قوله تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الأيات لقوم يعلمون ﴾ (يونس : ٥) .

٢ - فى سورة ياسين قوله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (ياسين : ٣٩) .

وتفيد الآيتان ان سبحانه وتعالى جعل للقمر مقادير مخصوصه فى سيره فى فلكه وهى المنازل وأماكن النزول وهى جمع منزلة

---

(١) مقاييس اللغه ٤١٧/٥

(٢) لسان العرب ٦٥٦/١١ - ٦٥٨ بتصرف

(٣) اصلاح الوجوه والنظائر ص٤٥٣ - ٤٥٤

التى ينزل فيها القمر كل ليلة وقد ورد عن ابن عباس انها ثمانية وعشرين منزلة وذكر اسماءها كما ذكره السيوطى فى تفسيره .(١)

منازل القمر :

يذكر صاحب عجائب المخلوقات ان منازل القمر هى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة بواحد منها من مستهلة الى ثمانية وعشرين ليلة من الشهر ثم يستتر واستسراره محاقة حتى لايرى منه شئ فان كان الشهر تسعا وعشرين استتر ليلة ثمان وعشرين وان كان ثلاثين استتر ليلة تسع وعشرين وهو فى السرار يقطع منزلة فهذه المنازل يبدو منها أبدا اربعة عشر بالليل فوق الأرض وأربعة عشر تحت الأرض وكلما غاب منها واحد طلع رقيبه والعرب تسمى أربعة عشر من هذه المنازل شامية وأربعة عشر يمانيه فأول الشاميه الشرطين وآخرها السماك الاعزل وأول اليمانيه الغفر وآخرها الرشا .(٢)

والخلاصة ان المنازل عبارة عن نجوم تظهر فى مواضع من قبة السماء اذا طلع القمر مع أحدها يقال ان القمر بمنزلة كذا .

منازل القمر عند الأمم :

استفادت الأمم القديمة من الحركات الظاهرية للاجرام السماوية واستعملوها لحساب الشهور والسنين وبالذات حركات الشمس والقمر كما ذكر فى القرآن الكريم فى معرض الامتنان فى قوله تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب.. الآية ﴾ (يونس : ٥) .

---

(١) الدر المنثور ٥٧/٧

(٢) عجائب المخلوقات للقروينى بحاشية كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى ٧٤/١ ، دار الفكر - بيروت .

وقد بدأت معظم الحضارات بالاشهر القمرية ثم تحولت الى الأشهر الشمسية وذلك لأنها أضبط فى حساب المواسم . أما العرب فقد أصروا على الحساب بالأشهر والسنين القمرية وكانوا يستعملون منازل القمر لمعرفة المواسم .

ويذكر صاحب كتاب مبادىء الكونيات " أن العرب قد تتبعوا حركات القمر وخطواته فى رحلته الشهرية وعرفوا موقعه أو منزلته فى الثمان والعشرين ليلة التى يظهر فيها وعينوا منازل القمر بالنجوم التى يطلع معها .

فالقمر يظهر كل يوم فى ميعاد خاص فى منطقة خاصة ، وعدد المنازل ثمانية وعشرون منزلا كعدد الليالى التى يظهر فيها القمر .

ولم تكن أمة العرب الوحيدة التى استعملت منازل القمر فيقال ان الهنود والصينين كانوا أيضا يستعملون منازل القمر ولكنهم كانوا يستعملونها لمعرفة مواقع الاجرام الكونية وأختيار الازمان المناسبة للاحتفالات والأعمال الكبيرة .

أما العرب فهم الامة الوحيدة التى استعملت منازل القمر لمعرفة الاجواء " (١) أى حالة الطقس .

---

(١) مبادىء الكونيات ص ١٠٢

المبحث الثامن

الكواكب فى اللغة :

" كوكب ذكر عند بعض النحاة فى باب الرباعى ، صدر بكاف زائدة والأصل وكب أو كوب .

والكوكب والكوكبة : بياض فى العين أو البياض فى سواد العين ذهب البصر له أو لم يذهب .

والكوكب من كواكب السماء ". (١)

"كب : الكاف والباء أصل صحيح يدل على جمع وتجمع لايشذ منه شئ . ومن الباب كوكب الماء وهو معظمه .

والكبكبة جماعة من الخيل .

والكوكب يسمى كوكبا من هذا القياس". (٢)

ويطلق لفظ الكوكب على أشياء كثيرة ذكر منها صاحب التاج .

- الكوكب ما طال من النبات .
- الكوكب سيد القوم وفارسهم .
- الكوكب : السيف - الكوكب : المسمار .
- الكوكب : الماء - الكوكب : المحبس .
- الكوكب : الرجل بسلاحه - الكوكب : الجبل أو معظمه .
- الكوكب الغلام المراهق .

والكوكب من الشئ معظمه مثل كوكب العشب وكوكب الجيش .

---

(١) لسان العرب ٧٢٠/١

(٢) مقاييس اللغة ١٢٤/٥

والكوكب من الروضة نورها . والكوكب من الحديد بريقه وتوقده.(١)

والكواكب : النجوم البادية ولايقال لها كواكب الا اذا بدت .(٢)

"وكوكب دري ودري بكسر الدال أو ضمها : ثاقب مضيء فأما دري بالضم فمنسوب الى الدر قال تعالى : ﴿ كأنها كوكب دري ﴾ نسبة الى الدر في صفائه وحسنه وبياضه .

وجمع الكواكب دراري . والكوكب الدري عند العرب هو العظيم المقدار ، وقيل هو أحد الكواكب السيارة ". (٣)

ويذكر صاحب مقاييس اللغة أن الدال والراء المضاعف في كلمة " در " يدل على أصلين أحدهما تولد شيء عن شيء والثاني اضطراب في الشيء والدر : كبار اللؤلؤ سمى بذلك لاضطراب فيه لصفائه كأنه ماء يضطرب . ومن ذلك شبه الكوكب الدري به . (٤)

الكواكب في نصوص الوحي :

وردت الكواكب في القرآن الكريم خمس مرات ثلاث مرات بصيغه المفرد ذكر منها الكوكب الدري في قوله تعالى ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري .... ﴾ (النور : ٣٥) .

ومرتان بصيغة الجمع أحدهما في صفة الكواكب يوم تقوم الساعة قال تعالى : ﴿ اذا السماء انفطرت واذا الكواكب أنتثرت ﴾ (الانفطار١-٢)

والمرة الاخرى في ذكر وظيفة من وظائف الكواكب الا وهي زينة السماء الدنيا ، قال تعالى : ﴿انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾ (الصافات :٦)

---

(١) تاج العروس ٤٥٨/١ - بتصرف

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص ٤٢٠ ، تحقيق محمد سيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت .

(٣) لسان العرب ٢٨٢/٤

(٤) مقاييس اللغة ٢٥٥/٢

ووردت الكواكب في السنه بمعاني متعددة منهـــــا .

أولا :

الكواكب بمعنى الانواء : فقد اخرج الشيخان في صحيحهما والامـــام مالك في الموطأ وابو داود والنسائي في سننهما عن زيد بن خالـــد رضي الله عنه قال : (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلـــم صلاة الصبح بالحديبيه في اثر سماء كانت من الليل ، فلما أنصـــرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : اللـــه ورسولـــه أعلم ، قال : قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأمـــا من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي ، كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمـــــــن بالكوكب) .(١)

ثانيـا :

الكواكب بمعنى الشهب : عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلـــى الله عليه وسلم قال (ليلة القدر في العشر البواقي من قامهـــن ابتغاء حسبتهن فان الله تبارك وتعالى يغفر له ماتقدم من ذنبـــه وما تأخر وهي ليلة وترتسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخـــر ليلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امـــارة ليلـــــة القدر انها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا ساكنه ساجيه لابـــرد فيها ولاحر ولايحل لكوكب ان يرمى به فيها حتى تصبح وان امارتهـــا ان الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلـــــة البدر ولايحل للشيطان ان يخرج معها يومئذ) .(٢)

---

(١) جامع الاصـــــول ٥٧٦/١١

(٢) مسند الامام احمـــد ٣٢٤/٥

الكواكب فى علم الفلك :

لكى نتكلم عند هذه المادة فى علم الفلك فلا بد أن نفرق بين المصطلحات التاليه :

- الكواكب " الكواكب السيارة " .
- الكويكبات " الكواكب الصغيرة "
- الكوكبات جمع كوكبة .

أولا :

الكوكبات جمع كوكبة (صور سماوية) : مجموعة من النجوم تبدو للناظر على هيئة معينة . ولما رسمت لها حدود أطلق الاسم على المنطقة التى تحتويها . ويوجد فى السماء (٨٨) كوكبة عين حدودها الاتحاد الفلكى الدولى عام ١٩٢٨ م ، ومنها (٤٨) عرفها القدماء . واطلقوا عليها . اسماء ابطال الاساطير ، وأسماء حيوانات وأسماء جماد ، أما باقى الأسماء فهى لاتينية ويوجد (١٢) كوكبة حول دائرة البروج .[١] ومن أمثلة هذه الكوكبات كوكبة الدب وكوكبه الثور وكوكبة قطيس وكوكبة الجبار .

ثانيا :

الكواكب = السيارات = الكواكب السيارة = كواكب المجموعة الشمسية = المتجولات = المتسكعات كلها تسميات لمجموعة معينة هى مجموعتنا التى نعيش فوق أحد أفرادها . والتى تلتزم بنجم ساطع الضوء مشع للحرارة هو الشمس . وهذه الاجرام السماوية

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ١٥٠٧/٢

كروية أو على أضعف الاعتقاد .. هكذا تبدو لنا عند رصدها في السماء . وهى بذاتها اجسام معتمة - خاصة جعلها الله فيها لأن أسطحها لاتشع حرارة أو ضوء [1] .

وتدور حول الشمس فى مسارات اهليلجيه (شبه دائرية) وهى جميعا باستثناء الارض لاتصلح للحياة لأنه لاتتوفر فيها المقومات الضرورية للحياة .

ثالثا :

الكويكبات " الكواكب الصغيرة " : هى اجرام فضائية صغيرة نسبيا اذا قورنت بالكواكب او التوابع لكنها جزء من المجموعة الشمسية تدور حول الشمس كالكواكب بحيث لها مدارات خاصة بها .

وتقع مساراتها بين المريخ والمشترى . بدأ اكتشافها فى أوائل القرن التاسع عشر عند البحث عن كوكب فى تلك المنطقة اكبرها الجرم سيريس يبلغ قطره حوالى (٦٧٠) كيلو متر . اما الكويكبات الأخرى فالقليل منها يزيد قطرها عن (٢٤٠) كيلو متر . ثم وجد علماء الفلك نحو الفى كويكبة بعضها لايعدو مجرد كرة . وهى تتحرك فى مدارات غريبة حتى ان الصغير منها يقترب من الارض اقترابا شديدا . كما أن اقطار اكثرها لايزيد عن كيلو ونصف متر .[2]

الفرق بين النجم والكوكب لغويا وفلكيا :-

يقول صاحب الفروق اللغوية فى كتابه" ان الفرق بينهما هو ان الكوكب

---

(١) الجغرافيا الفلكية ص ١١٤ - بتصرف
(٢) الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٥٢٣
- الموسوعة العلمية الحديثة - الكون - كولين رونان ص ٦١ - طبعة عام ١٩٨٥م الاهلية للنشر والتوزيع - بيروت - بتصرف

اسم للكبير من النجوم وكوكب كل شئ معظمه ، والنجم عام في صغيرها وكبيرها ، ويجوز أن يقال الكواكب هي الثوابت ومنه يقال فيه كوكب من ذهب لأنه ثابت لايزول والنجم الذي يطلع منها ويقرب".(١)

وهذا الفرق الذي ذكره ليس فرقا جوهريا يوضح مدى الاختلاف بينهما اما الفروق الفلكيه فهي ابرز واوضح ومنها

أولا :

النجوم ذات اضاءة ذاتيه - خاصية جعلها الله فيها - وهي تبدو متلألئة في السماء بينما الكواكب تعكس ضوء الشمس وتبدو ثابته الضوء الا عندما تكون قرب الأفق .(٢)

ثانيا :

ان الكوكب جرم سماوي سيار تابع يلف حول نفسه ويدور حول نجم مركزي .

والنجم لايتبع جرما سماويا آخر .(٣)

ومعنى ذلك ان الكوكب تنقصه الصفه الاساسية للنجم وهي الاستقلالية بينما الكوكب تابع لنجم يدور حوله ويلزمه .

هذا ما يستفاد من كلام صاحب الجغرافيا الفلكية الا ان كلامه عن النجم بأنه لايتبع جرما سماويا آخر ليس على اطلاقة فان بعض النجوم ثنائية النظام يدور كل منها حول الآخر وهذا يدل على أن النجوم ليس لها الصفه الاستقلالية المطلقة بل فيها الصفة التبعية أيضا .

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٤٨ ، تحقيق - حسام الدين القدسي طبعة ١٤٠١ هـ - دار الكتب العلميه - بيروت .

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ١٥٠٧/٢ - بتصرف

(٣) الجغرافيا الفلكية ص ٨٣ - بتصرف

المبحث التاسع

الأرض في اللغة :

" أرض : الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول أصل يتفرع وتكثر مسائلة وأصلان لاينقاسان بل كل واحد موضوع حيث وضعته العرب ، فأما هذان الأصلان فهما :

١ - الأرض الزكمه ، رجل مأروض أى مزكوم .

٢ - الرعدة يقال بفلان أرض أى رعدة .

أما الأصل الذى يتفرع فكل شئ يسفل ويقابل السماء ، والأرض : التى نحن عليها وتجمع أرضين ولم تجئ فى كتاب الله مجموعة" . (١)

وكلام ابن فارس فى ان الأرض لم تجمع فى القرآن صحيح الا انها وردت فى السنه المطهرة بصيغة الجمع فى أكثر من موضع .

" وهى الجرم المقابل للسماء وجمعه أرضون وأرضات وأروض وآراضى ويعبر بها عن أسفل الشئ كما يعبر بالسماء عن اعلاه ".(٢)

ولفظ الأرض التى عليها الناس انثى قال تعالى : ﴿ والى الأرض كيف سطحت ﴾ (الغاشية : ٢٠) .

اسم جنس او جمع بلا واحد ".(٣)

وجاء فى دائرة معارف البستانى عن بعضهم ان علماء اللغه قالوا انما سميت الأرض أرضا لأن الاقدام تدقها وترضها .(٤)

---

(١) مقاييس اللغة ٧٩/١
(٢) بصائر ذوى التمييز ٥٣/٢
(٣) تاج العروس ٣/٥
(٤) دائرة المعارف ١١٢/٣

الأرض فى نصوص الوحـــــــــــــى :

وردت كلمـــة الأرض فى القرآن الكريـــم بمعانى متعددة ذكر منهـــا الدامغانى فى الوجوه والنظائر ثلاثة عشر وجها زاد عليها الفيـــــروز آبادى فى البصائر وجها آخر .[1] الا ان بعض الوجوه يمكن ان توضـــع تحت مسمى واحد فتصبح الوجوه تسعه أوجه : وما يهمنا هو الجانـــــب الفلكى حيث أتت الأرض .

---

(١) اصلاح الوجوه والنظائر ص ٢٩ ، بصائـر ذوى التمييز ٥٤/٢

بمعنى الجرم المقابل للسماء قال تعالى : ﴿ ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعه سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ﴾ (لقمان : ٢٧) .

وقوله تعالى : ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ (السجدة : ٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (الذاريات : ٢٠) .

ونظائرهم كثير فى القرآن . ووردت الأرض فى السنة بمعنى الجرم المقابل للسماء فعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض) . [1] ونظائرهم هذا كثير فى السنة المطهرة .

كما أن هناك أوجه أخرى وردت لمعنى الأرض فى نصوص الوحى وهذه الوجوه هى :

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى - كتاب الرقاق ١١ / ٣٧٢ - صحيح البخارى ٨ / ١٣٥ باب يقبض الله الأرض .

(١)

الأرض بمعنى البيئة وحياة البشر فيها يذكر تعالى عن صفات المنافقين حينما ينهوا عن الفساد فى حياة البشر المعبر عنها بالأرض لأنها مكان استخلافهم بقوله عز وجل ﴿ واذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ﴾ (البقرة :١١)

وما يؤكد ان المعنى بالأرض هو حياة البشر والتى تعتبر البيئة جزء منها ماروى عن ابن عباس فى تفسير الآية فى قوله تعالى عن المنافقين قولهم " انما نحن مصلحون " أى قالوا : انما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب .(١)

(٢)

الأرض بمعنى التربة الصالحة للزراعة قال تعالى حكاية عن بنى اسرائيل ﴿ واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير أهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم ... ﴾ الآية (البقرة : ٦١) .

كما وردت الأرض فى السنه بمعنى المزرعه والتربه الصالحة للزراعة فقد اورد البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فأن أبى فليمسك أرضه) وكذلك روى الحديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما . (٢)

---

(١) تفسير الطبرى جامع البيان ١٢٦/١

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى - كتاب الحرث والمزارعة ٢٢/٥ - كتاب الهبه ٢٤٣/٥ .

صحيح البخارى ١٤١/٣ باب ماكان من اصحاب النبى يؤى بعضهم بعضا فى الزراعة والتمر . - صحيح البخارى ٢١٧/٣ باب فضل المنيحه .

(٣) الأرض بمعنى الجزء من البر عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب أرضا ،فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ...) الحديث [1]

(٤) الأرض بمعنى التراب عن ميمونه رضى الله عنها قالت (وضعت للنبى صلى الله عليه وسلم ماء للغسل فغسل يديه مرتين أو ثلاثا ثم افرغ على شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده الأرض ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم فاض على جسده ثم تحول من مكانه فغسل قدميه) .[2]

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ـ كتاب العلم ١٧٥/١ ،صحيح البخارى ٣٠/١ ـ باب فضل من علم وعلم .

(٢) المصدر السابق ـ كتاب الغسل ٣٦٨/١ ،صحيح البخارى ١ /٧٣ باب الغسل مرة واحدة .

وعن عمار بن ياسر رضى الله عنهما فى صفه التيمم فقال النبى صلى الله عليه وسلم (كان يكفيك هكذا ،فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه).[1]

(٥).

الأرض بمعنى طريق السفر فقد اورد الامام ابو داود عن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (عليكم بالدلجه فان الأرض تطوى بالليل)[2] .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر قال : (اللهم آنت الصاحب فى السفر والخليفه فى الأهل اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبه المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال اللهم اطولنا الأرض وهو علينا السفر)[3]

الأرض عند الفلكيين :

هى خامس كوكب فى المجموعه الشمسية من حيث الحجم والكوكب الوحيد فيها الذى يعرف بأنه يحمل الحياة ، وهى ثالث كوكب من حيث ترتيبها من الشمس ويوجد بينها وبين الشمس كوكبا عطارد والزهرة ومتوسط بعدها عن الشمس حوالى (١٤٩٦٣٧٠٠٠) كيلومتر [4]

وهى كالكرة لكنها ليست تامه الاستدارة حيث تم تسطيحها قليلا عند القطبين . وتأخذ شكل الانتفاخ عند خط الاستواء .

---

(١) المصدر السابق - كتاب التيمم ٤٤٣/١ ، صحيح البخارى ٩٣/١ باب المتيمم هل ينفخ فيهما .

(٢) سنن ابى داود - كتاب الجهاد ٢٨/٣ - حديث رقم ٢٥٧١

(٣) المصدر السابق - كتاب الجهاد ٣٣/٣ حديث رقم ٢٥٩٨

(٤) الموسوعه العربية الميسرة ١١٩/١

وتبلغ مساحة الكرة الأرضية كلها نحو ١٩٧ مليون ميل مربع موزعهـــا على الشكل التالـــى : -

١ - مساحة قدرها ١٤١ مليون مربع يغطيها البحـــر .

٢ - مساحة قدرها ٥٦ مليون ميل هى اليابسة أى البـــر .[١]

---

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الأرض - جين بترى ص ٨ بتصرف - الأهليـــة للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٨٥ م - بتصـــرف

المبحث العاشر :- الشهب

الشهب في اللغة :

"الشين والهاء والباء أصل واحد يدل على بياض في شئ من سواد، لاتكون الشهبة خالصة بياضا من ذلك الشهبه في الفرس ، هو بياض يخالطه سواد .

ويقال كتيبة شهباء ، اذا كانت عليها بياض الحديد . ومن الباب الشهاب ، وهو شعلة نار ساطعة ".(١)

والشهبة بياض مشرب بأدنى سواد . وكل ابيض يخالطه ادنى سواد فهو أشهب .(٢)

والشهاب : شعلة نار ساطعه من النار الموقدة ، ومن العارض في الجو والجمع شهب وشهبان . (٣)

وقيل الشهاب العود الذى فيه نار . ويقال للكوكب الذى ينقض على آثر الشيطان بالليل : شهاب . (٤)

الشهب في نصوص الوحي :

وردت مادة الشهب في القرآن الكريم بصيغة المفرد والجمع في خمس

---

(١) مقاييس اللغة ٢٢٥/٣

(٢) فقه اللغة وسر العربية للثعالبى ص ٧٠ ، ٧٦ - دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) بصائر ذوى التمييز ٣٤٩/٣

(٤) لسان العرب ٥٠٩/١

مواضع من كتاب الله مرة منها بمعنى شعلة النار أو العود الذى فيه نار وذلك قوله تعالى : ﴿ اذ قال موسى لأهله انى انست نارا سآتيكم منها بخبر أوآتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ﴾ (النمل : ٧) .

أما المواضع الاخرى فقد وردت بمعنى الشهب التى يرمى بها الشياطين.

كما وردت مادة الشهب بصفة من صفاتها والمصدر الذى تأتى منه وذلك بلفظ الرجم قال تعالى : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ... ﴾ الآية (الملك : ٥) .

ووردت مادة الشهب فى السنه المطهرة بمعانى متعددة منها

١ - الشهب بمعنى البياض الذى يخالطة سواد وذلك فى الحديث الذى ورد فى صفة يأجوج ومأجوج فقال عليه السلام فى صفتهم (عراض الوجوه صغار العيون شهب الشعاف من كل حدب ينسلون كأن وجوهم المجان المطرقة)[1] وشهب الشعاف يعنى ان شعور رؤوسهم بياضا يخالطها السواد .

٢ - الشهاب بمعنى شعلة النار فقد ذكر الامام مسلم فى صحيحة عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول (أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنه الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يارسول الله قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورآيناك بسطت يدك قال : ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار يجعله فى وجهى فقلت اعوذ بالله منك ثلاث مرات) الحديث [2]

---

(١) مسند الامام احمد ٢٧١/٥

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب المساجد - باب جواز لعن الشيطان فى الصلاة ٣٠/٥
صحيح مسلم ٣٨٥/١ حديث رقم ٤٠

٣ - الشهب التى يرمى بها الشياطين فقد اورد البخارى والترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه فى حديث مسترقى السمع فقال : (فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل ان يدركه ..) [١]

الشهب فى علم الفلك :

هى اجسام متفاوته الحجم بعضها يزيد كثيرا عن حجم رأس الدبوس والبعض الآخر ذو أحجام مروعة تتكون من الصخر والحديد والنيكل .

تهيم بين الكواكب وتتساقط لشوارد منها شظايا كونية لتلقى حتفها عليها تاركة آثار تصادمها حفرا وفجوات زال معظمه عن سطح الأرض مستجيبا لتأثير عوامل التعرية وأن كان لايزال باقيا فى وضوح على غيرها من الكواكب والتوابع . [٢]

وهى تدخل الغلاف الجوى للأرض بسرعة كبيرة فتحترق بسبب الاحتكاك الشديد وتبدو خطا لامعا يومضى لحظه ويبقى أثره بضع ثوان . ومتوسط سرعة الشهاب ٤١ كم فى الثانية ويظهر للعين عند احتراقة على ارتفاع يتراوح بين ٩٦ الى ١٤٤ كم .

والقطع الكبيرة قد يشاهد انفجارها الى مايشبه وابلا من الشرر فان كانت سرعتها بطيئة وصلت منها اجزاء الى الأرض وسميت نيازك .[٣] او الرجم

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى - كتاب التفسير - ٥٣٧/٨ ، صحيح البخارى ١٥٣/٦ ، سورة سبأ
(٢) الجغرافيا الفلكية ص ١٩٩ بتصرف .
(٣) الموسوعة العربية الميسرة ١٠٩٧/٢ بتصرف .

المبحث الحادى عشر

الشواظ فى اللغة :

الشين والواو والظاء كلمة واحدة صحيحة فالشواظ : شواظ اللهب من النار لادخان معه .(1) وذكر صاحب اللسان اقوالا فى معنى الشواظ منها

- الشواظ هو اللهب الذى لادخان فيه .
- الشواظ قطعة من نار ليس فيها نحاس .
- الشواظ لهب النار ولايكون الا من نار وشىء آخر يخلطه .(2)

اما صاحب التاج فيقول"ان الشواظ هو دخان النار وحرها ، وحر الشمس شواظ ".(3)

الشواظ فى القرآن الكريم واقوال المفسرين فيه :

وردت مادة الشواظ فى القرآن الكريم مرة واحدة وذلك فى معرض تحذير سبحانه لكل من الجن والانس فى محاولة التفكير فى النفوذ من اقطار السموات والأرض وأنه حينما يحدث ذلك سيرسل الشواظ قال تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس ان استطعتم آن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فأنفذوا لاتنفذون الابسلطان . فبأىء الآربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأىء الآربكما تكذبان ﴾ (الرحمن : ٣٣)

ولقد ذهبت آراء المفسرين شتى فى تفسير المقصود بالشواظ وقال البغوى

---

(1) مقاييس اللغة ٢٢٨/٣ وبصائر ذوى التمييز ٣٦٢/٣

(2) لسان العرب ٤٤٦/٧

(3) تاج العروس ٢٥٣/٥

فى تفسيرة ان أكثر المفسرين ذهبوا الى ان الشواظ هو اللهيب الذى لا دخان فيه . [١] ولكن هناك اقوال آخرى للمفسرين فى تفسير الشواظ نذكر منها .

ما أورده الطبرى وابى السعود والقرطبى بأن الشواظ

- لهب النار .
- لهب النار المختلط بالدخان .
- اللهب الاخضر المتقطع .
- الدخان الخارج من اللهب .
- هو النار والدخان جميعا .
- الشواظ اللهب الذى لادخان له والنحاس هو الدخان الذى لالهب فيه
- الشواظ هو الدخان الذى يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب . [٢]

اذاً مجمل الاقوال تذهب الى ان الشواظ هو اللهب الذى لادخان فيه .

ويذكر البغوى ان قراءة " يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس " فيها وجهان هما :

١ - العطف بالجر اى يعطف النحاس على النار وهذه قراءة ضعيفة ويكون المقصود ان النحاس هو الدخان .

٢ - العطف بالرفع اى يعطف النحاس على الشواظ فيكون المقصود يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس ويجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر . [٣]

---

(١) تفسير البغوى ٢٧٧/٥

(٢) تفسير الطبرى ١٣٩/١٣ ، تفسير القرطبى ٦٧١/١٧ ، تفسير ابو السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ٣٤٨/٥ تحقيق عبدالقادر أحمد عطا طبعة ١٤٠١ هـ - دار الفكر - بيروت .

(٣) تفسير البغوى ٢٧٧/٥

الشـــواظ فى علم الفلــــك :

لم يرد اصطلاح الشواظ فى الفلك يوضح المقصود منه ولكن ثمة قـــولان لعالمين مسلمين من أهل التخصص نذكرها على وجه الاستئناس بها وهما :

الـــرأى الأول : ذكر صاحب كتاب الكون والاعجاز العلمى أن

من المعروف فيزيائيا ان قذف النحاس ببرو تونات سريعة ينتج مايسمـــى بالبروتون المضاد (اى المادة المضادة) فى المعامل النووية .

وحيث ان البروتونات السريعة والنحاس متوفرة فى الأشعة الكونية فـــان احتمال تولد البروتون المضاد فى الفضاء الكونى قائم ومعنى هذا أن رائـد الفضاء وسقينته معرضان للزوال وهذه قاعدة معروفة فى علم الفيزياء .

اذا يعتقد ان عبارة " شواظ من نار ونحاس " تشير الى تولد المـــادة المضادة فى الفضاء وهذه بدورها تقوم بافناء أى مادة (المركبة أو رائـد الفضـــاء) تعترض طريقهـــــا . (١)

الـــــرأى الثانـــــى :

وهو مقدم من المهندس الكيميائى محمد عبدالقادر الفقى الذى قـــــام ببحث فى مجال علوم الأرض وقدم هذا البحث فى مؤتمر اسلام آبـــــــاد الاول للاعجاز العلمى فى القرآن والسنه الذى اقيم ١٨ - ٢٦ اكتوبـــــر عام ١٩٨٧ عندما تكلم عن عنصر النحاس وتعرض للايـــة .

فقد قام بشرح عن بعض المقذوفات للذخيرة الحية وبالذات مقذوفـــات الحشوة الجوفاء المسماة " الذخيرة المضادة للمدرعات " حيث لهـــا

---

(١) الكون والاعجاز العلمى د. منصور محمد حسب النبى ص ٢٣٠ - شركـــــة دار الصفا للطباعة - ١٩ شارع المنفلوطى - السيدة زينب بتصـــرف

القدرة على اختراق الدروع عند انفجارها حيث يمكن للهب الناتج من تفجيرها أن يخترق درعا من الحديد يصل سمكه الى ثلاثين سينمتر وهى قدرة عالية اذا قارناها بسمك الدبابات الحديثه .

ففى مقذوف لحشوة الجوفاء توضع المادة المحطمة داخل المقذوف على شكل مخروط مجوف وتحيط بالمخروط من جميع الجوانب المادة المحطمه تغلف هذه المادة بغطاء من النحاس مما يؤدى الى تجميع الموجات الانفجارية فى نقطة واحدة . وحيث ان درجة انصهار النحاس المبطن للمادة المحطمة تقارب درجة الحرارة الناتجه من التفجير فان جزيئات النحاس تنصهر وتندفع مع اللهب على شكل لسان طرفة مركز فى نقطه واحدة . ولكى تتخيل مقدار هذا الشواظ يكفى ان تعرف ان كثافة لسان اللهب الناتج من جزيئات النحاس المنصهرة هو ١٠ جرام لكل سنتيمتر مكعب وسرعته تتراوح بين ١٠ - ١٢ كيلو فى الثانية .

فالشواظ اذا هو لسان اللهب المتكون من النار والنحاس وهو اذا وقع لايمكن لجنى او انسى أن يمنع وقوعه . وقد يكون سبب حدوثه انفجار مادة محطمه من المواد التى عرفناها وقد لانكون على دراية بها وعلمها عند الله . والنحاس الذى يحتوية الشواظ قد يكون ناتجا عن المادة المبطنه للمادة المحطمه التى تكون داخل مقذوف سماوى من مصدر مجهول للجن والانس .

المبحث الثاني عشر

الانواء في اللغة :

" يقال نؤت بالحمل اذا نهضت مثقلا وناء في الحمل اذا أثقلك وغلبك .
وقالوا ناء بزيد الحمل اذا ناء زيد الحمل وقال تعالى :﴿ ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة ..﴾ والعصبة تنوء بها"(١)

وناء بحمله ينوء نوءا وتنوءا : نهض بجهد ومشقة . وقيل أثقل فسقط فهو من الاضداد .

والنوء النجم اذا مال للمغيب والجمع انواء ،وقيل معنى النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه .
وقال بعضهم : "وانما سمي نوءا لأنه اذا سقط الغارب ناء الطالع وذلك هو النوء وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الاضداد".(٢)

ونجوم المنازل هذه أكثرها يقولون لها الانواء وانما يكون نوءا حين يكون النجم ساقطا في الأفق من المغرب من طلوع الفجر . (٣)

النوء والأنواء في نصوص الوحي :

لم ترد كلمة الانواء في القرآن بهذا اللفظ وبمعنى أحد نجوم المنازل وانما وردت بصيغة الفعل المقصود به القيام متثاقلا من حمل الشيء أو بمعنى أثقل فغلب وذلك في قوله تعالى : ﴿ ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين ﴾ (القصص : ٧٦) .

---

(١) ثلاث كتب في الاضداد للاصمعي، والسجستاني وابن السكيت ص ٤٨، ١٢٩، ١٥٢، ٢٠١، ٢٤٥ - دار الكتب العلمية - بيروت .
(٢) لسان العرب ١/١٧٤ - ١٧٧ بتصرف .
(٣) الازمنة وتلبية الجاهلية ص ٢٤

اما فى السنه المطهرة فقد وردت كلمة الانواء بمعنى النجوم المنازل وذلك فى معرض النهى عن الاعتقاد فى النجوم وذلك فى الحديث الذى آخرجه البخارى ومسلم ومالك فى الموطأ وأبو داود والنسائى عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال : (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبيه فى أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب) .(١)

وفى هذا المجال الاحاديث كثيرة التى تذكر الاستقاء بالانواء .

ماهى الانواء :

الانواء ثمانية وعشرون نجما معروفة الطوالع فى أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف ، يسقط منها فى كل ثلاثة عشر ليلة نجم فى المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته وكلاهما معلوم مسمى وانقضاء هذه الثمانية وعشرين كلها مع انقضاء السنة ثم يرجع الامر الى النجم الاول مع استئنافه السنه المقابلة وكانت العرب فى الجاهلية اذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لابد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح فينسبون كل غيث يكون عند ذلك الى ذلك النجم فيقولون مطرنا بنوء الثريا والدبران والسماك . (٢)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٥٩/٢ كتاب الايمان ، صحيح مسلم ٨٣/١ حديث رقم ١٢٥ .

(٢) لسان العرب ١٧٦/١ ، جامع الاصول ٥٧٧/١١ ـ بتصرف .

الباب الثاني

خلق السموات والأرض وما بينهما . ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الاول : خلق السموات والأرض بالحق وفتقهما

الفصل الثاني: بناء السماء ودحو الأرض

الفصل الثالث : الزمن وخلق السموات والأرض

الفصل الرابع : اعداد الأرض للحياة

الفصل الخامس : الفضاء الكوني .

الفصل الاول

خلق السموات والأرض بالحق وفتقهما

ويشتمل على المباحث :

أولا : خلق السموات والارض بالحق

ثانيا : فتق السموات والارض

المبحث الأول

خلق السموات والأرض بالحق :

تمهيد :

ان الناظر فى كتاب الله العزيز يلاحظ انه سبحانه وتعالى قد ذكر فى عدة آيات أنه خلق السموات والأرض بالحق وأنه لم يخلقها باطلا.

وذلك فى ثلاثة عشر موضعا من هذه المواضع قوله تعالى: ﴿ الم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز ﴾ (ابراهيم : ١٩ - ٢٠) .

وقوله تعالى : ﴿ ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (آل عمران : ١٩٠ - ١٩١) .

وقد ذكر سبحانه اثبات الحق فى خلق السموات والأرض فى أحد عشر موضعا ونفى الباطل فى موضعين . مما يدلنا على عظمة هذا الخلق .

ولكى نفهم المقصود من الآيات فى ذلك المجال لابد من الرجوع الى أهل اللغة والتفسير لمعنى مادتى الحق والباطل .

مادة الحق والباطل فى اللغة :

يذكر ابن فارس ان مادة الحق أصل واحد يدل على احكام الشىء وصحته . فالحق نقيض الباطل ثم يرجع كل فرع اليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق .(١)

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١٥/٢

وأصل الحق المطابقة والموافقه كمطابقة رجل الباب فى حقه لدورانــــه على الاستقامـــة .[(١)]

اما الباطل نقيض الحق وهو مالا ثبات له عند الفحص عنه .[(٢)] وهــو ذهاب الشىء وقلة مكثه ولبثه .[(٣)]

اذن يظهر من هذه الأقوال ان الحق فيه مطابقة وموافقة مع الدلالـــة على الاحكام فى الشىء وصحته ونقيضه الباطل الذى ليس فيه دلالة علــى الاحكام وانما عند فحصه فهو لاثبات لـــه .

ويذكر الراغب فى المفردات والفيروز آبادى فى البصائر ان الحــق يقال على أربعة أوجه هــى .[(٤)]

١ - يقال لموجد الشىء بحسب ماتقتضيه الحكمة ولذلك قيل فى الله تعالــى هــو الحــق .

٢ - يقال للموجود حسب ما تقتضيه الحكمة ولذلك يقال فعل الله تعالــى كلــه حــق .

٣ - الاعتقاد فى الشىء المطابق لما عليه ذلك الشــىء نفســه .

٤ - الفعل والقول الواقع بحسب مايجب ، وبقدر مايجب وفى الوقت الــذى يجــب .

مـــادة الحق والباطل فى القرآن الكريـــم :

ذكر أصحاب الأوجه والنظائر ان مادة الحق وردت فى القرآن على عــدة أوجه من هذه الأوجــه .[(٥)]

---

(١) المفردات للراغب الاصفهانـــى ص ١٢٥

(٢) لسان العرب لابن منظور ٥٦/١١ وتاج العروس للزبيدى ٢٣٩/٧

(٣) مقاييس اللغـــة ٢٥٨/١

(٤) المفردات فى غريب القرآن ص ١٢٥ وبصائر ذوى التمييز ٤٨٤/٢

(٥) اصلاح الوجوه والنظائر الدامغانـى ص ١٣٩ ، نزهة الاعين النواظــر لابن الجوزى ص ٢٦٥ .

١ - الحق اسم من اسماء الله سبحانه قال تعالى : ﴿ ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن .... ﴾ (المؤمنون : ٧١)

٢ - الحق بمعنى القرآن قال تعالى : ﴿ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ماكانوا به يستهزءون ﴾ (الانعام : ٥) .

٣ - الحق بمعنى الاسلام قال تعالى : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ﴾ (الاسراء : ٨١) .

٤ - الحق بمعنى العدل قال تعالى : ﴿ قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون ﴾ (الانبياء : ١١٢) .

٥ - الحق بمعنى التوحيد قال تعالى : ﴿ ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ماكانوا يفترون ﴾ (القصص : ٧٥) .

٦ - الحق بمعنى الصدق قال تعالى : ﴿ ويستنبؤنك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ (يونس : ٥٣) .

٧ - الحق بمعنى المال قال تعالى : ﴿ فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا او لا يستطيع أن يمل هو فيملل وليه بالعدل ...... ﴾ (البقرة : ٢٨٢) .

٨ - الحق ضد الباطل قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتيه فأصفح الصفح الجميل ﴾ (الحجر : ٨٥) .

٩ - الحق بمعنى الوجوب قال تعالى : ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس أنهم كانوا خاسرين ﴾ (الاحقاف : ١٨) .

١٠ - الحق بمعنى الحاجة قال تعالى حكاية عن قوم لوط ﴿ قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد ﴾ (هود : ٧٩)

١١ - الحق بمعنى الحظ قال تعالى : ﴿ والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ (المعارج : ٢٤) .

١٢ - الحق بمعنى البيان قال تعالى : ﴿ وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظه وذكرى للمؤمنين ﴾ (هود : ١٢٠) .

اما الباطل فقد ورد فى القرآن الكريم على أربعة أوجه كما ذكر أصحاب الوجوه والنظائر .(١) وهى

١ - الباطل بمعنى الكذب قال تعالى : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (فصلت : ٤٢) . اى لاتكذبه الكتب التى قبله وليس بعده كتاب فيكذبه .

٢ - الباطل بمعنى الاحباط قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنو لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولايؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا .... ﴾ (البقرة : ٢٦٤) .

٣ - الباطل بمعنى الظلم قال تعالى : ﴿ ولاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ﴾ (البقرة : ١٨٨) .

٤ - الباطل بمعنى الشرك قال تعالى : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل

---

(١) اصلاح الوجوه النظائر للدامغانى ص٧٢ نزهةالاعين ، النواظر لابن الجوزى ص ١٩٥ .

ان الباطل كان زهوقا ﴾ (الاسراء : ٨١) وقال تعالى : ﴿ والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ (النحل : ٧٢)

المعانى المستخلصة من الآيات الواردة فى خلق السموات والأرض بالحق :

بعد ان أستعرضنا معنى الحق والباطل فى اللغة وما هى الاوجه التى وردت بها فى القرآن الكريم نود ان نوضح مايستفاد من الايات التى وردت فى هذا المجال وهذه الفوائد هى :

اولا :

خلق السموات والأرض ومايحدث فيهما من ظواهر كاختلاف الليل والنهار أيات داله على حكمة خالقها لمن نور الله بصيرته واستخدم لبه للتفكر فيها وجعل ذكر الله على فكرة قائما قاعدا بأن هذا الكون لم يخلق باطلا وأنما خلق لحكمه .

ثانيا :

من خلق السموات والأرض بقانون الحق قوله الحق حينما يقول كن فيكون وان هذا الخالق هو من له العلم المطلق بالغيب والشهادة .

ثالثا :

الدعوة الى الرؤية بعين البصيرة لخلق السموات والأرض والتى خلقت بقانون الحق والاستدال بها على المبدىء والمعيد وان ذلك ليس عليه بعزيز .

رابعا :

ان خلق السموات والأرض بالحق يضم ايضا ما بين السموات والأرض بحيث يشمل هذا القانون نهاية السموات والأرض وما بينهما هذه النهاية هى يوم الساعة .

خامســـــا :

ان من خلق السموات والأرض بقانون الحق يتعالى سبحانه عن اتخـــــاذ الشركاء وهذا الخلق هو آية لمن آمن وصدق بوجود الحكمة التـــــى ابدعها سبحانه فى خلقه ودلالة على أنه المعبود بحـــق .

سادســـــا :

تكرار الدعوة الى التفكر فى القانون العام الذى خلقت به السمـوات والأرض وهو الحق مع التذكير بوجود نهاية للكون عندما يحين الأجـــل المحتوم الذى يدعو الى الايمان بوجود الاله وان لقائه حق لامريـــــه فيـــــه .

سابعـــــا :

الرد على من اعتقد ان السموات والأرض وما بينهما خلقت باطـــــلا وعبثا " كالطبيعين وغيرهم " وان الاعتقاد بذلك يؤدى الى الكفـــر ثم الى النــــار .

ثامنـــــا :

العبث واللعب محال على الله الحق سبحانه التى كل أفعاله حـــــق وذلك مايظهر فى خلق السموات والأرض وما بينهما وهذه حقيقة يغفـــل عنها كثير من الناس لعدم علمهم بقدرة خالقهم .

تاسعـــــا :

من نعم الله سبحانه على بنى آدم آن آحسن صورهم وهذه فضيلـــــة منحها الله لابنى آدم مما يستدعى منهم الخضوع له والانقياد وآنـــه لا مناص من الرجوع اليـــه سبحانه الذى خلق السموات والأرض بقانـــون الحـــــق .

معنى خلق السموات والأرض بالحق عند المفسرين :

اما ما قاله المفسرون فى المقصود بالحق فى الايات السابقة فهو كالتالى

١ - بالحق اى بالعدل لاعلى وجه العبث واللعب وأنها لم تخلق سدى وباطلا بل لحكمه وهذا ما ذهب اليه ابن كثير فى تفسيره فى اكثر من موضع .(١)

٢ - بالحق اى بالحكم اللطيفه والغايات الصحيحه والاغراض المطابقة أو مستتبعة للفوائد والحكم الداله على وجود الصانع وان افعاله لايوجد فيها عبث أو خلل أو سهو وهذا ما ذكره النيسابورى فى تفسيره فى أكثر من موضع .(٢)

٣ - ذكر الطبرى فى تفسيره ان الاقوال فى المقصود بالحق فى هذه الآيات على أوجه هى :

أ - قال قوم "خلق السموات والأرض حقا وصوابا لاباطلا وخطأ فالحق يقصد به الصواب فيه لا أن الحق معنى غير القول وانما هو صفه للقول اذا كان بها القول".

ب - وقال آخرون "خلق السموات والأرض بكلامه فالحق يقصد به كلامه سبحانه واستشهدوا بقوله تعالى : ﴿ ويوم يقول كن فيكون قوله الحق ﴾" (٣) وقد ذهب الطبرى الى ان المقصود بالحق اى بالعدل والانصاف لا بالظلم والجور .(٤)

٤ - وقد ذهب القرطبى فى بعض مواضع من تفسيره الى ان المقصود بالحق هو .(٥)

---

(١) تفسير ابن كثير ١٤٥/٢
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٣٤/٧
(٣) جامع البيان للطبرى ٢٣٩/٧
(٤) المرجع السابق ٥٠/١٤
(٥) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٣٥٤/٩ ، ٥٤/١٠ - ٦٨

أ - للاستدال على قدرتـه .

ب - للزوال والفنـاء .

جـ - لمجازه المحسن والمسئ .

٥ - المقصود بالحق فى الآيات اى الامر الثابت المتحقق وهو آياتـه القائمة بالسنن المطردة المشتمله على الحكمه البالغه الدالـه على وجوده وصفاتـه الكاملـه . (١)

ولوا استعراضنا كتب التفسير الاخرى نجد انها لاتخرج عن هذه المعانى الواردة .

ويقول سيد قطب فى ظلاله فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وما خلقنـا السموات والأرض وما بينهما الا بالحـق .. ﴾

" انه يوحى بأن الحق عميق فى تصميم هذا الوجود عميق فى تكوينه عميق فى تدبيره عميق فى مصير هذا الوجود وما فيه ومن فيـه .

فهو لم يخلق عبثا ولم يكن جزافا ولم يتلبس بتصميمه الأصيل خـداع ولازيف ولا باطل . والباطل طارئ عليه ليس عنصرا من عناصر تصميمـه فقوامه العناصر التى يتألف منها حق . والنواميس التى تحكـم هذه العناصر وتؤلف بينها حق لايتزعزع ولايضطرب ولا يتبدل ولايتلبـس بـه هوى أو خلل أو اختلاف .

فالحق قوام خلقهما ، والحق قوام تدابيرهما ، والحق عنصر أصيـل فى تصريفهما وتصريف من فيها وما فيها " (٢)

---

(١) تفسير المنار - لمحمد رشيد رضا ٥٣٠/٧ - الطبعة الثانية - دار المعرفـة - بيروت .

(٢) ظلال القرآن لسيد قطـب - ٢١٥٣/٤ - ٢١٦٠ - الطبعة العاشـرة ١٤٠٢ هـ - دار الشـروق .

معنى الحق فى خلق السموات والأرض من خلال نتائج العلم الحديث :

أما بالنسبة للعلم الحديث وما يقال عن القوانين التى تحكم هذا الكون فهناك الاشياء الكثيرة وقبل ان نسترسل فى ذكر بعض القوانين نؤد أن نعود الى التعريف اللغوى لمعنى الحق والباطل . فالحق ما كان فيه مطابقة وموافقه مع الدالة على الاحكام فى الشىءوصحته والباطل الذى ليس له ثبات عند فحصه .

وهذا التعريف نلحظه واضحا جليا فى القوانين التى تحكم الكون مما يدل على حكمة خالقها فعلى سبيل المثال .

١ - " فى الأرض نجد قانون التوازن الكونى يتمثل فى كل شىء مثل حجم الأرض بالنسبة للكون فى توازن مذهل .. ولو كان حجمها أكبر من ذلك لتضاعف جاذبيتها الحالية الأمر الذى كان يؤدى الى انكماش غلافها الجوى من الف كيلو متر ارتفاعا الى ما دون ذلك .. وهذا يجعل كل بوصه مربعة من سطح الأرض تتحمل من الضغط ما هو فوق طاقتها .. فهى الآن - كل بوصة مربعة من سطح الأرض - تتحمل ما وزنه خمسة عشر رطلا من الضغط الجوى .. ولكن انكماش الغلاف الجوى الى النصف اى الى خمسمائة كيلو متر ارتفاعا فقط يتضاعف الضغط الجوى فوق البوصه المربعة الى ثلاثين رطلا .. فهل تقوم حياة فى مثل هذه الحالة ؟ .. بالطبع لا .. - والسبب ذلك ان وزن الشىء أصبح ضعف ما كان عليه سابقا وهذا بحد ذاته يشكل عائقا للشىء عن الحركة - ولو كان حجم الأرض ضئيلا فى مثل حجم القمر مثلا فانها لاتستطيع امساك الغلاف الجوى حولها وكذلك بخار الماء وفى مثل تلك الحالة تستحيل الحياة " . (١)

---

(١) هندسة النظام الكونى فى القرآن - د. عبدالعليم خضر ص ٩٥ - الطبعة الثانية لعام ١٤٠٥ هـ - الناشر تهامة - جدة المملكة العربية السعودية

اليس هذا احكام فى نظام الكون مع صحته ؟ اليس هذا هو الحق ؟

٢ - "لدينا معادلة تقول تأثير قوى التجاذب تساوى تأثير طاقة الحركة ويكون مضادا له . ووفق هذه المعادلة كانت مواقع النجوم والاجرام السماوية الاخرى موضوعه فى الخريطه الكونيه على أبعاد ثابته بين بعضها وبعض بصورة تضمن عدم السقوط والتصادم والاضطراب فى الافلاك ولو كان أحد طرفى المعادلة على شكل غير هذا لسقطت الاجرام وتناثرت فى الفضاء .. وهذا يحدث لو زادت قوى التجاذب على طاقة الحركة . أما لو قلت قوى التجاذب عن طاقة الحركة لتباعدت الاجرام السماوية بالانفلات عن افلاكها حول شموسها .. ولسارت على غير هدى حتى تصطدم بمجموعات نجومية وكوكبيه أنفلنت هى الأخرى من افلاكها المحددة لها " . (١)

اليس هذا احكام فى نظام الكون ؟ اليس هذا هو الحق ؟

٣ - " ان حركة الأرض حول الشمس منضبطه تمام الانضباط ، بحيث لايمكن أن يحدث أدنى تغير فى سرعة دورانها حتى بعد مرور قرن من الزمان وهذا القمر الذى يتبع فى حركته الأرض يدور فى فلك مقرر منضبط مع تفاوت يسير جدا ، يتكرر بعد كل ثمانية عشر عاما ونصف عام بدقة فائقة ، وتلك هى حال جميع الاجرام السماوية .

ويرى علماء الفلك أن مجرات النجوم يتداخل بعضها فى بعض ، فتدخل مجرة تشتمل على بلايين من السيارات المتحركة فى مجرة أخرى مثلها - وتتحرك سياراتها هى الأخرى - ثم تخرج منها بسياراتها جميعا

---

(١) الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها فى القرآن - د. سليمان عمرقوش ص ١٢٥ بتصرف - الطبعة الاولى لعام ١٤٠٧ هـ - دار الحرمين للنشر الدوحة - قطر .

دون أن يحدث أى تصادم بين سيارات المجرتين " .(١)

اليس هذا احكام فى نظام الكون ؟ اليس هذا هو الحـــق ؟

ان فى الكون سنن رياضية محكمة تدل على أن الفاعل لذلك لايكـــون الا حقا وان فعله حق ليس بالباطل لانه لو كان كذلك لوجد فيه المتخصصون الذين أتاهم الله من العلم مايجعلهم يشكون فى عظمه هذا الكـــون لكنهم باكتشافتهم التى منحها الله لهم تحقيقا لقوله تعالـــى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحـــق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيـــد ﴾ (فصلت : ٥٣) يجـدون مايجعلهم يقرون بعظمة الخالق وأن وراء هذا الكون مدبر حكيـــم فعله حـــق .

يقول عالم الرياضيات والفيزياء - ايرل تشترريكن - " ان دراســة الظواهر الكونيه بعيدة عن التحيز وتتسم بالعدل والانصاف قد أقنعتنى بأن لهذا الكون الها ، وأنه هو الذى يسيطر عليه ويوجهـــه ، أى ان هنالك سيطرة مركزية هى سيطرة الله تعالى وقوته التى توجه هـــذا الكـــون" .(٢)

---

(١) الاسلام يتحدى - وحيد الدين خان ص ٥٣ - ترجمة ظفر الاسلام خان ومراجعة وتقديم د. عبدالصبور شاهين - الطبعة السادسة لعام ١٩٧٦ م . دار المختار الاسلامى للنشر بالقاهـــرة .

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم - نخبة من العلماء الامريكين - ترجمـــة د. الدمرداش عبدالمجيد سرحان ص ١١٥ - دار القلم - بيروت لبنان .

المبحث الثاني

فتق السموات والأرض :

يخبرنا سبحانه وتعالى ان السموات والأرض فى بداية خلقهما كانتا رتقا ففتقهما سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ او لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ (الانبياء : ٣٠) .

وهنا ترد بعض الاستفسارات وهي

ما المراد بالرؤية فى الآية وما المقصود منها ؟

هل المقصود بالسموات معناها اللغوى ماعلاك فأظلك المقابله لجرم الأرض أم السموات السبع بذاتها ؟ وهل المراد بالرتق والفتق لكل من السموات والأرض كلا على حدة أم أنه رتق وفتق لهما عن بعضهما ؟ . وماهو معنى الرتق والفتق ؟ وهل هناك فرق بين الفتق والفصل اما انهما بمعنى واحد ؟

الرؤية فى الآية عند المفسرين :

أ - رؤية بصرية وهذه ممتنعه لأن خلق الانسان أتى بعد خلق السموات والأرض فلم يتسنى له الرؤية البصرية ولقوله تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولاخلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ (الكهف : ٥١) وهذا ماذهب اليه الرازى فى تفسيره . (١)

---

(١) تفسير الرازى ١٦٢/٢٢

ب- رؤية علميه بمعنى او لم يعلموا وهذا ماذهب اليه المفسرون وعبر بعضهم عنها بالرؤية القلبيه كما فى تفسير الطبرى والالوسى وابو السعود واستدل الرازى لذلك بثلاث ادلة منها " أن اليهود والنصارى كانوا عالمين بذلك فانه جاء فى التوارة ان الله تعالى خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبه فصارت ماء ، ثم خلق السموات والأرض وفتق بينها ، وكان بين عبدة الأوثان وبين اليهود نوع صداقه بسبب الاشتراك فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فأحتج الله عليهم بهذه الحجه بناء على أنهم يقبلون اقوال اليهود فى ذلك". (١)

أما المقصود بالرؤيه هو

١ - تجهيل الكفار بتقصيرهم فى التدبر فى الأيات الكونيه الدالة على تفرده سبحانه بالربوبيه وكون جميع ماسواه مقهور تحت ملكوته وهذا ماذهب اليه ابو السعود والالوسى الا ان عبارة آبو السعود تقول " .. الدالة على استقلاله تعالى بالألوهيه .. " .(٢)

٢ - دعوة الى التأمل فى هذا الكون الذى يعتبر كتاب الله المفتوح والناطق بكل ما فيه ان خالقة واحد أحد مدبر حكيم يفتقر اليه كل المخلوقات ولايفتقر الى أحد .

وبعد آن عرفنا المراد بالرؤيه فما هو المقصود برتق وفتق السموات والأرض وهل ذلك الرتق والفتق لهما عن بعضهما أما كلا على حدة ؟

الرتق والفتق فى اللغة :

الرتق ضد الفتق . رتقه يرتقه ويرتقه رتقا فأرتق أى التأم.(٣)

(١) المصدر السابق نفس الجزء والصفحه .
(٢) تفسير ابو السعود - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ٦٩٨/٣ ، روح المعانى للالوسى ٣٤/١٧
(٣) لسان العرب لابن منظور ١١٤/١٠

والرتق مصدر رتق رتقا اذا لم يكن بينهما فرجه .[١]

والرتق الضم والالتحام خلقه كان او صنعه [٢] والرتاق ثوبان يرتقان بحواشيهما .[٣]

أما الفتق فهو أصل يدل على فتح فى شئ من فتقت الشئ فتقا . [٤]

وفتقه يفتقه ويفتقه من حدى نصر وضرب فتقا شقه خلاف رتقه رتقا.[٥] والفتق خلاف الرتق وأصله الشق والفتح . والفتقاء من النساء التى صار مسلكاها واحد .[٦]

يقال : أفتق السحاب اذا انفرج . وفى صفته صلى الله عليه وسلم " كان فى خاصرته انفتاق " أى اتساع .[٧] والفتق هو الفصل بين المتصلين وهو ضد الرتق .[٨]

ويظهر من الاقوال ان الرتق هو عبارة عن الالتئام والالتحام والضم بين شيئين ، مثل الثوبين اللذين التحمتا بحواشيهما والفتق عكسه لكن ذهبت معظم اقوالهم الى ان اصل الفتق هو الشق والفتح وأنه فصل بين المتصلين ، لكن صاحب الفروق اللغوية يقول " ان الفتق بين الشيئين الذين كانا ملتئمين أحدهما متصل بالآخر فاذا فرق بينهما فقد فتقا واذا كان الشئ واحدا ففرق بعضه عن بعض قيل قطع وفصل وشق ولم يقل

---

(١) الفروق اللغوية لابى هلال العسكرى ص ١٢٥ تحقيق حسام الدين القدسى عام ١٤٠١ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .
(٢) المفردات للاصفهانى ص ١٧٨
(٣) مجمل اللغه لابن فارس ٤١٨/١ تحقيق زهير عبدالمحسن - الطبعة الاولى لعام ١٤٠٤ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت .
(٤) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٧١/٤
(٥) تاج العروس للزبيدى ٤٠/٧
(٦) لسان العرب لابن المنظور ٢٩٦/١٠
(٧) النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٤٠٨/٣
(٨) المفردات للاصفهانى ص ٣٧١

فتق ". (١)

اذاً يمكن ان نستنتج من مجمل الاقوال ان الرتق هو الالتئام بين شيئين بحيث لا يكون بينهما فرجه فاذا فرق بينهما بحيث اصبحت هناك فرجه ثم وسعت هذه الفرجه اكثر فيكون هذا هو الفتق .

الرتق والفتق عند المفسرين :

اختلفت اقوال المفسرين فى رتق وفتق السموات والأرض كل حسبما آتضح له من معنى الآية وكلام العرب مع مراعاة المقصود بمعنى السموات الذى ذهب بعضهم الى ان المقصود به السموات السبع بذاتها والبعض الآخر ذهب الى أن المقصود بمعنى السموات ماعلاك فأظلك . وهذه الاقوال كما بسطت فى كتب التفسير هى :

١ - ان السموات والأرض كانتا ملترقتين ففتقهما الله وفى روايه كانتا ملتصقتين فرفع السماء ووضع الأرض وهذا ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما . (٢) ونقل عن سعيد بن جبير قال كانت السموات والأرضون ملتزقتين فلما رفع السماء وابتزها من الأرض فكان فتقها الذى ذكر الله وذكر ابن كثير فى نقله عن ابن جبير كانت السماء والأرض ملتزقتين فلما رفع السماء وآبرز منها الأرض كان ذلك فتقهما الذى ذكر الله فى كتابه . (٣)

٢ - ان السموات والأرض كانتا جميعا ففصل الله بينهما بهذا الهواء وهذا مانقل عن الحسن وقتادة . (٤)

---

(١) الفروق اللغوية لابى هلال العسكرى ص ١٢٥
(٢) جامع البيان للطبرى ١٨/١٧
(٣) الدر المنثور للسيوطى ٦٢٦/٥ ، تفسير ابن كثير ١٧٧/٣
(٤) تفسير الطبرى جامع البيان ١٨/١٧ ، وتفسير ابن كثير ١٧٧/٣

٣ - ونقل عن مجاهد وأبى صالح الحنفى [١] كانت الأرض رتقا والسموات رتقا ففتق من السماء سبع سموات ومن الأرض سبع أرضين وزاد مجاهد ولم تكن الأرض والسماء متماستين . وكما نقل القرطبى عن بعضهم قال: " كانت السماء مخلوقه وحدها والأرض مخلوقه وحدها ففتق من هذه سبع سموات وفتق من هذه سبع أرضين". [٢]

٤ - نقل عن ابن عباس وغيره قال" كانت السموات رتقا لاتمطر وكانت الأرض رتقا لاتنبت فلما خلق للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات" وهذا ماذهب اليه ابن عمر رضى الله عنهما كما نقل ابن كثير فى تفسيره .

وقد رجح ابن جرير الطبرى هذا الوجه فى تفسيره واستدل لذلك بقوله تعالى " وجعلنا من الماء كل شىء حى " وقال" لم يعقب جل ثناؤه ذلك بوصف الماء بهذه الصفه الا والذى تقدمه من ذكر اسبابه ". وقد اجاب على المعترض الذى يرى ان الغيث انما ينزل من السماء الدنيا ؟ بقوله ان ذلك مختلف فيه ولو كان ذلك أيضا اى أنه ينزل من السماء الدنيا لم يكن فى قوله (أن السموات والأرض) دليل على خلاف ماقلنا لأنه لايمنع أن يقال السموات والمراد منها واحدة فتجمع لأن كل قطعة منها سماء . [٣]

---

(١) أبو صالح الحنفى هو عبدالرحمن بن قيس الكوفى ثقة من الطبقة الثالثه تهذيب التهذيب ٢٥٦/٦ وتقريب التهذيب ٤٩٥/١ .
(٢) كتاب العظمه لأبى الشيخ الاصفهانى ١٠٢٥/٣ تحقيق رضاء الله المباكفورى الطبعة الاولى لعام ١٤٠٨ هـ - دار العاصمه الرياض ، جامع البيان للطبرى ١٨/١٧ ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٢٨٣/١١
(٣) جامع البيان للطبرى ١٩/١٧

والى هذا ذهب اكثر المفسرين وقال القرطبى :"وبه يقع الاعتبار مشاهدة ومعاينه ولذلك أخبر بذلك فى غير ما آيه ليدل على كمال قدرته ، وعلى البعث والجزاء ". (١)

وتفسير الرتق والفتق بهذا الوجه يدل على أن المراد بالسموات جهة العلو أو السماء الدنيا والجمع بأعتبار الآفاق أو السموات جميعا على أن لها مدخلا فى الامطار وقد ذكر ذلك أبوالسعود والالوسى فى تفسيرهما. (٢)
وقال الرازى "ان تفسير الرتق والفتق للسموات والأرض بهذا الوجه لايليق الا وللماء تعلق بما تقدم ". (٣)

٥ - أن الليل سابق النهار وقد كانت السموات والأرض مظلمه أولا ففتقهما الله تعالى باظهار النهار المبصر ونقل ذلك عن ابن عباس حنيما سئل عن الليل كان قبل أم النهار ؟

قال الليل ثم قرأ " او لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما " فهل تعلمون كان بينهما الا ظلمه ". (٤)

٦ - قول ابى مسلم الأصفهانى يجوز أن يراد بالفتق الايجاد والاظهار كقوله تعالى : ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ فأخبر عن الايجاد بلفظ الفتق وعن الحال قبل الايجاد بلفظ الرتق . (٥)

ولقد حقق الرازى فى تفسيره هذا القول أن العدم نفى محض فليس فيه ذوات مميزه وأعيان متباينه بل كأنه أمر واحد متصل متشابه فاذا وجدت

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٢٨٤/١١
(٢) تفسير ابو السعود - ارشاد العقل السليم ٦٩٨/٣ ، روح المعانى للالوسى ٣٦/١٧
(٣) تفسير الرازى ١٦٣/٢٢
(٤) تفسير ابن كثير ١٧٧/٣ ، والدر المنثور للسيوطى ٦٢٥/٥
(٥) تفسير الرازى ١٦٣/٢٢ ، روح المعانى للالوسى ٣٤/١٧

الحقائق فعند الوجود والتكوين يتميز بعضها عن بعض وينفصل بعضها عن بعض ، فبهذا الطريق حسن جعل الرتق مجازا عن العدم والفتق عن الوجود .

كما ذكر الرازى ان ارجح الاقوال الاليق بالظاهر على حسب تعبيره هو أن الظاهر يقتضى ان السماء على ماهى عليه والأرض على ماهى عليه كانتا رتقا ولايجوز كونهما كذلك الا وهما موجودات والرتق ضد الفتق فاذا كان الفتق هو المفارقه فالرتق يجب ان يكون هو الملازمه وعلى هذا صار الوجهان وهما :

١ - ان الفتق هو الايجاد والاظهار وان الرتق الحال قبل الايجاد .

٢ - وان الفتق هو اظهار النهار المبصر حيث الليل سابق عليه .

مرجوحين وتصبح الاقوال الاخرى راجحه حسب الترتيب التالى

أولا : ان السموات والأرض كانتا ملتزقتين ففتقهما الله تعالى .

ثانيا : ان كل واحدة منهما كانت رتقا ففتقهما الله بأن جعل كل واحدة منهما سبعا .

ثالثا : ان السموات كانت رتقا لاتمطر والأرض رتقا لاتنبت ففتق الاولى بالمطر والثانية بالنبات .

وقد ذهب ابن كثير فى تفسيره الى ان الرتق والفتق للسموات والأرض هو أتصالهما بعضا ببعض متلاصق متراكم بعضه فوق بعض فى ابتداء الامر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والأرض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمطرت السماء وانبتت الأرض . (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ١٧٦/٣

الرتق والفتق من خلال نتائج العلم الحديث :

اما بالنسبة لاقوال علماء الفلك والجيولوجيا عن نشأة الأرض فانهم لايزالون مختلفين فى ذلك ولكن هناك نظريات الكون . هذه النظريات سنتعرض لها فى فصل لاحق هو العقائد الوثنيه لكن مايهمنا فى الأمر أن من هذه النظريات التى تفسر نشأة الكون نظرية تقول : " كان الكون عبارة عن كرة نار مبدئية ساخنه ضخمه ذات كثافة عاليه احتوت كل المادة والطاقة فى الكون ثم انفجرت كرة النار الى غازات سريعة التمدد فأخذت المادة التى تتكون منها هذه الغازات فى التجمع والتكتل بتأثير قوى الجاذبية أو غيرها وتكوين التجمعات الهائله . ثم ان الحركة الدواميه داخل التجمع الغازى تسبب ما يؤدى الى تكوين الأجسام الصغيرة وبهذا تكونت ملايين النجوم . وبهذه الطريقة ولدت الشمس ، وأرضنا هى الكوكب الذى تكون مع النجم الخاص بها وهو الشمس ثم أن الأرض والكواكب الأخرى انفصلت عن الشمس خلال عملية التراكم والتكثف من هذه البقايا السماويه ".(١)

وقد ذهب بعض العلماء المسلمين المعاصرين الى القول بهذا فى تفسير قوله تعالى : ﴿ او لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقاهما وجعلنا من الماء كل شئ حى ﴾

فقال فى معرض حديثه عن نشوء السموات والارضين بعد ان عرض الآيات المتعلقه بنشأة السموات والأرض .

١ -" أن أول ما خلق الله من المادة الكونيه هو اجرام السموات غير الأرضين

٢ - ثم كون من هذه السموات بعد خلقها - اى من النجوم - اجرام الأرضين

(١) آفاق جديدة فى علم الفلك - جون براندت ، ستيفن مارات ص ١٠ - ترجمة احمد حسين سلامه و د. ممدوح اسحق ونس - مكتبة الوعى العربى - مبادئ الكونيات ص ١٨٢ بتصرف

أى الكواكب فكانت ملتحمه مع النجوم رتقا ثم فصل تعالى بينهما بالفتق أى أن النجوم كانت المقر الذى قذفت منه الأرضون فى الفضاء ثم اكمل خلقها .

٣ - وأن النجم الذى كونت منه أرض ، ثم فتقت منه هو النجم الذى بقيت بعد فتقها منه ملازمه له ، وصار بينهما مطاوعة فى الحركة والتفاعلات .

٤ - وأنه بناء على ماتقدم وما تدل عليه المشاهدة تكون الشمس هى النجم الذى خلق منه جرم أرض الأنسان ثم فتق منه ".(١)

وذكر الدكتور العبادى فى كتابه " العلم الحديث حجه للانسان أم عليه ؟ فقال :-

"ان القول بنظرية انفصال الأرض عن الشمس أثناء دورانها الشديد حول نفسها مبنى على الحدس والتخمين لا اكثر ولا أقل وانى أرى أن هذه النظرية مخالفة للحقيقة من وجوه .

١ - أن الله تعالى قال فى كتابه الكريم ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء .... ﴾ (البقرة : ٢٩) فالآية تثبت ان خلق الأرض مستقل لاعلاقة له بالشمس ولو كان الامر كذلك لذكره سبحانه فى كتابه العزيز صراحة وليس هناك مايمنع . كما قال فى الآية الأخرى ﴿ او لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما .... ﴾ .

---

(١) التفسير العلمى للآيات الكونيه فى القرآن - حنفى احمد ص ٢٢١ الطبعة الثالثة - دار المعارف القاهره .

٢ - ان الله تعالى قد ذكر فى بدء خلقه أنه خلق السموات والأرض ولم يذكر الشمس بلفظها معهما ، وهذا يعنى ان خلق الأرض سابق على خلق الشمس والنجوم والكواكب الأخرى .

٣ - كيف يثبتون ان هذه النظرية حقيقة مالم يتحصلوا على اجزاء من الشمس ليحللوا ذلك هل هى فعلا مطابقة لمادة الأرض أم لا . لكى يبرهنوا على أنها جزء من الشمس .

٤ - اذا كانت الأرض جزءا من الشمس والشمس كما نعرف مادتها ملتهبة دائما وباستمرار ومضيئة فى حد ذاتها فما المانع من أن تكون الأرض كالشمس لأنها جزء منها".(١)

ولم يثبت حتى الآن حقيقة علمية تفسر لنا فتق السموات والأرض يمكن الركون اليها فى فهم الآية .

النتائج المستفادة من آية الرتق والفتق للسموات والأرض مع غيرها من الآيات :-

اذا استعرضنا مع آية الرتق والفتق للسموات والأرض قوله تعالى:

﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم ﴾ (البقرة : ٢٩) وقوله تعالى :

﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا آتينا طائعين فقضهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا

(١) العلم الحديث حجة للانسان أم عليه ؟ د. عبدالله العبادى ٢٨/٢ - الطبعة الاولى لعام ١٤٠٥ هـ - دار الثقافة للنشر - قطر الدوحة .

بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (فصلت : ٩ - ١٢)

يمكن ان نستفيد من ظاهر النصوص النتائج التاليـــــه .

أولا :

ان ارجح الاقوال فى الرتق والفتق للسموات والأرض والله اعلم هـــو ماذهب اليه ابن عباس رضى الله عنهما ان السموات والأرض كانتـــا ملتزقتين أو ملتصقتين ففتقهما الله سبحانه وتعالى بحيث ان الفتـــق ليس فصـــلا .

ثانيــا :

ان النصوص القرآنية توضح لنا مـادة السماء هى الدخان لكن لم توضـح لنا ما هى مادة الأرض وقد يدل ذلك على انه فى لحظه الفتق لم تكـــن مادة الأرض مشابهة لمادة السماء وذلك لأسباب التاليـــه .

أ - معنى الفتق كما ذكر ابوهلال العسكرى فى فروقـه أن الفتق بين الشيئين الذين كانا ملتئمين أحدهما متصل بالآخر فاذا فرق بينهما فقد فتقـا واذا كان الشئ واحدا ففرق بعضه عن بعض قيل قطع وفصل وشق ولم يفـل فتـــق . (١)

ب - ما ذكر فى بعض الآثار التى وردت عن بعض الصحابه والتابعين مثـل :

- ماورد عن الحسن البصرى قال : " خلق الله الأرض فى موضع بيت المقـدس كهيئة الفهر - حجر من الحجاره (٢) - عليها دخان ملتزق بها ثـم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعه وبسط منـه الأرض فذلك قوله " كانتا رتقا " ذكر ذلك النيسابورى وأبو السعـود

(١) الفروق اللغويـــة ص ١٢٥

(٢) مقاييس اللغـــة ٤٥٦/٤

والالوسى في تفاسيرهم .[1]

- ماروى عن ابن عباس وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا قبل الماء فلما اراد أن يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فأرتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم آيبس الماء فجعلها واحدة) وقد نقلت هذه الروايه في أكثر كتب التفسير .[2]

- عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس :" كان يصعد الى السماء بخار كبخار الأنهار فأستصبر فعاد صبيرا . فذلك قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان ﴾"[3] والصبير سحاب آبيض متراكب متكاثف ، يعنى تكاثف البخار وتراكم فصار سحابا .[4]

وهذا الاثر عن ابن عباس يوضح الاثر الذى قاله الحسن بأن الأرض كهيئة " قطعة الحجر " والدخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات .

<u>ثالثا</u> :

ان المقصود بالسموات مجمل السموات عن مجمل الأرض ويشمل ذلك كل ما فى الفضاء الكونى مما يعلو روؤسنا وليس السموات السبع فقط لأنه لو كان ذلك لخصت بالعدد سبعة كما ورد فى آيات كثيره عند مايريد الحق سبحانه الكلام عن السموات السبع بذاتها مثل قوله تعالى : ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾ (المؤمنون : ٨٦) .

---

(١) غرائب القرآن للنيسابورى ٢٢٦/١ - تفسير ابو السعود ١٣٦/١ - روح المعانى ٣٥/١٧ .
(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٢٥٦/١ ، جامع البيان للطبرى ١٩٤/١
(٣) مرويات ابن عباس فى التفسير من كتب السنه - د. عبدالعزيز الحميدى ٤٨٢/١ - جامعة أم القرى - مركز البحث العلمى واحياء التراث .
(٤) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٨/٣

رابعـــــا :

ان عملية الفتق سابقة للاستواء الى السماء وتسويتها سبعا بدلا لـــة ثم التى تفيد ترتيب الاخبار كما ذهب الى ذلك اكثر المفسرين حينمـــا تحدثوا عن أيهما خلق قبلا السموات اما الأرض .

اتجاهات المفسريـــن فى أيهما تقدم خلقه السموات أم الأرض :

اختلف المفسرون فى ذلك ولعل السبب ماورد فى النصوص القرآنية حيـــث تارة يقدم ذكر السموات على الأرض وفى تارة أخرى يقدم ذكر الأرض علـــى ذكر السموات وكذلك الدلالة اللفظيه لمعنى خلق ومايراد منها وكذلـــك ماورد عن الصحابة والتابعين من الآثار فى خلق السموات والأرض .

وكما دل عليه ظاهر الآيـــات فـــى

- قوله تعالى : ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الـــى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم ﴾ (البقـــرة : ٢٩) .

- وقوله تعالى : ﴿ أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلـــون له اندادا ذلك رب العالمين .... ﴾ الآيـــات (فصلت : ٩ - ١٢) .

- وقوله تعالى : ﴿ آنتم أشد خلقا أم السماء بناها . رفع سمكهـــا فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاهـــا أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ﴾ (النازعات : ٢٧ - ٣٢)

وكانت اقوالهم فى ذلك الى اتجاهين همـــا

أولا :

ان الأرض خلقت قبل السماء وهذا قول مجاهد .[1] وهذا ماذهب اليـــه أكثر المفسرين وقد استدلوا بما روى عن ابن عباس فى ان الأرض خلقـــت قبل السماء . فقد اورد الامام البخارى فى صحيحه (ان رجلا قـــال

(١) جامع البيـــان للطبرى ١٩٤/١ .

لابن عباس : انى أجد فى القرآن أشياء تختلف على قال : ماهو ؟ .....
وذكر منها قوله تعالى : ﴿ ام السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ فذكر خلق السماء قبل الارض ثم قال : ﴿ أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين ..... ﴾ الى قوله " طائعين " فذكر فى هذه خلق الأرض قبل السموات ... فقال ابن عباس ... خلق الأرض فى يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن فى يومين آخرين ثم دحا الأرض .....) الحديث [١]
وهناك قول آخر اورده القرطبى لمن احتج بخلق الارض اولا عن ابن عباس قال :"ان أول ما خلق الله عز وجل من شئ القلم فقال له اكتب . فقال: يارب وما اكتب ؟ قال : اكتب القدر . فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم الى قيام الساعة . قال ثم خلق النون - نوع من الحوت الضخم فدحا الأرض عليها فأرتفع بخار الماء ففتق منه السموات واضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال وان الجبال على الأرض الى اليوم" [٢]

ثانيا :

ان السماء خلقت قبل الأرض وهذا قول قتادة ومقاتل" [٣] ولقد رجح القرطبى هذا الوجه فقال : "وقول قتادة يخرج على وجه صحيح ان شاء الله تعالى وهو أن الله خلق اولا دخان السماء ثم خلق الأرض ثم استوى الى السماء وهى دخان فسواها ثم دحا الأرض بعد ذلك". وقد آستدل القرطبى على أن الدخان خلق أولا قبل الأرض بما روى عن ابن مسعود

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٨/٥٥٥ ، صحيح البخارى ٦/١٥٩ كتاب التفسير " سورة فصلت " .
(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ١/٢٥٧
(٣) المصدر السابق ١/٢٥٥ ، روح المعانى للالوسى ١/٢١٦

وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالـــــــــى :

﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم آستوى الى السماء فسواهــن سبع سموات ﴾ قال : "ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولـم يخلق شيئا قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق اخرج من الماء دخانـا فأرتفع فوق الماء فسما عليه ، فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعلـــه أرضـــا واحدة ." (١)

أما الامام الرازى فقد ذهب الى ان السماء خلقت قبل الأرض واحتج لذلـك بثلاثة وجـــوه

١ - احتج بآية النازعات وقال "ان تدحيه الأرض ملازمة لخلـــق ذات الأرض وأن الأرض جسم عظيم فأمتنع انفكاك خلقها عن التدحية فبذلك يقتضـــى أن يكون خلق السماء وتسويتها مقدم على تدحيه الأرض".

٢ - احتج بأن " ثم " فى آية البقرة ﴿ هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء ..... ﴾ ليست لترتيب الاخبار وانما هى علـــى جهة تعديد النعم . (٢)

٣ - كما قال" ان الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد والدليل قوله تعالى: ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (آل عمران : ٥٩) فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين لكـــان تقدير الآيـة أوجده من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال ، لأنـــه يلزم أنه تعالى قد قال للشئ الذى وجدكن ثم انه يكون وهذا محـــال

---

(١) المصدر السابــــق ٢٥٦/١

(٢) تفسيـــر الرازى ١٥٥/٢

فثبت أن الخلق ليس عبارة عن التكوين بل هو عبارة عن التقدير والتقدير فى حق الله تعالى هو حكمه بأنه سيوجده وقضاؤه بذلك . وقضاؤه لايعنى حدوثه فى الحال".(١)

وكلام الرازى بأن الخلق ليس هو الايجاد والتكوين بل هو التقدير فيه نظر ذلك بأن أهل اللغة قالوا ": (الخلق فى كلام العرب على وجهين : أحدهما الانشاء على مثال أبدعه ، والآخر التقدير" .(٢) لكن الصحيح والله اعلم ان الخلق ايجاد متضمن معنى التقدير . وأول مراحل الايجاد .

وقد ذهب بعض المفسرين فى عصرنا الحديث الى الأخذ بقول الرازى وأستدل لذلك بوجهين من الادلة . (٣)

أ - "ان النصوص القرآنية ورد فيها لفظ السماء او السموات مقترنا مع لفظ الأرض لايقل عن مئتين وثلاثين مرة بحيث ورد لفظ السموات متقدما على لفظ الأرض لايقل عن مائة وتسعين مرة اما بالنسبة لورود لفظ الأرض متقدما على لفظ السماء فقد تكرر ست عشره مرة وان ثلثى هذه الآيات تشير الى خلقهما . وبالرغم آن واو العطف لاتفيد الترتيب الا بصارف أو قرينه فانه يرى فى كثرة ورود لفظ السموات متقدما على لفظ الأرض قرينه كافية على الأقل لترجيح آن السموات خلقت قبل الأرض .

ب - أن قول الله تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن .. .. ﴾ الاية (الطلاق : ١٢) . شبه الأرض بالسموات فى المثليه

---

(١) المصدر السابق ١٠٧/٢٧

(٢) لسان العرب لابن منظور ٨٥/١٠

(٣) التفسير العلمى للأيات الكونية فى القرآن - حنفى أحمد ص ٢٢١ - ٢٢٣

فالجاري في العرف عند التعبير بايجاد شيء شبيه بآخر سابق عليه في الوجود أن يكون الشبيه بعد المشبه به ومن هذا يمكن ترجيح ان السموات خلقت قبل الأرض".

وقد أجيب على الرازي في هذا الرأي فقال النيسابوري في تفسيره. "أن خلق السموات قبل الأرض صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الأشرف. فالأشرف والألطف فالألطف ان ساعده النقل والا فلا أحالة في أنه تعالى خلق الأرض اولا في غاية الصغر وجعل فيها أصول الجبال ووضع البركة وقدر الأقوات ثم استوى الى السماء فسواهن سبعا. ثم دحا الأرض بأن جعلها أعظم مما كانت عليه كهيئتها الآن".(1) كما ذهب الالوسي الى دفع ما أستشكل على الرازي من تأخر دحو الأرض عن خلقها بما ذهب اليه النيسابوري من أن الأرض خلقت اولا كهيئة الفهر ثم دحيت وأن المراد من خلقها اولا خلق المواد والأصول لاخلق الاشياء فيها كما هو اليوم. (2)

كما أن للألوسي في هذا البحث كلام طويل في سورة فصلت.

وقد اختلفت الأقاويل في أيهما خلق قبلا السماء أم الأرض. وقد ذكر القرطبي في آخر هذا البحث قوله " ان الاجتهاد ليس له مدخل في ذلك "

---

(1) غرائب القرآن للنيسابوري ٢٦٦/١

(2) روح المعاني للألوسي ٢١٦/١

الفصل الثاني

بناء السماء ودحو الآرض

ويشتمل على المباحث :

اولا : بناء السماء

ثانيا: دحو الارض .

المبحث الأول

بناء السماء :

لقد ذكر سبحانه فى خلق السماء ان من الأشياء التى تضمنت هذا الخلق هو عمليه البناء ودعانا الى النظر فى هذه السماء والتفكر فى بنائها فقال عز من قائل ﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزينها ومالها من فروج ﴾ (ق : ٦) ٠

وبامعان النظر فى هذا البناء فى مواضع آخرى من كتاب الله عز وجل نجد انه سبحانه وصفه بالشدة فقال:﴿ وبنينا فوقكم سبعا شداد ﴾ (النبأ : ١٢) ٠

كما وصفه بأنه محبوك فقال تعالى:﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ (الذاريات:٧) ووصفه بأنه مرفوع السمك فقال تعالى : ﴿ آنتم آشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ﴾ (النازعات : ٢٧) ٠ كما وصفه بأنه ذو عمد غير مرئية على حسب اختلاف المفسرين بالمقصود بها فقال عز من قائل فى موضعين من كتابه العزيز ﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم أستوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ (الرعد : ٢) ٠ وقال تعالى : ﴿ خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى ان تميد بكم وبث فيها من كل دابه وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ (لقمان : ١٠) ٠

كما وصف هذا البناء بأنه طباق فقال تعالى : ﴿ الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ﴾ (نوح : ١٥) ٠ وأنه لايوجد فيه التفاوت قال تعالى : ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ﴾ (الملك : ٣٠) ٠

فما المقصود بالبناء ؟ ولماذا خصت السماء بهذا الوصف ؟ وما المقصود بالطباق ؟ والحبك والسمك ؟ وما قول المفسرين فى العمد التى اشير اليها فى الآيات ؟ وماهو تفسير علم الفلك لهما ؟

ما المقصود بالبناء ؟ ولما خصت السماء بهذا الوصف ؟ :-

بالرجوع الى النصوص القرآنية التى توضح لنا المادة التى خلقت منها السماء نجد انها الدخان وهذا الدخان هو بخار الماء كما ورد فى كثير من الاثار التى وردت عن الصحابه والتابعين . ذكر ذلك ابن تيميه فى فتاويه فى اكثر من موضع .(١)

ونحن نعرف ان حالات المادة لاتتعدى ثلاث حالات هى :

١ - الحالة الغازيه والتى فيها قوى الترابط بين جزئيات المادة تكاد تكون منعدمه بحيث لايمكن ملاحظة هذا الترابط بين الجزئيات .

٢ - الحالة السائله والتى فيها قوى الترابط بين جزئيات المادة أكبر بكثير من الحالة الغازية بحيث يلاحظ تحرك الجزئيات فى هذه الحالة عند انسياب السوائل .

٣ - الحالة الصلبه والتى فيها قوى الترابط بين جزئيات المادة شديدة بحيث لايرى تحرك هذه الجزئيات وانما يلاحظ عليها حالة السكون .

فالسماء عندما كانت فى حالة الدخان كان حاله من حالات المادة وهو الحالة الغازية التى تعتبر أصل المادة كما أشارت النصوص القرآنية ونتائج العلم الحديث حيث سمى الدخان " بأسم السديم " .(٢) فسواها

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه ٥/٥٦٤ - جمع وترتيب عبدالرحمن النجدى مكتبه ابن تيميه - مصر .

(٢) مبادىء الكونيات للأمين محمد كعوره ص ١٨٢ ، الموسوعه العلميه الحديثه - الكون - كولين رونان - ص ٧٦ - الاهليه للنشر والتوزيع - بيروت لعام ١٩٨٥ م .

سبحانه وتعالى سبعا وجعلها كالبناء واذا رجعنا لمعنى كلمة بنى فى اللغه نجد أنها تعنى ضم الشئ بعضه الى بعض . (١)

فقد ضمت جزئيات هذه المادة التى كانت فى حالة الغاز - التى قال عنها سبحانه بأنها الدخان - الى بعضها البعض وشدت شدا محكما بقوى الترابط فيما بينها فأصبحت بناءا محبوكا .

كذلك يمكن ان يستفاد من كلمة البناء معانى أخرى توضح لماذا خصت السماء بهذا الوصف وذلك بالرجوع الى اللغه والآثار الواردة فى ذلك . فقد ذكر ابن الاثير فى غريب الحديث " أن الابتناء والبناء: الدخول بالزوجه . والأصل فيه أن الرجل كان اذا تزوج امرأة بنى عليها قبة فيقال بنى الرجل على أهلة ".(٢)

والبناء واحد الابنيه وهى البيوت تسكنها العرب فى الصحراء منها الاطراف والخباء والبناء والقبه والمضرب . وسمى البناء بناءا لأنه لازم موضع لايزول من مكان الى غيره .(٣)

ويستفاد من مجمل الاقوال ان السماء تأخذ شكلا كالقبة على الأرض ويؤيد هذا ماوراه جبير بن مطعم وعبدالله بن عمرو بن حرام عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله على عرشه فوق سماواته وسماواته فوق أراضيه مثل القبه)(٤) وكذلك ما أورده ابن جرير فى تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . (أن بناء السماء على الأرض كهيئة القبة وهى سقف الأرض).(٥)

---

(١) مقاييس اللغه لابن فارس ٣٠٢/١
(٢) النهاية فى غريب الحديث ١٥٨/١
(٣) لسان العرب لابن منظور ٩٤/١٤ - ٩٥
(٤) خلق افعال العباد للأمام البخارى ص ٢٠ - الطبعة الاولى لعام ١٤٠٤ - مؤسسة الرسالة .
(٥) جامع البيان للطبرى ١٦٢/١

اذاً فبناء السماء يأخذ الشكل الكرى وهذا مانقله ابن كثير في تاريخه عن ابن حزم وابو الفرج ابن الجوزى وغير واحد من العلماء الاجماع على ان السموات والأرض كرة مستديرة . (١)

وذكر ذلك ابن تيميه فى الفتاوى فى اكثر من موضع وقال " ان السموات مستديرة عند علماء المسلمين وحكى الاجماع فى ذلك عن اكثر من واحد من علماء أئمة الاسلام وأن العلماء رووا ذلك بالأسانيد المعروفه عن الصحابه والتابعين " (٢)

والشكل الكرى لايكون الا مستديرا . وقال ابن تيميه فى موضع آخر من فتاويه " ان السماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانية كرية وكذا الباقى " (٣)

واذا نظرنا الى الاشكال الهندسية فانا نلاحظ انه لايوجد اكمل من الشكل الكرى لكمال انتظام جميع اجزائه بالنسبه الى المركز . فسبحان الخالق يوضح لنا حكمته وبديع صنعه فى بنائه للسماء بأكمل الاشكال الهندسية انتظاما لاتفاوت فى اجزائها .

الاوصاف الأخرى التى وصفت بها السماء :

ان السماء التى اخذت الشكل الكرى الذى هو أكمل الاشكال الهندسية وصفت بأوصاف أخرى كما ورد فى النصوص القرآنية . منها أنها أخذت الشكل الطبقى مرفوعة السمك شديدة محبوكة وأنها بغير عمد مرئية .

ومادة طبق فى اللغة تدل على وضع شئ مبسوط على مثله حتى يغطيه

---

(١) البدايه والنهاية لابن كثير ٢٧/١ ـ الطبعة الاولى لعام ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتب العلميه ـ بيروت .
(٢) الفتاوى لابن تيميه ٥٨٦/٦
(٣) المصدر السابق ١٥٠/٥

ويقال لما علا الأرض حتى غطاها هو طبق الأرض.[(١)] ويستعمل الطباق في الشيء الذي يكون فوق الآخر تارة وفيما يوافق غيره تارة ، ثم يستعمل في أحدهما دون الآخر.[(٢)] ويذكر صاحب اللسان" ان قولك طابقت بين الشيئين اذا جعلتهما على حذو واحد وأن السموات الطباق سميت بذلك لمطابقة بعضها بعضا اى فوق بعض ، وقيل لأن بعضها مطبق على بعض".[(٣)] والمعنى الأخير صحيح أيضا والمقصود أنهما غير متلاصقان بل منغلقة كل واحدة على الأخرى محيطة بها لأن الأحاديث والآثار تشير الى أن بين كل سماء والأخرى مسيرة خمسمائة عام .

وكما قال سبحانه في وصفها أيضا ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ (المؤمنون : ١٧) . وقد ذكر القرطبي في تفسيره " أن العرب تسمى كل شيء فوق الآخر طريقة " .[(٤)]

وذكر الالوسى نقلا عن ابن عطية :"يجوز أن يكون الطرائق بمعنى المبسوطات من طرقت الحديد اذا بسطته". وذكر الالوسى ان هذا القول لاينافى القول بكريتها .[(٥)]

اما بالنسبة للسمك فيقول أهل اللغه ان " السين والميم والكاف أصل واحد يدل على العلو ، يقال سمك اذا ارتفع". [(٦)]

ويذكر صاحب اللسان " أن السمك يجيء في مواضع بمعنى السقف . والسماء مسموكة اى مرفوعة . والسامك : العالى المرتفع " .[(٧)]

---

(١) مقاييس اللغه لابن فارس ٤٣٩/٣
(٢) المفردات للاصفهاني ص ٣٠١
(٣) لسان العرب لابن منظور ٢٠٩/١٠
(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١١١/١٢
(٥) روح المعاني للألوسى ١٨/١٨
(٦) مقاييس اللغة ١٠٢/٣
(٧) لسان العرب ٤٤٤/١٠

وقد ذهب اكثر المفسرين الى ان المقصود بقوله تعالى : ﴿ رفع سمكها فسواها ﴾ هو اعلا سقفها وبنياها . وذكر الزمخشري في تفسيره أن معنى رفع سمكها أي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام .[1] وقد يراد بالسمك والله أعلم أنه غلظ السماء وكثفها فانه ورد في الأحاديث والآثار أن كثف كل سماء مسيرة خمسمائة عام فقد ورد في مسند الامام احمد عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال : (كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء فمرت سحابة فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا قلنا : السحاب قال : والمزن قلنا : والمزن قال : والعنان فسكتنا فقال : هل تدرون كم بين السماء والأرض قال : قلنا الله ورسوله اعلم قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة ...) الحديث .[2] وذكر ابو الشيخ في العظمه والسيوطي في الدر عن عبدالله ابن مسعود قال (مابين السماء والأرض خمسمائة عام وما بين كل سماء خمسمائة عام ومصير كل سماء - يعني غلظ ذلك - مسيرة خمسمائة عام ....) الأثر [3]

ومن المعلوم ان المراد بالكثف والغلظ غير السقف وعلو البنيان وأن كان الغلظ والكثف فيه من العلو فلا بد أن نلحظ هذا الكثف يوضح لنا عن متنانة بناء السماء التي وصفها سبحانه بأنها شديدة . وتوضح جوانب آخرى ان هذا البناء ذو الكثافة العالية لايمكن ان يكون

---

(١) الكشاف للزمخشري ١٨٢/٤ - دار المعرفة - بيروت

(٢) مسند الامام احمد ٢٠٦/١

(٣) كتاب العظمه لابى الشيخ الاصفهاني ٥٦٥/٢ ، والدر المنثور للسيوطي ١٠٨/١

فيه فرجة من الفروج قال تعالى : ﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾ (ق : ٦) .

الجانب العلمى المتضح من الحديث والأثر :

ان الجانب العلمى فى ذلك هو المسافات الشاسعة بين الاجرام السماوية التى تقدر بملايين السنوات الضوئية حيث السنة الضوئية هى مقدار سير الضوء بسرعته المعروفه (٣٠٠٠٠٠ كم فى الثانيه) .

وقد يقول قائل ان المدة المحددة فى الحديث والأثر هى خمسمائة عام وأنت تقول ملايين السنوات وهذا بون شاسع بين ماتقول وبين المدة المحددة فى الحديث والأثر قلنا ان نص الحديث والأثر لم يحدد سرعة السير بين السماء والأرض التى أعطت هذه المدة وانما هذا زمن نسبى للسرعة غير المحدودة للسير خلال الخمسمائة عام .

وان كان قد اجتهد بعض العلماء وقدروا هذه السرعة بسرعة الراكب للخيل لكن هذا يتنافى مع السرعات العاليه التى تلاحظ فى عصرنا الحاضر.

اذا فالزمن المقدر فى الحديث يعتبر زمنا نسبيا ذلك لأن الزمن فى الكون لاعلاقة له بالأحداث الارضيه وزماننا الارضى . وأنما نستفيد من الزمن المذكور هو سعة السماء فاذا كان غلظها خمسمائه عام وهى كرية الشكل الذى يعنى أن هذا الغلظ فى جميع الاتجاهات بمقدار خمسمائه عام بالاضافة الى المسافة بين السماء والأرض خمسمائه عام فان ذلك دلالة أنها أبعاد عظيمه لايتصورها بشر فسبحان خالق الكون الذى ابدع فى بناء السماء وجعلها متراميه الاطراف بهذه الابعاد التى وسعت جميع الاجرام السماوية وبينها هذا الفضاء الواسع الذى يعتبر لنا نحن البشر لانهاية له ولايمكن ان نتخيل ذلك .

ورغم ذلك فقد زينت هذه السماء بهذه الاجرام التى تصدر الضوء أوتعكسه هذه الاجرام التى شدت بين بعضها البعض بروابط قوية .

الروابط التى بين الاجرام السماوية :

ماهى الروابط التى تشد الاجرام السماوية بعضها بعضا ؟

نجد القرآن الكريم يعطنا الجواب فيقول جل وعلا ﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ (الرعد : ٢) .

ويقول سبحانه ﴿ الم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا بأذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ (الحج : ٦٥) . ويقول فى موضع آخر ﴿ ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا ﴾ (فاطر : ٤١) . كما يلفتنا سبحانه الى التفكر فى كيفيه رفع السماء فقال عزوجل ﴿ افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ﴾ (الغاشية : ١٧ : ١٨) .

فهذه دعوة منه سبحانه للنظر فى كيفيه رفع السماء وأن ذلك دلالة على قدرته سبحانه فهو الممسك بها سبحانه حتى لاتقع على الأرض وحتى لاتزول الا فى الحين الذى اراده سبحانه رحمة ورأفه بالناس فقدر سبحانه أسبابا وأمورا لأمساك السماء من الوقوع على الارض وهى الاعمدة غير المرئية التى أشار اليها سبحانه فى كتابة مع اختلاف وجهة المفسرين فيها على قولين .

أولا : أنها عمد غير مرئيه وهو قول ابن عباس ومجاهد ذكر ذلك الطبرى فى تفسيره .(١)

---

(١) جامع البيان ٩٣/١٣

وهو ماذهب اليه الرازى وقال "ان هذه العمد هى قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيرة وابقاؤه اياها فى الجو العالى وأنهم لايرون ذلك التدبير ولايعرفون كيفية ذلك الامساك". (١)

ثانيا :

أنها بغير عمد حملا للآية على ظاهرها وهو ماذهب اليه قتادة وغيره(٢) ومال اليه الطبرى وابن كثير فى تفسيرهما وقال ابن كثير :" ان هذا هو اللائق بالسياق والظاهر من قوله تعالى:﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه ﴾ فعلى هذا يكون قوله تعالى : " ترونها " تأكيدا لنفى ذلك أى هى مرفوعة بغير عمد كما ترونها وهذا هو الأكمل فى القدرة ".(٣)

العمد من خلال نتائج العلم الحديث :

من جهة النظرة العلمية الفلكية الحديثة هناك تفسير لهذه العمد . لكن قبل ان نعرف هذا التفسير علينا ان نلحظ امرا ضروريا وهو ان العلم الحديث فى كل اكتشافاته ووصوله الى نتائج جديدة لايتعدى حدود السماء الدنيا كما أتضح لنا سابقا من البعد بين السماء والأرض وغلظ السماء . أما السموات الست الأخرى فان بنى البشر لايعلمون عنها شيئا بل هى غيب محجوب عنهم انما المصدر الوحيد لمعرفة اخبارها هو ماوردت به مصادر الوحى من الرسالات المبعوث بها الانبياء والرسل من ربهم سبحانه. علينا الايمان بها حتى نكون من الموصوفين بالايمان كما قال تعالى فى امتداح المؤمنين المتقين ﴿الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين

---

(١) تفسير الرازى ٢٣٢/١٨

(٢) جامع البيان للطبرى ٩٤/١٣ ، الجامع لاحكام القرآن ٢٧٩/٩

(٣) تفسير ابن كثير ٤٩٩/٢

يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقنا هم ينفقون • والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون • اولئك على من ربهم وآلئك هم المفلحون * (البقرة : ١ : ٥) •

اذا فما المقصود بالعمد غير المرئية التى رفعت بها السموات وما المراد بالسموات ؟

والجواب أنا نلاحظ فى العبارات القرآنية عندما تتحدث عن السموات ويكون هناك مجال للوصول الى علم ولو يسير عن كنهها وكيفية تكوينها يأتى الحديث عنها بصيغة الجمع غير المخصص بالعدد سبعة أو بصيغة المفرد فالسموات هنا يقصد بها والله أعلم معناها اللغوى كل ما علاك فأظلك اذاً جميع الاجرام السماوية من كواكب ونجوم ومجرات وما بينهما من الفضاء الكونى يدخل تحت هذا الجمع فاذا كان ذلك هو المراد فانا نستطيع ان نفسر المقصود بالعمد كما ذهب الى ذلك العلم الحديث وهى أعمدة مجال الجاذبية وهى لاترى أصلا بطبيعتها لأنها غير مادية كالعمد التى ترى فى رفع الخيام والعمائر •

فالجاذبية العامة قانون كونى جعله الله سبحانه وتعالى فى طبيعة الاشياء كلها ويعمل فى صمت فى الأرض والسماء •

والجاذبية على قدر ضآلتها فى الأرض فهى عارمة فى السماء حيث الكتل عظيمة هائلة تتماسك رغم تباعدها بفضل الله سبحانه وتعالى الذى جعل من هذه القوة ممسكا لأجرام السماء من الانفراط حتى يحين الوقت الذى يأمر سبحانه بأنتهاء هذا الكون •

فما هو هذا القانون وما نصه ؟

" ينص القانون على أن اى كتلتين فى الوجود بينهما قوة جذب • هذه القوة

تتناسب طرديا مع حاصل ضرب الكتلتين المتجاذبتين وعكسيا مع مربع المسافة الفاصلة بينهما ، أى أن :

قوة الجاذبية تزداد بازدياد كل من الكتلتين وتنقص بنقصهما بينما تزداد هذه القوة بنقص المسافة وتقل بازدياد المسافة ". (١)

هذا القانون أوضح لنا الأعمدة غير المرئية التى جعلها الله سبحانه وتعالى بين الاجرام السماوية وهو كما يتضح يقوم بجذب الاجرام الى بعضها وهذا يؤدى الى وقوعها على بعضها ويؤدى الى الدمار والنهاية لكن عناية الله سبحانه وتعالى بالبشر وقدرته أمسكت هذه الاجرام من الوقوع على بعضها وعلى الأرض فجعل لها نظام الحركة المعبر عنه بالسباحة فى قوله تعالى : ﴿ كل فى فلك يسبحون ﴾ هذه الحركة ينتج عنها قوة طرد تعادل قوة الجذب فتبقى فى مدارها لاتسقط حتى يأذن الله بذلك .

" وتأثير قوى التجاذب يساوى تأثير طاقة الحركة ومضادا له . وفق هذه المعادلة كانت الاجرام السماوية موضوعة فى الخريطة الكونية على أبعاد ثابته بين بعضها وبعض بصورة تضمن عدم السقوط والتصادم والاضطراب فى الافلاك .

ولايمكن ان يحدث هذا التعادل لو كانت حركة الاجسام والاجرام السماوية فى شكل مستقيم اذا لابد ان تكون حركة الاجرام دائرية منحنية" (٢) وهذا مايوضح لنا لماذا كان شكل السماء كريا .

---

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور محمد حسب النبى ص ٦٢ .
(٢) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - د. عبدالعليم خضر ص ١٤٧ الطبعة الثالثة لعام ١٤٠٧ هـ - الدار السعودية للنشر - جدة .

المبحث الثاني

دحو الأرض :

هذه الأرض التي تعتبر مجالا لخلافة الانسان لايقل شأن ذكرها في مصادر الوحي عن السماء فهما متلازمتان كالبيت الذي يتكون من السقف المظل والسطح المقل المعد للسكنى فكما تكرر ذكر السماء تكرر كذلك ذكر الأرض ٠

فما هي الاوصاف التي تضمنت خلق الأرض ؟

نجد العبارات القرآنية توضح كيفية مراحل خلق الارض بأوصاف عدة أغلب هذه الاوصاف ترد في معرض الامتنان من الله سبحانه وتعالى على عباده بأن جعل لهم هذه الأرض دار سكنى وسيادة ٠

ومن هذه الاوصاف التي تبين خلق الأرض ، فتقها عن السموات بعد أن كانت كل منهما مرتقة بالأخرى ثم دحو الارض وطحوها وتسطيحها ومدها وجعلها فراشا ومهادا وقرارا وغير ذلك من الاوصاف التي تشير الى مراحل تكوين الأرض قال تعالى : * والأرض بعد ذلك دحاها ٠ أخرج منها ماءها ومرعاها * (النازعات : ٣٠ - ٣١) ٠ وقال تعالى في معرض القسم * والأرض وما طحاها * (الشمس : ٦) وقال تعالى تنبيها لنا الى النظر في عجائب الكون والتفكر في كيفية حصول ذلك * والى الأرض كيف سطحت * (الغاشية : ٢٠) وقال تعالى : * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون * البقرة : ٢٢) ٠ وقال تعالى : * الم نجعل الأرض مهادا * (النبأ : ٦) ٠

وكما ذكرنا سابقا فلم تشير الآيات القرآنية الى المادة التي

خلقت منها الأرض كما أشارت الى مادة السماء وهى الدخان .

وبالرجوع الى آية الرتق والفتق للسموات والأرض والدلالة اللغوية لمعنى الفتق يتضح ان مادة خلق الأرض مخالفة لمادة خلق السماء ولو على الأقل لحظة الفتق وهذا يستبعد ان تكون الأرض فصلت عن الشمس لأن الشمس من زينة السماء الدنيا التى خلقت من الدخان .

هذا مايتعلق بخلق الأرض فما هو المراد بالاوصاف الأخرى التى وصفت بها الأرض كالدحو والطحو ؟ وما المستفاد منهما ؟ وما وجه الدلالة على ذلك من مد الأرض وتسطيحها وجعلها كالفراش الممهد الذى يمكن الاستقرار عليه ؟

الدحو والطحو وما هو المستفاد منهما :

" " دح " الدال والحاء أصل واحد يدل على اتساع وتبسط ، واندح بطنه اذا اتسع . والدحو يدل على بسط وتمهيد . ويقال دحا المطر الحصى عن وجه الأرض . وهذا يدل على تمهيد الأرض . وأدحى النعام: الموضع الذى يفرخ فيه لأنه يدحوه برجله ثم يبيض فيه ".(١)

وورد فى حديث عبدالله بن عمر الذى رواه البخارى " فدحا السيل فيه بالبطحاء ".(٢) وقد فسره ابن الاثير بمعنى رمى وألقى .(٣) ودحا البطن عظم واسترسل الى أسفل .(٤) والطحو أصل يدل على البسط والمد.(٥) والمدومة الطواحى هى النسور تستدير حول القتلى . والقوم يطحى بعضهم بعضا أى يدفع .(٦)

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٢٦٥/٢ ، ٣٣٣
(٢) جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير ٤٤٣/٣ - تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - دار الفكر - بيروت .
(٣) النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ١٠٦/٢
(٤) تاج العروس للزبيدى ١٢٤/١٠
(٥) مقاييس اللغة ٤٤٥/٣
(٦) لسان العرب لابن منظور ٥/١٥

اذاً نستفيد من مجمل الأقوال ان مادة الدحو والطحو تدل على الاشياء التالية :

١ - البسط والتوسيع والمد .

٢ - الدحرجه لأن السيل والمطر عندما يدحى الحصى والرمل انما يحركها ويحدث فيها الدحرجه .

٣ - التكوير فى التكوين من دحا البطن وعظم واسترسل ولايكون الا بشكل منحنى .

٤ - الازاحة والازالة من دحا السيل ومن موضع النعام الذى يفرخ فيه فهو يزيح الأرض برجله ثم يبيض .

فالبسط والتوسيع والمد قد يوضح لنا أن الأرض لم تكن لحظه خلقها بحجمها الحالى بل أصغر من ذلك لأن التوسيع والبسط يدلان على ذلك وقد ذهب النيسابورى والألوسى فى تفسيرهما الى ذلك حينما ورد الحديث عن أيهما خلق أولا السماء أم الأرض فقال النيسابورى : " لا احالة فى أنه تعالى خلق الأرض أولا فى غاية الصغر وجعل فيها أصول الجبال ووضع البركة وقدر الأقوات ثم استوى الى السماء فسواهن سبعا ثم دحا الأرض بأن جعلها أعظم مما كانت عليه كهيئتها الآن " (١)

أما الألوسى فقد ورد عنده بهذا المعنى حينما رد على أستشكال الرازى حينما قال " ان تدحيه الأرض لاتنفك عن خلقها لأنها جسم عظيم وأن من يقول بتأخر دحوها عن خلقها لايقول بعظمتها ابتداء " .(٢) وقد ورد عن الحسن البصرى أن (الأرض خلقت كهيئة الفهر) الفهر مؤنثه وهى الحجر من الحجارة . (٣)

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى ٢٢٦/١

(٢) روح المعانى للألوسى ٢١٦/١ ،(٣) مقاييس اللغه ٤٥٦/٤

وقد ذهبت بعض النظريات الحديثة الى ذلك حينما تحدثت عن الغلاف الغازى المحيط بالأرض تقول هذه النظرية " ان الأرض حين اكتمل حجمها بعد صغره استطاعت ايقاف أنفلات الغازات الخارجة من باطنها مع مكونات البراكين وبذلك بدأ الغلاف الغازى فى التكوين ". (١)

ولايمكن الجزم بهذه الاقوال بأنها كانت صغيرة ثم كبرت فنحن لم نشهد خلقها لكن لايوجد مانع من ذلك والله على كل شىء قدير .

أما القول بكرية الأرض فهذا أصبح من الحقائق العلمية الذى لايمكن فيها الجدل . وقد ورد فى كتب اسلافنا الاعتراف بكريتها فهذا على سبيل المثال شيخ الاسلام ابن تيميه يورد فى الفتاوى ما نصه : " أعلم ان الأرض قد أتفقوا على أنها كرية الشكل وهى فى الماء المحيط بأكثرها . اليابس السدس وزيادة بقليل والماء أيضا مقبب من كل جانب للأرض ، والماء الذى فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وما بينها مما يلى رؤوسنا وليس تحت وجه الأرض الاوسطها . ونهاية التحت المركز ، فلا يكون لنا جهة بينه الا جهتان العلو والسفل ، وانما تختلف الجهات باختلاف الانسان . فعلو الأرض وجهها من كل جانب . وأسفلها ما تحت وجهها نهاية المركز - هو الذى يسمى محط الأثقال فمن وجه الأرض والماء من كل جهة الى المركز يكون هبوطا ومنه الى وجهها صعودا ". (٢)

وهنا كلمة عارضة نحب أن نشير اليها وهى أن علماء الأمة الاسلامية السابقين كانوا على معرفة بالجاذبية الأرضية ومركزها الى الأرض والقول بأن مكتشفها الأول هو اسحاق نيوتين يعتبر إدعا .

---

(١) هندسة النظام الكونى فى القرآن - د. عبدالعليم خضر ص ١١٢
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥٠/٥

نحن لاننكر جهده فى تطوير مفهومها ووضع الصيغ الرياضية لها وتطبيقها فى مجالات عدة والاستفادة منها لكن يجب الانغبط حق علمائنا فقد كان لهم الفضل فهذا قول ابن تيمية يشهد بسبق علمائنا بمعرفة الجاذبية قبل نيوتن بما لا يقل عن أربعة قرون فهو يشير الى محط الاثقال فى مركز الأرض وهذا المقصود بالجاذبية الأرضية .

والدلائل القرآنية على كرية الأرض فى قوله تعالى : ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأبنتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ (ق : ٧) .

وقد أشار الشيخ محمد متولى الشعراوى فى بعض مختاراته من التفسير بقوله " الاعجاز فى القرآن أنه يستخدم الألفاظ التى تعبر بدقة عما يريد ولا تصادم فى مفهومها مع أى عصر . يقول الله " والارض مددناها " وذلك مطابق لما تراه العين منذ الأزل .. بأن الأرض مبسوطة ... ولكنه فى نفس الوقت اكبر دليل على كرية الأرض ".(١) وقال فى موضع آخر فى تفسير الآية " والأرض مددناها " .. " أى بسطناها لأن المد هو البسط .. فالأرض اذا كانت مبسوطة لاتخرج عن أشياء أما مربعة وأما مثلثه واما مستطيلة واما متوازية واما شبه منحرف أو شكل مختلف الأضلاع .. اذن ما دامت الأرض مسطحه فلا بد أن يكون لها حيز فاذا جئت فى آخر السطح لابد أن تصل الى حافة .. ولكن الله سبحانه يقول " والأرض مددناها " ومعنى ذلك أنك أينما ذهبت فوق سطح الكرة الأرضية تراها ممدودة أمامك أى منبسطه امامك فاذا ذهبت الى القطب الشمالى رأيت الأرض منبسطه واذا أسرعت الى القطب الجنوبى رأيت الأرض منبسطه ..واذا

---

(١) المختار من تفسير القرآن العظيم للشيخ محمد متولى الشعراوى ٢٧/١ - مكتبه التراث الاسلامى - مصر .

ذهبت الى خط الاستواء وجدت الأرض امامك منبسطه فى أى مكان نذهب اليه نرى الأرض منبسطه .. وهذا لايمكن أن يحدث الا اذا كانت الأرض كرية)[١].

كما يدلنا سبحانه الى التفكر فى كيفية تسطيح الأرض فالحث على التفكر فى ذلك ليس فيه معنى يدل على عدم كرية الأرض بل ان أكثر من آية قرآنية تدل بوضوح على أن الأرض ذات سطح كرى قال تعالى : ﴿يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا﴾ (الاعراف : ٥٤) . وقال تعالى : ﴿ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾ (ياسين : ٤٠) وقال تعالى : ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ (الزمر : ٥) .

ويقول الشيخ الزندانى فى كتابه توحيد الخالق فى تفسير الأيتين الاوليتين بقوله " آن الليل والنهار يجريان فى تتابع بحيث يسبق أحدهما الآخر وان كلا منهما يحل محل الآخر ومن المعلوم أن هذا التتابع على الأرض . وعليه فاما أن يكون هذا التتابع على خط مستقيم أو خط دائرى فاذا كان تتابع الليل والنهار فى خط مستقيم فانه لن يحدث على وجه الأرض الا ليل واحد ونهار واحد مما يجعل التتابع على وجه الأرض المشار اليه فى الآية مستحيلا ، واذاً لايمكن الا أن يكون تتابع الليل والنهار على الأرض فى شكل دائرى كما يشير اليه بدقه قوله تعالى : ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ والتقليب يعنى الدورة بشكل دائرى لا السير فى خط مستقيم . ويزيد الأمور وضوحا قوله تعالى : ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ (الزمر : ٥)

---

(١) المصدر السابق ١/٣٢ - ٣٣

ولايكون تكوير الا على سطح كرى دائرى ومن المعلوم ان الليل والنهار يكوران على الأرض . ومن هذه الآيات يتضح لنا الصورة الكرية للأرض" (١)

فسبحان من دحا الأرض .

كما يستفاد من الدحو معنى الدحرجه والازاحة والى ذلك يشير الشيخ الزندانى بقوله " والدحرجه تعنى الدوران وقد رأى بعض المفسرين ان قوله تعالى : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرمر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شئ ﴾ (النمل : ٨٨) . اشارة صريحة الى أنه دوران الأرض وأنكروا ان يكون ذلك يوم القيامه لأنه لايبعث الانسان الا بعد أن تكون الأرض قاعا صفصفا فلا يتمكن من الرؤية فيها" (٢) واستدل بقوله تعالى فى رؤية الجبال يوم القيامه ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا . فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾ (طه : ١٠٥ - ١٠٧) .

ويشير الشيخ محمد متولى الشعراوى فى تفسير قوله تعالى " وترى الجبال تحسبهاجامده وهى تمرمر السحاب" بقوله " معناه .. أنك وأنت أمام هذه الجبال واهم .. لأنك تظن أنها جامدة وهى تمرمر السحاب . ثم يأتى بعد ذلك استخدام الله سبحانه كلمة مر السحاب .. وكما قلت ان اختيار الألفاظ فى القرآن دقيق جدا . مر السحاب . لماذا لم يقل سبحانه مثلا مر الرياح .. أو مر العواصف . أو مر الامواج أو اى لفظ آخر .. لأن السحاب لايتحرك بنفسه بل تدفعه قوة ذاتيه هى قوة الريح فحين يتحرك السحاب من مكان الى آخر لاينطلق بذاته وبمعنى بل تأتى

---

(١) توحيد الخالق - عبدالمجيد عزيز الزندانى ٧٦/٣ - الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة .

(٢) المصدر السابق ٧٧/٣

الرياح وتحمله من مكان الى آخر .. فكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا انتبهوا .. ان حركة الجبال ليست ذاتيه كحركة الأرض وليست حركة ذاتيه كحركة الرياح فهى لاتتحرك بذاتها .. اى لاتنتقل من مكانها على سطح الأرض الى مكان آخر على سطح الأرض .. لا .. ان مكانها ثابت ولكنها تمر امامكم مر السحاب أى تتحرك بحركة الأرض .

وأستبعد سبحانه كل الالفاظ التى تعطى الجبال ذاتيه الحركة .. اى أن الذى يتحرك ذاتيا هى الأرض .. والجبال تتبع هذه الحركة ". (١)

وكما ان كرية الأرض من الحقائق العلمية كذلك مسألة دورانها والآيات السابقة تشير مثل قوله تعالى : ﴿ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ (الزمر : ٥) .

والتكوير يدل معناه اللغوى على اللف واللى من كور العمامه ومعلوما ان الليل والنهار كما ذكر سابقا يتتابعان باستمرار وذلك على الأرض ولايكون ذلك الا اذا كانت الأرض تدور .

ولهذا الدوران فوائد عظيمة سنستعرضها فى الفصول اللاحقة .

ولقد شاهد أحد رواد الفضاء مما يدل على كرية الأرض ودورانها حول نفسها امام الشمس حينما كان يدور حول الأرض وقد أكد مشاهدته بالتصوير المتحرك . (٢) .

هذا عن دورانها وكريتها فقد أوضحت لنا آية دحو الأرض هذه المعانى العظيمة التى أكدتها الحقائق العلمية واقوال المفسرين من مساندة الآيات الآخرى فالقرآن كل لايتجزأ يفسر بعضه بعضا .

---

(١) المختار من تفسير القرآن العظيم - الشيخ محمد متولى الشعراوى - ٣٧/١ - ٣٨

(٢) المنهج الايمانى للدراسات الكونيه فى القرآن - د. عبدالعليم خضر - ص ٢٨٥ - الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة

كما يمكن الاستفادة من آية الدحو أن لهذا الدحو نقطة بداية تكـون مركز هذه الأرض . فنجد الآثار عن الصحابه والتابعين تؤكد أن الأرض دحيت من مكه المكرمه التى جعلها الله سبحانه وتعالى موضعا لبيته الحرام.

فقد ذكر الطبرى فى تفسيره عن ابن عباس ومجاهد "ان الله خلق البيت قبل الأرض بألفى عام ومنه دحيت الأرض".(١) وكما ورد عن عطاء وابراهيم النخعى بأنها دحيت من مكه من تحت الكعبه .(٢) والاخبار فى ذلك كثير فيما تورده كتب التفسير وذكر ابن تيميه فى فتاويه فقال" دل الكتاب والسنه وما روى عن الانبياء المتقدمين عليهم السلام مع ما علم بالحس والعقل وكشوفات العارفين أن الخلق والأمر ابتدا من مكه أم القرى فهى أم الخلق . فمكه أم القرى من تحتها دحيت الأرض " .(٣)

ولقد أثبت البحث الجغرافى ان الكعبه المشرفه هى موضع يقع فى مركز الكون الصغير الأرض .

ويذكر الباحث الدكتور حسين كمال الدين القائم بهذا البحث ان الدافع له فى ذلك هو حاجة المسلمين الى معرفة اتجاه القبله للصلاة عندما يحين وقتها . وأن فكرة هذا البحث هو عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية يجعل فيها مدينة مكه المكرمة مركزا لهذا الاسقاط ويكون الهدف من ذلك بيان اتجاهات القبلة على هذه الخريطة .

وكان من نتائج البحث بعد وضع الخطوط الأولى ورسم القارات الارضيه وجد أن مكه المكرمة هى مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات اى

---

(١) جامع البيان للطبرى ٤٥/٣٠
(٢) الدر المنثور للسيوطى ٤١٢/٨
(٣) الفتاوى لابن تيمية ٤٣/٢٧ ، ٥٠٧

ان الأرض اليابسه على سطح الكرة الارضية موزعة حول مكه توزيعا منتظما وان مدينة مكه تعتبر مركزا "للأرض اليابسه . (١)

---

(١) مجلة البحوث الاسلامية — رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ص ٧٣٠ - ٧٧٧
مجلة فصليه تصدر كل ثلاثة أشهر عام ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - شركة العبيكان للطباعة والنشر - الرياض .

الفصل الثالث

الزمن وخلق السموات والآرض

ويشتمل على المباحث :

آولا : مدة خلق السموات والارض .

ثانيا: استدارة الزمان وعلاقته بخلق السموات والارض .

المبحث الأول

مدة خلق السموات والأرض :

ذكر لنا سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز المدة التى كانت فيها عملية خلق السموات والأرض فذكر انها ستة أيام وذلك مجملا فى سبع مواضع من الذكر الحكيم مثل قوله تعالى : ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (الاعراف : ٥٤) وقال تعالى ﴿ وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ﴾ (هود : ٧) وقال تعالى : ﴿ الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم أستوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا ﴾ (الفرقان : ٥٩) ٠

وفصل ذلك فى موضع واحد فى قوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ٠ وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ٠ ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض اتيا طوعا أوكرها قالتا آتينا طائعين ٠ فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (فصلت : ٩ - ١٢)

وبالرجوع الى مادة يوم فى اللغة نجد أنها تدل على معانى عدة عند العرب وهى :

١ - اليوم : من طلوع الشمس الى غروبها أو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس .

٢ - اليوم : الوقت الحاضر .

٣ - اليوم : الوقت مطلقا بحيث يختص بالنهار دون الليل .

٤ - اليوم : مطلق الزمان .

٥ - اليوم : يعبر به عن الشدة .

٦ - اليوم : بمعنى الوقائع .

٧ - اليوم : الدهر .

٨ - اليوم : بمعنى الدولة وزمن الولايات .(١)

ويذكر صاحب الفروق اللغوية أن "اليوم هو اسم لمقدار من الأوقات يكون فيه هذا السنا "(٢) والسنا مقصود به الضياء .

وقبل الخوض فى المقصود بالايام التى خلق الله فيها السموات والأرض وأقوال المفسرين فى ذلك نستعرض ما يستفاد من الآيات التى ذكرت هذه المدة .

ما تدل عليه الآيات المتضمنه لمدة خلق السموات والأرض :

أولا : ان مدة خلق السموات والأرض هى سته أيام .

ثانيا : ان هذه المدة شملت خلق الأرض وخلق السموات وخلق ما بين السموات والأرض .

ثالثا : ان الاستواء على العرش كان بعد خلق السموات والأرض وما بينهما .

رابعا : ان الماء خلق قبل السموات والأرض .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٦٤٩/١٢ ، تاج العروس للزبيدى ١١٥/٩

(٢) الفروق اللغوية لابى هلال العسكرى ص ٢٢٦

خامسا : كان العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض .

سادسا : ان مدة خلق الأرض يومان .

سابعا : جعله سبحانه الرواسى فوق الأرض والمباركة فى الأرض وتقدير الاقوات فيها تمام اربعة ايام من خلق الأرض .

ثامنا : ان مادة السماء حال استوائه سبحانه اليها هى الدخان .

تاسعا : ان الله تعالى أتم خلق السماء التى كانت دخانا فجعلها سبعا واوحى فى كل سماء امرها وزين السماء الدنيا بمصابيح فى يومين

عاشرا : نصوص الآيات لاتمنع ان يكون هناك تداخلا فى مدة خلق كلا من السموات والأرض وما بينهما بحيث ان خلال مدة خلق الأرض خلقت السموات والعكس . بل هى تدل على ذلك والله تعالى على كل شئ قدير .

اقوال المفسرين فى المقصود بالايام :

وقد اختلف المفسرون حول تحديد المقصود بالايام الست الى اقوال متعددة هى :

١ — ان الله عز وجل خلق السموات والأرض فى سته أيام كل يوم مقداره ألف سنه نص على ذلك مجاهد والأمام احمد بن حنبل ويروى ذلك عن ابن عباس .(١) وقد نقل عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنه مما تعدون ﴾ (السجدة : ٥) قوله " من الايام السته التى خلق الله فيها السموات والأرض ."(٢) وذكر عن بعض أهل العلم

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٢٠

(٢) جامع البيان للطبرى ٢٠/٩٢ ، والدر المنثور للسيوطى ٦/٥٣٧

قوله " الأيام من آيام الآخره كل يوم مقداره الف سنه ابتدأ في الخلق يوم الأحد وختم الخلق يوم الجمعه " .(١)

٢ - وقال البغوى"فى سته أيام اى مقدار سته أيام لأن اليوم من لدن طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن يومئذ يوم ولاشمس ولاسماء ، وقيل كأيام الدنيا ".(٢) والى ذلك ذهب البيضاوى والرازى وابوالسعود.(٣)

ولقد وردت احاديث فى تحديد الايام التى خلق فيها السموات والأرض تكلم فيها العلماء . أشهر هذه الأحاديث ما أورده الامام مسلم فى صحيحه واحمد فى مسنده وغيرهما عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال : (خلق الله عز وجل التربه يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعه في آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعه فيما بين العصر الى الليل) (٤)

وقد ذكر الامام البخارى فى التاريخ الكبير ان الصحيح فى هذه الرواية هى من رواية ابى هرير عن كعب وليست مرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم . (٥)

---

(١) المصدران السابقان ٣/١٢ ، ٤٧٣/٣

(٢) معالم التنزيل فى التفسير والتأويل للبغوى ٤٨١/٢

(٣) انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى ١٢/٣ - مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت ، تفسير الرازى ١٠٠/١٤ ، تفسير ابو السعود ٣٤٩/٢ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣٣/١٧ ، مسند الامام احمد ٣٢٧/٢
صحيح مسلم ٢١٤٩/٤ باب كتاب صفات المنافقين حديث رقم٢٧ باب ابتداء الخلق .

(٥) التاريخ الكبير للامام البخارى ٤١٣/١ - طبع تحت مراقبة - د. محمد عبدالمعيد خان - توزيع دار الباز للنشر والتوزيع .

وذكر ابن كثير فى تفسيره ان هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم فيه ابن المدينى وغير واحد من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب الاحبار وأن أبا هريره انما سمعه منه فاشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا وقد حرر ذلك البيهقى .(١) وقد سكت الامام النووى عن الحديث فى شرح مسلم . ولقد صحح الشوكانى الحديث فى تفسيره .(٢)

ولقد تكلم العلماء على الحديث من جهة متنه ورأو أنه معارض للقرآن فقال الحافظ ابن كثير" و فى الحديث استيعاب الأيام السبعة والله تعالى قد قال فى سته أيام ولهذا تكلم البخارى وغير واحد من الحفاظ فى هذا الحديث" . (٣)

أما من صححه فأنه يرى انه لاتعارض بينه وبين نص القرآن فان القرآن ذكر ان الله تعالى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وخلق الأرض وحدها فى يومين ، والحديث انما بين أن الله تعالى خلق ما فى الأرض فى سبعة أيام ، ويحتمل عند بعض من صححه ان تكون هذه الأيام السبعه غير الأيام السته التى ذكرها الله تعالى فى خلق السموات والأرض وحينئذ لاتكون معارضه وانما الحديث فصل كيفية الخلق على الأرض وحدها . (٤)

كما أورد الحاكم فى مستدركه وابن جرير فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود آتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : (خلق الله الأرض يوم الاحد والاثنين

---

(١) تفسير ابن كثير ٦٩/١
(٢) فتح القدير للشوكانى ٦٢/١ - دار الفكر - بيروت - طبعة عام ١٤٠١ هـ
(٣) تفسير ابن كثير ٢٢٠/٢
(٤) جامع الاصول تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ٢٦/٤ - من كلام المحقق .

وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة فقال عز وجل ﴿ آئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين ﴾ وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعه النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين منه فخلق فى أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجال حين يموت من مات وفى الثانيه القى الآفه على كل شىء مما ينفع به الناس وفى الثالثة آدم واسكنه الجنه وأمر ابليس بالسجود له واخرجه منها فى آخر ساعة ، ثم قالت اليهود ثم ماذا يامحمد قال : ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لوا تممت قالوا ثم استراح قال : فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزلت ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى سته أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على مايقولون ﴾ (١) وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد تابعه الذهبى فى تلخيصه فقال " فى أحد رواة الحديث وهو أبو سعيد البقال قال : ابن معين لايكتب حديثه " وذكر ابن كثير فى تفسيره ان الحديث فيه غرابه .(٢)

٣ - ذهب المفسرون الى ان المقصود بالايام عبارة عن نوبات أو اطوار ومراحل اى فى ستة نوبات او سته اطوار مرة على خلق السموات وما بينهما .(٣)

---

(١) مستدرك الحاكم وبذيله التلخيص للذهبى ٥٤٣/٢ ، جامع البيان للطبرى ٩٤/٢٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٩٤/٤

(٣) التفسير العلمى للآيات الكونيه فى القرآن - حنفى احمد ص ١٣٢ ،الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور محمد حسب النبى ص ٣٢٧ ، دراسة الكتب المقدسه فى ضوء المعارف الحديثه -مورس بوكاى ص ١٥٨ .

مدة خلق السموات والأرض فى ضوء ونتائج العلم الحديث :

ماتوصل اليه العلم الحديث فى هذا المجال هو عبارة عن ارقام مهولة لتحديد ذلك فعلى سبيل المثال يرى فريق من الفلكيين أنه منذ نحو خمسة الالف مليون سنه مضت تكونت المجموعة الشمسية . كما يعتقد فريق كبير من مشاهير علماء الفلك ان عمر الكون لايمكن ان يزيد عن عشرة الآف مليون سنه بكثير .(١) اما عن تكون الجبال التى تعتبر جزءا من الأرض والتى تأتى فى مدة الأيام الاربعة الاولى من بدأ خلق الارض فقد قال علماء الجيولوجيا : " ان جبال هملايا بدأت ترتفع فوق البحر منذ حوالى ستين مليون سنة وانها لم تبلغ ارتفاعها الحالى الا منذ مليون سنه تقريبا.

اما جبال الالب فقد بدأت تتكون منذ نحو عشرة ملايين سنة تقريبا . لكن هذه السلاسل العظيمة حديثه جدا اذا ما قورنت ببعض الجبال الأخرى فالجبال الواقعة فى الشمال الغربى من استكنلدا من اقدم جبال العالم وقد تكونت منذ مايزيد عن اربعمائة مليون سنه . ولقد كانت ككل الجبال القديمة فى العالم أشد ارتفاعا مما هى عليه الآن". (٢)

هذا ماقاله المفسرون وماقاله آهل الفلك والجيولوجيا عن المدة التى تكونت فيها السموات والارض وما بينهما . ولاشك ان بينهما اختلافا عظيما .

والراجح والله اعلم ان المقصود بالايام التى خلق الله سبحانه وتعالى فيها السموات والارض وما بينهما زمان مطلق اختص الله بعلمه وانما اطلعنا سبحانه على ان هذا الزمان محدد بالعدد سته فهى من أيام

---

(١) كتاب المعرفه - الأرض والكون ص ٢٧ ، ١١١

(٢) الموسوعة العلمية الحديثة - الارض ص ١٨ - ١٩

الله التى تحدد بعمل من اعماله سبحانه . والى ذلك ذهب السيد قطب فى تفسيره فقال "فأما الايام السته الى خلق الله فيها السموات والأرض فهى كذلك غيب لم يشهده أحد من البشر ولا من خلق الله جميعا لقوله تعالى : * ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم وماكنت متخذ المضلين عضدا * (الكهف : ٥١) .. وكل مايقال عنها لايستند الى أصل مستيقن . أنها قد تكون ست مراحل وقد تكون ست اطوار وقد تكون سته أيام من أيام الله التى لاتقاس بمقاييس زماننا الناشىء عن قياس حركة الاجرام اذا لم تكن قبل الخلق هذه الاجرام التى نعيش نحن بحركتها الزمان .. وقد تكون شيئا آخر .. فلا يجزم أحد ماذا يعنى هذا العدد بالتحديد ". (١)

---

(١) ظلال القرآن ١٢٩٦/٣

المبحث الثاني

استدارة الزمان وعلاقته بخلق السموات والأرض :

أن مادة الزمان أو الزمن لم ترد فى القرآن الكريم بهذا اللفظ ، انما وردت بما يدل عليها من مترادفتها مثل : الساعة — اليوم — السنه العام — الدهر — الليله .

ولو تطرقنا لكل واحدة من هذه وما المقصود بها فى اللغه وما هى أوجه ورودها فى القرآن لأخرجنا ذلك عن خطه البحث ، لكن هذه المترادفات كل منها تعطى مدلولا لزمن معين فما هو هذا الزمن ؟ وكيف ينشأ ويقاس ؟

يقول أهل اللغه الزمن والزمان : " اسم لقليل الوقت وكثيره . واصل يدل على وقت من الأوقات من ذلك الزمان وهو الحين قليله وكثيره" (١)

وحقيقة الزمان كما ذكر البلوى فى كتابه الف باء انما " هو مقابلة حادث بحادث آخر ، تقول جاء فلان فيقال اذا كان كذا لامعنى للزمان الا هذا " .(٢)

وحساب الزمن عند الانسان منشأه من حركات الاجرام السماوية حول نفسها او بعضها كما نلاحظ ان حركة الأرض حول نفسها تحدد اليوم والليلة وحركتها حول الشمس تحدد السنه وحركة القمر حول الأرض تحدد الشهر وهذا ماثبت علميا فأصبح حقيقة .

ولقد ورد فى الحديث النبوى الذى رواه ابى بكرة رضى الله عنه

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٣/١٩٩ ، مقاييس اللغه ٣/٢٢

(٢) كتاب ألف باء لأبى الحجاج يوسف محمد البلوى ١/٨٧ — عالم الكتب — بيروت .

ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض . السنه آثنا عشر شهرا ، منها اربعه حرم : ثلاثة متوليات - ذو القعدة وذو الحجه والمحرم - ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ......) الحديث . (١)

ولقد اورده المفسرون عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ان عدة الشهور عندالله اثناعشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (التوبه : ٣٦) فما المقصود باستدارة الزمان وعلاقتها بخلق السموات والأرض حسبما قال المفسرون وشراح الحديث .

استدارة الزمان عند المفسرين وشراح الحديث :

يقول ابن حجر فى الفتح " قوله كهيئته صفه مصدر محذوف تقديره استدارا استدارة مثل صفته يوم خلق السماء . وان المراد بالزمان السنه " . (٢)

وقال البغوى فى شرح السنه " استدار بمعنى دار والزمان المراد به الدهروسنيه ونقل عن بعضهم بأن الزمان والدهر واحد وأنكر بعضهم عليه بأن الزمان زمان الحر ، وزمان البرد ، وزمان الرطب ويكون الزمان من شهرين الى سته آشهر والدهر لاينقطع الا أن يشاء الله عز وجل" (٣)

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى - كتاب بدء الخلق ٢٩٣/٦ حديث رقم ٣١٩٧ ، صحيح البخارى ١٣٠/٤ باب ماجاء فى سبع ارضين وصحيح مسلم ١٣٠٥/٢ حديث رقم ٢٩ - وصحيح مسلم بشرح النووى - كتاب القسامه باب تغليظ تحريم الدماء ١٦٧/١١ ، سنن ابى داود - كتاب المناسك باب الاشهر الحرم ١٩٥/٢ .

(٢) فتح البارى لابن حجر ٢٩٥/٦ ، ٣٢٤/٨

(٣) شرح السنه للامام البغوى ٢١٧/٧ - تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط - المكتب الاسلامى - بيروت .

وكما ذكر ابن الاثير في الجامع ان معنى استدار اى دار واليه ذهب صاحب عون المعبود .(١)

اما الاقوال فى المقصود بدورة الزمان فهى كما ذكرها المفسرون وشراح الحديث وهى :

١ - كان العرب فى جاهليتهم يخالفون فى أشهر السنه بالتحليل والتحريم والتقديم والتأخير لأسباب تعرض لهم ، منها استعجال الحرب فيستحلون الشهرم الحرام ثم يحرمون بدله شهرا غيره فيتحول فى ذلك شهور السنه وتتبدل ، فاذا أتى على ذلك عدة من السنين استدار الزمان وعاد الأمر الى أصله فأتفق وقوع حجه النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك . نقل ذلك عن الخطابى وعزاه اليه ابن حجر فى الفتح والى هذا المعنى اشار الامام النووى وقال : " ان الاستدارة صادفت حكم الله تعالى به يوم خلق السموات والأرض" . (٢)

٢ - وذكر ابن كثير ان الطبراني ذكر عن بعض السلف فى جملة احاديث أنه أتفق حج المسلمين واليهود والنصارى فى يوم واحد وهو يوم النحر عام حجة الوداع. وقال عنه انه غريب . (٣)

٣ - ونقل القرطبى عن مجاهد قوله " كان المشركون يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجه عامين ثم حجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين وكذلك فى الشهور كلها حتى وافقت حجه أبى بكر رضى الله عنه التى حجها قبل حجة الوداع ذا القعدة من السنة التاسعة . ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل

---

(١) جامع الأصول ٢٦٦/١ ، عون المعبود فى شرح سنن ابى داود لابى الطيب محمد آبادى ٤٢٢/٥ - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت .

(٢) فتح البارى ٣٢٥/٨ ، صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٨/١١

(٣) تفسير ابن كثير ٣٥٤/٢

حجه الوداع فوافقت ذا الحجه فذلك قوله فى خطبته :

" ان الزمان قد استدار " الحديث اراد بذلك أشهر الحج رجعت الى موضعها ، وعاد الحج الى ذى الحجه وبطل النسىء " .(١)

٤ ـ كما نقل القرطبى عن بعضهم قال " كان المشركون يحسبون السنه أثنى عشر شهرا وخمسة عشر يوما فكان الحج فى رمضان وذى القعدة وفى كل شهر من السنه بحكم استدارة الشهر بزيادة الخمسة عشر يوما ، فحج ابو بكر سنه تسع فى ذى القعدة بحكم الاستدارة ولم يحج النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل وافق الحج ذا الحجه فى العشر ووافق ذلك الأهله " وهذا القول أشبه بقول النبى صلى الله عليه وسلم " ان الزمان قد استدار " اى زمان الحج عاد الى وقته الاصلى الذى عينه الله يوم خلق السموات والارض بأصل المشروعية التى سبق بها علمه ونفذ بها حكمه .(٢)

٥ ـ ونقل ابن حجر عن بعضهم واعتمده أن هذه المقاله " ان الزمان استداره كهيئته .. " صدرت من النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر مارس وهو آذار وهو برمهات بالقبطيه ، وفيه يستوى الليل والنهار عند حلول الشمس برج الحمل" .(٣)

٦ ـ ونقل القرطبى عن بعضهم ان الخوارزمى قال " أول ما خلق الله الشمس آجراها فى برج الحمل وكان الزمان الذى أشار به النبى صلى الله عليه وسلمّ صادف حلول الشمس برج الحمل ، واعترض عليه القرطبى بأن ذلك يحتاج الى توقيف .(٤)

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ١٣٧/٨

(٢) المصدر السابق نفس الصفحه .

(٣) فتح البارى لابن حجر ٢٩٥/٦ ، ٣٢٤/٨

(٤) الجامع لاحكام القرآن ١٣٨/٨

المقصود باستدارة الزمان من خلال نتائج العلم الحديث :

بعد ان استعرضنا ما قاله المفسرون وشراح الحديث فى المقصود باستدارة الزمان . وكما اسلفنا سابقا فان قياس الزمن ناتج عن حركة الاجرام السماوية بعضها حول بعض أو حركتها حول نفسها فيجب علينا ان نستعرض ما قاله علماء الفلك فى حركات الأرض التى جبلها الله عليها يوم خلق السموات والأرض فنجد ان حركات الأرض تتراوح بين خمسة الى أثنى عشر حركة . (١) منها ثلاث حركات تحدد ثلاثة ازمنة جعلها الله سبحانه وتعالى مقياسا للخلق يتعرفون بها على السنين والحساب كما قال تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (يونس : ٥) .

والحركات الثلاث للاجرام التى تحدد الازمنه هى :

١ - حركة الأرض حول نفسها والتى تحدد بالحركة اليومية للشمس والنجوم وهى ما يحدد به قياس الليل والنهار .

٢ - حركة القمر حول الأرض وهى دورة اطوار القمر والتى تحدد الشهر الهجرى .

٣ - حركة الأرض حول الشمس وهى تحدد العام الميلادى .

وهذه الحركات معروفه لغالبية البشر لأنهم يحسون بنتائجها بحساب الزمن الذى يحدد لهم طريقة التعامل مع بعضهم البعض فى حركة حياتهم ومعيشتهم .

---

(١) دائرة المعارف للبستانى ١٢١/٣ ، كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٦٢

ولكن الاخرى ما هى ؟ وماذا يقول عنها علم الفلـــك ؟

هناك عناصر من الحركة المعروفة تؤثر على الأرض ككوكب ، ومعظمهـا يحدث ببطء شديد بحيث نتعرف عليه فقط عن طريق قياس الشذوذ أو عـدم الانتظام الصغير الذى يطرأ على الحركتين الاساسيتين . وهاتان الحركتان اللتان يمكن رصدهما من غير الاستعانة بأجهزة خاصة هما : دوران الارض حول محورها ودورانها حول الشمس . وتعرف أعظم هذه الحركات شأنـا " ترنح الاعتدالين " وهى عبارة عن حركة دورانيه لمحور الأرض كما لـو كانت فى مخروط . (١)

" وفى وقتنا هذا يشير المحور الى موقع القطب السماوى قريـب من ألمع نجم فى كوكبه الدب الاصغر والذى نسميه طبقا لذلك النجـم الشمالى أو النجم القطبى . ولكن هذه الحركة التدريجية والتى تسمى ايضا بالتبادر تحرك القطب السماوى الشمالى بعيدا عن هذا النجـم فبمرور الزمن تكون هناك نجوم شماليه أخرى حتى تمر ست وعشرين ألـف سنه ويشير المحور ثانية للنجم اللامع فى كوكبه الدب الاصغر " . (٢)

وحتى لانطيل الشرح فى هذه الحركات نود ان نعرض خلاصة لبعض الحركـات التى تطرأ على الارض مقترنـه بالزمن لكل دوره مأخوذة من كتـب الفلـك . (٣)

---

(١) كتاب المعرفه ـ الارض والكون ص ٦٢ ـ ٦٣

(٢) آفاق جديد فى علـم الفلـك ـ جون براندت وستيفـن مـاران ص ٧٨ .

(٣) المصدران السابقـان ص ٦٨ ، ص ٤٦٥

الحركـة	الفتـــرة
الدوران حول محورهـــا	٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقةو٠٥٩ر٤ ثانية
الدوران حول الشمـس	٢٥٦ر٣٦٥يوما اى حوالى ٣٦٥وربع يوم
توانح الاعتدالين " التبادر"	٢٦ ألـف سنـه
حركة تغير ميل المحور الاصلـى	٤٠ ألف سنـه .
حركة الشمس ومعها الأرض فى المجره	٢٥٠ مليون سنـه .

وهناك حركات اخرى للارض مثـل

١ - الاضطرابات الناجمـة عن قبضه جذب الكواكب السياره الأخرى .

٢ - التغير فى الاختلاف المركزى لفلك الأرض .

٣ - دوران المحور الاكبر للفلك حول الشمس .

هذا ما يعرضه علم الفلك من حركات تطرأ على الأرض وينتج عنهـا زمن وكل حركة عبارة عن دورة تستغرق وقت معين فهل هناك علاقة بين أحـد هذه الحركات المحددة واستدارة الزمن المعينه فى مقال الرسول صلـى الله عليه وسلم " ان الزمان استدار كهيئته يوم خلق السمـوات والأرض " ؟

واذا كان هناك علاقـة فما هى الحركة المقصودة والتى نتج عنهـا استدارة الزمـان ؟

وكم دورة مرة من يوم خلق السموات والأرض وحتى مقالة الرسول صلى اللـه عليه وسلـم ؟

ولا غرابة فى هذه التساؤلات فان لنا فى اسلافنا أسوة فلقـد سبقونـا فى الاستفادة مما جد لديهم من علوم لتفسير بعض نصوص الوحى التى تـدل على الاعجـاز .

فهناك دلالات واضحة على وجود مدبر حكيم لهذا الكون .

وان هذه الدلالات وضعها سبحانه تحقيقا لقوله : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ..... ﴾ (فصلت : ٥٣) .

الفصل الرابع

تمهيد الأرض للحياة

ويشتمل على المباحث:

أولا : الماء

ثانيا: الجبال

ثالثا: الهواء والغلاف الجوى

تمهيد الأرض للحياة :

ان الله سبحانه وتعالى جعل هذه الأرض دار ابتلاء واختبار للانسان قال تعالى : ﴿ انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ (الكهف : ٧) . وان صح لنا التعبير فالأرض كصالة الامتحان التى يهيأ للطالب فيها الجو المناسب ليؤدى امتحانه فى سهولة ويسر ليحقق النتيجه التى يستحقها بعد الأمتحان .

واذا استعرضنا الآيات القرآنية التى توضح لنا ماهى الاشياء التى امتازت بها الأرض لتصبح مكانا ملائما لهذا الانسان المبتلى لوجدنا الآيات فى ذلك كثيره كلاً يعالج جانبا من جوانب الحياة سواء المعيشية او الجغرافية او السياسية او الاقتصادية او الفلكية او الجيولوجيه الى غير ذلك من الجوانب التى تتعلق بالحياة على الأرض .

وفى هذا المبحث سوف نتعرض الى بعض الجزئيات من الجانب الفلكى وما يتعلق به من علوم آخرى لتوضيح كيفيه اعداد الأرض للحياة الانسانية .

ان اساس الحياة على كوكب الأرض مع كونها كرة سابحه فى الفضاء الكونى حسبما اقتضته العناية الالهية هو الماء والهواء . لذلك فان علماء الفلك والجيولوجيا والاحياء أول مايدرسون على الكواكب الأخرى لمعرفة مدى صلاحيتها للحياة هو وجود الماء والهواء .

قال تعالى : ﴿ آأنتم أشد خلقا أم السماء بناءها رفع سمكها فسواها وآغطش ليلها وآخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . آخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال ارساها . متاعا لكم ولأنعامكم (النازعات : ٢٧ - ٣٣)

ويقول تعالى : ﴿ اولم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون . وجعلنا فى الأرض رواسى ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون . وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون . وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون ﴾ (الانبياء : ٣٠-٣٢)

وقال تعالى : ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (الروم : ٤٦) .

من الآيات السابقة نجد أن أهم الوسائل والادوات التى أعدت بها الأرض لتكون صالحة للحياة ما يأتى :

١ - مدها وتوسيعها وبسطها قال تعالى : ﴿ والأرض فرشناها فنعم الماهدون ﴾ (الذاريات : ٤٨) .

٢ - اخراج الماء من الأرض وجعله سبحانه العنصر الاساسى للحياة .

٣ - ارساء الجبال وجعلها فى الأرض حتى لاتميد وجعل فيها الفجاج .

٤ - الهواء وهو الذى لايستغنى عنه آنسان حى ويتمثل فى الغلاف الجوى بطبقاته وهو السقف المحفوظ . وما يدل على حركته وهو المعبر عنها بالرياح ووجوه الاستفاده منها .

ولقد وردت معانى عدة فى بسط الأرض وجعلها ذلولا كلا يفسر الآخر ويوضح جانبا من الجوانب . فمن هذه المعانى والالفاظ :-

الدحو - الطحو - التوسيع - كما جعلت فراشا - ومهدا - وقرارا وذلولا - وبساطا ومستقر ومتاع الى حين - وتسطيح الأرض .

وكل هذه المعانى تدل على عناية الخالق جل وعلا ورحمته بعبادة

بأن جعل سطح هذا الكوكب الكرى الشكل السابح فى الفضاء ذلولا لهذا الانسان .

والذلول المنقاد الذى يذل لك والمصدر الذل وهو اللين والانقياد[(١)] ويطلق عادة على الدابة . ويذكر سيد قطب فى هذه الآية معنى جميلا يجمع بين النظرة القديمة والحديثه بالنسبة للأرض فيقول " الأرض الذلول كانت تعنى فى أذهان المخاطبين القدامى هذه الأرض المذللة للسير فيها بالقدم وعلى الدابه وبالفلك التى تمخر البحار . والمذلة للزرع والجنى والحصاد . والمذللة للحياة بما تحويه من هواء وماء وتربة صالحة للزرع والانبات .

وهى مدلولات مجملة يفصلها العلم - فيما اهتدى اليه حتى اليوم تفصيلا يمد فى مساحة النص القرآنى فى الادراك . فالأرض التى نراها ثابته مستقرة ساكنه ، هى دابة متحركة .. بل رامحه راكضه مهطعه : وهى فى الوقت ذاته ذلول لاتلقى براكبها عن ظهرها ولا تتعثر خطاها ، ولاتخضه وتهزه وترهقه كالدابه غير الذلول .

ان هذه الدابه التى نركبها تدور حول نفسها بسرعة الف ميل فى الساعة ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالى خمسة وستين ألف ميل فى الساعة . ثم تركض مع الشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل عشرين الف ميل فى الساعة ، مبتعدة نحو برج الجبار فى السماء .. ومع هذا الركض كله يبقى الانسان على ظهرها آمنا مستريحا مطمئنا معافى" .[(٢)] وغير هذه الحركات التى ذكرها سيد قطب هناك حركات

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٢١٤/١٨
(٢) ظلال القرآن ٣٦٣٧/٦

أخرى بحيث تصل حركات الأرض حوالى اثنا عشر عنصرا من عناصر الحركة المعروفة التى تؤثر على الأرض ككوكب ومعظمها يحدث ببطء شديد .[1] ولكل حركة من هذه الحركات حكمة جعلها الله سبحانه وتعالى فيها لمصلحة هذا الانسان . ومع ذلك يشعر الانسان بان هذه الأرض ثابته مستقره على وضع واحد بعنايته سبحانه .

كما وتتضح جوانب تدليل الأرض للانسان فى اشياء كثيره منها :

---

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٦٢

المبحـــث الاول

أولا : المـــــاء :

هناك حقيقة عرفها العلماء وبالذات علماء الاحياء والكيمياء هـي أنه لاتوجد حياة بدون ماء مع أنه قد توجد حياة بدون هواء كحياة بعض البكتريا كما وجدوا ان الماء هو المادة الوحيدة التى لها من الصفات مايجعلها وسطا صالحا لاستمرار الحياة . [(١)]

كما أن الماء لايمكن ان يوجد سائلا فى اى كوكب الا اذا توفرت لهذا الكوكب القدرة على الاحتفاظ ببخار الماء عند درجة حرارة الماء السائل .. ووجود الماء على سطح اى كوكب معناه توفر الاكسجين والهيدروجين وثانى اكسيد الكربون .. ومعنى ذلك ان الكوكب يحتفظ بغلاف جوى .[(٢)]

واذا رجعنا للآيات القرآنية نرى توضيح ذلك وأنها سبقت علماء العصر الحديث بتقرير ما ذهبوا اليه لأن القرآن هو كلام خالق الكون ومدبر أمره قال تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شئ حى .. ﴾

وأذا تأملنا نسب اليابس والماء على سطح الأرض نجد نحو ٧١ ٪ من سطح الأرض يغطيه البحر و ٢٩ ٪ من سطح الأرض عبارة عن اليابسة .[(٣)] مما يدل على أهمية الماء للحياة على هذا الكوكب الامر الذى لايتوفر لأى كوكب من كواكب المجموعه الشمسية على حد ماتوصل اليه العلم

---

(١) كتاب التوحيد للشيخ عبدالمجيد الزندانى ٦٧/٣ - الطبعة الاولى ١٤٠٥ دار السلام للطباعة والنشر ، دار المجتمع للطباعة والنشر - جدة.

(٢) الماء والحياة بين العلم والقرآن د. عبدالعليم خضر ص ٣٨ - الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - الدار السعودية للنشر - جدة .

(٣) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ١٣

الحديث فى الفلــــك .

"هذه الأهمية تتمثل فى الحكمة الالهية التى جعلها فى الماء منهـا تلطيف مناخ الأرض بتوزيع درجات الحرارة على سطحها توزيعا عادلا . ولولا ذلك لأصبحت فروق درجات الحرارة على الأرض هائلة لدرجة لاتسمح بالقيـام الحياة تماما . وبهذا فان مقدار الماء على سطح الأرض ليس مقـدارا عشوائيا ولكنه محسوب ومقدر بالعناية الالهيه ".(١) قال تعالـى :

﴿ وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيره ومنهـا تأكلون ﴾ (المؤمنون : ١٨ - ١٩) .

وقوله " بقدر " اى بمقدار محدد لأنه لو كثر أهلك فهو بتقديـر يسلمون معه من المضره ويصلون الى المنفعه منه بقدر حاجاتهم ومصالحهم.

" والله سبحانه وتعالى قد أسكن الماء فى الأرض بفضل المنخفضـات والتعاريج والتسرب الجزئى فى باطن الأرض وغير ذلك من وسائل التـى أعدها سبحانه لذلك ولو تخيل الانسان ان الأرض كرة ملساء لاتعاريج فيهـا لغطاها الماء بغلاف سمكه ميلان ، ولو أن الجليد الموجود عند قطبـى الأرض قد أنصهر لارتفع مستوى مياة البحار والمحيطات فى العالم كلـه بنحو ستين مترا ويغطى البحر مدنا كثيرة آهلة بالسكان ".(٢)

ومصادر الماء فـى الأرض هـى :

١ - الامطـار وهى المشار اليها بقوله تعالى : ﴿ وانزلنا من السمـاء مـاء .. ﴾ .

---

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور محمد حسب النبى ص ١٨٦
(٢) المصدر السابـق ص ١٨٧

٢ - ماء العيون والانهار وما يستخرج من الآبار وهو المشار اليه بقولـه تعالى : ﴿ فأسكناه فى الأرض ﴾ .

٣ - مياه البحار والأنهار وهو المشار اليه بقوله تعالى : ﴿ وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ﴾ (الفرقان : ٥٣) .

وقال تعالى : ﴿ وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (فاطر:١٢)

٤ - الينابيع الحارة والفورات ولعل بعضها ناتج عن الزلازل والبراكين التى تحدث . [(١)] وللماء فى الأرض دورة وهى ماتسمى بدورة الماء فى الطبيعة له علاقة وثيقة بتسخير الله سبحانه وتعالى للشمس وطاقتها الحرارية سنتطرق له فى مبحث لاحق عن مجال آثار المجموعة الشمسية .

كما أن البحار والانهار التى تعتبر من المصادر المهمه للماء فى الطبيعة منها جوانب أخرى تتضح من الآية السابقة الواردة فى سورة فاطر وهى :

أ - الثروة الغذائية الحيوانية التى جعلها الله سبحانه فى البحار والأنهار مسخرة لهذا الانسان الخليفه فى هذه الأرض فهى لازم من لوازم حياته غير الثروة الغذائية النباتية التى جعل الله سبحانه وتعالى للماء دورا كبيرا فى وجودها . والآيات القرآنية مليئة بذلك وفيها دلائل رحمة الله بعباده .

---

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الأرض ص ٢٤

ب - السفن بمختلف انواعها وأحجامها القديم منها والحديث التي تمخر عبر البحار ناقلة جميع مستلزمات بنى الانسان ومقربة للمسافات بين البلدان كل ذلك ليبتغى الانسان من فضل الله ويديم الشكر للمنعم وشكره بعبادته والاعتراف له بالفضل .

المبحث الثاني

ثانيا : الجبال :

رغم ان الجبال جزء من تضاريس الأرض ولاتعتبر جزءا ملموسا بالنسبة لحجم الأرض الا آن ذكرها بالاسم او بالوصف قد ورد فى أكثر من اربعين موضعا من القرآن الكريم • وما يهمنا فى هذا المبحث هو دور الجبال فى جعل الأرض صالحة للحياة • قال تعالى : ﴿ وألقى فى الأرض رواسى ان تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ﴾ (النحل : ١٥) •

وقال تعالى : ﴿ وجعلنا فى الأرض رواسى ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون ﴾ (الانبياء : ٣١) •

وقال تعالى : ﴿ خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى آن تميد بكم وبث فيها من كل دآبه وانزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ (لقمان : ١٠) •

وكل الآيات الثلاثة تتحدث عن ميد الأرض وعلاقة الجبال بها •

ومادا الشئ يميد ميدا : تحرك ومال ، والميد أصلان أحدهما يدل على حركة فى شئ •(١)

وأقوال المفسرين فى كتب التفسير فى آن المقصود بالآيات هو لئلا تميد الارض بسكانها ولاتتحرك وليتم القرار عليها وهم مع اختلاف اقوالهم فى كرية الأرض لديهم اجماع على أن الأرض لاتتحرك وجعلت الجبال لئلا تميد الأرض ولاتتحرك •

وقد ذكر القرطبى بأن الميد هو التحرك والدوران •(٢) كما ذهب

---

(١) لسان العرب ٤١١/٣ ، مقاييس اللغه ٢٨٨/٥

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٢٨٥/١١

ابن كثير الى ان الأرض ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنه ثابته وأنه جعل الجبال لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها . (١)

لكنا اذا نظرنا من جهة أخرى نلاحظ ان المقصود بالآيات هو الجسم المتحرك لا الجسم الساكن لأن الجسم المتحرك هو الذى يخشى عليه من الميل والاضطراب .

اذاً لابد من نظرة أخرى قد تتضح لنا من معطيات العلم الحديث .

فالأرض لها دورات عدة منها حول نفسها وأخرى حول الشمس . ودورتها حول نفسها يعنى حول محور وهى حركة مغزلية ينتج عنها اضطراب وميل للارض اذا كانت الكتله حول المحور متماثله .

وحيث ان الارض لاتضطرب ولاتميل بل هى تسبح فى فلكها مع عدم شعور سكانها بهذه الحركة اذا فلا بد ان تكون الجبال موزعة فى نواحى الأرض على جانب المحور بحيث يؤدى هذا التوزيع الى توازن حركة الأرض وعدم حيودها عن مدارها واضطرابها وميلها . وقد ورد فى الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (لما خلق الله عز وجل الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فأستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال ..) . الحديث (٢)

وعن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد(٣) "أن الله تبارك وتعالى لما خلق الأرض جعلت تمور قالت الملائكة : ماهذه بمقرة على ظهرها

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٦٢

(٢) مسند الامام احمد ٣/١٢٤ ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ١٠/٩٠

(٣) قيس بن عباد القيسى الضبعى . قدم المدينه فى خلافه عمر وذكر ابن حجرانه من التابعين ـ تهذيب التهذيب ٨/٤٠٠

آحدا ، فأصبحت صبحا وفيها رواسيها" . (١)

" لكن توازن الأرض يقوم على آساس الارتفاع والعمق فى اجزائها المختلفة حيث أن المادة الأقل وزنا آرتفعت على سطح الأرض وأن المادة الثقيله أصبحت خنادق هاوية على شكل بحار ومحيطات . وقد بحثت حالة مائتين وست وأربعين جبلا فوجدت أنها موزعة توزيعا جغرافيا مذهلا بحيث تقع على طول دائرتين فى شكل سور له ثغرات يحتضن حوضا هائلا تعلوه الكتل الهوائية وتنخفض فيه وتعمل على انتظام دوران الأرض .والدائرتان الجبليتان احداهما شماليه والأخرى جنوبيه تتماس هاتان الدائرتان عند خط العرض المار بالبحر الأبيض المتوسط . وهذه السلاسل الجبليه توجد فى الغالب فى أطراف القارات .

هذا التوازن موجود فى قوانين حركة الأرض أفقيا ورأسيا . أى أنه اذا حدث وأن نقصت كتلة احدى الجبال بفعل عوامل التعرية لقمته فان قاعدته ترتفع فى منطقة السيما اللينه بما يساوى مانقص منه فى القمة كذلك فان المناطق التى ترسب فيها مواد التعرية تهبط فى الطبقة اللينه السيما . وهكذا يظل مستوى الجبال فى توازن مستمر والأرض فى حالة اتزان". (٢)

هذا مايخص حفظ التوازن فى الأرض وعدم اضطرابها لكن هناك آثار آخرى للجبال تعود على سكان الأرض بالفوائد الجمة آلتى تصلح لهم معاشهم فى الأرض فما هى ياترى ؟

قال تعالى : ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم

---

(١) جامع البيان للطبرى ٩٠/٨

(٢) الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها فى القرآن الكريم ص ١٤٥ - ١٤٦

نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ (النحل : ٨١) . وقال تعالى :
﴿ الم نجعل الأرض كفاتا . احياءا وامواتا . وجعلنا فيها رواسى
شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ﴾ (المرسلات : ٢٥ - ٢٧) .
وقال تعالى : ﴿ الم تر أن الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به
ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها
وغرابيب سود ﴾ (فاطر : ٢٧) .

كل واحدة من هذه الآيات يمكن ان نستفيد منها معانى فى فوائدالجبال
فالآية الاولى تتحدث عن جعل الأكنان من الجبال . فما هو الكن بالنسبة
للجبل ؟

فالكن والكنه والكنان يدل على ستر أوصون . يقال كننت الشىء
فى كنه اذا جعلته فيه وصنته . والكن : البيت أيضا .(١)

اذا الاكنان فى الجبال هى التى يستخدمها الانسان للستر والصون
كالبيت .

وقد استخدم الانسان الكهوف والمغارات فى الجبال ملجأ له لكى يدرا
عن نفسه المصاعب التى يواجهها من تأثير المناخ والحيوانات المفترسة
ومن الفيضانات والسيول .

كما أن حضارات قديمة قامت مدنها على فن النحت فى الجبال وعمل
هندسة العمارة والبيوت من الجبال وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر
بعض الاقوام الذين كان لهم سبق فى هذا المجال قال تعالى : ﴿ والى
ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١٢٣/٥ ، لسان العرب لابن منظور ٢٦٠/١٣

جاءتكم بينه من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذورها تأكل فى أرض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم . واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فأذكروا آلاء الله ولاتعثوا فى الارض مفسدين ﴾ (الاعراف : ٧٣-٧٤) كما ألهم سبحانه وتعالى النحل الذى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس بأن تتخذ من الجبال بيوتا قال تعالى : ﴿ وأوحى ربك الى النحل أن أتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ (النحل : ٦٨) .

كما أن للجبال فوائد أخرى بعضها مباشر والبعض الآخر غير مباشر فمثلا الجبال الشامخه مكثفات هائلة نصبها الله سبحانه وتعالى لتكثيف السحاب من الجو اذا حملته الرياح . فاذا اصطدمت الرياح بقمة الجبل فانها تبرد الى مافوق التشبع نظرا لبرودة هذه القمم العاليه للجبال وأما اذا أصطدمت الرياح بالجبال دون أعاليها فان هذه الرياح تغير مجراها حيث ترغمها الجبال على الصعود الى المناطق العلوية حيث يتكاثف بخارها سحابا وينزل مطرا على أعلى تلك الجبال ومن هنا كانت منابع الانهار من الجبال .

كما أن للجبال علاقة وثيقة بالماء العذب حيث أن ظاهرة الثلج الدائم الذى يوجد على رؤوس الجبال المرتفعة عن خط الاستواء بحد خاص والمتصف طقسها بالبرودة الدائمة والتى تكون تحت الصفر . فمثلا يظهر هذا الثلج على ارتفاع الف ومائتين متر من جبال النرويج ونحو الفين وسبعمائة متر من جبال الألب ونحو خمسة الالف وخمسمائة متر من جبال الكليما نجاور بأواسط آفرايقيا ويكون لتراكم هذا الثلج فوق

هذه الجبال المرتفعة الأثر المباشر فى تغذية الانهار بفضل الله تعالى وذلك كنتيجة لذوبان بعض الثلج باستمرار لضغط الطبقات العليا من الثلج على السفلى منه . كما أن هذه الثلوج لا تنفذ بمشيئة الله الله على قمم الجبال باستمرار ذوبان أطرافها الدنيا لأنها كما تسيل باستمرار تتجدد ايضا باستمرار تكثف بخار الماء الموجود دائما فى الجو المحيط بهذه القمم ولولا هذه الظاهرة لجفت الأنهار اذا انقضت فصول الأمطار عند منابعها . (١)

هذه بعض الجوانب التى تظهر من الآية فى سورة المرسلات حيث ربطت بين الجبال الشامخة والماء الفرات .

كما آشارت الآية التى فى سورة فاطر عن الوان الجبال فذكرت اللون الابيض والاحمر بصفة جدد وذكرت اللون الاسود بالصفة غرابيب ، وجدد جمع جدة وهى الطريقة والمقصود اى طرائق تخالف لون الجبل . والغرابيب جمع غربيب وهو شديد السواد . (٢)

فالجدد البيض مختلف الوانها فيما بينها والجدد الحمر مختلف الوانها فيما بينها هذا الاختلاف فى درجة اللون والظل والألوان الاخرى المتداخله فيه وهناك الغرابيب المختلفه فى درجة السواد من حيث شدة اللون ففى هذا لفته جماليه الى مافى هذا الكون من ابداع الخالق كما أن هذه الألوان فى الصخور تعطى معانى اخرى عند علماء الجيولوجيا فالجبال البيضاء تتكون اساسا من الطباشير والحجر الجيرى والجبال السوداء بها المنجنيز والفحم والحمراء بها الحديد وغير

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن ص ١٨٥ ، ٢٠٧ بتصرف .

(٢) لسان العرب ١٠٨/٣ ، ٦٤٦/١

ذلك من الجبال النارية التى تتكون من الجرانيت والبازلت والتى تحتوى على عروق الحديد والنحاس والذهب وغير ذلك من معادن تؤدى الى تعدد الوان الجبال وانواعها .

سبحانه الله كل هذه المعانى تظهر واضحة جلية للانسان المعدة له الأرض دار سكنى وابتلاء .

كما أن للجبال ميزه فى تثبيت القشرة الأرضية فهى تأخذ الشكل الوتدى كما تشير الآيات في ذلك قال تعالى : ﴿ الم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا ﴾ (النبأ : ٦-٧) .

" وقد أكد العلم الحديث أن الجبال لها جذور ممتدة تحت قارات القشرة الارضية فقد وجد أن سمك القشرة الأرضية تحت القارات حوالى خمسة كيلو متر أما سمكها تحت الجبال فيقدر بحوالى خمسة وثلاثين كيلو متر . وتتخذ شكل الأوتاد ووظيفتها . فالجبال ممساكات القارات فى الصخور السائلة التى توجد تحت القشرة الارضية الصلبه ولولا جذور هذه الجبال لطفت القشرة الارضية وسبحت فوق صخور الباطن اللينه ولنعدم توازنها وثباتها فوقها ".(١) ولقد تأكد الباحثون من هذا فى عام ١٩٦٥ م وعلموا أنه لولا أن الله قد خلق الجبال بشكل أوتاد لطافت القارات وما دامت الأرض من تحت اقدامنا .(٢)

---

(١) الاكتشافات العلمية الحديثة دلالتها فى القرآن د. سليمان عرقوش ص ١٤٤ .

(٢) توحيد الخالق للشيخ الزندانى ٤٩/٣

المبحـــث الثالث

ثالثـا : الهواء والغلاف الجـــوى :

هو من أهم المصادر التى جعلها الله سبحانه لحياة الانسان علـــى هذه الأرض لذلك فقد وفره سبحانه وأحكم له نظاما لاينقصه تنفسنـــا واستهلاكنـــا منه كما جعله سبحانه ميسرا لكثير من حاجاتنـــا . فالارض محاطة بغلاف جوى كرى نسميه الهواء . وهو طبقة من الغازات التى تحيط بالكرة الارضيـة وهو متسع الارجاء دائم الحركة لايعترف بالحدود لانـــه وحدة لا انفصال فيها ويؤثر على انحاء الكوكب والهواء عديم الطعـــم واللون والرائحـه بالأضافة الى بخار الماء الذى يحمله الهواء لأن بخار الماء آخف وأقل كثافـة من الهواء الجاف .

" ويقدر العلماء ارتفاع الغلاف الجوى حوالى الف كيلو متر ولكنـــه يكون طبعا مخلخلا عند هذه الارتفاعات الشاهقه بحكم ضآلة الهواء الـــى حد الانعـــدام " .(١)

" وأهم الغازات التى يتركب منها الهواء هى النيتروجين ونسبتـــه ٧٨ ٪ من حيث الحجم والاكسجين ونسبته ٢١٪ من حيث الحجم وغازات اخرى نادرة نسبتها ١ ٪ فقط .

وكلما أرتفعنا فى السماء قلت مقادير الهواء وقل تبعا لذلـــك الأكسجيـن الجوى . فاذا كان الاوكسجين عند السطح هو مائتى وحدة مثـلا فانه يعتبر على عشرة كيلو مترات اربعون وحدة فقط ، ويعتبر ارتفـاع عشرون كيلومتر عشر وحدات فقط ، وعلى ارتفاع ثلاثين كيلو متر وحدتـــان فقط ، وهكذا .. أى أن الانسان يمكن أن يختنق تماما اذا ما ارتفع فـوق

---

(١) الاعجاز العلمى فى القرآن ص ١٩٣ د. منصور حسب النبى .

عشر كيلو مترات ولم يكن محميا داخل غرفة أو حلة مكيفه" .(١)

هذا قد يكون تفسيرا لقوله تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للأسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الرجس على الذين لايؤمنون ﴾ (الانعام : ١٢٥) .

فعن ابن عباس " كأنما يصعد فى السماء " يقول فكما لايستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لايستطيع ان يدخل التوحيد قلبه حتى يدخله الله ".(٢)

فابن آدم لايستطيع ان يصعد السماء بغير أجهزة معدة لذلك ..لماذا؟ لما يلاقيه من صعوبات فى التنفس من جراء نقص الهواء وتغير مقادير الضغط الجوى فى طبقات الغلاف الجوى . كذلك الايمان اذا لم يكن مجهزا بهداية الله التوفقيه لم يك هينا على الانسان .

والغلاف الجوى يتكون من عدة طبقات كل طبقة من هذه الطبقات لها مهمة جعلها الله سبحانه مسخرة لحماية ورعاية هذه الأرض المعدة للانسان . فما هى هذه الطبقات وما وظيفة كل منها بالنسبة للحياة على الأرض ؟

"قسم الغلاف الجوى الى طبقات ، كثيرا ماتعددت تسميتها وتباينت . وفى الواقع نجد ان اسباغ اى اسم على أية طبقة أمر شائك حتى بالنسبة للمتخصصين فى الرصد الجوى . وأساس التسميه هو فى الغلاف اختلافات درجات الحرارة "(٣)

---

(١) الله والكون - د. محمد جمال الفندى ص ٢٢٦ ، ٢٢٧

(٢) تفسير ابن كثير ١٧٥/٢

(٣) الأرصاد الجوية - د. محمد جمال الفندى ص ٥١ - الطبعة الثانية ١٩٨٥ م - دار النشر بدون .

وأقرب هذه الطبقات لسطح الأرض هى التى يحدث فيها التقلبات الجوية من اثارة الرياح والسحب ونزول المطر واختلاط الهواء البارد بالساخن والرطب بالجاف . وهى تمتد الى ارتفاع ثمانيه عشر كيلومتر عند خط الاستواء ، وثمانية كيلو مترات عند القطبين وتقل درجة الحرارة بازدياد الاتفاع بمعدل ست درجات مئوية لكل كيلو متر حيث تصل عند نهاية الطبقة الى سبعين درجة مئوية تحت الصفر .(١)

كما توجد طبقات الأوزن - النيتروجين - من أرتفاع ثلاثين

موج مكفوف واذا اعتبرنا السماء بمعناها اللغوى ماعلاك فأظلك فان الغلاف الجوى هو السماء التى وصفت بأنها موج مكفوف ومن المعلوم ان الاشعة الكونية الصادرة من النجوم تنطلق على شكل موجات كمايخبرنا بذلك علم الفيزياء فيقول " ان الطاقة الضوئية تسير فى موجات لاتختلف عن موجات البحر . الا أن موجات الضوء لاتسير فى الفضاء الخالى فحسب بل فى بعض الاجسام الصلبه . وان الشمس والنجوم تبعث كل هذه الموجات من اطوال مختلفة ".[1]

وهذه الاشعة فيها من الضرر مايكفى لتدمير الحياة على الأرض لو وصلتها كلها الا ان عناية الله بالناس جعلت من صفات هذا الغلاف كف الاشعه المضره بالحياة على الأرض والسماح بما فيه القدر الكافى من الفائدة .

وقد استدل بعض المفسرين المعاصرين .[2] بالآية التى يقول الله سبحانه فيها ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ﴾ (الانبياء : ٣٢) .

لكن يظهر من الآية ان الحفظ هنا هو عدم سقوطها كما يوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ .. ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا بأذنه ﴾ (الحج : ٦٥) وكذلك الحفظ هنا بالرمى بالنجوم والشهب من الشياطين لقوله تعالى : ﴿ ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزينها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ (الحجر : ١٦ - ١٧) وقوله تعالى : ﴿ انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظا من كل شيطان مارد . لايسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب ﴾ (الصافات : ٦ - ٨)

---

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون - كولين رونان ص ٤١
(٢) الله والكون - الفندى ص ٢٢٦ ، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - د. عبدالعليم خضر ص ٤١

اذا فالحفظ من السقوط وكذلك من عدم استراق السمع سواءا للأنس وللجن وكما يفهم من لفظ السقف فهو الشئ المرفوع والأشعة الكونيه والشهب تأتى من أعلى الغلاف الجوى وليس من أسفله من جهة الأرض .

وللغلاف الجوى فوائد جليلة غير ذلك حيث تتمثل هذه الفوائد فى وظائف طبقاته ومن هذه الفوائد على سبيل المثال لاعلى سبيل الحصر .

أولا : فيه الاوكسجين اللازم للحياة - حتى للاحياء المائية .

ثانيا : تعمل نسبة الازون العالية فى الجو على امكان اطفاء اى حريق يشب على الأرض وهذه النسبه تقدر بحوالى $\frac{٤}{٥}$ حجم الهواء.(١)

ثالثا : ان سمك الغلاف الجوى مضبوط بدرجة تسمح باحتراق معظم الشهب قبل وصولها الى الأرض عند احتكاكها بالهواء .(٢)

رابعا : فيه ثانى اكسيد الكربون اللازم لبناء النبات ويتحول الى سكر ونشا وخشب .(٣)

خامسا : فى هذا الغلاف يتكون ضوء النهار بسبب أشعة الشمس خلال الطبقة الممتدة من سطح الأرض حتى ارتفاع مائتان كيلو متر فقط . كما يسمح بنفاذ أشعة الشمس والحرارة والضوء اللازم للحياة ولكنة يحجز الاشعاعات الكونية الضارة .(٤)

سادسا : تنقل الموجات الصوتية والضوئية عبر هذا الغلاف الجوى مما يسمح لنا بالاحساس بها والالوار تفعنا عن حدود هذا الغلاف . فحيئند لاتدرك حواسنا ضوءا أو صوتا الا عن طريق الموجات الكهرومغناطيسية كما يحدث فى مركبات الفضاء .

---

(١) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ص ٤٢
(٢) الكون والاعجاز العلمى للقرآن ص ١٩٥
(٣) الله والكون ص ٢٣٤
(٤) الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها فى القرآن ص ١٢٨ - ١٢٩

سابعا : يمتد المجال المغناطيسى للأرض لارتفاعات كبيرة فى جـــو الأرض بحيث يؤثر على الجسيمات الذرية المشحونه كالاشعة الكونية القادمة من الفضاء الخارجى ويجعلها تدور فى أحزمة تحيـــط بالأرض على ارتفاعات بعيدة فيمنع بذلك اختراقها للجو ووصولها للأرض . (١)

فسبحان الله ، عنايته عظيمة بهذا الانسان وهذا غيض من فيض قـــال تعالى : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوهـــا ان الانسان لظلوم كفــــار ﴾ (ابراهيـــم : ٣٤) .

---

(١) الكون والاعجاز العلمى للقـــرآن ص ١٩٥

الفصل الخامس

الفضاء الكونى

ويشتمل على المباحث :

أولا : الفضاء الكونى والظلام

ثانيا: السباحة فى الفضاء

ثالثا: السفر الى الفضاء

الفضـــــــاء الكونـــــــى :

بالرغم ان الغلاف الجوى يعتبر من نطاق الأرض فأرتفاعه لايتعـــدى الف كيلو متر الا أنه احد مكونات الفضاء الكونى .

والفضاء فى اللغة من الفعل فض وهو مادل على انفساح فى شـــئ واتساع وهو المكان الواسع . (١) كالصحراها وغيرها .

وقد يتخيل بعض الناس ان الفضاء والفراغ بمعنى واحد كما ذكـــر ابن الاثير فى تعريفه للفضاء " بأنه الفارغ الواسع من الأرض" (٢) وأن كان هو لايقصد هذا . ولكن الواقع ان الفضاء هو عبارة عن العلاقـــة بين المخلوقات بعضها البعض فالصحراء مثلا ليست فارغة بمعنى خلوهـــا من الموجودات فهى تحتوى على الرمال والتلال وجوها ملئ بالهـــواء من كل جانـــــب .

والقرآن الكريم يشير الى ان هناك خلقا وسيطا بين السمـــوات والأرض قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما فـــى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ (ق : ٣٨) .

ولم ترد مادة فضاء فى القرآن الكريم بهذا اللفظ الا فى موضع واحـــد بصيغة الفعل حينما تحدث عن النساء ومعاشرتهن بالمعروف قال تعالـــى : ﴿ وان أرد ثم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فـــلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا . وكيف تأخذونـــه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ (النساء :٢٠-٢٢)

---

(١) مقاييس اللغة لابن فـــارس ٥٠٨/٤

(٢) النهايـــة فى غريب الحديـــث ٤٥٦/٣

ويذكر ابن فارس في معنى أفضى الرجل الى امرأته اى " باشرها بأنه شبه مقدم جسمه بفضاء ومقدم جسمها بفضاء فكأنه لاقى فضاءها بفضائه " (١)

ولكن الاشارات الى الفضاء الكوني في القرآن متعددة فمثلا. قال تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه او لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣) .

والآفاق في اللغة جمع أفق وهو مادل على تباعد مابين اطراف الشئ واتساعه .(٢) وهذا معنى الفضاء حيث فيه انفساح واتساع الشئ. وقال تعالى : ﴿ ..... ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير ﴾ (المائدة : ١٧) . وقال تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى . له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ﴾ (طه : ٥ - ٦) . وقال تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما ﴾ (الطلاق:١٢) اى يجرى قضاء الله وقدره وأمره بينهن وينفذ ملكه فيهن . ولفظ بينهن يدل على وجود عوالم ومخلوقات لايعلمها الا الله قال تعالى : ﴿ .... وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر ﴾(المدثر:٣١)

والآيات التى تشير الى الفضاء الواسع الذى لايعلم مداه الا الله كثيره فقد وردت عبارة " بينهما " التى تدل على الخلق الذى بين السموات والأرض في اكثر من واحد وعشرين موضعا .

---

(١) مقاييس اللغة ٥٠٨/٤

(٢) مقاييس اللغة ١١٤/١

وحديثنا عن الفضاء الكونى هو فى حدود ما يخبرنا به علم الفلك الحديث وكذلك فى حدود ما سمحت به الأرادة الالهيه لبنى الانسان من معرفة هذا الكون الفسيح فى نطاق قوله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق ... ﴾ .

ومن الاستفسارات التى ترد فى هذا المجال الآتى :

ما هى مكونات الفضاء الكونى ؟ وهل هو ثابت ؟ وهل هو مظلم أم مملوء ضوء ؟ وما نوع الحركة فيه ؟ وغير ذلك من الاسئلة التى تحتاج الى اجابة .

ونحن نعرف أن المادة الكونية تتكون من عدد من العناصر يربو على المائة وهى توجد فى ثلاث حالات ، صلب وسائل وغاز . ويقول علم الفيزياء الحديث ان هناك صورة أو حالة رابعة للمادة هى الطاقة .[1] وذلك بما أشتهرت به القوانين التى اكتشفها أنشتين فى تحول المادة الى طاقة والعكس . والفضاء الكونى لايخلو من أحد الحالات الأربعة للمادة فهو يتكون من :

١ - المجرات : والمجرة هى مجموعه من النجوم المتقاربة اختيرت لتسهيل أبحاث الفضاء .[2]

٢ - السديم : وهو اما منتشر أو متجمع وهو عبارة عن كتله الغاز أو التراب تنتشر فى الفضاء فيما بين نجوم مجرتنا . أو هو كتل من النجوم أو المواد النجميه خارج مجرتنا .[3] والسديم فى اللغة يعنى الضباب الرقيق .[4] وقد يطلق لفظ السديم على انواع مختلفة

(١) مبادئ الكونيات - الأمين محمد كعورة ص ١٧

(٢) كتاب المعرفة - الارض والكون ص ١١٧ - ١١٨

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحه .

(٤) لسان العرب ١٢/٢٨٤

من الاجرام السماوية ذات المظهر الضبابي .[١]

والغاز الاساسى فى الفضاء هو الهيدروجين وهو مايسمى بالغاز الكونى . " والطبقات العليا من الغلاف الجوى التى تزيد على ارتفاع خمسين كيلو مترا تتكون اساسا من الهيدروجين والهيليوم حتى نهاية الغلاف الجوى الذى يندمج مع الغاز الكونى عند ارتفاع الف كيلومتر من سطح الأرض " . [٢]

٣ - الاشعة الكونية بأنواعها واطوالها الموجيه المنتشره فى طبقات الفضاء الكونى بين النجوم . اذاً فالفضاء الكونى صاخب بالمخلوقات التى لايحصها الا الله وفى المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله زنه عرشة سبحان الله مداد كلماته) .[٣]

فاذا كان علم الفلك الحديث يخبرنا عن مكونات الفضاء الكونى التى منها الغاز الكونى على وجه التمثيل وهو خلق من خلق الله فكم فيه من الذرات ؟ . اذا علمنا ان ذرة الهيدروجين تتكون من الكترون وبروتون وكل هذا خلق من خلق الله . يتضح لنا معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى توضيح عظمة الله سبحانه .

وكل مخلوق من هذه المخلوقات له وظيفته التى حددها الله سبحانه وتعالى له .

وحين ينظر الانسان الى الفضاء يحسب النجوم متجاورة وهى على العكس متباينه جدا بين بعضها وعنا نحن والسبب فى ذلك هو أننا ننظر اليها

---

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن د. منصور حسب النبى ص ٣٠٧
(٢) المصدر السابق ص ١٩٤
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٤٥/١٧ - كتاب الذكر والدعاء باب التسبيح أول النهار وعند النوم - صحيح مسلم ٢٠٩١/٤ حديث رقم ٧٩

من مكان واحد فى الفضاء هو الأرض ويوضح ذلك انك لو وقفت في شارع ونظرة أعمدة المصابيح المقامة على الشارع من رأس الشارع وليس من جانبه فانك سوف ترى المصابيح كأنها مجتمعه ولاتستطيع أن تعرف المسافة بين العمود والذى يليه لأنك تراها متلاحقه .

والنظر الى الفضاء شبيه بذلك فالمسافات فيه شاسعة ورغم ذلك فهو يزداد اتساعا وتمددا وقد تعرف علماء الفلك على هذه الظاهرة باستخدام ضوء معظم المجموعات الفلكية التى درسوها بواسطة المطياف الضوئى - سبكتروسكوب - التى يظهر ان خطوطها مائله الى الطرف الاحمر فى الطيف الضوئى . فقالوا " ان لهذه المجموعات " اتجاها نحو الأحمر " واستنتجوا من ذلك أنها كلها تبتعد عنا وأن بعضها يبتعد عن بعض بمعنى ان الكون بكاملة يزداد اتساعا فى الواقع وبوسع المرء ان يشبه الكون المتزايد الاتساع ببالون ينفخ وباتساعة يبتعد كل جزء من المطاط فيه عن الجزء الآخر".(١)

وهذا يصدقه قوله تعالى : ﴿ والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون ﴾ (الذاريات : ٤٧) .

وللمفسرين فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وانا لموسعون ﴾ ثلاثة أقوال ذكرها الرازى فى تفسيره وهذه الاقوال هى :

أ - من السعة أى أوسعناها بحيث صارت الأرض ومايحيط بها من ماء وهواء بالنسبة الى السماء كحلقة فى فلاه واليه ذهب ابن كثير حيث قال " اى قد وسعنا ارجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت عن الأرض" .

---

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون - ص ٨٠

ب - انا لموسعون بمعنى لقادرون وعزاه القرطبى الى ابن عباس ويذكر الألوسى انها من الوسع بمعنى الطاقة فالجملة تذييل ، اثباتا لسعة قدرته عزوجل فى كل شىء فضلا عن السماء وفيه رمز الى التعريض الذى فى قوله تعالى : ﴿ ومامسنا من لغوب ﴾ (١)

ج - انا لموسعون اى الرزق على الخلق وعزاه القرطبى الى ابن عباس والحسن حيث قال : " وآنا لموسعون الرزق بالمطر ". (٢)

وكل هذه التفسيرات فيها دلالة لمعنى الآية كما فيها دلالة على التمدد الحاصل فى الفضاء الكونى والكون فلا يمنع من الأخذ بها ولأن نص الآية يشير الى التوسيع المستمر وهو مايحدث فعلا فى هذا الكون .

---

(١) روح المعانى للألوسى ١٧/٢٧

(٢) الجامع لاحكام القرآن القرطبى ٥٢/١٧

المبحث الاول

الفضاء الكونى والظلام :

يتصف الفضاء الكونى بالظلام الحالك وقد اعلن رواد الفضاء عن ذلك فى رحلاتهم خلال الفضاء وذلك بعد مغادرة الغلاف الجوى .(١) والسبب فى ظهور الغلاف الجوى مضيئا لأنه وسط مادى شفاف يسبب تشتت الأشعة الصادرة عن الشمس .(٢)

وهنا قد يتضح لنا جانبا من جعل السماء الدنيا مزينه بالمصابيح والكواكب حيث ان هذه الاجرام سابحة فى الفضاء تتلألأ جميعها ولكن دون أن تضىء هذا الفضاء فلايرى الا ليل دائم مظلم . وباستعراض بعض الآيات القرآنية لنرى اقوال المفسرين فيها وما دلالاتها فى عصرنا الحاضر عصر الفضاء والفلك الحديث .

قال تعالى : ﴿ آأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها واخرج ضحاها ﴾ (النازعات : ٢٦ - ٢٧) وقال تعالى : ﴿ والشمس وضحاها . والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها . والليل اذا يغشاها ﴾ (الشمس : ١ - ٤) .

وقال تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ﴾ (ياسين : ٣٧) .

وقال تعالى : ﴿ فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر اذا اتسق ﴾ (الانشقاق : ١٦ - ١٩) .

---

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور حسب النبى ص ٢٢٠

(٢) الله والكون - د.محمدجمال الفندى ص ١٨٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٥

وقال تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون • لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحرون • ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين ﴾ (الحجر : ١٤ - ١٦)

فالآيات السابقة تتحدث عن مواضيع عدة منها الليل والنهار فالآية الاولى تتحدث عن اغطاش الليل واخراج الضحى والآية الثانيه عن تجليه النهار واغشاء الليل والآية الثالثة عن سلخ النهار من الليل والتى بعدها عن ظاهرة الشفق فى السماء ثم بعد ذلك تزيين السماء وعن تسكير الابصار فى حالة العروج الى السماء .

وغطش فى اللغة أصل يدل على ظلمه وما أشبهها • وغطش الليل فهو غاطش اى مظلم ، وأغطش ليلها أى أظلم ليلها .[1] وقد ذهب المفسرون الى هذا المعنى وأنه أبرز ضوء شمسها وعباراتهم فى تفسير قوله تعالى: ﴿ واخرج ضحاها ﴾ لاتخرج عن المعانى التالية ابرز نهارها ، أبرز ضوء شمسها .[2] وقال الرازى"انما عبر عن النهار بالضحى لأن الضحى أكمل اجزاء النهار فى النور والضوء". كما ذهب ابن الجوزى والقرطبى والرازى الى أن أضافة الليل الموصوف بالظلمه والنهار الموصوف بالنور الى السماء لأنها يصدران عنها ولأنه فيها السبب لذلك وهو الشمس فى غروبها وطلوعها .

ويقول الزمخشرى " وأضيف الليل والشمس الى السماء لأن الليل ظلها والشمس هى السراج فى جوها ، حيث فسر الآية بقوله تعالى : ﴿ والشمس وضحاها ﴾"[3] لكن ابن تيمية لم يذهب الى هذا المقصود بالضحى

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٢٩/٤ ، لسان العرب لابن منظور ٣٢٤/٦
(٢) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٢/٩ ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٢٠٤/١٩ ، تفسير الرازى ٤٧/٣١ •
(٣) الكشاف للزمخشرى ١٨٢/٤

هو النهار أو الضياء وانما قال : " أن الضحى يدل على النور والحرارة جميعا . وبالأنوار والحرارة تقوم مصالح العباد . " (١)

وكلام المفسرين يوضح اضافة الليل الى السماء في قوله تعالى : ﴿ وأغطش ليلها ﴾ الى أنه الناتج عن غروب الشمس وهي سببه وهي في السماء ونحن لانعترض على ماذهبوا اليه لكن هناك معنى آخر يتفق مع ما شاهده رواد الفضاء خلال رحلاتهم من الظلام الحالك المتصف به الفضاء الكوني بعد منطقة من الغلاف الجوي على ارتفاع مائتي كيلو متر حيث الضمير يعود في ليلها الى السماء والفضاء الكوني هو سماء بالمعنى اللغوي وحيث ان دلالة الآية تشير الى ليل السماء وليس ليل الأرض الناتج عن غروب الشمس .

كما ان حقيقة ظلام الفضاء تتضح من حركة الأرض حول نفسها خلال أربع وعشرين ساعة وهي سابحه في الفضاء ومحاطه بغلاف جوي الذي يعتبر من الفضاء الكوني وفي خلال دورانها يحدث لها تعاقب مرور على المنطقة المواجهة لوجه الشمس فيحدث حين ذلك تشتيت لأشعة الشمس في الغلاف الجوي على ارتفاع مائتي متر من سطح الأرض فيظهر بذلك ضوء النهار على الأرض فيرى ضوء الشمس من بداية الشروق حتى نهاية الغروب في اجزاء من الكرة الأرضية المتعرضة لوجهة الشمس اما الاجزاء الاخرى فهي مظلمه لأنها في الجهة الاخرى من الفضاء لايواجه وجه الشمس

وهذا قد يوضح لنا جانبا من معنى الآية التي يقول فيها سبحانه ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ﴾ (ياسين: ٣٧)

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢٩/١٦

وسلخ فى اللغة هو اخراج الشىء عن جلده . ثم يحمل عليه . وانسلخ النهار من الليل خرج منه خروجا لايبقى معه شىء من ضوئه .(١)

وذكر القرطبى فى تفسيره أنه جعل ذهاب الضوء ومحىء الظلمه كالسلخ من الشىء وظهور المسلوخ فهى استعارة . وقيل " منه " بمعنى عنه والمعنى نسلخ عنه ضياء النهار واليه ذهب الطبرى فى تفسيره وعلله القرطبى بأن ضوء النهار يتداخل فى الهواء فيضىء فاذا خرج منه أظلم وقد نقله ابن الجوزى عن الماوردى فى تفسيره .(٢)

ويرى بعض المفسرين أن فى الآية دلالة على ان الأصل الظلمة والنور عارض طارىء عليها .(٣)

وقال الألوسى وفى الحديث مايشعر بذلك أيضا فقد روى الامام احمد والترمذى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ان الله عز وجل خلق خلقه فى ظلمه ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصابه من نوره فقد أهتدى ومن أخطأه فقد ضل ...) " الحديث (٤)

اذا فالنهار ينسلخ من الليل الدائم فى الفضاء كما ينسلخ جلد الشاة من جسدها . كما يراى بعض المفسرين المعاصرين أن قوله تعالى:

* ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون * (الحجر : ١٤ - ١٦) .

فيه دلالة على ماشاهده رواد الفضاء من الظلام الحالك خلال رحلاتهم عبر

---

(١) مقاييس اللغة ٩٤/٣ ، لسان العرب ٢٥/٣

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٢٦/١٥ ، جامع البيان للطبرى ٥/٢٣ ، زاد المسير لابن الجوزى ١٧/٧ .

(٣) غرائب القرآن للنيسابورى ١٦/٢٣ ، تفسير ابو السعود ٥٠٤/٤

(٤) روح المعانى للألوسى ١١/٢٣ ، مسند الامام أحمد ١٧٦/٢

الفضاء ونفوذهم من الغلاف الجوى . وأن هذه الآية تبين ان اللـــــه

سبحانه وتعالى يخبرنا بدليل علمى آن أهل مكه ماكانوا يؤمنون حتـــى

المبحث الثاني

السباحة في الفضاء :

بمناسبة ذكر العروج في السماء فان السفر في الفضاء لايتخذ خطا مستقيما لأن الفضاء لايعرف الخط المستقيم وهذه حقيقة علمية عرفناه من الهندسة المتعددة الابعاد التي تتحدث عن أبعاد ثلاثة وهي المعبر عنها بالفضاء والتي أضيف اليها بعدا رابعا هو الزمن فأصبحت الحركة لاتتحدد الا بالمكان (الفضاء) مع الزمن فالاجرام السماوية حركتها في الفضاء خلال زمن وان كان الزمن ما هو الا ناتج من نواتج الحركة في الفضاء لكنه سر من اسرار الله سبحانه في كونه قال تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (يونس : ٥) اذن ما هو المسار الذي يتناسب مع الفضاء اذا كان لايعترف بالخط المستقيم ؟

نجد الاجابة امامنا موجودة وقبل ان يتعرف اليها علم الفلك الحديث في كتاب الله سبحانه حيث يقول عز وجل ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ (ياسين : ٤٠) . قال ابن عباس رضي الله عنهما "في فلك كفلك المغزل"وعن الحسن"الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل".[1] أي أنها تأخذ المسار المنحني ويقول تعالى في موضع آخر من كتابه العزيز ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٣/١٧ ، ٨/٢٣

من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴿ (الحجر : ١٤ - ١٦) . وقال تعالى : ﴿يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ﴾ (سبأ : ٢) .

وعرج فى اللغة تأتى بعدة معانى منها ما دل على ميل ومنها ما دل على سمو وارتقاء . ويقال للطريق اذا مال : انعرج . وعرج البناء تعريجا أى ميله فتعرج وعرج فى الدرجة او السلم يعرج عروجا أى أرتقى والمعرج : المصعد وهو الطريق الذى تصعد فيه الملائكة ، والمعراج شبه سلم او درجة . (١)

وقد يأخذ السلم او الدرج الشكل المائل والمسار المنحنى فيجمع بين الميل والارتقاء كما نلاحظ على بعض السلالم حديثا فى بعض العمائر وتسمى مدخل للطوارى ء .

اذا فالسير عبر الفضاء يأخذ المسار المنحنى مع التدرج من مسار الى مسار فى حالة الارتقاء الى طبقات اعلى فى الفضاء . وهذا يعنى ان الفضاء فيه تقوس وانحناء وهذا ما أشارت اليه نظرية النسبية العامه حيث أن الكون والفضاء الكونى لايخلو من وجود المادة فى أحد صورها الاربعة - الصلبه ، السائل ، الغازية ، الطاقة - وهذا يغير من شكل الفضاء ويجعله يتقوس .

" وتحقق العلماء من ذلك ولاحظو أن وجود المادة فى الفضاء يخلق دائما مجالا مقوسا للجاذبية - أى يجعل المادة تقاوم التغييرات فى اتجاه حركتها - وهذا من شأنه أن يجعل للأجسام كروية وأن تتخذ الاجسام الفضائية التابعه لها مدارات بيضاوية الشكل وليست خطوطا مستقيمة "(٢)

---

(١) مقاييس اللغة ٣٠٢/٤ ، لسان العرب ٣٢١/٢

(٢) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ، د. عبدالعليم خضر ص ١٤٩

وهذا مما يؤكد لنا المعنى الذىذهب اليه ابن عباس رضى عنهما والحسن بأن حركة الاجرام السماوية فى فلك كفلك المغزل . واذا تأملنا الفضاء خارج الغلاف الجوى فان نجده وسط لا أثر للهواء فيه اى تنعدم خلاله معوقات الحركة لذلك يظهر لنا سباحة الاجرام السماوية فيه . وكما نجد من الآيات القرآنية ان خالق الكون - الذى هو أعلم باسرار خلقه التى تخفى علينا نحن البشر الا اذا شاء هو سبحانه باظهارها لنا واطلاعنا عليها - قدعبرعن ذلك بلفظ السباحة عندما اخبرنا عن حركة الشمس والقمر وغيرها من النجوم فقال عز وجل ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون ﴾ (الانبياء : ٣٣) .

هذه السباحة هى الحركة الحقيقية للاجرام السماوية فى الفضاء وهى لا تتنافى مع ماورد فى القرآن الكريم عن حركة كل من الشمس والقمر المعبر عنها بالجرى والتى سنوضحها فى فصل لاحق . ذلك الجرى فى هذا الفضاء الواسع الذى لا زال يتمد ويتسع .

" ويقول بعض الفلكيين لكى يعطوا صورة امتداد الفضاء المرئى أنه اذا قسمنا مادة الكون المرئى على فضائه ، كان نصيب المتر المكعب منه ذرة واحدة من المادة الكونية . وأن هذا الفضاء يمكن تقسيمه الى :

أولا : الفضاء الخارجى وهى الذىيلى الغلاف الجوى للأرض مباشرة وهو يشمل ثلاثة انواع هى :

١ - فضاء بين الكواكب وهو مايقع بين اجرام المجموعة الشمسية .

٢ - فضاء بين النجوم وهو يقع بين نجوم مجرتنا التى تنتمى اليها.. ونجوم أى مجرة آخرى .

٣ - فضاء بين المجرات وهو الفضاء الفاصل بين الجزر الكونية الكبرى .

ثانيا : الفضاء السحيق وهو مايلى الفضاء الخارجى :

كما يؤكدون أن الفضاء ليس فراغا ، ولو أنه يكاد يكون شفافا قليل الكثافة اذ أن كل مليون ميل مكعب منه يحوى ملليجراما واحدا من المادة الكونية". [1]

وعلى الرغم من هذه المسافات الشاسعة فى الفضاء التى تسبح فيها الاجرام السماوية والتى تقدر بملايين السنوات الضوئية وحيث ان السنة الضوئية هى مقدار المسافة التى يقطعها الضوء بسرعته المعهودة والمقدرة بحوالى ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية خلال عام الا انه يحتمل الا يتعدى زينة السماء الدنيا وهى المسافة بين السماء والأرض والتى حددت فى بعض الأحاديث والآثار بخمسمائة عام لكن لم تحدد فيه السرعة اللازمة لقطع هذه المسافة مما يدلنا ان هناك سرعات أعلى من سرعة الضوء كما ذهب الى ذلك عالم رياضى يابانى بأن هناك جزىء ذرى يتحرك بسرعة أكبر بكثير من سرعة الضوء . [2] لقطع هذه المسافة بين السماء والأرض .

وهنا تظهر المعجزة الكبرى لسيد البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى رحلتى الاسراء والمعراج اللتين تحققتا فى ليلة واحدة وفرض عليه فيها الصلوات الخمس ثم عاد الى موضعه الذى كان فيه من مكة كما تظهر أهمية الصلوات الخمس التى لم تكن كسائر العبادات يأتيه الوحى وهو فى موضعه على الأرض وانما رفعه اليه عز وجل فوق سابع سماوته وفرض

---

(١) الجغرافيا الفلكيه - شفيق عبدالرحمن على ص ٥٥ ، ٥٦

(٢) كتاب المعرفة - الذرات والالكترونات ص ٢٨ - طبعة ١٩٨٧ - شركة انماء النشر والتسويق - الناشر - شركة شراد كسيم - جنيف .

عليه الصلوات هناك . كما يتضح فى هذه الرحله تصرم المسافات والسرعات حيث لا يشملها قانون يعرفه بنو البشر لأن خالق الكون ومبدع القوانين قد أبطل هذه القوانين فى هذه الرحلة كما أبطل سبحانه قوانين البحر فى نجاة موسى عليه السلام وقومه من فرعون قال تعالى : ﴿ فأوحينا الى موسى أن أضرب بعصاك البحر فأنفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ﴾ (الشعراء : ٦٣ – ٦٦) . ويذكر السيوطى عن بعض العلماء فى نكت الاسراء والمعراج أن " بين السماء والأرض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الأرض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط ، فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه ، فهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام " (١)

والبحر المكفوف الذى ذكره السيوطى هو عبارة عن الفضاء الكونى بقسميه أو على الاصح كما يقولون كون مرئى وكون غير مرئى حتى السماء الدنيا .

وقد وردت احاديث فى السنة النبوية تشير الى مابين السماء والأرض وهو ما نعبر به فى علم الفلك بالفضاء الكونى هذه الاحاديث تشير الى فضل الذكر فقد ورد فى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان لله تبارك وتعالى ملائكه سيارة يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملوء ما بينهم وبين السماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا

---

(١) الاية الكبرى فى شرح قصة الاسراء للسيوطى ص ١٢١ تحقيق – محى الدين مستو – الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ – دار ابن كثير – دمشق – بيروت مكتبة دار التراث – المدينة المنورة .

وصعدوا الى السمـــاء ....) الحديث [١]

وهذه أمور غيبيه لايستطيع أن يعطى العلم فيها اى اجابة وأنمـــا مرجعها الى الوحى مما يعمق الايمان بالله سبحانه وتعالى اذا شعر الفرد بعظمة هذا الفضاء وما فيه وغيره من المخلوقات أعظم واكبر منه تلـــك المخلوقات التى لايحصيها الا هو سبحانه وتعالى فقد وجب عليه ذكره دائما وقد ورد فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنـــه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطهورشطرالايمان والحمدلله تملأالميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأمابين السمـــــوات والأرض ..) [٢] .

وقد ذكر النووى فى معنى الحديث قائلا " يحتمل أن يقال لو قـــدر ثوابهما جسما لملأما بين السموات والأرض وسبب عظم فضلهما ما أشتملتـــا عليه من التنزيه لله تعالى بقوله سبحان الله والتفويض والافتقار الـــى الله تعالى بقولـه الحمد لله " .

فاذا علمنا وسع الفضاء الكونى المرئى منه وغير المرئى الـــذى اعتبره بعض الفلكيين لانهائى وأن كان هو كذلك بالنسبة لنا نحن البشر فما بالك بالفضاء بين السموات الاخرى المطبقة على بعضها حيث أن المسافـــة بين السماء والتى تليها مسيرةخمسمائة عام مع العلم ان السرعة في ذلك غير معلومة فهى أمر غيبى عنا وأن كنا نعتقد اعتقادا جازما بأنها أعلـــى كثيرا من سرعة الضوء التى اعتبرت حتى الآن هى السرعة القصوى المقـــاس

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب الذكر والدعاء باب فضل مجالس الذكر ١٤/١٣ ، صحيح مسلم ٢٠٦٩/٤ حديث رقم ٢٥

(٢) المرجع السابق - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء ٩٩/٣ - صحيـــح مسلـــم ٢٠٣/١ - حديث رقم ١

بها الابعاد بين الاجرام السماوية فى هذا الفضاء الواسع بين السماء والأرض .

ومعلوماتنا عن الكون والفضاء الكونى انما هى متوقفه على ما ينبعث او يعكس من آشعة تنتج عن الاجرام السماوية أو عن طريق المناظير الفلكيه والاجهزة المعدة لذلك ورغم ذلك فقد قصرت هذه الاجهزة عن اعطاء استقراء كامل لما فى هذا الفضاء مما حدى بالعلماء فى هذا الفن لتجهيز المركبات الفضائية لسبرغور الفضاء لأعتقادهم أن فى هذا الكون الواسع مخلوقات أخرى تشاركنا سكنى هذا الكون . فهل سيتمكن الانسان من التوغل فى اعماق الفضاء لمعرفة ذلك ؟

المبحث الثالث

السفر الى الفضاء :

لقد ذهب بعض العلماء المعاصرين الى ان مصادر الوحى تشير الى السفر الى الفضاء فى بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والأنس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والأرض فأنفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ (الرحمن : ٣٣ - ٣٥) . وكذلك فى قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق ﴾ (الانشقاق : ١٦ - ١٩) .

حيث ذهبو الى ان الآية حجة للمسلمين فى كون البشر يستطيعو فى كشف الفضاء والصعود اليه . كما أشار صاحب كتاب الكون والاعجاز العلمى للقرآن الى ان الآية الثانية فيها دلالة على السفر الى الفضاء حيث حقق الانسان ذلك . (١) وقال " نستطيع الآن ان نفسر قوله تعالى " طبقا عن طبق" كما يلى :

١ - ان رائد الفضاء تدرب اولا على مرحلة انعدام الوزن قبل القيام بالرحلة وذلك بالدوران فى أطباق بسرعات مختلفة .

٢ - يركب رائد الفضاء فى كابسولة فى أعلى صاروخ متعدد المراحل كما لو كان الصاروخ فعلا طبقا عن طبق .

٣ - اختراق الصاروخ لطبقات الغلاف الجوى المختلفة حتى ينفذ من جو الأرض متجها الى القمر .

---

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور حسب النبى ص ٢٢٦ - ٢٣٠

٤ - لقد تم ارسال العديد من سفن الفضاء قبل نجاح الوصول الى القمر وكانت هذه السفن كالاطباق تحمل ركابا متعاقبين طبقا عن طبق لتدور حول الأرض " .

ثم استرسل فى تعديد الرحلات التى وصلت الى القمر وقال أنهم ركبوا طبقا عن طبق فى سبيل الوصول الى القمر . كما ذكر المصاعب التى ستواجه رواد الفضاء عندما يحاولون التعمق فى النفاذ من الفضاء فقال " فضلا عن المشاكل العادية كانعدام الوزن وتغير الجاذبية ومشاكل الطعام والنوم والاجهاد النفسى التى يتعرض لها رائد الفضاء كلما طالت الرحلة فان هناك مصاعب آخرى خطيرة تتعرضها فيما يلى :

١ - احتمال اصطدام سفينة الفضاء بنيزك كبير وخاصة فى المنطقة بين المريخ والمشترى .

٢ - احتمال حدوث ثقب فى السفينة الفضائية بسبب الجسيمات الصغيرة المنتشرة غالبا بوفرة فى مدار المذنبات ، لأن هذه الجسيمات تكون عالية السرعة لدرجة قد تؤدى الى زيادة طاقة حركتها رغم صغر كتلتها وتحدث عند تصادمها بالسفينه ثقبا نتيجة صهر جدار السفينة بتأثير حرارة الاصطدام .

٣ - انتشار الأشعة الكونية فى أرجاء الكون كله وهذه الاشعة خطيرة جدا على رواد الفضاء لاحتوائها جسيمات ذرية مشحونه عالية الطاقة ".(١)

وللمفسرين فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والأرض فأنفذوا لاتنفذون الا بسلطان ﴾

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحات .

اقوال مفادها هو هل المقصود بالخطاب الدنيا أو الآخرة ؟ وما هو المقصود بالنفوذ والسلطان فى الآية ؟

فذهب قوم منهم الى أن المقصود بالخطاب فى الآخرة وذكر الرازى ان ظاهر الآية يدل على ذلك فان الجن والانس يريدون الفرار من العذاب [1] واورد الطبرى فى ذلك عن الضحاك بن مزاحم قال : (اذا كان يوم القيامة امر الله السماء الدنيا فتشققت بأهلها ونزل من فيها من الملائكة فأحاطوا بالأرض ومن عليها بالثانية ثم الثالثة ثم بالرابعة ثم بالخامسة ثم بالسادسة ثم بالسابعة فصفوا صفا دون صف ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم فاذا رآها أهل الأرض ندوا ، فلا يأتون قطر من اقطار الأرض الا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه فذلك قوله تعالى حكاية عن مؤمن قوم فرعون ﴿ وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ (غافر : ٣٢ - ٣٣) وذلك قوله تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ (الفجر : ٢٢) وقوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والأرض فأنفذوا لاتنفذون الا بسلطان ﴾ وذلك قوله تعالى: ﴿ اذا انشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرشك ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ (الحاقة : ١٦ - ١٧) [2]

ولمعترض ان يقول كيف يكون المقصود بالخطاب الآخرة فى قوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والأنس ان آستطعتم ان تنفذو من اقطار السموات والأرض

---

(١) تفسير الرازى ٢٩/ ١١٣
(٢) جامع البيان للطبرى ١٣٧/٢٧

فأنفذوا لاتنفذون الا بسلطان * مع ان الآيات التى بعدها فى قوله سبحانه " فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان تفيد غير ذلك حيث ان الفاء تفيد التعقيب اى انشقاق السماء بعد عملية محاولة النفوذ وارسال الشواظ وكما يفيد الخبر الذى اورده الطبرى عن الضحاك بن مزاحم .

فأجاب الرازى عن ذلك بقوله " ان الفاء للتعقيب على وجوه ثلاثة هى :

١ - التعقيب الزمانى للشيئين اللذين لايتعلق أحدهما بالآخر عقلا ،فلان ارسال الشواظ عليهم يكون قبل انشقاق السموات ويكون ذلك الارسال اشارة الى عذاب القبر والى ما يكون عند سوق المجرمين الى المحشر ،اذ ورد فى التفسير أن الشواظ يسوقهم الى المحشر فيهربون منها الى أن يجتمعوا فى موضع واحد على هذا معناه يرسل عليكما شواظ فاذا انشقت السماء يكون العذاب الاليم .

٢ - التعقيب الذهنى فوجهه أن يقال " يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس" فيكون ذلك سببا لكون السماء تكون حمراء اشارة الى لهيبها يصل الى السماء ويجعلها كالحديد المذاب الأحمر .

٣ - التعقيب فى القول فوجهه أن يقال : لما قال " فلا تنتصران " أى فى وقت ارسال الشواظ عليكما قال فاذا انشقت السماء وصارت كالمهل وهو الطين الذائب ، كيف تنتصران ؟ اشارة الى أن الشواظ المرسل لهب واحد ." (١)

كما ذهب قوم من المفسرين الى أن الخطاب موجه للجن والأنس فى الدنيا فيكون المعنى على وجهين ذكرهما الطبرى فى تفسيره .(٢)

---

(١) تفسير الرازى ٢٩/١١٥

(٢) جامع البيان للطبرى ٢٧/١٣٧

احدهما : أنه لايجيرهم أحد من الموت وأنهم ميتون لايستطيعون فرارا منه ولامحيصا لو نفذوا من اقطار السموات والأرض كانوا في سلطان الله ولأخذهم الموت .

الثاني: وهو مذكور عن ابن عباس رضى الله عنهما فيكون معنى الآية يامعشر الجن والأنس ان استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والأرض فأعلموه لن تعلموه الا بسلطان ، يعنى البينه من الله جل ثناؤه ومعنى لاتنفذون لا تخرجون من سلطاني .

اذا اذا كان المقصود بالخطاب الموجه لمعشر الجن والأنس هو فى الدنيا وأن معنى النفوذ هو العلم وأن السلطان هو الحجه فانه لامنافه من الأخذ بقول العلماء المعاصرين من معنى الآية وان فيها دلالة على محاولة البشر السفر الى الفضاء الى حدود معينه بعدها سيلقون من المصاعب المعبر عنها بالشواظ المكون من النار والنحاس فان الله سبحانه وتعالى قد أذن بفتح المجال لبنى البشر للوصول بسلطان العلم والتقنية الى ذلك بدليل قوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣) .

ولقد ذكر الدكتور العبادى فى كتابه العلم الحديث بعد أن رفض القول بأن فى الآية دلالة على السفر عبر الفضاء وذهب الى القول الاول من اقوال المفسرين فى ان المقصود بالخطاب هو يوم القيامه قال : " ولكن يمكن أن نثبت صعودهم الى الفضاء وكشفهم للكواكب بمدلول آخر معاكس وهو أن الله علم الأنس والجن مالم يعلموا واعطاهم قوة وسلطانا فى الدنيا ولكنه سبحانه يوم القيامه يتحداهم ويقول لهم لقد كان لكم فى الدنيا سلطان وقوة وعلم وقد سمحت لكم بأن تنفذوا من اقطار السموات والأرض

الباب الثالث

نظام حركة الافلاك فى السماء الدنيا ويشتمل على الفصول التاليه :

الفصل الاول : اعمار النجوم وانواعها

الفصل الثانى: نظام حركة النجوم

الفصل الثالث: المجموعة الشمسية ونظام حركتها

الفصل الرابع : آثار الاجرام السماوية وحركاتها على الحياة فى الأرض .

وتصولوا او تجولوا كيف تشاءون وأن تصلوا الى بعض ماتريدون أما اليوم فليس لكم ذلك فأنتم اليوم فى حكم المأسورين وفى قبضتى فلا تستطيعون أن تفعلوا شيئا مما علمتموه فى الدنيا وعملتموه . وبذلك نستطيع ان نثبت بأن الآية فيها دلالة على أنه لامانع من اختراع مايوصلهم الى الفضاء والصعود اليه فى الدنيا فاثبات ذلك ممكن عن طريق النفى لا عن طريق الايجاب ، فلما نفى عنهم سبحانه بأن ليس لهم سلطان للنفوذ من اقطار السموات والأرض يوم القيامه جاز أن يكون لهم فى الدنيا " .(١)

اما الاستدال بقوله تعالى : " لتركبن طبقا عن طبق " بأن فيه دلالة على تمكن الانسان من الصعود خلال الفضاء بمركبات الفضاء التى تمثل طبقا عن طبق فهذه استدلات وتفسيرات ظنية لاحرج على من أخذ بها لأن اقوال المفسرين اختلفت فيها وقد نقل الطبرى فيها من الاوجه مايلى :(٢)

١ - لتركبن يامحمد أنت حالا بعد حال وأمرا بعد أمر من الشدائد .

٢ - لتركبن أنت يامحمد سماء بعد سماء .

٣ - لتركبن الآخرة بعد الأولى .

٤ - حالة السماء حيث تتغير ضروبا من التغيير ، وتشقق بالغمام مرة وتحمر أحرى فتصير وردة كالدهان ، وتكون كالمهل .

٥ - وان كان الخطاب الى الرسول صلى الله عليه وسلم لكن المراد به الناس فأنهم يلقون من شدائد يوم القيامه وأهواله احوالا .

على كل حال السفر الى الفضاء اصبح غير متعذر على البشر للبحث عما يريدون الوصول اليه لكن فى نطاق ما أذن الله تعالى به فالفضاء الكونى واسع شاسع .

---

(١) العلم الحديث حجه للانسان أم عليه ؟ د. عبدالله العبادى ١٠٠/١

(٢) جامع البيان للطبرى ١٢٢/٣٠ - ١٢٥

تمهيـــــد :

النجوم بمختلف انواعها من أبرز وأكبر مكونات الكون أو الفضاء الكونى وهى تتحرك فى الفضاء على شكل تجمعات كل تجمع يؤلف مجموعة من النجوم تعد بالملايين وهى ما تسمى بالمجرة .

"والمجرة فى اللغة : من جر وهو مد الشئ وسحبه . يقال جررت الحبل وغيره أجره جرا . والجرير حبل يكون فى عنق الناقة من أدم ومن هذا الباب الجره جرة الانعام لأنها تجر جرا . وسميت مجرة السماء لأنها كأثر المجر".(١)

وفى اللسان المجرة : السمنه الجامدة والمجرة : هى البياض المعترض فى السماء .. "(٢)

يتضح ان المجرة عند العرب تتصف بالبياض المعترض فى السماء على شكل حبل مجرور أو شكل السمنه الجامده يظهر فيها أثر النجوم كجرة الانعام .

وقد نقل القزوينى فى عجائب المخلوقات أن العرب تسميها أم النجوم لاجتماع النجوم فيها وزعموا أن النجوم تقاربت من المجرة فطمس بعضها بعضا فصارت كأنها سحاب .

ونقل عن أهل الهيئة أنها كواكب صغار متقاربة بعضها من بعض . وقال"أنها ترى فى الشتاء أول الليل فى ناحية السماء وفى الصيف أول الليل فى وسط السماء ممتدا من الشمال الى الجنوب وبالنسبة الينا

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٤١٠/١

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٢٩/٤ ، والنهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٢٥٩/١

تدور دورا رحويا فتراها نصف الليل ممتده من الشرق الى الغرب وفى آخر الليل من الجنوب الى الشمال فما كان منها شماليا يكون جنوبيا وما كان جنوبيا يكون شماليا وتكون على فلك يختص بها ".(١)

ويتضح من كلامه أنه يتحدث عن مجرة درب التبانه أو الطريق اللبنى الذى يضم مجموعتنا الشمسية ٠

والمجرة فى علم الفلك الحديث يقصد بها مجموعة من النجوم المتقاربه اختيرت لتسهيل أبحاث الفضاء ٠ وهى تحتوى بلايين النجوم والكواكب والاقمار والمذنبات والنيازك والشهب والغبار الكونى وتتخللها مجالات مغناطيسية وكهربية وتربطها الجاذبية فتجعلها وحدة هائلة متماسكة٠ (٢)

ولم يرد لفظ المجرة فى الكتاب والسنه وانما الذى ورد فيهما الفاظ النجوم والكواكب والشهب والبروج والشمس والقمر التى هى من الوحدات الاساسية فى مكونات المجرة ٠

ومما ورد فى نصوص الوحى بالنسبة للنجوم والحديث عنها مايلى :-

١ - حركات النجوم ويلتمس هذا فى قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾ (التكوير : ١٦) وفى قوله تعالى : ﴿ والنجم اذا هوى ﴾ (النجم : ١) ٠ وفى قوله تعالى : ﴿ ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ﴾ (الطور : ٤٩) ٠

٢ - مواقع النجوم وذلك فى قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ (الواقعة : ٧٥) ٠

---

(١) عجائب المخلوقات بهامش حياة الحيوان الكبرى ٣٥/١ - دار الفكر بيروت ٠

(٢) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ١١٧ ، الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د٠منصور حسب النبى ص ٣٠٨

٣ - اضاءة النجوم ويلتمس في قوله تعالى : ﴿ واذا النجوم طمست ﴾ (المرسلات : ٨) . وفى قوله صلى الله عليه وسلم فى صفة أهل الجنة (لو أن رجلا من أهل الجنة أطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم)[1] وقد ذكر الامام الترمذى أن هذا الحديث غريب لاسناده .

٤ - اعمار النجوم - ويتضمن بدايتها ونهايتها وانواعها واقسامها ويلتمس ذلك فى قوله تعالى : ﴿ واذا النجوم انكدرت ﴾ (التكوير:٢) وفى قوله صلى الله عليه وسلم للعباس رضى الله عنه (هل ترى فى السماء من نجم قال : نعم قال: ماترى قال:قلت ارى الثريا ..) الحديث .[2] والثريا نوع من انواع النجوم له أجل محدود .

٥ - آثار النجوم ويلتمس ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ (النحل : ١٢) وفى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديثه عن صلاة العصر حيث قال : (ولاصلاة بعدها حتى يرى الشاهد والشاهد النجم) .[3]

٦ - تسخير النجوم قال تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (النحل : ١٢)

٧ - مايتعلق بعبادة النجوم لله عز وجل والسجود له قال تعالى : ﴿ الم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير

---

(١) مسند الأمام احمد ١٦٩/١ ، سنن الترمذى - كتاب صفة الجنة ٦٧٨/٤ - حديث رقم ٢٥٣٨ .
(٢) مسند الامام احمد ٢٠٩/١
(٣) المرجع السابق ٣٩٧/٦

حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل مايشاء ﴾ (الحج : ١٨) .

هذه بعض النصوص التى تتعلق بالنجوم فماذا قال المفسرون وعلماء الفلك عن ذلك لنتعرف على اسرار مخلوقات الله فان المتأمل فى السماء وما فيها من نجوم ليجد دلالات واضحة على فاعلها وحكمته وكمال علمه وعلى ارادته .

كما أن هذه الدلالات تعود على المتأمل بفوائد كالتذكير بالله وتنشر فى القلب التعظيم له سبحانه وتزيل وهم الخوف الا منه سبحانه وتعالج الهموم قال تعالى : ﴿ ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (آل عمران : ١٩٠ - ١٩١) .

الفصل الاول

اعمار النجوم وانواعها

ويشتمل على المباحث :

آولا : اعمار النجوم وآجالها

ثانيا: انواع النجوم فى نصوص الوحى وعلم الفلك الحديث .

المبحث الاول

أعمار النجوم وآجالها :-

كتب الله الفناء على كل شئ فقال تعالى : ﴿ كل شئ هالك الا وجهه﴾ (القصص : ٨٨) . فسبحان من تفرد بالبقاء هو الآخر الذى لاشئ بعده . فكما جعل الموت والحياة على بنى البشر وسائر الاحياء على الأرض كذلك فاسنته لاتتغير بالنسبة للاجرام السماوية .

لذلك لم تختلف النجوم عن هذه السنه فهى لها فترة حياة ثم تنتهى فى النهاية الى الموت تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾ (الرحمن : ٢٦) .

فهو الذى لايموت سبحانه ولقد عبر القرآن الكريم عن نهاية النجوم فى اكثر من موضع مما يدل على أن لها أجل محدود يتدرج فيها النجم فى مراحل عمره كما يتدرج بنو البشر من الطفولة الى الشيخوخة التى تعتبر مؤشرا الى النهاية فقد قال تعالى : ﴿ اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت ﴾ (التكوير : ١-٢) . وقال تعالى : ﴿ فاذا النجوم طمست ﴾ (المرسلات : ٨) .

وعلم الفلك الحديث يؤكد هذه الحقيقة ويخبرنا ان النجم له فترة معينة تبدئ من مرحلة الطفولة ثم الشباب ثم يتدرج حتى الشيخوخه ثم الى النهاية .

ونظرا لأن الفضاء الكونى لايخلو من الغاز والتراب الكونى . فعندما يشاء الله سبحانه وجود نجم جديد تتراكم كميات كبيرة من هذا الغاز والتراب بخاصية الجاذبية ويظل هذا التراكم مدة طويلة حسب كتلة النجم

بعدها يبدأ التفاعل النووى حيث ترتفع درجة الحرارة والضغط فى باطن النجم نتيجة التراكم فيصبح النجم متوهجا معلنا عن ولادة النجم . ويتركب النجم عادة من الهيدروجين مخلوطا بكمية صغيرة من الهيليوم وشوائب بسيطة من العناصر الثقيلة ونتيجة التفاعل النووى يندمج الهيدروجين مكونا هيليوم وتنتج الطاقة التى تنطلق من المركز الى سطح النجم على هيئة أشعة جاما فيسخن السطح الى آلاف الدرجات ويتوهج وتنطلق منه الطاقة الضوئية المرئية وغير المرئية وتتحدد بذلك قوة اضاءة النجم ولون سطحه الذى يعتمد على مساحة سطحه ودرجة حرارته وهذه العوامل كلها تثبت عندما يقف الانكماش الناتج من تراكم الغاز والتراب نظرا لتعادل الجاذبية الى الداخل والمؤثرة على التراكم مع ضغط الحرارة العالية والاشعاع الى الخارج ويصبح النجم ثابت الحجم فى الفضاء . ويدخل النجم بذلك مرحلة الشباب التى يمر بها ٩٠٪ من نجوم السماء .

ويدوم عمر النجوم الشابه حتى يبلغ زاد النجم من الهيدروجين منتهاه ويتراكم رماد الهيليوم فى باطن النجم وتقف بذلك التفاعلات النووية فتتغلب قوة الجاذبية ويتقلص القلب فجأة فترتفع درجة الحرارة الى مئات الملايين من الدرجات ويتحول الهيليوم بتفاعل نووى جديد الى عناصر أخرى وتستمر هذه التفاعلات الى أن يصل التحول لعنصر الحديد بالاندماج النووى فى قلب النجم بينما يكون الغلاف الخارجى للنجم قد تمدد منذ اللحظه الأولى للأرتفاع فى درجة الحرارة ويصبح النجم عملاقا أحمر وهى مرحلة الشيخوخه للنجم التى تستمر حتى يتوقف بعدها انتاج الطاقة فى باطن النجم وعندئذ يتحول النجم الى قزم حيث تعتبر مرحلة

الاقزام فى النجوم هى مرحلة نهاية النجوم . (١)

وتعتبر الشمس نجما من النجوم وهى تعد الآن فى مرحلة شبابها بمعنى أنه ستمر عليها الشيخوخه ثم منها الى المرحلة التى يشاء الله أن يتوقف انتاج الطاقة فى باطنها ثم تستعد الى مرحلة النهاية التى عبر عنها القرآن الكريم بالتكوير وفى النجوم الأخرى بالانكدار والطمس .

الاوصاف الدالة على نهاية اجل النجوم :

من هذه الاوصاف الطمس وهو أصل يدل على محو الشئ ومسحه يقال طمست الأثر أى أستتصلت أثر الشئ . (٢)

وقد وردت هذه المادة فى التنزيل فى خمسة مواضع موضع خص به النجوم وفى موضعين خص به الأعين وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فأستبقوا الصراط فأنى يبصرون ﴾ (ياسين : ٦٦) . وفى قوله تعالى : ﴿ ولقد راوده عن ضيفه فطمسا" أعينهم فذوقوا عذابى ونذر ﴾ (القمر : ٣٧) .

وفى موضع آخر خص به الوجه قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ﴾ (النساء : ٤٧) .

وفى موضع آخر خص به المال فى قوله تعالى : ﴿ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا أطمس على اموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا

---

(١) من كتاب الكون والاعجاز العلمى للقرآن . د. منصور حسب النبى ص ٢٨٠ - ٢٨٤ بتصرف .

(٢) مقاييس اللغه لابن فارس ٤٢٤/٣ ، القاموس المحيط للفيروزآبادى ٢٣٥/٢ النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ١٣٩/٣

العذاب الأليم ﴾ (يونس : ٨٨) .

وكل هذه المواضع تؤدى معنى المحو والمسح وأستئصال أثر الشيء وبالنسبة للنجوم هو آستئصال ومحو ضوئها ويؤكد ذلك ماورد فى الحديث الذى رواه عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه قال : (ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله عز وجل نورهما ولولا أن الله طمس نورهما لاضاءتا مابين المشرق والمغرب) .[1]

وقال الترمذى " يروى هذا الحديث عن عبدالله بن عمرو موقوفا وفيه عن أنس أيضا . وهو حديث غريب " . وقال الحافظ فى تخرجه " صححه ابن حبان وفى اسناده رجاء ابو يحى وهو ضعيف " .[2]

أما الانكدار من الفعل كدر هو أصل يدل على خلاف الصفو والآخر يدل على حركة . والكدرة من الالوان مانحا نحو السواد والغبرة . وأنكدر اذا اسرع . والانكدار تغير من أنتشار الشيء . وأنكدر عليهم القوم اذا جاؤوا ارسالا حتى ينصبوا عليهم .[3]

وقد نقل الطبرى فى معنى الآية انكدار النجوم تناثرها فى السماء فتساقطت من معنى الاسراع والانصباب . ونقل عن مجاهد وغيره معنى قوله تعالى : ﴿ واذا النجوم انكدرت ﴾ اى تناثرت وعن قتادة قال " تساقطت وتهافتت وعن ابن عباس ان معنى انكدرت تغيرت "[4] ونقل القرطبى عن ابن عباس أيضا :

" أنكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها من امكانها" .[5]

---

(١) مسند الامام احمد ٢١٣/٢ ،سنن الترمذى ـ كتاب الحج ٢٢٦/٣ حديث رقم ٨٧٨

(٢) فتح البارى لابن حجر ٤٦٢/٣

(٣) مقاييس اللغة ١٦٤/٥ ، لسان العرب ١٣٤/٥ ، المفردات فى غريب القرآن للاصفهانى ص ٤٢٧ .

(٤) جامع البيان للطبرى ٦٥/٣٠

(٥) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٢٢٨/١٩

فالانكدار فيه معنى الحركة السريعة التى تحرك النجم عن مسارة الاصلى بحيث يسقط فى متاهة الفضاء مع انتشار فى اجزاءه وذهاب ضوءه .

ما المقصود بالتكوير ولما خصت الشمس به دون النجوم :-

التكوير يأتى فى اللغة من الفعل كور وهو أصل يدل على دور وتجمع من تكوير العمامة . وهو لفها وجمعها .(١) وقد نقل الطبرى عن المفسرين فى معنى كورت اقوالا تدل كلها على ذهاب ضوء الشمس واضمحلاله ثم الرمى بها . ولكنه بعد أن اورد معنى كورت فى كلام العرب قال : " انما معناه جمع بعضها على بعض ثم لفت فرمى بها واذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها " . (٢)

وهذا مايحصل للنجم من الطمس والرمى المعبر عنه بالانكدار . ويظهر والله أعلم ان الشمس خصت بوصف التكوير المعبر عن نهايتها مع أنها نجم من النجوم يحصل لها مايحصل للنجوم فى آخر عمرها من السقوط من مسارها والطمس لضوئها . ان الشمس اقرب نجم للأرض فضوئها لايستغرق اكثر من ثمان دقائق واجزاء من الدقيقة فى الوصول الى الأرض لذلك يمكن ملاحظة مايمكن أن يحصل لها بوضوح عن غيرها من النجوم حيث تلف أولا وتجمع ثم يحصل لها ما يحصل لباقى النجوم من الطمس والانكدار .

هذا مايخص اعمار النجوم وأن كان المقصود بها " يوم القيامة " الا أن فيها دلالة على ما توصل اليه علم الفلك الحديث عن أعمار النجوم ونهايتها هذه النهاية المعبر عنها بفترة الاقزام . الا ان هناك وقفه

---

(١) مقاييس اللغة ١٤٦/٥ ، لسان العرب ١٥٦/٥
(٢) جامع البيان للطبرى ٦٥/٣٠

يجب التنبيه اليها وهى ان ظاهر الآية يفيد والله أعلم ان عملية الطمس والانكدار للنجوم وتكوير الشمس هو حدث يحصل لكل النجوم فى فترة واحدة هو يوم القيامة كما تدل على ذلك الآثار . أما مرحلة الاقزام التى تمر بعمر النجم فلم تخبرنا عن حدث الانكدار والطمس الجماعى للنجوم حتى ان عملية الطمس لضوء النجم فى هذه الفترة لاتعتبر نهائية فى عمر النجم فى مرحلة الاقزام .

ذلك لأن حوالى ٩ ٪ من النجوم فى مرحلة الاقزام ويقال لها مرحلة الاقزام البيض . وهذه المرحلة تعتبر فيها رؤية النجوم أمر صعب فعلا لأنها ضئيلة النور ضآلة بالغة نظرا لصغر حجم النجم جدا والبعد القصى عنا كثيرا . (١)

وحسب الاعمار التى يعطيها الفلكيون لكل فترة من فترات عمر النجم فان حدث الطمس والانكدار المراد فى القرآن الكريم لم ترد على نجم من نجوم فترة الاقزام البيض فهى لاتزال تعطى نورا وان كان خافتا وضعيفا .

كما يخبرنا علم الفلك عن نجم الشعرى اليمانية فان له شريكا آخر يعتبر فى مرحلة الاقزام البيض وهو يشع ضوءا لكن بمقارنته بضوء الشمس يتضح الفرق فى ضوء الشريك بالنسبة لضوء النجم الآخر حيث نسبة ضيائية الشعرى الخفى ثلاثة فى الالف من ضوء الشمس والنجم الآخر نسبة ضيائيته بالنسبة لضوء الشمس ست وعشرين مرة قدر ضوء الشمس.(٢)

---

(١) مقتبسه بتصرف من كتاب الكون والاعجاز العلمى للقرآن ص ٢٨٣ ، وكتاب الطريق الى النجوم – فان دريت ويلى ص ١٦١ ترجمة د. عمر فروخ الطبعة الثانية لعام ١٩٧٤ م – دار العلم للملايين – بيروت – وكتاب الجغرافيا الفلكية – شفيق عبدالرحمن على ص ٨٢

(٢) مقتبسه من المصادر السابقة نفس الصفحات وكذلك كتاب علم الفلك د. رضا مدور ص ٤٩٣ – طبعة عام ١٩٧٠ م – الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية – القاهرة .

المبحث الثاني

١ - انواع النجوم فى نصوص الوحى وعلم الفلك الحديث :

لقد ورد فى نصوص الوحى انواع من النجوم على وجه الاجمال كما فى نصوص القرآن الكريم . وورد بعض التفصيل كما يلاحظ فى نصوص السنه المطهرة .

ففى القرآن ورد ذكر البروج والمنازل قال تعالى : ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ (البروج : ١)

وقال تعالى : ﴿ ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزينهاللناظرين ﴾ (الحجر : ١٦) .

وقال تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ (الفرقان : ٦١) .

وقال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (ياسين : ٣٩) .

وقال تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (يونس : ٥) .

وقد ذكرنا سابقا ان البروج عبارة عن حزام من مجموعات من النجوم تزين السماء وتأخذ أشكالا ثابته المعالم لاتتغير بالنسبة لبعضها البعض

وقد نقل الطبرى عن مجاهد وقتادة وغيرهم ان البروج هى النجوم والى ذلك ذهب ابن كثير فى تفسيره . (١)

---

(١) جامع البيان للطبرى ٢٩/١٩ ، ١٢٧/٣٠ ، تفسير ابن كثير ٣٢٤/٣

واما المنازل فهى كما مر معنا سابقا عبارة عن نجوم تظهر فى مواضع من قبة السماء اذا طلع القمر مع احدها يقال ان القمر بمنزلة كذا وهى ثمانية وعشرين نجما موزعة على دائرة البروج ويذكر القروينى فى عجائب المخلوقات" ان العرب تسمى أربعة عشر من هذه المنازل شامية وأربعة عشر يمانيه فأول الشاميه الشرطين وآخرها السماك الأعزل وأول اليمانيه الغفر وآخرها الرشا " .(١)

وهذه الاسماء للنجوم كان يطلقها الاقدمون على مايرون من نجوم السماء لتميزها عن بعضها البعض . وقد ورد بعض اسماء النجوم فى نصوص السنه تصريحا أو تلميحا فمثلا نجد فى فضل صلاة العصر حديثا عن أبى بصرة الغفارى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بالمخمص (٢) فقال : (ان هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين ولاصلاة بعدها حتى يطلع الشاهد . " والشاهد النجم ") .(٣)

والنجم : الثريا لأن العرب اذا اطلقت النجم تريد به الثريا. (٤)

ويذكر القروينى " أن الثريا يقال له النجم وهو أشهر منازل القمر وهو سته أنجم وفى خلالها نجوم كثيرة خفيه وهى تظهر فى المشرق عند ابتداء البرد " ويذكر ابن الصوفى أنها من نجوم كوكبه الثور .(٥)

---

(١) عجائب المخلوقات للقروينى ٧٤/١

(٢) المخمص طريق جبلى فى عبر وهو جبلان عن يمينك وأنت ببطن العقيق تريد مكه ـ معجم البلدان ١٧٢/٤ ، ٧٣/٥ .

(٣) صحيح مسلم ٥٦٨/١ ـ حديث رقم ٢٩٢ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها . صحيح مسلم بشرح النووى ـ باب الاوقات التى نهى عن الصلاة فيها ١١٣/٦

(٤) مقاييس اللغة ٢٩٦/٥ ، بصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى ٢٠/٥

(٥) عجائب المخلوقات ٧٦/١ ، صور الكواكب الثمانية والأربعين لابن الصوفى ص١٤٦ ـ ١٦٠ .

والثريا في علم الفلك الحديث عبارة عن عنقود مفتوح يحتوى على بضع مئات من النجوم أبعادها من ثلثمائة وخمسة وعشرين الى ثلثمائة وخمسين سنة ضوئية وهى تظهر للعين سته فقط . (١)

وورد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صلاة الليل مثنى مثنى . والوتر ركعة" قلت : أرأيت ان غلبتنى عينى ، أرأيت ان نمت قال : أجعل عند ذلك النجم فرفعت رأسى فاذا السماك . ثم أعاد فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صلاة الليل مثنى مثنى . والوتر ركعة قبل الصبح) .(٢)

والسماك عبارة عن نجمين أحدهما السماك الرامح . والآخر السماك الاعزل وهو من منازل القمر ويذكر ابن الصوفى أنه أحد نجوم برج العذراء . (٣)

أما السماك الرامح فهو ألمع نجم فى كوكبه العواء . وسمى سماكا لارتفاعه فى السماء . ويوجد بالقرب منه نجم خافت يسمى رمح السماك . وقد كان معروفا للبحارة قديما . كما أن بعض المعابد المصرية كانت تتجه نحوه . (٤)

وكما ورد فى التنزيل ذكر نجم الشعرى فى قوله تعالى : ﴿ وأنه هو رب الشعرى ﴾ (النجم : ٣٩) .

والشعرى هى اسم بالعربية لنجمين يقال لهما الشعرى اليمانيه

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ٥٧٩/١
(٢) سنن ابن ماجه - كتاب اقامة الصلاة ٣٧١/١ - حديث رقم ١١٧٥
(٣) صور الكواكب الثمانية والأربعين ص ١٨٧ - ١٩٧
(٤) الموسوعة العربية الميسرة ١٠١٢/٢

والشعرى الشاميه . وبأسم الشعرى اليمانية سميت الايام التى يتوهم طلوع الشمس فيها مع الشعرى . وكان المصريون يحسبون سنتهم مبتدئه بهذه الايام .[1] ويذكر ابن الصوفى ان الشعرى اليمانية من كوكبه الكلب الأكبر وسميت يمانية لأنها تغيب فى شق اليمن والشعرى الشاميه من كوكبه الكلب الأصغر وسميت شاميه لأنها تغيب فى شق الشام .[2] والملاحظ فى نصوص الوحى عند ذكر انواع النجوم الاعتماد على مايظهر للانسان من النجوم فى صفحة السماء التى لها علاقة وثيقة بحياة الانسان اليومية من تحديد وقت الصلاة ومعرفة الايام والسنين وما يعتمد على ذلك من حساب فصول العام التى لها علاقة بالبروج والمنازل . وما يستفاد بها فى جوانب آخرى من الحياة .

أما النواحى التفصليه المتعلقة بأنواع النجوم فان النصوص لا تذكرها الا باشارات عابره فالقرآن الكريم جاء لترسيخ جوانب التوحيد والعقيدة الاسلامية وبالذات فى عصر النزول . كما وضح السبل التى يستطيع بها الناس تصحيح عقائدهم وطريقة معاملتهم مع خالقهم كما هو واضح من الآية فى قوله تعالى : ﴿ وانه هو رب الشعرى ﴾ حيث قد شاع بين الأمم عبادة غير الله الخالق ومن هذه العبادات عبادة النجوم .

لكن الاشارات القرآنية تدعونا الى النظر فى كتاب الله المفتوح وهو هذا الكون بسمواته وأرضه وما بينهما فقد قال تعالى : ﴿ أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد أقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ (الاعراف : ١٨٥)

---

(١) دائرة المعارف للبستانى ٤٩٥/١٠

(٢) صورة الكواكب الثمانية والابعين لابن الصوفى ص ٢٨٥ - ٢٩٤

فلفظ شئ لفظ عموم يدخل تحته جميع المخلوقات ومن ظمنها النجـــوم ويأكد هذه الدعوة قوله تعالى : ﴿ قل أنظروا ماذا فى السمـــوات والأرض وما تغنـى الآيات والنذر عن قوم لايؤ منون ﴾ (يونس : ١٠١) .

والنظر فى تقسيم النجوم وانواعها مجال للتفكر فى خلق السمـــوات والتعرف على ان صنع الله سبحانه ليس عبثا أو باطلا وانما خلق لحكمـــه قد تتفح لنا وقد لاتتفح .

فالبروج مثلا كما يخبرنا علم الفلك الحديث عبارة عن تجمعات نجميـــة قد تعد بالألف وقد تعد بالملايين تؤلف فيما بينها مايسمى بالعناقيـــد أو الكوكبات وهذه العناقيد اما ان تكون بشكل مجاميع مفتوحه أو مجاميـع كرية وهى على الرغم من ذلك تبعد فيما بينها أبعادا هائلة ومن أمثلـــة هذه التجمعات التى تشكل العناقيد (الثريا) والنثره التى تعتبر من منـازل القمـــــــر . (١)

وقد تعد بعض هذه التجمعات مجرات بحالها أو سدائم تبعث بالضوء علـى مسافات بعيدة تنبئ عن وجود نجوم اما فى حالة الولادة والطفولة او فـى مرحلة الشباب أو فى مرحلة الشيخوخة أو مرحلة الاقزام .

وقد حيرت بعض هذه النجوم علماء الفلك . ووجه الحيرة اما فى طريقة تحركها أو فى ما تبعثه من طاقة سواء ضوئية أو حراريـة .

وسنذكر بعض الأمثلة لانواع من النجوم لتفتح أمام القلب مجالا للتفكر فى صنع الله اذ قال سبحانه فى كتابه العزيز حكاية عن موس وفرعـــون ﴿ قال فمن ربكما ياموسى . قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴾ (طـــه : ٤٩ - ٥٠) ولفظ كل لفظ عموم يدخل تحته جميع الخلق ومنهـا

---

(١) مستفادة من كتاب الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٧٤

النجوم فهى داخلة فى الخطاب اى أنها مشمولة بالهداية فيما سخرت له ، ومنه التعرف على ابداع صانعها وحكمه فيما يحدث لها من تصرف فى تدبير حركتها واضاءتها وغير ذلك مما يخبرنا به علم الفلك عن تصرفات هذه النجوم .

٢ - انواع من النجوم التى يخبرنا بها علم الفلك الحديث :

أولا : النجوم المتغيرة ويمكن تقسيمها الى ثلاثة انواع :

أ - النجوم النابضة وهذه تشتد اضاءتها ثم تعود فتخبو بدقة وانتظام بحيث لكل نجم نظامه الخاص فبعضها يتم دورته الضوئية فى ساعات قلائل وبعضها فى يوم وبعضها يستغرق أشهر أو سنه أو أكثر .

ويعتقد الفلكيون ان الاشعاع يتجمع داخل النجم أو يختزن فيه لوقت ويعجز عن الانطلاق بحيث يبقى معتما الى ان ينفجر هذا الاشعاع بعد التكديس أو الاختزان باعثا كمية من الطاقة فيزداد النجم لمعانا الى فترة ومع تلاشى الاشعاع يعود النجم قاتما مرة ثانية . ومن أمثلة هذه النجوم نجم منكب الجوزاء . (١)

ولكن هناك نوع من النجوم تعتبر من النابضات حيرت علماء الفلك فهى تعطى اشارات على شكل موجات راديوية غريبه وهى منتظمه جدا بين كل اشارة وأخرى ثانية وجزء من الثانية . وهى تختلف عن النجوم الاولى فى أن نبضاتها رتيبه ذات الدقة المتناهيه فى توقيتها. ولقد حاول علماء الفلك من عام ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م متابعتها ورصدها ووضع التفسيرات لها ومعرفة كنهها ومصدرها . (٢)

---

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٧٣ بتصرف

(٢) مقتبسه بتصرف من مجله الفيصل العدد (٤١) ذو القعدة لعام ١٤٠٠ هـ ص ١٢٤ - ١٢٩ .

ب - النجوم المتغيرة الكاسفه : وهذه يتذبذب بريقها أيضا بسبب دوراتها حول بعضها البعض فيكسف أحدهما الآخر أثناء الدوران فى لحظة معينه بالنسبة للراصد حيث يتناقص بذلك الضوء الكلى نظرا لظهور أحدهما واختفاء الآخر خلف زميله وذلك على فترات منتظمه تعتمد على سرعة دورانهما .

وهى تدعى النجوم المزدوجه أو النجوم الثنائية . ويعتقد علماء الفلك ان مالا يقل عن ثلث النجوم ثنائى أو متعدد ولو أن كثيرا منها شديد البعد . والنجوم الثنائية الشديدة التقارب يدور بعضها حول بعض بسرعة كبيرة فى ثمان ساعات أو أقل . ومن أمثلتها الشعرى اليمانية ورفيقها القزم .(١)

جـ - النجوم الوقتيه : لا أحد يستطيع أن يعرف الزمان أو المكان الذى سيقع الراصد فيه على نجم وقتى . فهو عبارة عن تلألأنجم فى السماء بغته فيزداد اشراقه ازديادا عظيما . فهو يعتبر من النجوم التى كانت خافته لدرجة عدم ظهورها ثم حان وقت انفجارها فأنفجرت بالتماع شديد مفاجىء يتيح رؤيتها فى السماء حيث يقذف النجم بعضا من غازه مسافة بعيدة محدثا انفجارا رهيبا وبذلك يزداد لمعان النجم ألوف المرات الى فترة قصيرة جدا . وقد يكون الانفجار شديدا جدا فى بعض الاحيان بحيث يتفتت النجم تفتتا تاما وفى هذه الحالة يزداد لمعانه ملايين المرات الى فترة قصيرة ثم يختفى . وهى تدعى النجوم المستعرة وتكون النجوم فيها اما متوهجة او خارقة التوهج وهو ما يدعى فى اصطلاح الفلكيين نوفا " NOVA " او السوبر نوفا

---

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور حسب النبى ص ٢٨٦ ،
والموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٧٣ .

" Super Nova " ومن أمثلته مالاحظه الصينيون عام ١٠٥٤ م من انفجار مروع حدث فى السماء وهو المكان الذى يحتله سديم السرطان من برج الثور وهو عبارة عن غاز وليس له علاقة ببرج السرطان . (١)

ثانيا : أشباه النجوم : وهى التى يطلق عليها فى اصطلاح الفلكيين " Quasars " التى تم اكتشافها عن طريق الاشعة الراديويه التى تصدر معها أصوات تؤثر فى موجات الراديو .

ولقد لفت نظر الفلكيين ان صدور هذه الاشعة من مواضع معينه فى السماء لايبدو فيها شئ للعين المجردة بحيث تصدر عنها طاقة تعادل مائة مرة الطاقة المنبعثة من بلايين النجوم فى مجرتنا . ولقد تتبع علماء الفلك البصرى هذه المواقع فوجدوا فى بعضها مجرات بعيدة جدا تصدر عنها هذه الموجات . وان بعضها يصدر عن نجم صغير جدا من نجوم مجرتنا .

كما وقد لاحظ الفلكيون من خلال التحليل الطيفى للاشعة الصادرة عن هذه المواقع حيودها حيودا كبيرا بحيث يخرج عن نطاق الطيف كله. ويدل مقدار الحيود على سرعة ابتعاد هذا الجسم عنا من ناحية وعن بعضها من ناحية أخرى .

وشبه النجم كسائر النجوم يرى بالمراقب البصرية كنقطة مضيئة حتى بأصغر المراقب البصرية لكن العجيب منه هو

١ - مقدار الطاقة المنبعثة منه تعادل مليون شمس مثل شمسنا .

٢ - السرعة الكبيرة التى يتحرك بها ويبتعد بها عنا .

---

(١) المراجع السابقة ، الطريق الى النجوم - ترجمة عمر فروخ ص ١٢٢ ، مجلة الموسوعة العلمية العدد (١) ص ١٦ ، مجلة الفيصل عدد (٤١) لعام ١٤٠٠ هـ ص ١٢٨ .

٣ - الموجات الراديويه التى تصدر عنه تقرع هوائيات المراقب بشدة.

ولقد حاول الفلكيون ولا زالوا يحاولون فى وضع التصورات والتفسيرات لمعرفة حقيقة اشباه النجوم . (١)

ثالثا : الثقـــــوب السوداء :

تم اكتشافها عن طريق الاشعة السينيه حيث وجدوا أن النجوم الفرادى هى التى تصدر هذه الاشعة . وقد وجد أن معظم هذه النجوم ثنائى حيـــث لايرى المرقب البصرى غير واحد منها .

والنجم المرئى يدور مع آخر حول مركز مشترك أما غير المرئى فهو صغيـــر ويتصف بجاذبية قوية خارقة - يظهر ان مسمى ثقب أسود أطلق عليه من هـذه الناحية - حيث يتم بهذه الجاذبية سحب مادة النجم الكبير والتهامهـــا فى جوفه شيئا فشيئا . ولهذا فان جهة النجم الكبير القريبة من الثقـب الأسود تكون على شكل مخروط تصب منه مادته داخل الثقب . وعن طريـــق الانصباب من المادة النجمية فى النجم الكبير الى الثقب ينتج اصـــدار الاشعة السينيه . وتتميز الثقوب السوداء بانضغاط المادة فيها الـــى حد ان يقال بأمكانية التحام نويات الذرات فيها بمعنى أنه تتصف بصغـــر حجمها جدا لكن الكتله داخلها والجاذبية على ماهى عليه قبل الالتحـــام كما تتصف الثقوب السوداء بالجاذبية التى لاتسمح لشئ بالافلات منهـــا حتى شعاع الضوء ولهذا لايمكن ان نرى من هذه الاجسام شيئا مهما تحسنـت أجهزة الرصـــد . (٢)

---

(١) مجلة الفيصل العدد (٤٨) لعام ١٤٠١ ص ١١٠ - ١١٥ بتصرف

(٢) مجلة الفيصل العدد (٤٣) لعام ١٤٠١ ص ١٢٣ - ١٢٩ بتصرف

أقوال المفسرين فى النجم الثاقب :

اختلفت اراء المفسرين فى المقصود بالنجم الثاقب فذهب بعض علماء المسلمين المعاصرين [١] الى أن النجم الثاقب هو الثقب الأسود بحقيقة اللفظ لابالمجاز وأنه لايوجد مخالفة للحقيقة الكونية التى توقعها أحد علماء الفيزياء وثم اكتشافها أخيرا وهى ما تتعلق بالثقوب السوداء . وقال فى ذلك " ان المقصود بالطارق هو السالك للطريق مما يوحى بالحركة ليلا أو نهارا وهو ما يتفق مع حركة النجم الدائمة -الى آجل-

وأما النجم الثاقب فهو المقصود الذى يثقب الفضاء الكونى أثناء جريانه لأنه يكنس الفضاء ويجذب اليه كل مايصادفه فيخلف نفقا خاليا من المادة والطاقة وكأنه يثقب الفضاء فعلا " . وآستشهد بقوله تعالى : ﴿ ان كل نفس لما عليها حافظ ﴾ (الطارق : ٤) بأن الله سبحانه يشملنا بالعناية الالهية فلا تقع ارضنا فى مصيدة الثقب الأسود لأنه يلتهم كل مايصادفه وكأنه طارق الهم والغم .

كما آستشهد على صحة استنباطه بقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار ﴾ (التكوير : ١٥) .

وقال : " ان الثقوب السوداء اجراما منقبضه مختفيه وهذا المقصود من الخنس وهو التأخر والأنقباض والأختفاء والكنس يشمل معنى الاستتار والاختفاء والازلة ايضا " . وذهب عالم آخر [٢] الى ان النجم الثاقب كمثل نجم فى السماء يعرف بنجم الغول وهو ذو نظام ثنائى يتكون من نجم لامع وآخر خافت . وهو من النجوم المتغيرة الكاسفه التى تحدثنا

---

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور حسب النبى ص ٢٩٠ - ٢٩٢

(٢) الطبيعيات والأعجاز العلمى للقرآن د. عبدالعليم خضر ص ٨٧-٨٩-٤٤٤
الطبعة الاولى لعام ١٤٠٦ هـ - الدار السعودية للنشر والتوزيع-جدة

عنها سابقا حيث يتذبذب بريقها بسبب الدوران حول مركز الكتله فيكسف النجم الخافت النجم اللامع . وهى تفيد فى مد الباحث بمعلومات عن النجوم .

وقال " وقد وصف الخالق الاعظم هذه النجوم بالثواقب وفى ذلك مايدل على أنها اجرام سماوية نارية مضيئة بداتها .. ووصفها أيضا بالطارق المتحرك ليلا ونها را فى السماء وبأنها ترى ساكنه لأن بعدها سحيق عن الأرض فبين بذلك أن سكونها المشاهد من سطح الأرض ظاهرى فقط " .

ثم تحدث فى موضع آخر من كتابه عن اسرار النجم الثاقب لكنه لم يتعرض للنجوم الثنائية بشىء ومدى علاقة ذلك بالنجم الثاقب المذكور فى الآية .

وذهب عالم آخر .(١) الى أن المقصود بالنجم الثاقب قد يكون أحد الأمور الآتية :

١ - المراد بالنجم الثاقب هو كوكب الذى يسمى أحيانا نجمة الفجر أو نجمه الصباح حيث تشاهد أحيانا كألمع جرم فى السماء بالرغم انها كوكب .

٢ - وقد يكون المراد به النجم يثقب السماء أى يحفر فى وسط الغاز الكونى الذى ينساب فيه ثقبا يسبب ترسب الغازات عليه بفعل الجاذبية فيترك الفضاء الكونى مثقوبا .

٣ - وقد يكون المراد به أيضا أنه النجم المضىء الذى يرسل الضوء الساطع وهو معنى الثاقب كذلك . وهذا رأى لبعض المفسرين السابقين .

وتعددت آراء المفسرين فى المقصود بالنجم الثاقب لكن الرازى جمع وصفه بالثاقب فى أربعة أوجه هى .(٢)

---

(١) الله والكون - د. محمد جمال الفندى ص ٢٦٨
(٢) التفسير الكبير للرازى ١٢٦/٣١

١ - أنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه - والعرب تقول أثقب نارك : أي أضئهـــــا . (١)

٢ - أنه يطلع من الشرق نافذا في الهواء كالشيء الذي يثقب الشيء .

٣ - هو النجم المرتفع على النجوم والعرب تقول للطائر اذا لحق ببطـــن السماء ارتفاعا قد ثقب .

٤ - هو الذي يرمى به الشيطان فيثقبه أي ينفذ فيه ويحرقـــه .

وقد اختلفت آراء المفسرين في الطارق هل هو نجم معين أو جنس النجم؟

وذهب غير واحد الى ان المراد به نجم معهود ومن هذه الاراء :

- المقصود به الجدي نسبة القرطبي والالوسي في تفسيرهما الى ابـــن عبـــاس .

- وقيل انه الثريا لأن العرب تسمى الثريا النجم . (٢)

- وقال آخرون آنه نجم بعينه (٣) اي ان هناك نجم من نجوم السمـــاء اسمــــه الطارق .

- وقيل انه عام في سائر النجوم لأن طلوعها بليل وكل من آتـــــاك ليلا فهو طارق وهو منقول عن قتادة . (٤)

وتخصيص الطارق بالليل من استعمالات العرب فقد ورد عن جابر بن عبـد الله رضي الله عنه قال : (نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرق أهلـه ليـــــلا). (٥)

وقد اورد الامام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير في سورة الطـارق

---

(١) جامع البيان للطبـــــري ١٤٢/٣٠

(٢) المصدر السابـــق نفس الصفحـــه

(٣) التفسير الكبير للرازي ١٢٧/٣١

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢/٢٠

(٥) صحيح البخاري ٩/٣ كتاب العمرة ، باب لايطرق أهله اذا بلغ المدينه صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٦٢٠/٣ ، حديث رقم ١٨٠١ .

قوله (وما أتاك ليلا فهو طارق) [١] ولكن هناك من يقول أن الطروق قد يكون نهارا ويؤيده الحديث الذى رواه الامام مالك فى موطأه فى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم (أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات .... ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يارحمن) [٢]

ويظهر ان الحديث مرسل كما حكم المعلق . لكن ورد بمعناه فى مسند الامام احمد ولم يذكر طوارق النهار ولكنه عمم حيث قال (ومن شر كل طارق الا طارقا يطرق بخير يارحمن ..) . [٣]

وذهب آخرون الى ان المقصود بالطارق هو نجم فى السماء السابعة لايسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وهو زحل . وقد نسبه القرطبى الى الفراء وحكاه أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما وعلى ابن طالب رضى الله عنه . [٤]

ويقول الالوسى فى تفسيره "ولايخفى أن المعروف أن الذى يسكن السماء السابعة أعنى الفلك السابع وحده هو زحل فيكون ذلك قولا بان النجم الثاقب هو لكن لايعرف له نزول ولاصعود بالمعنى المتبادر" . وقال فى نهاية كلامه "ان هذا الخبر مكذوب على أمير المؤمنين على". وهنا وقفه عند هذا القول فى قبوله . وهو نسبته الى الصحابيين رضى الله عنهما ، أما أحدهما فقد رفضه الالوسى واعتبره مكذوب على الخليفة الراشد على ابن طالب رضى الله عنه وأما نسبته الى ابن عباس فلا شك

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، ٦٩٩/٨ كتاب التفسير ، سورة الطارق

(٢) موطأ الامام مالك ٩٥١/٢ كتاب الشعر حديث رقم١٠ ـ بتعليق محمد عبد الباقى ـ دار احياء التراث العربى .

(٣) مسند الامام احمد ٤١٩/٣

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ١/٢٠، معانى القرآن للفراء ٢٥٤/٣ ـ دار الكتب ـ بيروت ـ روح المعانى للالوسى ٩٥/٣٠

فى عدم صحتها اليه لأنه مبنى على فكرة قديمة عن الأفلاك من الفكر اليونانى حيث يتصور ان الارض مركز الكون والافلاك تحيط بالأرض فى الفلك الأول القمر وفى الفلك السابع زحل . وهذه الفكرة عن الكون أنتقلت الى علم الفلك عند المسلمين بعدما نشطت حركة الترجمة ونقل تراث الامم السابقة الى الحضارة الاسلامية فى عصر الخلافة العباسية .

وقد أثبت الفلك الحديث خطأ هذه الفكرة وأن زحل ماهو الا كوكب من كواكب المجموعة الشمسية التى تعتبر جزءا بسيطا فى كون الله الواسع علاوة على أنها اكثر من سبعة كواكب .

كما ذهب آخرون الى ان المقصود بالطارق هو الشهاب واحد الشهب التى يرمى بها الشياطين وسمى طارقا لأنه يطرق الجنى أن يمكه وأستدلوا بقوله تعالى : ﴿ الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾ (الصادفات :١٠) (١)

ويتضح من اقوال المفسرين قديما وحديثا عدم الوصول الى تحديد نجم بعينه تنطبق عليه المواصفات الكاملة لهذا النجم الذى خصه سبحانه بهذه الفخامه والشأن العظيم .

والاولى - كما ذهب سيد قطب فى ظلاله - ترك محاولة تعين النجم الثاقب ولا ضرورة الى تحديد ذلك وانما يترك الامر على اطلاقه ليكون المعنى " والسماء ونجومها الثاقبه للظلام النافذه من الحجاب الذى يستر الاشياء . ويكون لهذه الاشارة ايحاؤها حول حقائق السورة وحول مشاهدها الاخرى " . (٢)

---

(١) الكشاف للزمخشرى ٢٢/٤ ، تفسير الرازى ١٢٧/٣١ - ١٢٨
(٢) ظلال القرآن ٣٨٧٨/٦

الفصل الثاني

نظام حركة النجوم

ويشتمل على المباحث :

أولا : نظام حركة النجوم فى نصوص الوحى

ثانيا: الحركات الظاهرية والحقيقة للنجوم

ثالثا: مواقع النجوم واضاءة الاجرام

رابعا: علاقة الملائكه بحركة النجوم

المبحث الاول

نظام حركة النجوم فى نصوص الوحى :

قد يظهر للانسان حين تطلعه الى السماء ان النجوم ثابته فى القبة السماوية لما يلاحظ من انتشار هذه النجوم فى هذه القبه .

ولكن اذا ما رصدت بدقة متناهيه فانه من الملاحظ ان هذه النجوم تتحرك بحركات مختلفة .

ومن المعلوم ان الحركة نوعان هى :

أولا : الحركة الارادية وهى المقرونه بالعلم والشعور وهذه ليست مجال حديثنا لاننا نعلم من النصوص القرآنية ان النجوم مسخره كما فى قوله تعالى : ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم أستوى على العرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ﴾ (الاعراف : ٥٤) .

وما دامت مسخره فحركتها ليست ارادية فنفى عنها العلم والشعور والاختيار .

ثانيا : الحركة غير الارادية وهى تنقسم الى قسمين آخرين هما :

١ – الحركة الطبيعية وهى الحركة نحو المركز ومن أمثلتها حركة الساقط من أعلى الى أسفل تحت تأثير الجاذبية . كما يحصل عند ولادة نجم جديد من تراكم كميات كبيرة من الغاز والتراب الكونى الى باطن النجم فى اتجاه مركزه . وكذلك من أمثلتها الكثير كسقوط الثمر من الاشجار نحو الأرض .

٢ – الحركة القسرية وهى الحركة الى غير المركز ومن أمثلتها حركة الأرض حول محورها وكذلك حول الشمس وحركة القمر حول الأرض وحول

الشمس .

وحركات النجوم بل الاجرام السماوية جميعا تدخل تحت هذا النوع من الحركة أى غير الارادية بمعنى أنها مجبرة مقهورة ليس لها أختيار فى اداء حركتها بل هى تحت تصريف خالقها لها .

ان المتتبع للنصوص القرآنية فى هذا المجال يلحظ ان النصوص تراعى احوالا ثلاثه :

١ - احوال المخاطبين وسعة مداركهم

٢ - الواقع المشاهد .

٣ - الواقع غير المشاهد فى الفضاء الخارجى .

لذلك فان حركات الاجرام السماوية ومنها النجوم ترد على نوعين من الحركات هى حركات ظاهرية وأخرى حقيقيه . (١)

فالحركات الظاهرية المشاهدة سواءا بالعين المجردة أو بالمراقب البسيطة للنجوم والاجرام الاخرى تبدو انها تظهر وتختفى وظهورها بالليل واختفاءها بالنهار قال تعالى فى بعض مواضع من الذكر الحكيم مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم حينما أمره سبحانه باصبر والتسبيح ﴿ وأصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ﴾ (الطور : ٤٨ - ٤٩) . وقال تعالى عن الشمس التى تعتبر نجم من النجوم حكاية عن ابراهيم عليه السلام مع الذى حاجه فى ربه ﴿ .. قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفرو الله لايهدى القوم الظالمين ﴾ (البقرة :٢٥٨)

---

(١) ذكر الباحث محمود على محمود عن تحركات النجوم الظاهرية والحقيقة فى بحثه " مبادىء وقوانين النظرية والنسبيه الحركية " المقدم للمؤتمر العلمى للقرآن والسنه لعام ١٩٨٧ م ،فى اسلام آباد .

وقال تعالى فى ذكر اوقات التسبيح أى الصلاة ﴿ فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناى الليل فسبح وأطراف النهار ولعلك ترضى ﴾ (طه : ١٣٠)

وورد فى السنه عن جرير بن عبدالله البجلى رضى الله عنه قال (كنا جلوسا عند النبى صلىالله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال : انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا) .[1]

والمعلوم ان طلوع الشمس وغروبها هى عبارة عن حركة مشاهدة يوميا للشمس فهى حركة ظاهرية للعيان بمعنى أنها مرئية أى منسوبه للمشاهد ومع ذلك فنصوص الوحى لايخلو الخطاب فيها من الصورة النسبية المرئيه لحركات الاجرام والسبب فى ذلك ماجعله فينا بنى البشر من استطاعة لادراك ماحولنا من مخلوقاته المحددة بحواسنا الخمس التى فيها حاسة البصر التى لايمكنها ادراك الحركة الحقيقية لهذه الاجرام نظرا لقصورها وحدود امكانياتها .

---

(١) صحيح البخارى ٩/ ١٥٦
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٤١٩/١٣ كتاب التوحيد حديث رقم ٧٤٣٤

المبحث الثاني

الحركات الظاهرية والحقيقة للنجوم :

أولا : الحركات الظاهرية :

النسبيه المرئية - للاجرام السماوية من شروق وغروب وزوال متعلقه بالجهات الست التى يحدد فيها الانسان اتجاه الحركة على الأرض وليس لهذه الجهات فى نفسها صفه لازمة بل هى بحسب النسبة والاضافة للانسان وحيث أن هذه الحركات الظاهرية لها علاقة بالجهات الست التى تحدد الاتجاه النسبى للحركة على الأرض فان هذا يؤكد لنا ما يقوله علماء الفلك أن الحركة الظاهرية للاجرام السماوية ما هى الا نتيجة لدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس وليست عملية بدء النهار بخروج الشمس من ناحية الافق الذى اطلقنا عليه الشرق - أى حركة الشروق - وانتهائه بغياب الشمس تحت ناحية الأفق الذى اطلقنا عليه الغرب - أى حركة الغروب - هى حركة حقيقية للشمس لأنها تعتمد على رؤية المشاهد وهذا المشاهد بالطبع على سطح الأرض.

وحتى يتضح لنا الأمر نضرب مثلا بمشاهد يراقب حركة الشمس الظاهرية من منطقة الدائرة القطبيه فماذا سيلاحظ ؟

سيشاهد هذا الانسان ان الشمس فوق الأفق فى منتصف الليل والسبب ان تلك الاماكن الواقعة على خطوط العرض [1] الموغله فى الشمال لاتغيب الشمس عنها فى اواسط الصيف أبدا ، أنها تدور حول الأفق من غير أن ترتفع فوقه كثيرا أنها تظهر وهى تتحرك دائرة من الشرق الى الغرب فى الصباح مارة بالجنوب

---

(١) خطوط العرض دوائر وهمية مرسومة على سطح الكرة الأرضية اكبرها خط الاستواء فى الوسط .

فى منتصف النهار ثم متجهة نحو الغرب فى المساء مع ميل قليل الى الافق فى الشمال من غير ان تختفى وراء الافق حتى فى منتصف الليل .[1] ومن ثم يكون الصيف فى تلك المنطقة نهارا كله .

وكذلك اذا نظرنا الى السماء فى أوقات مختلفة فى احدى الليالى الصافية فاننا نرى أن النجوم تخضع لنفس النمط من الظواهر حيث يمكن تتبع مرور النجوم وهى ترتفع فوق الأفق الشرقى لتمر بأعلى نقطه ثم تروح هابطة تجاه الأفق الغربى .

والنجوم التى فى أعلى الجزء الشمالى من السماء لاتغرب ولكنها تبدو وكأنها تتحرك حول النجم القطبى وتقع تماما فوق القطب الشمالى .

ومن المستحيل تتبع الحركة الكاملة للنجوم لأن منها مايحدث اثناء النهار حيث تتعذر رؤية النجوم . ولكن الشخص الذى يعيش فى الدائرة المتجمدة الشمالية يستطيع ان يراقب حركة النجوم الكاملة عندما يعم الظلام طوال اليوم فى الشتاء وعلى الدوام حيث تظهر حركة النجوم على أنها حركة دوران اتجاه الغرب من حول الأرض .[2]

ثانيا : الحركات الحقيقية للاجرام السماوية :

فنظرا لعدم تمكن المشاهد من ملاحظتها الا عن طرق خاصة تتعلق بالعلوم وبخاصة علم الفلك منحها الله سبحانه وتعالى لمن شاء من خلقه فنجد أن القرآن الكريم يعبر عنها بالفاظ تتلائم مع جميع أفهام المخاطبين على حدود مقدرتهم العقلية وحسب ماتيسر لهم من علوم فقال عز من قائل : ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون ﴾ (الانبياء :٣٣)

---

(١) الطريق الى النجوم - ترجمة عمر فروخ ص ٣١ - ٣٢ بتصرف
(٢) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٦٣ - ٦٥ بتصرف

وقال تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ (ياسين : ٤٠) .

فهاتان الآيتان تعبران عن الحركة الحقيقية للاجرام المخصوصة بالشمس والقمر والأرض حيث ينتج تعاقب الليل والنهار عن حركتها . لكن لفظ كل يدل على أن جميع الاجرام السماوية تسبح فى الفضاء لأن كل لفظ عموم كما ذهب الى ذلك القرطبى والرازى .[1] وغيرهم من المفسرين وكما ثبت ذلك من علم الفلك الحديث .

وحيث ان هذه الاجرام مستديرة الشكل كالكرة فلا تعين حركتها كما تعين حركة الانسان بالجهات الست وانما الشئ المناسب لها كما ذكر القرآن الكريم وكما ثبت من علم الفلك الحديث هو السباحة .

وهناك لفظ آخر للدلالة على حركات الاجرام السماوية فى النصوص القرآنية تارة عن الحركة الحقيقية وأخرى عن الحركة الظاهرية وتارة آخرى عن الحركتين معا .

وهو لفظ الجرى فنجد فى قوله تعالى : ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (ياسين : ٣٨) والمستقر هو المكان النهائى بعد عملية الجرى اذا هو جرى مكانى وفيه تعبير عن حركة حقيقية تقوم بها الشمس للوصول الى المستقر ويوضح هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم لابى ذر رضى الله عنه حينما سأله عن الآية فقال صلى الله عليه وسلم (مستقرها تحت العرش) .[2]

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٢٨٦/١١ ، التفسير الكبير للرازى ١٦٧/٢٢
(٢) صحيح البخارى ١٥٥/٩
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٤١٦/١٣ كتاب التوحيد حديث رقم ٧٤٣٣

أما كون الجرى يدل على الحركة الظاهرية فذلك فى قوله تعالى :

﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم أستوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ (الرعد : ٢) . وذلك اذا اعتبرنا مدلول الأجل هو زمن الليل وزمن النهار اى اليوم الناتج من تعاقبهما كحركة الشروق والغروب والزوال فكل هذا جرى ظاهرى لأنه متعلق بالرؤية . قال تعالى :

﴿ الم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ﴾ (لقمان : ٢٩) .

أما كون الجرى يأخذ معنى الحركتين معا فذلك حاصل فى حركة القمر " فالقمر يستغرق أكثر قليلا من سبعة وعشرين يوما ليدور دورة كاملة حول الأرض ".(١) كما يظهر لنا فى حركة شروقه وغروبه فى مدة تتراوح ما بين تسعة وعشرين الى ثلاثين يوما . مما يوضح ان لفظ الجرى بالنسبة للقمر صالح للحركتين معا .

والحركات الحقيقية للاجرام هى حركات مكانية وعلم الفلك يخبرنا عن الحركات الحقيقية منها الحركة فى الفلك حول جرم آخر أو حركة الجرم السماوى حول نفسه اى حول مركزه .

فعلى سبيل المثال الشمس يعرف دورانها حول نفسها عن طريق البقع الشمسيه .(٢)

كما أن الشمس تدور معها توابعها حول مركز مجرتنا المعروفة باسم

---

(١) أقرب الجيران فى الأرض - برتا موريس - ترجمة ادوارد رياض ص ١٥

(٢) البقع الشمسية هى مساحات من سطح الشمس ليست مقسمه تماما بل تلمع كالنجوم لكنها تبدو مقسمه لوقوعها فى وسط أشد توهجا ولمعانا .

" طريق التبانه " بسرعة مائتى ميل فى الثانية . (١)

واذا علمنا ان هذه المجرة تضم مايقارب مائة الف مليون نجم جميعها مختلف الانظمة والخصائص ومنها خاصيه الحركة وأن هذه الانظمة تشمل جميع النجوم فى المجرات الأخرى تأكد لنا أن النجوم تتحرك حركات حقيقية فى كون الله الواسع وأنها مشموله بعناية الله الذى سن لها سبحانه سنتين ثابتتين فى حركتها هما سنه السباحه وسنه الجرى كما أشارت النصوص القرآنية الى ذلك وهو ما أثبته العلم الحديث فى حركات النجوم الحقيقية الحاصلة فى الفلك .

ثالثا : سجود النجوم :

واذا جاز لنا اعتبار السجود نوع من الحركة كما هو معروف من افعال الصلاة التى تنقسم الى اقوال وحركات ، فالقيام والركوع والسجود ماهى الا حركات من أفعال الصلاة . فان نصوص الوحى أشارت الى ان للاجرام السماوية سجودا لكنا لانعرف كيفيته وحقيقته فقال تعالى : ﴿ الم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوآب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل ما يشاء ﴾ (الحج : ١٨) .

وقد ذكر الرازى فى تفسيره بعدما أورد الوجوه لمعنى السجود فى الآية وناقشها قال" أن الاجسام لما كانت قابله لجميع الأعراض التى يحدثها الله تعالى فيها من غير امتناع البته أشبهت الطاعة والأنقياد وهو السجود ". (٢)

---

(١) الشمس فى حياة الانسان ـ د. طه الفرا ومحمد محمودمحمدين ص ٢٤،٢٨،٢٩
(٢) التفسير الكبير للرازى ١٩/٢٣

وكلامه يدل على أنه اراد المعنى اللغوى فقد ذكر ابن فارس ان سجد مادل على تطامن وذل . وكل ماذل فقد سجد .(١) ولكن ورد عن بعض السلف أنه مقصود به سجود معين غير الذل والخضوع فقد ذكر الطبرى فى تفسيره عن ابى العاليه الرياحى (٢) قوله " مافى السماء من نجم ولاشمس ولاقمر الا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له " وزاد الراوى حتى يرجع الى مطلعه .(٣)

ويؤيد ذلك ماورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خبر الشمس عن ابى ذر رضى الله عنه قال (كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد عند غروب الشمس فقال : يا أباذر أتدرى أين تغرب الشمس ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال : فأنها تذهب تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى : ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (ياسين :٣٨) وهذه حركة حقيقية للاجرام السماوية لم يخبرنا عنها علم الفلك وأنما أخبرتنا نصوص الوحى بها مما يدل على أن هناك أشياء فى الكون لايستطيع الانسان معرفة حقيقتها وانما يرد علمها الى خالق الكون الذى أبدع كل شئ وخضوع الكون شاهد بواحدنيته .

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١٣٣/٣

(٢) ابو العاليه الرياحى : هو رفيع بن مهران مولاهم البصرى ادرك الجاهلية واسلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين ودخل على ابى بكر وصلى خلفه عمر . تهذيب التهذيب ٣ /٢٨٣ - سبقت ترجمته فى الباب الاول

(٣) جامع البيان للطبرى ١٣٠/١٧

(٤) صحيح البخارى ١٥٤/٦

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٥٤١/٨ كتاب التفسير - حديث رقم ٤٨٠٢

المبحث الثالث

مواقع النجوم واضاءة الاجرام

مواقع النجوم :

ان الحركات الحقيقية للاجرام التى تمكن الانسان من معرفة شئ عنها بواسطة الوسائل المتقدمة فى العلوم الحديثة توضح لنا جانبا من القسم العظيم الذى اقسم به فى كتابه حيث قال سبحانه : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (الواقعة : ٧٥ - ٧٦) .

فالمواقع التى تشير اليها الآية هى عبارة عن مواقع حقيقية لهذه الاجرام أما ما نشاهده فى السماء من اجرام سماوية فما هى الا مواقع ظاهرية نظرا لأن هذه الاجرام تبعث بالضوء اثناء تحركاتها . والضوء حتى يصل الى المشاهد يحتاج الى زمن معين يكون خلالها قد تحرك الجرم السماوى الى موضع آخر غير الموضع المشاهد اثناء ترقبه . ولنضرب مثلا لذلك حتى يتبين كيف يحدث هذا .

لو أن رجلا واقف فى محطة القطار وأن قطارا سريعا قادم من بعيد وهو يطلق صفارته فالملاحظ ان الرجل يسمع صوت صفارة القطار يتبدل فحينما يكون القطار قادما نحو المحطة يكون الصوت عاليا لكن الصوت يأخذ بالانخفاض حين يبدأ القطار بالابتعاد عن المحطة والواقع ان صفارة القطار لم تتغير كما يلحظ ذلك مالو كان الرجل راكبا فى القطار .

وتفسير ذلك علميا ان كلا من الصوت والضوء يسير فى تموجات . وسماع الصوت عن طريق انتقال هذه التموجات فى الهواء . فارتفاع الصوت يتوقف على طول تموجاته فاذا كانت هذه التموجات قصيرة سمع الصوت عاليا

واذا كانت طويلة سمع الصوت ضعيفا . فالقطار حينما يكون قادما نحو المحطة تكون التموجات قصيرة بسبب انضغاط التموجات أما اذا أبتعد القطار حصل انفراج فى التموجات فينخفض الصوت .

والاجرام السماوية ترسل ضوءا لاصوتا . وحيث ان حركات النجوم يمكن متابعتها عن طريق منظار الطيف الضوئى الذى يحلل الضوء القادم من هذه الاجرام الى الوانه الاساسية يلاحظ انه يوجد خلال الضوء القادم طيفا ضوئيا ساطعا وخطوط سوداء . تكون هذه الخطوط السوداء كلها أشد قربا الى الطرف الاحمر فى طيف الضوء مما ينبغى ان تكون . وحيث ان الضوء الاحمر أطول موجه من الألوان الاخرى فان هذا يعنى ان الجرم السماوى قد تحرك مبتعدا عنا كما حدث فى القطار . (١)

وقد لوحظ بهذه الطريقة عملية ازدياد الكون اتساعا وأنه فى حركة دائمة وابتعاد عنا وعن بعضه البعض. لكن نظرا للبعد الهائل عنا نجد أنها فى مواقع ثابته من بعضها .

وأقرب النجوم الينا يبعد عنا حوالى اربع سنوات ونصف بالسنوات الضوئية فهو حينما يلاحظ فى السماء فان هذا موقعه موقع ظاهرى كان ذلك قبل رصده باربع سنوات ونصف اما موقعه الحقيقى فقد تحرك من هذا المكان بمسافة تقدر بحوالى :

٣٠٠٠٠٠ كيلو متر فى الثانية x٦٠x٦٠x٢٤x ١/٤ ٣٦٥x ١/٢ ٤ أى حوالى ٤٢٦٠٢٧٦٠٠٠٠٠٠ كم .

سبحان الله العظيم اذا كان اقرب النجوم الينا بعد الشمس يبعد هذه المسافة عنا . حقا قسم عظيم ذلك الذى يقسم سبحانه به . ولنتصور

---

(١) الموسوعة العلمية ـ الكون ص ٨٠ ـ بتصرف

عظمة هذا القسم نستعرض بعض ابعاد النجوم والمجرات عنا وعن بعضها البعض

" فالشمس تبعد عن مركز مجرة التبانه التابعة لها حوالى ثلاثين ألف سنه ضوئية كما يبلغ قطر مجرة التبانه حوالى مائة الف سنه ضوئيه تقريبا • ومن هذه المجرات مجرة المرأة المسلسلة التى تبعد عن مجرتنا بنحو مليون ونصف سنه ضوئية " • (١)

مع العلم ان السنه الضوئية كما ذكرنا سابقا هى المسافة التى يقطعها الضوء فى عام كامل بسرعة ثلاثمائه الف كيلو متر فى الثانية •

اضاءة النجوم والكواكب :

نظرا لاهمية الضوء الصادر من الاجرام السماوية الذى يعتبر مفتاح من المفاتيح لاسرار الله فى الكون والذى من خلاله تعرفنا ولو بجزء بسيط عن عظمة القسم الذى اقسم به الخالق عز وجل القادر العليم بما فى هذا الوجود فانه لابد ان نتعرض للاضاءة الصادرة عن هذه الاجرام • حيث ان نصوص الوحى قد بينت أن لهذه الاجرام اضاءات مختلفه فقد روى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه فى صفة أهل الجنة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (••••• ولو أن رجلا من أهل الجنة أطلع قيدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم) (٢) فالشمس حينما تطمس ضوء النجوم لايعنى أنها أشد اضاءة منها ولكن لأن ضوءها يصل الى الأرض خلال ثمان دقائق وجزء من الدقيقة بينما أقرب النجوم لنا يصل الينا ضوءه خلال اربع سنوات ونصف سنه ضوئية • وهذا مايدل على ان القرب والبعد عن النجم يؤثر فى شدة اضاءته •

---

(١) الشمس فى حياة الانسان ص ١٦

(٢) مسند الامام احمد ١٦٩/١ ، سنن الترمذى ٦٧٨/٤ كتاب صفة الجنة حديث رقم ٢٥٣٨ •

والكواكب وتوابعها تبعث بالضوء ولقد ورد فى صفه أهل الجنه عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على اثرهم كأشد كوكب اضاءة ...) [1] وعنه أيضا (... ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة ...) الحديث . [2] وعن ابى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب درى فى السماء ...) الحديث .[3] لكن من المعروف فلكيا ان الضوء الصادر عن الكواكب وتوابعها انما هو عملية انعكاس من سطوحها لأن هذه الكواكب والاقمار عبارة عن كتل صخرية اما الشمس والنجوم فهى عبارة عن كتل غازية العنصر الغالب فيها هو الهيدروجين ومن خصائصه الاشتعال نتيجه التفاعلات التى تحصل داخل النجوم فينتج عنها هذا التوهج .

وقد أشارت نصوص القرآن الى الفرق بين خصائص الضوء فى الشمس وخصائص الضوء فى القمر الذى يعتبر تابع لكوكب الأرض .

فأخبر ان الشمس عبارة عن سراج والقمر عبارة عن نور مما يوحى الى ان ضوء القمر ليس نابعا منه وانما هو عملية انعكاس كما يقول علم الفلك قال تعالى : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ﴾ (نوح : ١٥ - ١٦) .

---

(١) صحيح البخارى ١٤٣/٤
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣١٩/٦ كتاب بدء الخلق حديث رقم ٣٢٤٦

(٢) صحيح البخارى ١٦٠/٤ كتاب بدء الخلق - باب خلق آدم وذريته .
المصدر السابق ٣٦٢/٦ كتاب الانبياء حديث رقم ٣٣٢٧

(٣) سنن الترمذى ٦٧٧/٤ كتاب صفة الجنة - حديث رقم ٢٥٣٤

وقال تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ (الفرقان : ٦١) .

وذكر الطبرى ان القراء قد اختلفوا فى قراءة " وجعل فيها سراجا " الى وجهين فقراءة قراء المدينه والبصرة " وجعل فيها سراجا" على التوحيد ، ووجهو تأويل ذلك الى أنه جعل فيها الشمس وهى السراج عندهم . وقراءة عامة قراء الكوفه " وجعل فيها سرجا " على الجمع ، كأنهم وجهوا تأويله وجعل فيها نجوما " وقمرا منيرا " وجعلوا النجوم سرجا اذ كان يهتدى بها .

وقال الطبرى " ان الراجح أنهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الأمصار لكل واحدة منهما وجه ومفهوم فبأتهما قرأ القارئ فمصيب " . (1)

والقراءة الأخيرة التى فيها صيغ الجمع تشير الى مايقوله علم الفلك الحديث ان النجوم تتوهج وتبعث بالضوء نتيجة التفاعلات التى تحدث داخلها وليس نتيجة انعكاس الضوء من سطوحها كما هو حادث فى الكواكب والاقمار كما أن ضيائية الجرم السماوى تعتمد على سببين .

أ - قرب الجرم وبعده عن الراصد له .

ب - شدة اللمعان الفعليه للجرم .

لذلك يستفاد من السببين فى تعين مواقع هذه الاجرام فى الفضاء . ومن ثم قسم العلماء الفلك النجوم باعتبارات عدة منها ما يعتمد على الضوء الصادر عن هذه النجوم المعبر بالنوع الطيفى واللون .

" ولقد رتبت النجوم حسب ذلك الى ثمانى مراتب مستخدمين - للتمييز رموزا ابجدية بحيث ترتب النجوم ترتيبا تنازليا من حيث تضاؤل درجة

---

(1) جامع البيان للطبرى ١٩/٣٠

حرارة كل منها . وبناءا على هذا الترتيب كانت الشمس فى المجموعة الخامسة حسب لونها وحرارتها الضوئية والطيفيه " . (١)

---

(١) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن د. عبدالعليم خضر ص ١٩٦

المبحث الرابع

علاقة الملائكة بحركة النجوم :

لم تذكر نصوص الوحى على وجه التحديد علاقة الملائكة بالاجرام السماوية كما هو واضح بالنسبة لعلاقة الملائكة بكل من الجبال والامطار والسحب والرحم والموت والرحمة والعذاب فعلى سبيل المثال ورد ان للجبال ملك يقوم على تصريف أمر الله فيها فعن أم المؤمنين عائشه رضى الله عنها أنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن أشد يوم أتى عليه أشد من يوم أحد فأخبرها صلى الله عليه وسلم مالقيه يوم العقبه من قريش حينما عرض نفسه على القبائل فذكر لها بأن الله بعث اليه ملك الجبال (... فنادنى ملك الجبال فسلم على ثم قال : يامحمد ... ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين .[1]) الحديث [2]

أما بالنسبة للسحب والامطار فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أقبلت يهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ياأبا القاسم انا نسألك عن خمسة أشياء .... قالوا فأخبرنا ماهذا الرعد قال : (ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده أو فى يده مخراق من نار يذجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله ...) الحديث [3] وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى سحابه اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب

---

(١) الأخشبان : جبلان يضافان تارة الى مكه وتارة الى منى وهما واحد معجم البلدان ١٢٢/١

(٢) صحيح البخارى ١٣٩/٤ - ١٤٠
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣١٣/٦ - كتاب بدء الخلق - حديث رقم ٣٢٣١ .

(٣) مسند الامام احمد ٢٧٤/١

فأفرغ ماءه فى حرة ...) الحديث .(1)

ففى هذه الاحاديث دلالة ظاهرة على ان الملائكة موكله بالجبال والامطار والسحاب . أما بالنسبة للنجوم والكواكب وتوابعها فان النصوص لم تصرح بذلك لكن المفسرون يرون ان الملائكة موكلة بتصريف امر الله سبحانه فى نظام حركة الاجرام السماويه . بدلالة قوله تعالى :
﴿ فالمدبرات أمرا ﴾ (النازعات : ٥) .

وقد أجمع المفسرون على أن المقصود بذلك الملائكة تدبر أمر ماوكلت به من أمور الدنيا بأمر الله ومنها الاجرام السماوية وقد ذكر ابن القيم أن الملائكة موكله بالعالم العلوى والسفلى تدبره بأمر الله عز وجل وأنه سبحانه وكل بالافلاك والشمس والقمر ملائكة تحركها كما وكل بالرياح ملائكة تصرفها بأمره وهم خزنتها . ثم قال :" فاذا عرف ان كل حركة فسببها الملائكة وحركتهم طاعة الله بأمره وارادته فيرجع الامر كله الى تنفيذ مراد الرب تعالى شرعا وقدرا ، والملائكة هم المنفذون ذلك بأمره ولذلك سموا ملائكة من الالوكة وهى الرسالة فهم رسل الله فى تنفيذ أوامره " .(2)

وذكر السيوطى نقلا عن ابن ابى حاتم وابو الشيح عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال : (ان الشمس اذا طلعت يقف معها ملكان موكلان بها يجريان معها ماجرت حتى اذا وقعت فى قطبها حذاء بطنان العرش خرت

واذا صحت أقوال المفسرين فى ان الاجرام السماوية موكل بنظـــــــام حركتها الملائكة ينفذون فيها اوامر الله فان ذلك لايتنافى مع ماجعلــــه الله من قوانين عامه تحكم نظام الكون كقوانين التوازن الحاصله فـــــى الافلاك من قوى الجذب والطرد المؤثره على حركة الاجرام السماوية التــــى أوضحها العلم الحديث لأن هذه الاجرام كما سبق وأن قلنا تحت الحركـــــة الاضطرارية القسرية التى تحكم حركتها الخاضعه لحكم الله ولأمره وهـــــو سبحانه له ماشاء من توكيل من شاء من خلقه فى تدبير أمر هذا الكــــون، والاحاديث والآثار توضح هذا وتفســـــره ٠

الفصل الثالث

المجموعة الشمسية ونظام حركتها

ويشتمل على المباحث:

أولا : المجموعة الشمسية

ثانيا: نظام حركة المجموعة الشمسية

المبحث الاول

المجموعة الشمسيه :

أن الأرض التى نعيش عليها ما هى الا فرد فى عائلة الكواكب التى تتبع الشمس فى نظام حركتها حيث تقع الشمس فى مركز النظام الشمسى . ويضم النظام الشمسى تسعة كواكب رئيسية مرتبة حسب بعدها عن الشمس وهى: عطارد - الزهرة - الأرض - المريخ - المشترى - زحل - أورانوس - نبتون بلوتو .

" وترى الكواكب الخمسه الأولى أى عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل بالعين المجردة وقد شاهدها البشر وعرفوها منذ القدم ، كما أن اسماءها العربية تدل على أن العرب عرفوها كبقية الأمم الأخرى . اما الكواكب الأخيرة أورانوس ونبتون وبلوتو فلا ترى بالعين المجردة وقد بدأ اكتشافها فى أواخر القرن الثامن عشر عندما تطورت صناعة المنظار المقرب وتظهر الكواكب كأجرام مضيئه فى السماء ، ولكن هذا الضوء الصادر منها هو ضوء الشمس منعكسا عليها ، اذ أن الكواكب كالأرض غير مضيئة فى ذاتها . وتظهر أرضنا كالكوكب المضىء اذا ما شوهدت من الكواكب الأخرى . وقد ظهرت أرضنا كقمر كبيرا أزرق اللون عندما شاهدها وصورها من القمر رجال الفضاء الامريكيون ".(١)

ويظن بعض العلماء أنه قد تكون هناك كواكب أخرى أبعد لا نعرفها وذكرت مجلة الموسوعة العلمية أنه اكتشف كوكب عاشر عام ١٩٧٧م وأسمه خيرون لكن المجله لم تقف معلومات أخرى عن هذا الكوكب الجديد نتعرف بها على صفاته .(٢)

---

(١) مبادئ الكونيات - الأمين محمد كعوره - ص ٧٢

(٢) مجلة الموسوعة العلمية العدد الثالث - دار المعارف للطباعة والنشر سوسه - تونس ص ١ - ٧٥

كما أن المجموعة الشمسية تضم عددا من الاقمار التى تعد توابع لكواكب المجموعة الشمسية ماعدا عطارد والزهرة . وكذلك كثيرا من الاعضاء الصغيرة الموجودة فى النظام الشمسى مثل الكويكبات والمذنبات وشظايا الصخور والغبار الكونى وكميات كبيره من الغاز والجسيمات المشحونه وهى تقع فى الفضاء الرحيب الواقع خلال نظام المجموعة هذا مايخبرنا به علم الفلك عن الكواكب .

أولا : الشمس والقمر والفروق بينهما فى نصوص الوحى :

ورد ذكرهما فى نصوص الوحى اكثر من غيرهما من اجرام نظام المجموعة الشمسية باستثناء الأرض التى خصت بخلافة الانسان وذلك لشدة ارتباطهما بحياة الانسان على هذه الأرض . فالشمس هى أحد نجوم السماء ومركز النظام الشمسى والقمر هو التابع الوحيد للأرض .

ولقد أوضحت الآيات القرآنية الفرق الكبير بين الشمس والقمر كما ذكرنا سابقا فالشمس سراج وهاج وضياء والقمر نور قال تعالى : * هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب * (يونس : ٥) وقال تعالى : * الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا (نوح: ١٥-١٦)

وقال تعالى : * وجعلنا سراجا وهاجا * (النبأ : ١٣) . ويقول صاحب الظواهر الجغرافية "جاء مدلول النور محددا واضحا بمنتهى الدقة قال تعالى : * مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون * (البقرة : ١٧) فالآية تشير الى أن مايصدر من النار ضياء ولكن وقوعه على الاجسام المظلمة وانعكاسه منها على أبصار المنافقين - حسب معنى الآية - وبعد الانعكاس أصبح معنى الضياء نورا" . (١)

---

(١) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - د. عبد العليم خضر ص ٢٠٠

لذلك فضوء القمر سمى نورا لانه منعكسا عن غيره وهو الشمس .

كما أن هناك فرق آخر بين الشمس والقمر وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا ﴾ (الاسراء : ١٢) .

حيث جعل سبحانه علامة الليل القمر وعلامة النهار الشمس قال ابن عباس فى تفسير الآية " كان القمر يضئ كما تضئ الشمس ، والقمر آية الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل : السواد الذى فى القمر "(١)

وهى مع هذه الفروق الا انها تتفق فى صفة تجمع بينهما مع سائر الاجرام هى صفة التسخير لكن ذكر التسخير فيهما كان اكثر من غيرهما بسبب صلتهما المباشرة دون غيرهما من الاجرام بالانسان وحياته المعيشية .

وهذه الصفه وردت متصلة بالشمس والقمر بلفظ سخر فى سبع مواضع من كتاب الله تأكيدا على أن مايحدث من أثر متعلق بهما انما هو من خلقة سبحانه وانما جعلت اسباب ظاهرية لما اراده الله سبحانه وتعالى فى الكون ويوضح ذلك الحديث الذى اورده الامام البخارى فى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم " أحلت لكم الغنائم " قصة النبى الذى غزا وحبست له الشمس حيث قال للشمس (انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليهم) .(٢)

كما أن صفة التسخير وردت بالفاظ أخرى كالجعل الذى يفيد أن هذه الاجرام مجبورة مقسورة اذ لااختيار لها فى حركتها قال تعالى : ﴿ فالق

---

(١) جامع البيان للطبرى ٤٩/١٥

(٢) صحيح البخارى ١٠٤/٤ - ١٠٥ - كتاب الجهاد - باب قول النبى احلت لكم الغنائم .

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٢٢٠/٦ كتاب فرض الخمس رقم الحديث ٣١٢٤ .

الاصباح وجعل الليل ساكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (الانعام : ٩٦) .

وقال تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ (الفرقان : ٦١) والجعل يفيد الجبر والتصيير بمعنى انها مسخرة .

ثانيا : عدد الكواكب وخصائصها :

لم تشر نصوص الوحى الى عدد معين للكواكب فى السماء مما يدل على انها قد تزيد على هذا العدد لكن عدم الاحاطه من بنى الانسان بكل شىء مهما تقدمت وسائل التقنيه لديه تجعل الجزم بعددها امر بعيدا قال تعالى : ﴿ انا زينا السماء الدنيا بزينه الكواكب ﴾ (الصافات : ٦)

وفى حديث صفة الحوض عن ابى ذر رضى الله عنه (قال : قلت : يارسول الله ما آنيه الحوض قال : والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من نجوم السماء وكواكبها ...) .(1)

اما من يحتج بأن عدد الكواكب قد حدد فى القرآن برؤية يوسف عليه السلام حيث ذكر الله تعالى حكاية عن يوسف ﴿ اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴾ (يوسف : ٤) وأن رؤيا الانبياء وحيا ، قيل لهم ان هذه الرؤيا قد فسرت فى آواخر السورة حيث قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ... ﴾ الاية (يوسف : ١٠٠) .

---

(١) صحيح مسلم ١٧٩٨/٤ - حديث رقم ٣٦
صحيح مسلم بشرح النووى ٦١/١٥ -٦٢ - كتاب الفضائل باب حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفته .

وتأويل الأحد عشر كوكب هم أخوة يوسف وهذا ما أجمع عليه المفسرون أما حديث بستانه اليهودى الذى جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عن الكواكب التى رآها يوسف عليه السلام أنها ساجدة له ما أسماؤهم ؟ والذى أورده الطبرى فى تفسيره ونقله عنه ابن كثير فى تفسيره والسيوطى فى الدر المنثور وعزاه الى غيره واحد من أهل الحديث [1] فان فى ألفاظه الخاصة باسماء الكواكب اختلاف بين الناقلين وقد ضعفه الأئمة وتركه الأكثرون كما ذكر ابن كثير . وذكر الألوسى أن من أهل الحديث من ذكر أنه منكر موضوع . [2]

والأسماء التى ذكرت هى جربان ، الطارق ، الذيال ، قابس ، عمودان ، الفليق الفصيح والفزع ، ووثاب ، وذو الكتفين ، والضروح .

وذكر صاحب الفتوحات الالهية بعد أن ذكر صفات بعضها قال (وهذه نجوم غير مرصودة خصت بالرؤيا لغيبتهم عنه) . [3]

ويلحظ من كلامه أنه يقول نجوم مع أن المذكور كواكب وقد ذكرنا سابقا الفرق بين النجم والكوكب ويقول الرازى (واعلم أن كثير من هذه الأسماء غير مذكورة فى الكتب المصنفة فى صورة الكواكب والله أعلم بحقيقة الحال) . [4]

ودراستنا لكواكب المجموعة الشمسية لمعرفة خصائصها ونظام حركتها حتى نتعرف على نعمة الله على الانسان فى تهيئة كوكب الأرض وجعله صالحا للحياة حيث ثبت علميا أن الحياة على غير هذا الكوكب للبشر مستحيلة .

---

(١) جامع البيان للطبرى ١٥١/١٢ ، تفسير ابن كثير ٤٦٨/٢ ، والدر المنثور ٤٩٨/٤ .

(٢) روح المعانى للالوسى ١٧٩/١٢ .

(٣) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين - سليمان العجيلى الشهير بالجمل ٤٣٤/٢ - دار احياء التراث العربى - بيروت .

(٤) التفسير الكبير للرازى ٨٨/١٨ .

لان الله سبحانه وتعالى جعل خلافه الانسان قاصرة على الارض قال تعالى:
﴿ واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفه .. ﴾ الآية (البقرة: ٣٠)
وقال تعالى : ﴿ هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ولايزيد الكفرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولايزيد الكفرين كفرهم الا خسارا ﴾ (فاطر : ٣٩) .

وفى التعرف على خصائص المجموعة الشمسية رد على زعم من يرى ان لهذه الاجرام سعادة وشقاوة للانسان وتوضيح انها مسخرة لله سبحانه وهو ما نستعرضه فى فصل لاحق .

خصائص الكواكب :

عطارد والزهرة :

أتضح من الصور التى ارسلتها المركبات الفضائية عام ١٩٧٣م ، ١٩٧٥ م ان سطح عطارد يشبه سطح القمر وأن له مجالا مغناطيسيا كالأرض . كما ان قربه من الشمس يجعل الوجه المقابل لها اكثر حرارة مما يكفى لصهر القصدير أما الوجه البعيد عن الشمس فبارد جدا اذ ليس لعطارد جو يحفظ الحرارة .

اما بالنسبه للزهرة فنظرا لزيادة الضغط الجوى فيها عن الأرض باثنتين وتسعين مرة ادى الى صعوبة استكشافها وسطحها صخرى وجوها الكيثف المكون من ثانى اكسيد الكربون يحبس الحرارة مما يجعلها اكثر حرارة من سطح عطارد . (١)

المريخ :

لقد خاب ظن العلماء فى وجود حياة على سطح المريخ بما أتضح من

---

(١) النظام الشمسى - سوبيكليك - ترجمة د. خليل هندى ص ١٢ - ١٤ بتصرف الطبعة الاولى عام ١٩٨٧م - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت

ابحاث الفضاء عن هذا الكوكب حيث اتضح انه يتصف بالبرودة الشديدة جـدا والجفاف وأن سطحه مشابه لسطح القمر وأنه عبارة عن مناطق صحراوية حمراء ذات صخورٌ مفتتة وفيها من الكثبان الرمليه . (١) وأن كثافة جوه المباشر لسطحه لاتزيد عن جزء من أربعين جزء من جو الأرض المباشر لسطح الأرض .(٢) ومن عجائب حكمة الله فى هذا الكوكب انه عندما يكون اكثر بعدا عن الشمس يسير بسرعة معينه اما اذا اقترب منها فان سرعته تزداد بشكل ملموس وبالتالى تزداد كتلته . (٣)

المشتـرى وزحـل :

فالمشترى هو أكبر الكواكب الأخرى مجتمعه ويوجد حوله أحزمة أشعة بقوة اشعاعات انفجار نووى . ويظن ان سطحه غير صلب حيث يعتبر كـرة هائلة من السوائل والغازات وهو منخفض الحرارة بحيث تصل دون الصفر مما تجعله غير مشع كالشمس .

أما زحل فهو شبيه بالمشترى فى احزمته وهو يعتبر كرة من الغاز وفى المركز نواه صخرية يحيط بها طبقة سميكه من الجليد محاطه بطبقة غازية . وهو محاط بمئات الحلقات التى مازالت من الظواهر الفلكية الغامضه ويظهر أنها غير متماسكة وأنها عبارة عن صخور صغيرة يقارب معظمها حجم كرة السلة ومظهرها يشبه الثلج المتسخ .(٤)

اورانوس ونبتون وبلوتو :

تقدر درجة حرارة سطح اورانوس بثلاثمائة وستون درجة تحت الصفر

(١) المرجع السابق ص ٢٢ بتصرف
(٢) فى سبيل موسوعة علمية ـ د. احمد زكى ص ٥٤٦ ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ دار الشروق .
(٣) كتاب المعرفة ـ الذرات والالكترونات ص ٢٨ ـ ٢٩
(٤) النظام الشمسى ص ٢٤ ، ٢٦ ، الجغرافيا الفلكية ص ١٣٨ ، ١٤٠ ـ مجلة الفيصل العدد ٤٨ لعام ١٤٠١ ـ ص ١٠١ ـ ١٠٤

وهو يتكون من كميات ضخمة من الغازات وله احزمة كزحل والمشترى .ويدور حول الشمس وكأنه مستلقى على جانبه نظرا لأن محوره يشكل زاوية قائمة مع كافة محاور الكواكب الأخرى .

اما نبتون فان سبب اكتشافه هو وجود انحراف فى مسار اورنواس .ويظن العلماء انه يتكون كالمشترى وزحل من سوائل وغازات . وتهبط الحرارة على سطحه الى ثلاثمائة وثمانين تحت الصفر .

اما بلوتو فهو كوكب صغير وقد يكون بحجم عطارد . وهو أحيانا يصبح أقرب الى الشمس من نبتون . (١)

ثالثا : اقمار المجموعة الشمسية :

كل كواكب المجموعة لها أقمار ماعدا عطارد والزهرة والصفه الغالبه على هذه الاقمار أنها تتكون من صخور وكثبان رمليه وغازات كما أن بعضها يحتوى على البراكين الثائرة التى تقذف بالمواد المتلهبه . كما أن الفوهات صفة غالبه أيضا على أسطح الاقمار كما هو ملاحظ على سطح قمر الأرض . ويتراوح عدد الاقمار فى المجموعة الشمسية حوالى اربع واربعين قمرا .(٢)

وما يهمنا هو القمر التابع للأرض الذى ورد ذكره كثيرا فى نصوص الوحى وبالذات مرتبطا بمعرفة الشهر كما سنوضح ذلك فى الآثار .

رابعا : الشهب والنيازك :

لم يتضح الى الآن ما هو مصدرها ويغلب الظن أنها تأتى من نطاق الكويكبات الواقع بين مدارى المريخ والمشترى حيث لاتعدو الكويكبات

---

(١) الجغرافيا الفلكية - شفيق عبدالرحمن ص١٤٧ - ١٤٨ ، النظام الشمسى ص ٢٨ - الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٦٤

(٢) النظام الشمسى صفحة الغلاف ، ص ٢٤ ، مجلة الفيصل العدد ٤٨ لعام١٤٠١ ص ١٠٥

كونها قطع من الصخر يبلغ قطر أكبرها نحو حجم بريطانيا .[١] وهي تعتبر أحد اعضاء المجموعة الشمسيه .

ولم ترد مادة نيازك فى نصوص الوحى وانما وردت مادة شهب لكن المادتين وردت فى علم الفلك والفرق بينهما فى الحجم والسرعة حيث يعتبر كل منهما قطع صخرية .

وقد تدع الشهب نجوما كما ورد فى الخبر عن ابن عباس رضى الله عنهما عن صعود الجن الى السماء واستراقهم السمع حيث قال (فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك ...) .[٢] وعنه رضى الله عنه قال أخبرنى رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من الأنصار (أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بنجم فأستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا كنتم تقولون فى الجاهلية اذا رمى بمثل هذا ...) الحديث [٣]

والمقصود بالنجم هو الشهاب الذى يرمى به الجن عند استماعهم لخبر السماء كما هو واضح من آخر الحديث حيث فيه (فتخطف الجن السمع ....). وتسمية الشهاب واحد الشهب نجما لمايحدثه من ضوء لامع اثناء احتكاكه بالغلاف الجوى للأرض .

---

(١) النظام الشمسى ص ٥

(٢) سنن الترمذى ٤٢٧/٥ كتاب التفسير - حديث رقم ٣٣٢٤

(٣) صحيح مسلم ١٧٥٠/٤ - كتاب السلام حديث رقم ١٢٤

صحيح مسلم بشرح النووى ٢٢٥/١٤ - كتاب الطب - باب تحريم الكهانه

المبحــــث الثانــــى

نظام حركة المجموعـــــة :

اما عن نظام حركة المجموعة الشمسية فسوف نركز فى الكلام حركة كل من الشمس والقمــــر والارض لأن ذلك مايهمنا فى الفصل اللاحــق آما بقية اعضاء المجموعة ومنها الأرض فتستعرض الجـدول التالى لنتعرف هذه الحركة فى شكل ارقام مأخوذ من مجلـه علميــه .(١)

إسم الكوكب	البعد عن الشمس بالملاييــن مقدر بالكيلومتــر			قطر خــط الاستــواء بالكيلومتـر	زمن الدورة كاملـة حول الشمس بالايـام آو السنين	زمن دوراتـه حـــول نفسه بالايـام والساعات والدقائق والثوانـــى	السرعـة المدارية بالكيلـو متر فـى الثانيـه
	اعظـم بعـد	اصغـر بعـد	البعـد الوسطى				
عطارد	٦٩ر٧	٤٥ر٩	٥٧ر٩	٤٨٨٠	٨٨ يوم	٥٩ يـــوم	٤٧ر٩
الزهرة	١٠٩	١٠٧ر٤	١٠٨ر٢	١٢١٠٤	٢٢٤ر٧يوم	ـ ٢٤٣ يـوم *	٣٥
الأرض	١٥٢ر١	١٤٧ر١	١٤٩ر٦	١٢٧٥٦	٣٦٥ر٢٦يوم	٢٣ ساعةو٥٦ دقيقةو٤ثوان	٢٩ر٨
المريخ	٢٤٩ر١	٢٠٦ر٧	٢٢٧ر٩	٦٧٨٧	٦٨٧ يـوم	٢٤ساعةو٤٧دقيقةو٢٣ثانية	٢٤ر١
المشترى	٨١٥ر٧	٧٤٠ر٩	٧٧٨ر٣	١٤٢٨٠٠	١١ر٨٦سنه	٩ساعات و٥٠دقيقةو٣٠ثانية	١٣ر١
زحـل	١٥٠٧	١٣٤٧	١٤٢٧	١٢٠٠٠٠	٢٩ر٤٦سنه	١٠ ساعات و ١٤ دقيقـة	٩ر٦
اورانوس	٣٠٠٤	٢٧٣٥	٢٨٦٩ر٦	٥١٨٠٠	٨٤ر٠١سنه	ـ ١١ ساعـة *	٦ر٨
نبتون	٤٥٣٧	٤٤٥٦	٤٤٩٦ر٦	٤٩٥٠٠	١٦٤ر٨سنه	١٦ ساعـــة	٥ر٤
بلوتـو	٧٣٧٥	٤٤٢٥	٥٩٠٠	٦٠٠٠	٢٤٧ر٧سنه	٦ أيام و ٩ ساعـــات	٤ر٧

(١) الموسوعـة العلميـة ص ١ ـ ٨٠ العدد (٣)

* اشارة ناقص (ـ) أمام عدد ايام الدورة يدل على أن الكوكب يتحرك حول نفسه باتجاه معاكــس لحركة الكواكب الاخرى .

حركـــات القمـــــــر :

قال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ (ياسين : ٣٩ - ٤٠) .

والآية تحدثنا عن حركة القمر الظاهرية والدليل على ذلك تشبيه القمر فى مراحل تحركاته مع النجوم التى تدع منازل القمر بالعرجون القديم ، وهذه حالة القمر بالنسبة للمشاهد فى بعض ايام الشهر من اوله حيث يدعى هلالا او فى آخره حيث يدعى محاقا كما ورد ذلك فى لغة العرب .

والمقصود بالعرجون كما تذكر كتب التفسير العذق اليابس وهو من الموضع النابت فى النخله الى موضع الشماريخ .(١) وانما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم لأن ذلك من العذق لايكاد يوجد الا متقوسا منحنيا اذا قدم ويبس ولايكاد أن يصاب مستويا معتدلا كأغصان سائر الاشجار وفروعها ووجه الشبه الاصفرار والدقه والاعوجاج . (٢)

وللقمر فى تحركه الظاهرى خمس حالات حيث يتدرج وجهه ظهورا واختفاء بالنسبه الى المشاهد خلال الشهر . وهذه الحالات هى :

١ - مولد الهلال : يقع القمر بيننا وبين الشمس حيث يتجه الجانب المضىء بعيدا عنا .

٢ - التربيع الاول : تزداد الاهله حتى يصير وجه القمر مضيئا ويرى عند الغروب .

---

(١) الشماريخ مفردها الشمروخ وهو غصن دقيق رخص ينبت فى أعلى الغصن الغليظ - لسان العرب - مادة شمرخ ٣١/٣ .

(٢) جامع البيان للطبرى ٦/٢٣ ، روح المعانى للالوسى ٢٠/٢٣

٣ - القمر البدر : تقع الأرض فى وقت البدر بين الشمس والقمر حيث يكون الجانب المضىء هو المواجه لنا .

٤ - التربيع الثانى: يرى نصف وجه القمر الشاحب اللون عند الشروق .

٥ - المحـــاق : يقع القمر بيننا وبين الشمس حيث يتجه الجانب المضىء بعيدا عنـــا . (١)

" والقمر يدور حول الأرض ويتأثر فى دورانه بجاذبيه كل مـــن الأرض والشمس وبسبب حركته الدائرية فانه يبدؤ متحركا من الشرق الى الغـــرب ويظهر ذلك حينما نقارنه بما خلفه من نجوم فى السماء . ويتأخر أشراقه كل يوم حوالى خمسين دقيقه عن اليوم السابق .

وعلى هذا يشرق القمر حوالى الظهر عندما يصل الى التربيـــع الأول ويغرب حوالى منتصف الليل . أما فى اليوم الذى يكون فيه القمـــر بدرا فانه يشرق حوالى غروب الشمس ويغرب عند شروق الشمس تقريبا ويصـــل الى أعلى موضع فى السماء حوالى منتصف الليل . ويشرق القمر عنـــد التربيع الأخيـــر حوالى منتصف الليل ويقرب حوالى منتصف النهار .

ويشرق الهلال الجديد دائما عقب شروق الشمس ويغرب عقب غروب الشمـــس مباشرة ويشاهد دائما فى السماء فى الجهة الغربية . أما الهلال القديم فانه يشرق قبل شروق الشمس بقليل " (٢) كما أن هناك فرق بين الهلاليـــن فى وضع كل منهما بالنسبة للانحاء .

" ويلاحظ ان القمر يتم دورته حول الأرض فى سبعة وعشرين يوم وسبـــع ساعات وثلاث واربعين دقيقة واحدى عشر ثانيه وذلك كمتوسط عام الا ان تلك

---

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ١٠٩ ، اقرب الجيران الى الأرض ص ١١ - ٢١

(٢) الشمس فى حياة الأنسان ص ٣٦ ، اقرب الجيران الى الأرض ص ٢١ - ٢٢ بتصـــرف .

الدورة تختلف مابين شهر وآخر فى حدود سبع ساعـــــات .

أما الفترة الواقعه بين حدوث اوجه القمر وتكرارها فانها تزيـــــد يومين على دورة القمر الشهرية والسبب فى هذا الاختلاف هو أن القمر حينما يكمل دورته حول الأرض تكون الأرض قد دارت حول الشمس فتغير موقعهـــــا ، والقمر تابع للأرض يلاحقها ليكون فى موقعه بالنسبة لها عندما يتم دورتـــه حولها أول الشهر ولايستطيع أن يلحق بهذا الموقع الا بعد مضى نحــــــو يومين " .[1] وهذا يفسر لنا كيف أن عدد أيام الشهر القمرى بين تسعـــه وعشريـــــن الى ثلاثيـــن يوم .

حركـــات الأرض :

سبق أن ذكرنا أن للأرض عدة حركات أهمها حركتان وهى :

أولا : الحركة السنوية وهى التى تدور فيها الأرض حول الشمس وبهذه الحركة تكون الأرض أقرب للشمس فى مواقع دون غيرها وذلك راجع الـــــــى ان مدار الأرض حول الشمس غير مستدير استدارة كاملة وانما يأخـذ شكل الانبعاج أو يسمى عند علماء الفلك شكل القطع الناقص .

ثانيا : الحركة اليوميه وهى التى تدور فيها الأرض حول محورها والتـــــى ينتج عنها الحركة الظاهرية للاجرام والتى تظهر فيها حركـــــــة النجوم على أنها دوران تجاه الغرب حول الأرض وفى الحقيقـــــة ان سبب هذا الشعور هو حركة الأرض حول محورها بالنسبه الـــــى غيرها من الاجرام السماوية - والتى أشرنا لها سابقا .

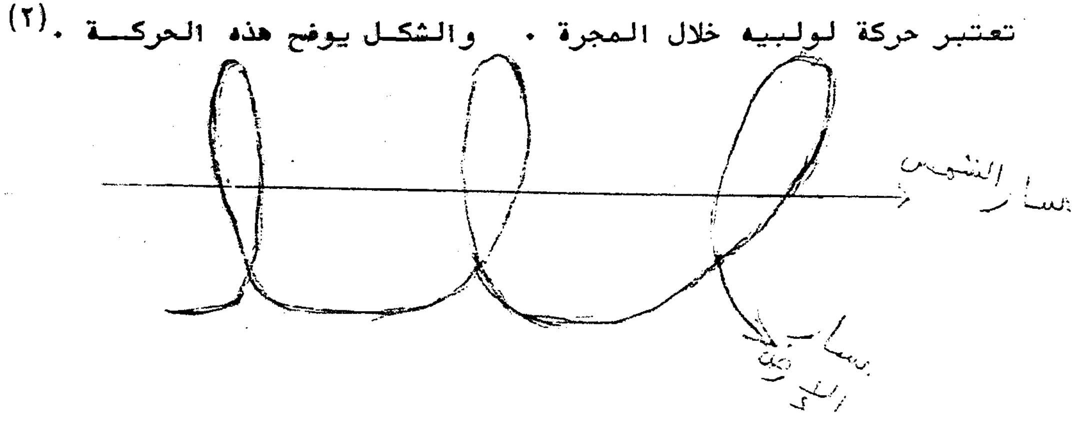
أما الحركات الأخرى للأرض فهى عبارة عن نواتج لهاتين الحركتين حيث يتم قياس عدم الانتظام الصغير الذى يطرأ عليها . وأعظم هذه الحركـــات

---

(١) الشمس فى حيـــاة الانســـان ص ٤٠

ما يسمى بترنح الاعتداليـــــن .(١)

كما أن الأرض تشارك فى حركة الشمس فى المجرة . لذلك فان الأرض لاتعود أبدا الى نفس النقطه فى الفضــاء ولاتعيد رسم نفس القطع الناقص وهــى تعتبر حركة لولبيه خلال المجرة . والشكل يوضح هذه الحركــة .(٢)



حركات الشمـــــس :

تحدثنا عن حركات الشمس حينما تكلمنا عن حركات النجوم باعتبـــار الشمس نجما من النجوم تتبعه كواكب المجموعه الشمسيه فى الحركة . ومـــا يهمنا هو الحديث عن الحركة الظاهرية التى أكثر ما أهتمت بها نصــوص الوحى نظرا للحال الواقع الذى يشهده الانسان بالنسبه لحركة الشمـــس قال تعالى فى قصة أصحاب الكهف ﴿ وترى الشمس اذا طلعت تزاور عــن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلــك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليـــا مرشـــدا ﴾ (الكهـــف : ١٧) .

والمقصود بتزاور الشمس حين طلوعها وميلها وعدولها كما فى معنـــى زور لغويا أصل يدل على الميل والعدول .(٣) وأما قرضها فهى تقطـــع

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٦٢ - ٦٨ بتصرف
(٢) آفاق جديدة فى علـــم الفلك ص ٤٦٠
(٣) مقاييس اللغـــه لابن فارس ٣٦/٣

متجاوزتا مع عدول وميل لأن أصل القرض فى اللغة القطع وقرض فلان فى سيره يقرض قرضا اى عدل يمنه ويسره .(١)

فهى بستخير الله لها تعدل فى سيرها وتميل عن اصحاب الكهف فيكون أصل الكلام كما ذكر الطبرى فى تفسيره "وترى الشمس اذا طلعت تعدل عن كهفهم فتطلع من ذات اليمين لئلا تصيب الفتيه واذا غربت تتركهم بذات الشمال فلا تصيبهم . يقال منه : قرضت موضع كذا اذا قطعته فجاوزته " .(٢)

وقال تعالى فى موضع آخر من كتابه آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر والتسبيح ﴿ فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناى الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ (طه : ١٣٠)

ويلاحظ فى النصوص الاهتمام بالجهات الست التى يحدد بها المشاهد اتجاه الحركة للشمس بالنسبه له ففى الحديث عن عمرو بن عبسه رضى الله عنه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن أقرب ساعة الى الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (جوف الليل الآخر صل مابدا لك حتى تصلى الصبح ثم انهه حتى تطلع الشمس ومادامت كأنها جحفة حتى تنتشر ثم صلى مابدا لك حتى يقوم العمود على ظله ثم انهه حتى تزول الشمس فان جهنم تسجر لنصف النهار ثم صلى مابدا لك حتى تصلى العصر ثم انهه حتى تغرب الشمس ....) الحديث (٣)

ففى الحديث يتكلم عن اوقات الصلاة المسموح بها والمنهى عنها اعتمادا على حركة الشمس الظاهرية من شروب وغروب وارتفاع فى الافق حتى

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٢١٦/٧ - ٢١٩
(٢) جامع البيان للطبرى ٢١١/١٥
(٣) مسند الامام أحمد ١١٤/٤

تصل الى كبد السماء ثم تميل . والمقصود بقوله (ومادامت كأنها جحفه حتى تنتشر) ان الصلاة منهى عنها بعد وقت صلاة الفجر بحوالى ساعتين زمنيه وهو مايفسر بطلوع الشمس قيد رمح او رمحين كما فى حديث كعب بن مرة البهزى رضى الله عنه قال (قلت يارسول الله اى الليل اسمع قال : جوف الليل الآخر قال : ثم قال : ثم الصلاة مقبولة حتى يصلى الفجر ثم لاصلاة حتى تكون الشمس قيد رمح او رمحين ثم الصلاة مقبولة حتى يقوم الظل قيام الرمح ثم لاصلاة حتى تزول الشمس ثم الصلاة مقبوله حتى تكون الشمس قيد رمح أو رمحين ثم لاصلاة حتى تغرب الشمس ...)الحديث(١)

وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل قبل ان تزيغ الشمس أخر الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما فان زاغت قبل أن يرتحل صلى الظهر ثم ركب) . (٢)

فالالفاظ التى فى الاحاديث هى الزوال والطلوع والمغيب والزيغ هى حركات فيها ميل وعدول وهذا لأن حركة الشمس الظاهرية ماهى الا عبارة عن حركة الأرض حول محورها لكن فيها تعبير باعتبار حركة الانسان على الأرض . والمتتبع لحركة الشمس خلال فصول العام يلاحظ ان المواقع تختلف حسب ميل الشمس على خط الاستواء ومدار السرطان والجدى (٣) لذلك يجب ملاحظه هذا الاختلاف حتى تحدد مواعيد الصلاة بدقة .

---

(١) المصدر السابق ٣٢١/٤

(٢) صحيح البخارى ٥٨/٢ ـ كتاب الصلاة باب اذا ارتحل بعد مازاغت الشمس صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٥٨٣/٢ كتاب تقصير الصلاة ـ حديث رقم ١١١٢ .

(٣) مدار السرطان ومدار الجدى خطان وهميان من خطوط العرض على الكرة الارضية الاول شمال خط الاستواء والثانى جنوبه ـ قواعد الجغرافيا العامة . ص ٥٣

الفصل الرابع

آثار حركات الاجرام السماوية

ويشتمل على المباحث :

أولا : واجب الانسان نحو آثار الاجرام السماوية

ثانيا: الآثار المتعلقة بالنجوم والكواكب

ثالثا: الآثار المتعلقة بالشمس والقمر والارض

المبحث الأول

واجب الانسان نحو آثار الاجرام السماوية

قبل الخوض فى آثار النجوم والشمس والأرض والقمر وما يتعلق بحركاتها لابد أن نقف على المقصود من الأثر ؟

يذكر ابن فارس ان مادة " أثر لها ثلاثة أصول هى

أ - تقديم الشىء مثل قولك آثرت بأن أفعل كذا وهو هم فى عزم .

ب - ذكر الشىء مثل قولك يافلان هذا آثرا ما .

جـ - رسم الشىء الباقى ونقل عن بعضهم قوله والأثر بقية مايرى من كل شىء ومالايرى بعد أن تبقى فيه علقه" (١)

اذاً آثار الاجرام وحركاتها تقع تحت الأصل الثالث . وذلك بأن ماينتج عنها وعن حركاتها يترك علاقة محسوسة سواء مادخل تحت نطاق الحواس الخمس أو لم يدخل بحيث يمكن قياسه بواسطة أجهزة حساسة لتلك العلاقة الناتجة عن تحركاتها مع العلم ان هذا التأثير من الاجرام عبارة عن دلالات جعلها الله سبحانه وتعالى آيات منه ترى فى هذا الكون توضح القانون الالهى الشامل لهذا الوجود الذى ينبىء عن علم وحكمة وابداع وقدرة خالقه وليس هذا التأثير من فاعلية الجرم السماوى ولا من فاعلية حركته لأنه من المعلوم سابقا ان هذه الاجرام ليس لها ارادة واختيار وانما حركاتها غير ارادية فهى تحت التسخير والجبر بسنن الله تعالى فى هذا الوجود قال تعالى : ﴿ ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون . فالق الاصباح وجعل الليل

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١/٥٣ - ٥٤

سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم • وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ (الانعام : ٩٥ - ٩٧) •

فالآيات تشير الى هذا التسخير الذى جعله الله تعالى تمكينا للانسان الذى جعله خليفه فى هذه الأرض ليؤدى مافرض عليه من شروط الخلافه وهو تحقيق العبوديه لله سبحانه وعدم صرفها الى غيره من ظواهر وآثار سواء سماوية أو ارضية لأنها تعد مخلوقات له سبحانه فهى عاجزة امام قدرة خالقها لاتستطيع تدبيرا أو نفعا أو ضرا لأحد من خلقه ، فهى وآثارها من خلق الله تعالى •

والانسان امام الظواهر والآثار الكونيه فى تأمل وتفكر يريد تفسيرا لما يحدث حوله فى هذا الوجود مدفوعا بفطرته الى تفهم ما حوله والحكمة منه والاهتداء بذلك الى خالقه •

وقد يصيب الانسان وقد يخطىء فى الوصول الى فهم ما خفى عليه من أمور الكون وما وضع فيه من سنن وعلى أساس ذلك يكون تعامله مع خالقه •

وحتى يصبح الانسان فى حالة توفيق لتفسير هذه الظواهر والآثار الكونيه وبالأخص مايتعلق بالفلك من حركات الاجرام السماوية لابد من الرجوع الى اتجاهين لتفسير ذلك :

<u>أولا :</u> توضيح العلاقة السببيه التى تؤدى الى اقتران الظواهر والآثار بغيرها من احوال فى الكون كحالة حركة الاجرام فى نطاق مفهوم علمى معتمدا على وسائل الاحساس فالملاحظه المتتابعه ثم وضع الفروض لذلك ثم اجراء التجارب للتأكد من صحة ذلك •

فالاسلوب العلمى الموضوعى المنزه عن الاهواء لابد وأن يتفق فى

النهاية مع الفطره السليمة التى تجانب الخرافات والاباطيل والتى توصل الى ان النافع والضار والمدبر هو الله سبحانه وتعالى لا آله غيره ولامعبود بحق سواه .

ثانيا :

نصوص الوحى والأخذ بها فهى تعتبر المصدر الخالص من الشك والذى له الصدارة دائما فى حياتنا باعتبارنا مسلمين والذى قد يضع تعليلا لظاهرة أو أثر لم يستطيع العلم الوصول اليه ولن يستطيع فى بعض الاحيان وذلك مدعاه للايمان بالغيب وان للعلم حدوده وامكانياته القاصرة التى يتوقف عندها . مثال ذلك ظاهرة الحرارة والبرودة اذ تعليلها العلمى بالنسبة للاجرام والمعروف لدى أغلب الناس حتى الذين ليس لهم اطلاع علمى ولايعرفون قواعد منهج البحث العلمى أنها الشمس ونحن نقول ان هذا حق لا جدال فيه الا أن هذا التعليل ليس هو التعليل الوحيد لتلك الظاهرة فقد ورد فى الحديث الذى اخرجه الشيخان فى الصحيح وغيرهما عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشتكت النار الى ربها فقالت : يارب أكل بعضى بعضا فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فهو أشد ماتجدون فى الحر وأشد ماتجدون فى الزمهرير) وفى الروايه الأخرى (فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما جدتم من حر أو حرور فمن نفس جهنم) . [1] وذكر النووى فى الشرح ان العلماء قالوا " الزمهرير شدة البرد والحرور شدة الحر " . وقد اختلف

---

(١) صحيح البخارى ١٤٦/٤ باب صفة النار ، صحيح مسلم ٤٣٢/١ حديث رقم ١٨٧ صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣٣٠/٦ كتاب بدء الخلق حديث رقم ٣٢٦٠ صحيح مسلم بشرح النووى ١١٩/٥ - ١٢٠ ، كتاب المساجد باب استحباب الابراد بالظهر فى شدة الحر .

العلماء فى الشكوى هل هى بلسان المقال أو بلسان الحال لكن الراجح حمل الشكوى على الحقيقة كما ذهب غير واحد من العلماء كما ذكر ذلك ابن حجر فى الفتح .(١)

فهذه أمور غيبيه عنا لأن النار المراده فى الحديث هى من عالم الغيب وليست من عالم الشهادة كالشمس وسائر الاجرام السماوية . فتتوقف حدود معرفتنا العلميه المحدودة والمقيدة بضوابط المعرفة الانسانية المعتمدة على القياس والافتراض والتجارب والوصول الى حقائق . لكن مع هذا يمكن الوصول الى نتائج صحيحة من الحديث وهى ان حرارة الدنيا كلها التى هى فى الظاهر حسب معرفة الحس البشرى من الشمس هى مجرد نفس من انفاس جهنم ، وهذا معناه الحرارة المنبعثه من الشمس جزء ضئيل من حرارة جهنم .

فواجبنا نحو النصوص الشرعية الوقوف عند المراد منها حسبما ورد فى النص لأن ذلك صفة من صفات المؤمنين المتقين ولان صفة التقوى حتى فى مجال الأخذ بالاسباب العلمية والوقوف عند حدود العقل بها ورد علمها الى الله قال تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فأعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعلمون ﴾ (هود : ١٢٣) .

ولكى نبدأ باستعراض آثار الاجرام السماوية نذكر ما أورده الامام البخارى فى صحيحه عن قتادة فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد زينا السماء بمصابيح ...) الآية (الملك : ٥) . حيث قال "خلق

---

(١) فتح البارى ١٩/٢

هذه النجوم لثلاث : جعلها زينة للسماء ورجو ما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به " . [١] والمقصود من كلام قتادة رحمة الله أن أثر النجوم لايتعدى الامور الظاهرية المحسوسه التى ليس لها علاقة بحياة الانسان من سعادة وشقاوة وما الى غير ذلك من التعليلات التى يفعها أهل التنجيم والدليل على ذلك ماذكره ابن حجر فى الشرح موصلا من طريق آخر قول قتادة " وان ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا فى هذه النجوم كهانه : من غرس بنجم كذا كان كذا ومن سافر بنجم كذا كان كذا ولعمرى ما من النجوم الا ويولد به الطويل والقصير والأحمر والأبيض والدميم ، وما علم هذه النجوم وهذه الدابه وهذا الطائر شىء من هذا الغيب " .

---

(١) صحيح البخارى ٤/١٣٠

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٦/٢٩٥ ، كتاب بدء الخلق ـ باب فى النجوم

المبحث الثاني

الآثار المتعلقة بالنجوم والكواكب :

أولا : النجوم زينة السماء :

من المعروف تبعث الطاقة على شكل موجات كهرومغناطيسية وهذه الموجات انواع وصور متعددة منها امواج اللاسلكى والراديو والتلفزيون والرادار والضوء والأشعة السينيه والكونية وهذه الموجات تختلف اطوال موجاتها وزينة السماء راجع الى الطاقة الضوئية المنبعثه من النجوم .

وبالنسبة للشمس فأثرها واضح فى هذه الزينه . فالشمس فى القرآن الكريم من حيث الأثر ليست نجما وان كانت من جنس النجوم من حيث التكوين فهى تشترك مع سائر النجوم فى زينة النجوم وتزيد عليها بأثار أخرى ملموسة فى حياة الانسان . وزينتها وجمالها يتمثل فى أصفرار الشروق واحمرار الشفق وتلوين السماء باللون الازرق من خلال الغلاف الجوى المحيط بالأرض وكذلك ظاهرة قوس قزح .

والضوء ينبعث من النجوم نهارا وليلا . الا اننا لانرى الضوء الا فى الليل فقط لان ضوء الشمس فى النهار يحجبه نظرا لقربها الشديد الى الأرض من سائر النجوم . والواقع ان السماء شديدة الظلام كما أتضح لرواد الفضاء من خلال رحلاتهم .

لذلك ترى النجوم فى السماء كأنها مصابيح لامعه فى لوحة سوداء . وكما يظهر لنا ذلك على الأرض ليلا .

ظاهرة زرقة السماء :

ترجع الى ان الضوء مركب من عدة الوان تتدرج من أقصر موجه الى اعلى موجه جسب الترتيب التالى بنفسجى - نيلى - ازرق - اخضر - اصفر -

برتقالـــي أحمر .

فعندما يصدر الضوء من الشمس يلقى طبقات الغلاف الجوى . " الا ان الطبقة التى تضىء بضوء النهار هى قشرة سمكها نحو مائتى كيلو متر فقط تواجـــه الشمس . عندئذ يتناثر أو يتشتت ضوء الشمس فى تلك الطبقة العظيمـــة الكثافة من الهواء واكثر الوان اللطيف تناثرا هو اللون الازرق لذلـــك تكتسب القشرة اللون الأزرق وهى التى تحدد معالمها القبة السماويـــة الزرقاء" . (١)

ظاهـــرة الشروق والغـــروب :

" ان ضوء الشمس يكون شبه افقى أو موازيا للأرض ونتيجة لمرور الضـوء على هذه الطبقة الكثيفة الطويلة يحدث تشتيت فى الوان الضوء ذات الامـواج القصيرة وتختفى او تضيع تأثيرها وتبقى الاطول اى الصفراء والحمراء وهـى التى تعطينا الوان الشروق والغروب " . (٢)

ظاهـــرة الشفـــق :

لم ترد هذه الظاهرة الا فى موضع واحد من كتاب وذلك فى موضع القســم حيث يقول تعالى : ﴿ فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمـــر اذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق ﴾ (الانشقاق : ١٦ - ١٩) اما بالنسبة للسنة فان اكثر مايرد بالنسبة للشفق فى تحديد مواقيت صلاة المغـــرب والعشاء فعن عائشـــة ض الله عنها قالت : (أعتم رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم حتى ناداه عمر الصلاة نام النساء والصبيان فخرج فقال : مـــا ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم . قال : ولايصلى يومئذ الا بالمدينـــه

(١) الله والكون . د. محمد جمال الفندى ص ٢٣١
(٢) مبادىء الكونيات الامين محمـد كعورة ص ١٢

وكانوا يصلون فيما بين أن يغيب الشفق الى ثلث الليل الأول)[1] وعن بريدة رضى الله عنه (ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بأقامة صلاة العشاء حين غاب الشفق وفى المرة الأخرى أمره باقامة المغرب قبل أن يغيب الشفق) .[2]

وللمفسرين فى المقصود بالشفق اراء ذكرها الطبرى فى تفسيره وهى[3]

١ - الشفق : الحمرة فى الأفق من ناحية المغرب من الشمس وهو ماذهب اليه اكثر المفسرين .

٢ - الشفق : النهار كله وهو مذكور عن مجاهد .

٣ - الشفق : هو اسم للحمرة والبياض وقالوا هو من الاضداد .

وحسب الرأى الاخير اختلف الفقهاء على المراد بالشفق . فأخذ الامام الشافعى بأنه الحمرة التى ترى فى المغرب بعد مغيب الشمس وأخذ الامام أبو حنيفه على أنه البياض الباقى فى الأفق الغربى بعد الحمرة المذكورة .[4]

وتفسير ظاهرة الشفق علميا " ان الشفق يسببه ارسال الشمس لجسميات مشحونه بالكهرباء . وان بعض هذه الجسميات ينحبس فى الفضاء المحيط بالارض وتتراكض فى مسارات متموجه بين القطبين الشمالى والجنوبى ذهابا وايابا . وينفلت بعضها فى كل انطلاقه من انطلاقاته بحيث ان هذه الجسميات المنفلته تحمل الالكترونات الموجودة فى ذرات الهواء على القفز فى كل اتجاه مما يؤدى الى توهج الذرات نفسها هذا التوهج هو الذى ندعوه الشفق " .[5]

---

(١) صحيح البخارى ١٤٨/١ كتاب الصلاة - باب وقت العشاء .
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٤٩/٢ كتاب مواقيت الصلاة حديث رقم ٦٩
(٢) مسند الامام احمد ٣٤٩/٥
(٣) جامع البيان للطبرى ١١٩/٣٠
(٤) النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ٤٨٧/٢
(٥) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٤٩

ظاهـــــرة قوس قـــــزح :

هو عبارة عن ضوء الشمس المتشتت بعد فترة نزول المطر حيث " تفعـــل قطرات المطر فعل مرايا منحنية وأمامها موشورات فاذا ما اشرقت الشمـــس على هذه القطرات انحل ضوءها الى الوان قوس قزح وانعكس فى الفضـــاء ولانرى قوس قزح الا اذا كنا بين الشمس والمطر بحيث يشاهد دائما فـــى جهة الفضاء المقابلـــة للشمس " . (١)

وذكر القرطبى :" أن المصابيح لاتزول ولايرجم بها . وقيل : ان الضمير فى قوله " وجعلناها رجوما " راجع الى المصابيح على أن الرجم من أنفس الكواكب ولايسقط الكوكب نفسه انما ينفصل منه شئ يرجم به من غير أن ينقص ضوءه ولاصورته " . (١)

فالرجوم اذاً جزء من كواكب المجموعة الشمسية أو من مكان ما فى السماوات ترى مندفعه بالليل بسرعة رهيبه ومشتعله يصدر عنها وميض خاطف . لها خاصية جعلها الله فيها تتعامل مع جاذبية الاجسام النارية كالجن بحيث تسد الباب على الكهان والمنجمين من سماع خبر السماء المنقول لهم عن طريق مسترقى السمع وحفظا لأمر الدين الاسلامى من خرافاتهم واكاذيبهم التى يدعون فيها علم الغيب . ويؤيد ذلك ماروواه ابو هريرة رضى الله عنه (ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : اذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال : الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترق السمع .... فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما ادرك الشهاب قبل يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبه ....) (٢)

ثالثا : النجوم علامات يهتدى بها :

يحتاج الانسان الى تحديد سير اتجاهه ومكانه ، وكذلك الوقت الذى

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٢١١/١٨

(٢) صحيح البخارى ١٥٢/٦ سورة سبأ

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٥٣٧/٨ - كتاب التفسير حديث رقم ٤٨٠٠

يمر به وبالذات خلال سفره سواءا فى البر أو فى البحر وذلك كتحديد جهة القبلة قال تعالى : ﴿ والقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون • وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ (النحل : ١٥ - ١٦)

فالعلامات ما يستدل به من معالم الطريق كما ورد عن ابن عباس بأن العلامات معالم الطرق بالنهار وبالنجم هم يهتدون بالليل .(١)

وقد اختلف المفسرون فى المراد بالنجم على قولين

أولا : ان الالف واللام للجنس فيكون المرادالجميع وقد اورد القرطبى والرازى والالوسى ان بعضهم قرأ بضم النون والجيم أو بضم النون وتسكين الجيم فيكون المراد جميع النجوم . (٢)

ثانيا: انها نجوم مخصوصه هى التى يهتدى بها فى البر والبحر وذكروا منها على اختلافهم فى ذلك الجدى والفرقدان وبنات نعش والثريا • وذكر ابن العربى قوله " فأما جميع النجوم فلايهتدى الا العارف بمطالعها ومغاربها والمفرق بين الجنوبى والشمالى منها وذلك قليل فى الآخرين • وأما الثريا فلا يهتدى بها الا من يهتدى بجميع النجوم وانما الهدى لكل أحد بالجدى والفرقدين لأنهما من النجوم المنحصرة المطلع الظاهر السمت الثابته فى المكان فانها تدور على القطب الثابت دورانا محصلا فهى أبدا هدى الخلق فى البر اذا عميت الطرق وفى البحر عند مجرى السفن وعلى القبله اذا جهل السمت" (٣)

ونجم الجدى المذكور ليس هو برج الجدى وانما هو نجم من كوكبه الدب الاصغر ويذكر ابن الصوفى ان هذه الكوكبه تشمل سبعة أنجم تظهر اتجاه القطب الشمالى وأن العرب تسميها بنات نعش الصغرى ويقسمها

---

(١) جامع البيان للطبرى ، ٩١/١٤

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٩١/١٠ ، التفسير الكبير للرازى ١٠/٢٠،روح المعانى ١١٧/١٤

(٣) احكام القرآن لابن العربى ١١٤٩/٣ تحقيق محمد البجاوى - دار المعرفه بيروت .

ابن الصوفى على صورة الدب ثلاثة على ذنبه والاربعة الباقية على مربع مستطيل على بدنه وأنها تختلف فى شدة اضاءتها فالذى على طرف الذنب أشد اضاءة من الآخرين وهو مايسمى بنجم الجدى ، أما التى على البدن فان اثنان منها أشد اضاءة من الاخرين وهى الى جهة الرأس وهى ماتسمى بالفرقدين . والجدى هو ما يتوخى به القبله . (١)

وبوسع اى انسان أن يلاحظ دورة النجوم الشماليه التى تدل على اتجاه القطب الشمالى وذلك اذا انعم النظر فى مواقع العناقيد النجميه لتلك الجهة حيث يشاهد أنها تدور حول نجم يبدو دائما ثابت هو النجم القطبى وسبب رؤيته ثابتا لأن المحور الذى تدور حوله الأرض يشير الى الجهة التى يوجد فيها هذا النجم .

ودوران النجوم هذا ظاهرى لأن الأرض هى التى تتحرك حول المحور وينتج عنه هذه المشاهدة التى يستفيد منها الانسان تعين الزمن والمكان أيضا .

وقد ورد فى الحديث ان للنجوم دور فى تحديد أوقات صلاة الليل فقد ورد فى صحيح مسلم فى فضل صلاة العضر قوله صلى الله عليه وسلم (لاصلاة بعدها حتى يطلع الشاهد - والشاهد النجم) (٢) والنجم المراد هو نجم الثريا .

ومراعاة النجوم بقصد معرفة الاوقات والقبله هو أمر مشروع اذ تدعونا النصوص الى معرفته وبالأخص اذا كان الفرد فى موقع يتعذر عليه معرفة الوقت والمكان وما هذه الوسائل الحديثة التى يسرها الله سبحانه وتعالى

---

(١) صور الكواكب الثمانية والأربعين لابن الصوفى ص ٢٧ - ٢٩

(٢) صحيح مسلم ٥٦٨/١ - حديث رقم ٢٩٢

صحيح مسلم بشرح النووى ١١٣/٦ - كتاب صلاة المسافرين باب الاوقات المنهى عن الصلاة فيها .

لنا كالبوصلة والساعة الا وفكرتها تبنى اساسا على حركة الاجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم .

كما قد يستدل بالنجوم لمعرفة أوقات الغيث حيث جعل الله سبحانه هذه النجوم علامات يستدل بها الانسان على ذلك نظرا لكثرة الملاحظة والخبرة وعادة ربط الله سبحانه نزول الغيث بها وهى ليست دائمة التوقع والحدوث وانما راجع الى مشيئة الله وقدرته وحكمته . وهذا معروف لدى العرب بالانواء وهى مايسمى اليوم بالارصاد الجوى حيث يمكن للمختصين توقع حالات الجو .

المبحث الثالث

الآثار المتعلقة بالشمس والقمر والأرض :

أولا : تتابع فصول العام :

وهى متعلقة بالحركة الظاهرية للشمس حول منطقة البروج بحيث لكل فصل من فصول العام بروجه الخاصة .

فالشتاء يخصه من البروج - الجدى - الحوت - الدلو .

والربيع يخصه من البروج - الحمل - الثور - الجوزاء .

والصيف يخصه من البروج - السرطان - الأسد - السنبله .

والخريف يخصه من البروج - الميزان - العقرب - القوس .

" ولايشترط ان يكون للفصول معنى مناخى فى كل مكان من العالم فهى تدل على الزمن وتشير الى أوضاع خاصه للأرض بالنسبه للشمس ، فالسنة فصل حرارى واحد فى نطاقين .

فى النطاق الاستوائى حيث تسقط أشعة الشمس عمودية أو قريبة من العمودية ، وحول القطبين حيث تصل أشعة الشمس شديدة الميل . فهنا أو هناك لانكاد نجد اختلافا يذكر بين الفصول من الوجهة الحرارية . فالسنة فى النطاق الأول صيف دائم مرتفع الحرارة وحول القطبين شتاء مستمر قاس البرودة . لكن التمايز بين الفصول من الوجهة المناخية يظهر بين النطاقين السالفى الذكر أى فيما يسمى المناطق المعتدلة " . (١)

وتتابع الفصول فى المناطق المعتدلة هو اصلا ناتج عن حركة الأرض حول الشمس وحول محورها الذى خصه الله سبحانه بالميل على مستوى فلك الأرض بزاوية معينه لحكمة تجلى منها بعض الشئ وهو أنه خلال جزء من رحلة الأرض حول الشمس يحدث ان يتجه قطبها الشمالى بعيدا تماما عن الشمس

---

(١) قواعد الجغرافيا العامه د. جوده حسين ، د. فتحى ابو عيانه ص ٥٥ - طبعة عام ١٤٠٦ هـ - دار النهضة العربية - بيروت .

وبعد مضى حوالى سته أشهر يتجه قطبها نحو الشمس بنفس القدر وهذا التغير فى اتجاه الميل بالنسبة للشمس يحدث عنه تتابع الفصول واختلاف فى طول الليل والنهار فى كل من نصفى الكرة الارضيه "ويعنى ذلك ان البقاع التى تدخل فى نطاق القطبين الشمالى والجنوبى يكون طول النهار فيها اربع وعشرين ساعة خلال الصيف بينما فى الشتاء تظل مظلمة على الدوام " .(١)

ويتساوى الليل والنهار فى وقتى الاعتدالين الربيعى والخريفى كما تتعادل فيهما الحرارة . كما أن الاختلاف فى وقتى النهار والليل يحدث فى وقتى الانقلاب الصيفى والشتوى . (٢)

وأما ما نقله ابن العربى عن الامام مالك ان الشتاء نصف السنة والصيف نصفها .(٣)

فذلك صحيح لسبب ان الامام مالك كان موجودا فى منطقة المدينة المنورة التى تقع فى الحجاز وهذه لايظهر فيها تمايز بين الفصول الاربعة ظهورا محسوسا كما يتضح ذلك فى البلاد المجاورة كالشام ونظرا لأن منطقة الحجاز والشام تقع فى النصف الشمالى من الكرة الأرضية لكن منطقة الحجاز أقرب الى خط الاستواء من منطقة الشام حيث ان المنطقة الاستوائية كما اسلفنا ليس فيها اختلافا كبيرا بين الفصول من الوجهة الحرارية ، وأما احتجاج ابن العربى بقول مالك والاستدال على أن الله سبحانه قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا فذلك لايستقيم مع ما خصه الله سبحانه لكل موقع من المواقع الاعتداليه من الكرة الأرضية من زمن يظهر فيه تمايز

---

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٧٢
(٢) قواعد الجغرافيا العامه ص ٥٤ ، ٥٥ بتصرف
(٣) احكام القرآن ١٩٨١/٤

الفصول الذى له تأثير فى كل مما يلى :

١ - انواع المحاصيل الزراعية التى يمتاز بها كل فصل عن الآخر والتى يعود آثرها على الانسان . وأهل الخبرة فى هذا المجال يعرفون مدة زراعة كل محصول وما هو الفصل الذى يصلح فيه .

٢ - تغير الهواء من حرارة وبرودة وغير ذلك مما يتعلق بالناحية الصحية والمناخية التى تظهر أثرها على كل من النبات والحيوان والانسان .

وفصول العام تذكر بالآخرة فشدة حر الصيف يذكر بحر جهنم وهو من سمومها وشدة برد الشتاء يذكر بزمهرير جهنم وهو من زمهريرها كما ورد فى الحديث عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قالت النار : رب أكل بعضى بعضا فأذن لى أتنفس فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر أو حرور فمن نفس جهنم)(١)

وأما الربيع فهو أطيب فصول العام وهو يذكر بنعيم الجنة وطيب عيشها .

وقد ذكر ابن رجب فى لطائفه عن بعضهم فى وصف الربيع قوله : " أرضه حرير وأنفاسه عبير وأوقاته كلها وعظ وتذكير " . (٢)

لذلك يجب على الانسان اغتنام فرص هذه المواسم بالعمل للتقرب الى الله فقد ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الصوم فى الشتاء الغنيمه الباردة) . (٣) وكان أبو هريرة رضى الله عنه

---

(١) صحيح مسلم ٤٣٢/١ - حديث رقم ١٨٧
صحيح مسلم بشرح النووى ١١٩/٥ -١٢٠ - كتاب المساجد باب استحباب بالظهر .

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص ٣٣٠ لابن رجب الحنبلى

(٣) مسند الامام احمد ٣٣٥/٤ ، سنن الترمذى ١٦٢/٣ كتاب الصوم - حديث رقم ٧٩٧

يقول " ألا أدلكم على الغنيمة الباردة قالوا بلى فيقول الصيام في الشتاء"
يقول ابن رجب "ومعنى كونها غنيمة باردة انها غنيمة حصلت بغير قتال ولا تعب ولامشقة فصاحبها يحوز هذه الغنيمة عفوا صفوا بغير كلفه.
ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال مرحبا بالشتاء تنزل فيه البركه ويطول فيه الليل للقيام ويقصر فيه النهار للصيام ". (١)

ثانيا : تعاقب الليل والنهار :

أثر من آثار حركة الأرض حول محورها جعله الله سبحانه وتعالى نعمة للانسان لفترة راحته وسكنه وفترة معاشه قال تعالى : ﴿ الم نجعل الأرض مهادا . والجبال اوتادا . وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا. وجعلنا الليل لباسا .وجعلنا النهار معاشا ﴾ (النبأ ٦ - ١١) وقال سبحانه ﴿ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لأيات لقوم يسمعون ﴾ (يونس : ٦٧) .

كما أنه سبحانه جعل تعاقب الليل والنهار مجالا للتذكر والتفكر فى نعم الله فلو أن الليل استمر أبدا ماذا سيحدث للانسان ؟ سكون دائم يتعطل فيه الجانب الحركى والعملى الذى يدعوه للانتاج . ولو كان النهار مستمرا دائما فانه يحصل له الأرهاق والتعب وعدم المواصله والتقدم وقد يؤدي الى التدهور الصحى وذلك لعدم فترة راحة وسكون . قال تعالى: ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ﴾ (الفرقان : ٦٢) .

" وقد اكتشف الاطباء حديثا جهازا عصبيا فى المخ يسكن فى الظلام

---

(١) لطائف المعارف - ص ٣٤١

ويبقى متوترا فى النهار وفى الليل المضاء لذلك فان كثيرا من الأمراض تعترى العاملين ليلا . كذلك اذا نام فى مكان مضيء ليلا فانه لايحس بالراحة فى نومه لان هذا الجهاز يبقى متوترا ولكنه اذا نام فى مكان مظلم فانه يهنأ بنوم عميق هادىء ".(١) لذلك نجد ان الله سبحانه وتعالى قد جعل من مؤشرات الرحمة بالانسان السكون فى الليل والسعى فى النهار قال تعالى : ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (القصص : ٧٣) .

وكما أن من الملاحظ فى الآيات التى يرد فيها ذكر الليل والنهار معا تقدم لفظ الليل على النهار فى الغالب الا فى بعض مواضع من الكتاب الكريم كقوله تعالى : ﴿ والضحى والليل اذا سجى ﴾ (الضحى : ١ - ٢) وقوله تعالى : ﴿ والفجر . وليال عشر ﴾ (الفجر : ١ - ٢) .

والفجر والضحى بداية النهار . ولابد فى ذلك من حكمة قد تخفى علينا لكن هناك من يرى أن الحكمة فى تقديم لفظ الليل على لفظ النهار هو ان ظاهرة الليل أوضح فى تصوير القدرة الالهية من ظاهرة النهار فى عملية التمدد الكونى واتساعة ويقول " ظاهرة الليل والنهار دليل على اتساع الكون وتباعد شموسه عن شمسنا المصاحبة لمجموعتها من الكواكب ومنها الأرض ، ومما يعطى الفرصة لسيادة ضوء شمسنا على غيرها من الشموس المتباعدة باتساع الكون وتمدده " . (٢)

ومعنى كلامه ان المفروض ان يكون النهار دائما فى كل اجزاء الكرة ولايكون ليل نظرا لما يصل اليها من ضوء الشموس التى لا تحصى ولكن التمدد

---

(١) الاكتشافات العمليه الحديثه ودلالتها فى القرآن الكريم ص ٧٩
(٢) الانسان فى الكون بين العلم والقرآن - د. عبدالعليم خضر ص ٣٥٠ - الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - عالم المعرفة للنشر والتوزيع - جدة .

الكونى هو الذى يفسر لنا ذلك . كما فى قوله تعالى : ﴿ والسماء بنيناها بأييد وأنا لموسعون ﴾ (الذاريات : ٤٧) .

وكما ان تعاقب الليل والنهار من أكبر الادلة على دوران الأرض فهو أيضا يعتبر رحمة من الله سبحانه بنا من عدم استمرار على وضع واحد من ليل أو نهار على الأرض وذلك لأنها معرضة لاشعة الشمس ونظرا لشكلها الكرى فان هذه الاشعة ستضىء نصف سطحها فقط فيكون نهارا معرضا على الدوام لدرجات حرارة تفوق طاقة البشر والنصف الآخر مظلما فيكون ليلا تنخفض فيه درجة الحرارة الى حدود البرودة التى لايستطيع معها الانسان التحمل لمتاعب الجو الساكن المظلم البارد .

لذلك يذكرنا سبحانه بهذه النعمة فيقول ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامه من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامه من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ (القصص ٧١-٧٢)
وكما هو يلاحظ العلماء على الكواكب الأخرى من طول ليل أو نهار . وتعاقب الليل والنهار له بداية ونهاية على كل موضع من اجزاء الكرة الارضية وهو مايلاحظ عند الفجر وعند غروب الشمس لكن هذا التعاقب لايحدث بشكل فجائى اى فى لحظة واحدة من نور الى ظلام وبالعكس . وذلك لما جعله الله سبحانه وتعالى من خصائص للغلاف الجوى " فقبل ان تظهر فوق الأفق نرى أشعتها وهى اما ان تنكسر واما ان تتناثر بواسطة الغلاف الجوى بحيث نرى جانبا من الاشعة قبل ان نرى الشمس وذلك حين الفجر أما عند الغروب فان الشمس عندما تكون قد هوت فعلا" تحت الافق بحيث يمكن استمرار رؤية اشعتها المنكسرة أو المتناثرة خلاف الغلاف الجوى

للأرض " (١)

ويذكر ابن تيميه فى الفتاوى .(٢) ان للفظ الليل والنهار فى نصوص الوحى جانبين :

أ - اذا كان اللفظ مطلقا فالمراد بالنهار من طلوع الفجر قال تعالى:

﴿أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكر للذاكرين﴾ (هود: ١١٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم (الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل)(٣) فانما اراد صوم النهار من طلوع الفجر . وأول وقت الصيام بالنقل المتواتر والاجماع . وكذلك صلاة الفجر لقوله صلى الله عليه وسلم (صلاة الليل مثنى مثنى فاذا اخشى احدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ماقد صلى) .(٤)

ب - اذا كان اللفظ مقيدا مثل نصف النهار فانما يعنى به النهار المبتدىء من طلوع الشمس لأنه لو اراد به من طلوع الفجر كان نصف النهار قبل الزوال وكذلك بالنسبة الى الليل اذا كان مضافا فيظهر أنه من جنس النهار المضاف اليه النصف . وهو الذى ينتهى الى طلوع الشمس .

والآيات القرآنية فى تعرضها لتعاقب الليل والنهار تشير الى الاختلاف فيهما مما يدعو الى التفكر والتأمل فأيلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل وتكوير احدهما على الآخر ينتج عنه اختلاف فى زمن كل منهما

---

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٧٣

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٤٧٠ - ٤٧٢ بتصرف

(٣) صحيح البخارى ٨/١٠ باب الساعى على الارملة .
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١٠/٤٣٧ كتاب الأدب - حديث رقم ٦٠٠٦

(٤) سنن ابى داود ٢/٣٦ - كتاب الصلاة حديث رقم ١٣٢٦

نتيجة لميل محور الأرض على مستو فلكها بزاوية معينها خلال تتابع الفصول كما أشرنا سابقا .

وأن هذا الاختلاف الذى يعتبر من الآيات لأهل الالباب على كمال قدرة الخالق وابداعه وأن هذا الاختلاف ملك له سبحانه فقد قال تعالى :

﴿ وهو الذى يحى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴾ (المؤمنون : ٨٠) .

ومن اقوال المفسرين فى الآية نقصان أحدهما وزيادة الآخر.(١)

ويتضح ذلك جغرافيا بالحقائق التالية :

" ١ - ان الليل والنهار يتساويان فى طولهما عند خط الاستواء كما يتساويان على جميع جهات الأرض عندما تتعامد الشمس على خط الاستواء

٢ - ان الاختلاف بين طويلهما قليل فيما بين مدار الجدى والسرطان بينما يعظم اختلاف طويلهما كلما ذهبنا شمالا او جنوبا بعيدا عن المدارين.

٣ - يتراوح اقص طول الليل أو النهار فى الاقاليم القطبيه بين أربعة وعشرين ساعة عند الدائرتين القطبيتين وسته أشهر عند القطبين" (٢)

ثالثا : علم السنين والحساب :

أو ما يعرف بالوقت والزمن والذى له صلة وثيقة بحركة الاجرام وبالذات حركة الشمس والقمر والأرض وتعاقب الليل والنهار وتتابع الفصول الناتجه عن تلك الحركات .

ولقد كان اهتمام الانسان بتحديد الزمن مبكرا جدا لأمور أهمها اوقات الزراعة وصلاحية نضج الثمار وما يرتبط بها من ظواهر جوية .

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ، القرطبى ١٤٤/١٢ ، تفسير ابو السعود ٨١/٤

(٢) قواعد الجغرافيا العامة ص ٥٢

كما ظهر الاهتمام أيضا بتحديد الوقت عندما أصبحت هناك شعائر دينية ارتبطت بمواسم معينة لها علاقة بحركات الاجرام السماوية .

ولقد أصبح الحرص على تحديد الوقت أكثر لزوما لما جاءت التشريعات السماوية التى ربطت احكامها بأوقات وأزمان معينة .

والدين الاسلامى خاتم الرسالات السماوية قد علق غالبيه احكامه اذا لم يكن كلها على تحديد الزمن . وكان ارتباط هذه الاحكام له علاقة وثيقة بالدورة الهلالية للقمر الذى قدره سبحانه منازل لها علاقة بالبروج التى تحدد المسار الظاهرى للشمس وكذلك الارتباط بحركة الشمس الظاهرية.

واحكام الدين التى تعلقت بالزمن اما شرعية واما شرطية فالشرعية تنقسم الى قسمين :

أولا : شرعية بأصل الشرع كالصلاة والزكاة والصوم والحج .

ثانيا: شرعية بسبب العبد كالعدة وصوم الكفارة والنذر ومدة الايلاء .

وأما الشرطية كالأجل فى الدين والخيار وغير ذلك .

قال تعالى : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلنه تفصيلا ﴾ (الاسراء : ١٢) .

وقال تعالى : ﴿ ويسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج ﴾ الآية (البقرة : ١٨٩) .

فالله سبحانه وتعالى يخبر ان الاهلة مواقيت للناس وهذا عام فى جميع امورهم وخص الحج بالذكر تميزا وسبب هذا التميز كما يقول ابن تيميه " لأن الحج تشهده الملائكة وغيرهم ولأنه يكون فى آخر شهور الحول فيكون علما على الحول . ولهذا يسمون الحول حجة فيقولون له سبعون حجة وأقمنا

خمس حجج " .(١) قال تعالى فى قصة موسى حينما كان فى مدين فى شأن نكاحه ﴿ قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين ﴾ (القصص : ٢٧) .

ولقد كان تحديد الزمن المتعلق بحركة الشمس والمتبع فيه شروقها وغروبها وما يرتبط بذلك من تفاوت فى اطوال ظل الاشياء واختلاف اتجاه الظل . لذلك نجد ان الله سبحانه وتعالى يذكرنا بهذه النعمة فيقول تعالى : ﴿ الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ﴾ (الفرقان : ٤٥- ٤٦) والآية تدل على ان الظل مخلوق آخر غير الشمس يعرف بالشمس التى تعتبر دليلا عليه .

ويذكر أحد الباحثين فى حديثه عن حركات النجوم الحقيقية والظاهرية ويستدل بالظل على أننا امام كون منظور وهو عبارة عن صورة مرئية لحقيقية غير مشاهدة وأن السرعات المرئية هى جزء من العالم المنظور ويقول أيضا " بما أن الظل له وجود موضعى ذو بعدين - طول وعرض - فان له صورتين صورة مكانية وصورة حركية مرئية اى انه اذا كانت الصورة الظلية متحركة فانه يتكون لها صورة حركية مكانية وصورة أخرى مرئية » .(٢)

وبحركة الظل الذى يكون دليله الشمس فى حركتها الظاهرية وبتغير أوجه القمر حددت مقاييس الزمن من الساعة واليوم والاسبوع والشهر والسنة

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ١٣٣/٢٥ .

(٢) محمود على محمود فرحات فى بحثه المقدم بأسم " مبادىء وقوانين النظرية النسبيه الحركية " للمؤتمر الاول للاعجاز العلمى للقرآن والسنة لعام ١٩٨٧ م فى أسلام آباد .

لكن هناك فرق كبير بين الاصطلاح الفلكى العرفى فى معنى اليوم والاصطلاح الشرعى فى بعض الاحيان .

فاليوم فى الاصطلاح الفلكى " ما يعبر عن طوله بحركة الأرض وهو الفترة التى تتم فيها الأرض دورة واحدة حول نفسها او من بداية شروق الشمس حتى بداية شروقها التالى" . (١)

اما اليوم فى الاصطلاح الشرعى فهو من طلوع الشمس الى غروبها وهو كما يسميه ابن تيميه باليوم الطبيعى . (٢) وهو كذلك فى الاصطلاح اللغوى " معروف مقداره من طلوع الشمس الى غروبها أو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس " . (٣)

وقد ورد هذا المعنى فى كثير من نصوص الوحى قال تعالى : ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتيه سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴾ (الحاقة : ٦) .

وفى الحديث عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا يتقدمن احدكم رمضان بصوم يوم أو يومين الا أن يكون رجل يصوم صومه فليصم ذلك اليوم) (٤)

ومن المعلوم ان الصوم لايكون الا من طلوع الفجر الصادق الى غياب الشمس فيكون المقصود باليوم هو النهار قال تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين ﴾ (سبأ : ١٨).

---

(١) الشمس فى حياة الانسان ص ٧٢
(٢) مجموع الفتاوى ١٤١/٢٥
(٣) لسان العرب لابن منظور ٦٤٩/١٢ ، تاج العروس للزبيدى ١١٥/٩
(٤) صحيح البخارى ٣٥/٣
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١٢٧/٤ كتاب الصوم ـ حديث رقم ١٩١٤

لكن الواقع والمحسوس هو ان كلا من الاسبوع والشهر والسنة يحـــتدد بتكرار اليوم المعروف بدورة الأرض حول نفسها فى أربع وعشرين ساعة فترة من تعاقب الليل والنهار وما يؤيد ذلك الحديث فعن أم سلمة رضى الله عنهـا (أن النبى صلى الله عليه وسلم آلـى من نسائه شهرا فلما مضى تسعة وعشرون يوما غدا - اوراح - فقيل له : انك حلفت أن لاتدخل شهرا فقـــال : ان الشهر يكون تسعة وعشرين يوما) . (١)

ويقول ابن تيميه " وقد انقسمت عادات الامم فى شهرهم وسنتهـــم القسمة العقلية وذلك ان كل واحد من الشهر والسنة : اما أن يكونـــا عدديين أو طبيعين أو الشهر طبيعيا والسنة عددية أو بالعكـــس" (٢) فيكون التقسيـــم حسب التالـــى :

أولا : كل من الشهر والسنه عددى بمعنى ان الشهر ثلاثون يوما والسنـــة اثنا عشر شهـــرا .

ثانيا: كل من الشهر والسنة طبيعى اى الشهر قمري والسنة شمسية ويلحـق فى آخر الشهور الايام المتفاوته بين السنتين القمرية والشمسيـــه ومقدار التفاوت حوالى احد عشر يوما .

ثالثا: الشهر عددى والسنه طبيعية اى السنة تعتبر بسير الشمس أمـــا الشهور العددية فهى الشهور الافرنجية - يناير - فبراير ... حيـــث كل شهر محدود الأيام .

رابعا: الشهر طبيعى والسنة عددية . واذا كان الشهر طبيعى فانه يكـون تسعة وعشرين تارة ويكون ثلاثين تارة كما أشار الى ذلك حديث عبدالله

---

(١) المرجع السابق ١٢٠/٤ كتاب الصوم - حديث رقم ١٩١٠
صحيح البخارى ٣٥/٣

(٢) الفتاوى لابن تيميـــه ١٣٧/٢٥

بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال (انا امة أمية لانكتب ولانحسب الشهر هكذا وهكذا . يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين) .[١]

وأما السنة العددية فهى كما حددها الله سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ الآية (التوبة : ٣٦) .

وهذا هو الجارى فى سنة المسلمين حيث الشهر هلالى .

ويقول ابن تيمية " ونظير الشهر والسنة اليوم والأسبوع . فان اليوم طبيعى من طلوع الشمس الى غروبها . وأما الاسبوع فهو عددى من أجل الأيام السته التى خلق الله فيها السموات والأرض . فوقع التعديل بين الشمس والقمر باليوم والاسبوع بسير الشمس والشهر والسنة بسير القمر وبهما يتم الحساب" [٢] وما ذهب اليه ابن تيميه صحيح الا فى شأن اليوم فانه من المعروف انه يحدد بتعاقب ليل ونهار اى يرجع الى الاصطلاحى الفلكى كما ذكرنا سابقا ولأن الشمس لاتحدد الا نصف اليوم وهو النهار والاسبوع والشهر والسنة هو تكرار لليوم بمعناه الفلكى .

أما بالنسبة لتعليق الشرع الشهر برؤية الهلال فان ذلك أمر ميسور للجميع فلا يغل أحد عن دينه ولايشغله عن مصالحة ولايقع فيه تلبيس فى دين الله ففى الحديث عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما

---

(١) صحيح البخارى ٣٥/٣
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١٢٦/٤ - كتاب الصوم ، حديث رقم١٩١٣
(٢) مجموع الفتاوى ١٤١/٢٥ - ١٤٢

(ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : لاتصوموا حتى تروا الهلال ولاتفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له) وفي حديث آخر عن ابى هريرة رضى الله عنه قال (قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غبى عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين) . (١)

كما أن التحديد للهلال بالرؤية لأمور من أهمها فلكيا عوامل تؤثر على حركة القمر وهى :

" ١ - التغيير فى المدار الاهليلجى للقمر دوريا .

٢ - التفاوت وهو تأثير يعجل بظهور الهلال والبدر قبل ميعادهما ويؤخر ظهور نصف القمر .

٣ - التغيير فى بعد الأرض عن الشمس وبالتالى فى بعد القمر عن الشمس ولذا تتأثر قوة جاذبية الشمس المؤثرة على القمر .

٤ - التغيير فى تلاقى مدار القمر على مدار الشمس .

٥ - التغيير فى زاوية ميل محور القمر .

كل هذه العوامل لها تأثيرات على حركة القمر والأرض والشمس فتصبح معقدة للغاية لدرجة ان مواقع هذه الاجرام بالنسبة لبعضها لاتتكرر أبدا " . (٢)

ومن هذا يظهر لنا رحمة رب العالمين فى تعليق امور الدين بظواهر فلكية لاتحتاج الى جهد وعناء وحساب والسبب حتى يتساوى فى ادراكها العلماء المتخصصون وعامة الناس ولأجل ذلك نصبها بينه للأبصار ظاهرة

---

(١) صحيح البخارى ٣٥/٣
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١١٩/٤ - كتاب الصوم حديث رقم ١٩٠٦ وحديث رقم ١٩٠٩

(٢) مبادىء الكونيات للأمين محمد كعورة ص ٩٦

دون استبصار فلا عذر لأحد أن يقبلها خفية ويحدث بذلك التخبط في التكليف وتبديل الاحكام .

رابعا : ظاهرتا الخسوف والكسوف :

أثر من آثار تحركات الشمس والقمر والأرض . ومادة خسف تدل على غموض وغور وأما كسف فيدل على تغير في حال الشئ الى مالايحب وعلى قطع شئ من شئ .(١)

وبالنسبة للشمس والقمر فالمقصود غمض وغار ضوءهما وتغير حالة من الاضاءة الى الظلمه .

ولم يرد في النصوص القرآنية الكسوف بالنسبة لاى من الشمس أو القمر لكن ورد الخسوف للقمر في قوله تعالى : ﴿ فاذا برق البصر . وخسف القمر . وجمع الشمس والقمر ﴾ (القيامة : ٧ - ٩) .

وأما بالنسبة للسنة النبوية فقد ورد ذكر الخسوف والكسوف لكل من الشمس والقمر بدون تميز فيما يخص كل منهما في اغلب الاحيان فعن عن عائشة رضى الله عنها (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الشمس والقمر من آيات الله وانهما لاينخسفان لموت أحد ولا لحياته) الحديث وفي رواية أخرى عنها رضى الله عنها (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الشمس والقمر لايكسفان لموت أحد ولالحياته) الحديث (٢)

ويذكر ابن الاثير ان الخسوف ورد كثيرا للشمس والمعروف لها لغويا الكسوف لا الخسوف . واما اطلاقة في الحديث فتغليبا للقمر لتذكيرة على الشمس فجمع بينهما فيما يخص القمر وللمعارضه .

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١٨٠/٢ ، ١٧٧/٥

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٠/٦ ، ٢٠٤ - كتاب الكسوف
صحيح مسلم ٦١٨/٢ حديث رقم ١ ، حديث رقم ٦

واما اطلاقه على الشمس منفردة فلاشتراك الخسوف والكسوف فى معنى ذهاب نورهما واظلامهما .(١)

وذكر النووى عن جمهور اهل العلم ان الخسوف يكون لذهاب ضوءهما كله ويكون لذهاب بعض وقال بعضهم الخسوف فى الجميع والكسوف فى بعض وقيل الخسوف ذهاب لونهما والكسوف تغيره .(٢)

ولكل من هاتين الظاهرتين تفسير علمى كما لها فى نصوص الوحى تفسير ولاتعارض بين التفسيرين . فمن المعروف علميا وكما أشارت الآية ان الاجسام التى تقع فى مسار الاشعة تترك خلفها ظلالا ودليل الظل هو الشمس قال تعالى : ﴿ الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ﴾ (الفرقان : ٤٥) .

والأرض والقمر عاكسه لاشعة الشمس كما أنها تترك خلفها ظلالا على شكل مخروط ينتشر فى الفضاء . وحادثه الخسوف والكسوف هو وقوع كلا من القمر أو الأرض فى ظل الآخر .

ففى حادثه الخسوف يحدث احيانا ان تقع الأرض بين الشمس والقمر فى خط واحد بالضبط بحيث يمر القمر فى ظل الأرض فى اثناء دورانه حول الأرض وعندئذ تحدث ظاهرة خسوف القمر .

" ويمر القمر احيانا فى حافة ظل الأرض فيحدث خسوف جزئى للقمر وأحيانا ينغمر تماما فى ظل الأرض ويحدث الخسوف الكلى .ولايختفى القمر تماما حتى عندما يقع كله فى ظل الأرض وذلك لأن هواء الأرض يكسر بعض أشعة الشمس فتصل الى القمر فيظهر احمر قاتما .

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣١/٢
(٢) شرح صحيح مسلم للنووى ١٩٨/٦

ولايمكن الخسوف الا اذا كان القمر بدرا حيث لايمكن دخول القمر في ظل الأرض الا فى هذا الوقت ومع ذلك فان هذه الظاهرة لاتحدث دائما والسبب هو أن القمر فى حالة كونه بدرا يمر أعلى من مخروط ظل الأرض قليلا أو أسفله قليلا " .(١)

أما حادثة كسوف الشمس فيحدث احيانا ان يقع القمر بين الشمس والأرض فى خط واحد بالضبط فى وقت القمر المحاق ويمر جزء من الأرض فى ظل القمر فيحدث بذلك الكسوف للشمس " فاذا ما وقع القمر بالضبط بين الشمس والأرض حجب ضوء الشمس وسبب لها الكسوف الكلى .

وفى ذلك القسم من الأرض حيث يقع ظل القمر يحل ظلام يدوم دقائق قليله . وأحيانا يحجب القمر جزءا من الشمس فقط وهذا يدعى الكسوف الجزئى وهو اكثر حدوثا من الكسوف الكلى " (٢) والشمس والأرض اكبر جدا من القمر لايغطى الأرض باكملها . لذلك نرى ان كسوف الشمس الكلى مختلف تماما من أحد الوجوه عن الخسوف الكلى للقمر فانه يمكن أن يشاهد على جزء صغير من الأرض ومع ذلك يوجد كسوف جزئى على مسافة كبيرة من جانبى ظل القمر . (٣)

أما تفسير ظاهرتى الخسوف والكسوف كما جاءت بها نصوص الوحى فقد ورد فى أحد الاحاديث التى رويت فى هاتين الظاهرتين عن اكثر من صحابى مارواه احمد والنسائى وابن ماجه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : (انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فكان يصلى ركعتين ويسأل ويصلى ركعتين ويسأل حتى انجلت فقال : أن رجالا

---

(١) أقرب الجيران الى الأرض ص ٢٧ - ٢٨
(٢) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٥١
(٣) أقرب الجيران الى الأرض ص ٢٩

يزعمون ان الشمس والقمر اذا انكسف واحد منهما فانما ينكسف لموت عظيم من العظماء وليس كذلك ولكنهما خلقان من خلق الله عز وجل فاذا تجلى الله عز وجل لشىء من خلقه خشع له) (١)

وقد ذكر ابن القيم أن واحدا من أهل العلم قد رد ماروى عنه صلى الله عليه وسلم " فاذا تجلى الله لشىء من خلقه خشع له " بحجة ان هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها ولو كان صحيحا لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التى تتبين فى الوضوح الى هذا الحد وأعظم مايفرح به الملحد أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه ابطال الشرع . قال ابن القيم " واسناد هذه الزيادة ليس فيها مطعن لأن رواتها كلهم ثقات حفاظ لكن لعل هذه اللفظه مدرجة فى الحديث من كلام بعض الرواة ولهذا لاتوجد فىسائر أحاديث الكسوف فقد رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم بضعة عشر صحابيا ولم يذكر أحد منهم هذه اللفظه التى ذكرت فى حديث النعمان فمن ههنا نخاف أن تكون أدرجت فى الحديث ادراجا وليست من لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم " .(٢)

ومبنى كلام ابن القيم على التخوف بان الزيادة قد تكون مدرجة لامبرر له نظرا لان الرواة ثقات حفاظ ولأنه لايوجد منافه بين ان يكون سبحانه وتعالى قدر فى الأزل ان هاتين الظاهرتين - الخسوف والكسوف - تقترنان مع وقتى تجلى الله تعالى للشمس والقمر فيحدث لهما هذه الظاهرة بسبب التجلى .

---

(١) مسند الامام احمد ٢٦٩/٤ ، سنن النسائى ١٤١/٣ كتاب صلاة الكسوف سنن ابن ماجه ٤٠١/١ كتاب اقامة الصلاة والسنه فيها حديث رقم ١٢٦٢

(٢)مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢١٣/٢ - دار الفكر للطباعة والنشر بيروت .

ويؤيد ذلك ماذهب اليه ابن تيميه حيث قال "ان التجلى لاينافى السبب المذكور - التفسير العلمى للظاهرتين - فان خشوع الشمس والقمر لله فى هذا الوقت اذا حصل لنوره مايحصل من انقطاع يرفع تأثيره على الأرض وحيل بينه وبين محل سلطانه وموضع انتشاره وتأثيره فان الملك المتصرف فى مكان بعيد لوضع ذلك لذل لذلك . " (١)

ونقل السيوطى فى شرح سنن النسائى عن بعض أهل العلم تأويل للحديث "بأن العالم بالجزئيات ومقدر الكائنات سبحانه قد قدر قبل الخلق خسوفهما بتوسط الأرض بين القمر والشمس ووقوف جرم القمربين الناظر والشمس ويكون ذلك وقت تجليه سبحانه وتعالى عليهما فالتجلى سبب لكسوفهما قضت العادة بأنه يقارن توسط الأرض ووقوف جرم القمر . لامانع من ذلك ولاينبغى منازعة القوم فيه اذا دلت عليه براهين قطعية ".(٢)

خامسا : فى مجال الرياح والمياه :

من المعروف ان من أهم مايجعل الأرض صالحة للحياة عنصران اثنان الهواء والماء ، وأن كل منهما له تحرك وفعل وفوائد هامه تقوم بها حياة الانسان على الأرض بتسخير من الله سبحانه وتعالى للقيام بدورة فى خلافة الأرض .

وكل من حركة هذين العنصرين له علاقة بتحركات الشمس والقمر والأرض فمثلا : -

الهواء عبارة عن خليط من الغازات تحيط بالكرة الأرضية ، وحيث أنه يتركز على سطح الكرة الأرضية فان وزنه يؤثر على جميع الاشياء التى

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ١٧٧/٣٥

(٢) شرح السيوطى على سنن النسائى ١٤٤/٣

يلامسها وهو مايسمى بالضغط الجوى .

" وأبسط مظاهر الهواء فوق أننا نستنشقه تأثيره على الاجسام عند تحركة حيث يعرف بالريح . وأن تحرك الهواء وئيدا سمى الريح نسيما، ومنه الخفيف والمنعش والمعتدل وأن هز الريح فروع الشجر أو أثار الرمال سمى شديدا ، وأن كان تحركة عنيفا صار عاصفا ".(١)

ومن أهم العوامل المؤثرة فى الهواء لتدفعه الى التحرك لينتج عنه انواع الرياح .

١ - الحرارة والتى مصدرها الاكبر الشمس.

٢ - اختلاف الضغط الجوى من مكان الى آخر بسبب اختلاف الارتفاع عن سطح الأرض والذى يتعلق بفروق درجات الحرارة .

هذه الرياح والتى لها أيضا علاقة بدوران الأرض حيث تغير من اتجاه حركتها آثار هامة قد تكون خيرا وقد تكون شرا كما ورد فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت :(كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى الريح قال : اللهم انى اسألك خيرها وخير ما فيها وخيرما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) .(٢)

ومن آثار الرياح المفيدة للانسان مايستفاد من قوله تعالى :

﴿ ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (الروم : ٤٦) .

- فالرياح مبشرات بالغيث والرحمة كالخصب كما ذهب الى ذلك اكثر المفسرين مثل الطبرى فقد اورد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وأرسلنا

---

(١) الارصاد الجوية . د. محمد الفندى ص١٠

(٢) سنن الترمذى ٥٠٣/٥ ، كتاب الدعوات ، حديث رقم ٣٤٤٩

الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ (الحجر : ٢٢) ما نسبة لابن مسعود رضى الله عنه قال : " يرسل الله الرياح فتحمل الماء فتجرى السحاب فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر " . (١)

- وكذلك الرياح تدفع السفن وبالذات الشراعية التى تعتمد فى سيرها على قوة الرياح واتجاهها . وقال القرطبى " انما زاد تعالى قوله " بأمره " لأن الرياح قد تهب ولاتكون مواتيه فلا بد من ارساء السفن والاحتيال بحبسها وربما عصفت فأغرقتها بأمره" . (٢) ويؤيد ماذهب اليه القرطبى قوله تعالى : ﴿ وهو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبه وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشكرين ﴾ (يونس :٢٢) وعن طريق السفن بالاعتماد على سير الرياح يكون التماس الرزق بالتجارة التى تتطلب الانتقال فى البلاد بوسائل النقل والتى منها الطائرات التى تعتمد أيضا على سير الرياح .

- كذلك تعتبر الرياح لواقح كما أشارت الآية فهى تقوم بتلقيح الازهار فى النبات فتثمر . وكذلك لواقح حيث تقوم بتلقيح السحب"بواسطة مدها بنوى التكاثف وتلقيحها كهربائيا بالجمع بين نوعى الكهربية الموجبة والسالبة الموجودة فى السحب واحداث التفريغ الكهربى وما يصحبه من رعد وبرق كما أثبت العلم الحديث" . (٣)

---

(١) جامع البيان للطبرى ٢٠/١٤

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٤٣/١٤

(٣) الكون والاعجاز العلمى للقرآن د. منصور حسب النبى ص ٢٠٤

أما الجوانب المضرة فى الريح فهى ما تحدثه من تدمير واهلاك وخراب وذلك بانواع من الريح الرهيبة كالعواصف والاعاصير .

والاعصار عاصفة عنيفة جدا "وهو يحدث عندما يصطدم هواء شديد الحرارة والرطوبة بهواء بارد جاف ".(١)

وقد يكون الاعصار عذاب من الله عز وجل قال تعالى : ﴿ فلما راوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم . تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لايرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ﴾ (الاحقاف : ٢٤ - ٢٥)

اما علاقة الماء بأثر الاجرام فيتمثل فى علاقته بالشمس وبالقمر .

فالاثر الاول وهو الذى يخلقه الله من خلال علاقة الماء بالشمس فهو اما مباشر واما غير مباشر فالمباشر مايسمى بدورة الماء فوق الأرض حيث تقوم الشمس بعملية التبخير المستمر لماء البحار والمحيطات والانهار والمسطحات المائية بانواعها وتحويل هذه المياه الى بخار ماء يصعد الى طبقات الجو العليا لتكوين السحب بالتكثيف . واما الاثر غير المباشر فهو دور الرياح حيث ان لكل من الشمس والأرض دورا كبيرا فى حركتها .

فتقوم الرياح بنقل بخار الماء الناتج من عملية التبخير وحمله الى طبقات الجو العليا لتكوين السحب قال تعالى : ﴿ الم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ﴾ (النور : ٤٣) .

---

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الأرض ص ٦٤

فالآية توضح أن الله سبحانه وتعالى يسخر الرياح لتسوق السحاب بعد ان اوجده سبحانه بالتبخير والتكثيف والتأليف بينه ثم يجمعه على بعضه ثم يخرج من خلاله المطر ويذكر الطبرى عن بعض أهل التفسير قوله " الرياح أربع يبعث الله الريح الاولى فتقم الأرض قما ثم يبعث الثانيه فتنشئ سحابا ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركاما ثم يبعث الرابعة فتمطره ". (١)

والرياح دورها فى حمل وسوق السحاب وهو بخار الماء المتصاعد من المسطحات المائية بالاشعاع الشمسى قال تعالى : ﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ (فاطر : ٩) .

هذه نعم الله سبحانه توجب الشكر والعرفان لخالق هذا الكون الذى سخر كلا من الشمس والأرض والرياح لانزال مقوم الحياة الأول الا وهو الماء.

اما علاقة الماء وتحركه بكل من القمر والشمس فذلك مايعرف بحركة المد والجزر وهما ظاهرتان معروفتان لسكان السواحل حيث يلاحظ ان مياه البحار والمحيطات تزداد ارتفاعا وتقدما فى بعض الاوقات وهذا هو المد ، ويقل انخفاضها وتراجعها فى اوقات اخرى وهذا هو الجزر ، وهما ظاهرتان غير فجائيتين وانما تحدثان شيئا فشيئا .

فما هو المد والجزر وما الذى يسبب كل منهما ؟

" الواقع ان المد والجزر عبارة عن تحركان لمياه البحار والمحيطات استجابة لقبضة جذب الأرض والقمر والشمس - بتسخير الله تعالى - كما تتأثر فترة مكثه بالعلاقات المتغيرة القائمة بين جذب تلك الاجرام.

---

(١) جامع البيان للطبرى ١٥٣/١٨

وعلى الرغم من أن الشمس هى اكبرها ثقلا نجد أن تأثير المد والجزر الذى يحدثه القمر اكبر وذلك لقربه العظيم نسبيا من الأرض" . (١)

ومن أهم العوامل المؤثرة على حركة المد والجزر مايلى . (٢)

١ - وضع كل من القمر والشمس بالنسبة للأرض فاذا كان الوضع لهذه الاجرام على خط مستقيم بحيث تكون الأرض بين القمر والشمس أو القمر بين الأرض والشمس فان قوة الجذب الواقعة على المياه تكون عالية حيث يشترك كل من الشمس والقمر فى عملية جذب المياه . واما اذا كان وضع الشمس والقمر متعامدا بالنسبة للأرض فان الجذب يخف على المياه

٢ - تغير اوجه القمر فالمد يكون فى أقصاه فى وقت القمر الجديد - المحاق - البدر وهذا له علاقة بالعامل الأول .

٣ - تأخر القمر فى الظهور كل يوم خمسين دقيقة تقريبا عن اليوم السابق يؤدى الى تأخر المد عن اليوم السابق .

٤ - لحركة الأرض تأثير على المد والجزر كما للريح تأثير فى ذلك وكذلك عمق المياه وشكل الشواطئ.

ومن الفوائد التى تعود على الانسان بتسخير الله سبحانه وتعالى للشمس والقمر والأرض من هاتين الظاهرتين . (٣)

١ - تنظيف سواحل البحار بازالة الفضلات التى تسبب الأمراض .

٢ - تعيش بعض الحيوانات البحرية كالواقع على السواحل بين حدى المد والجزر فيقوم الصيادون بحفر الرمال المبتلة بعد عملية انحسار الماء ويجمعون هذه الحيوانات التى تستعمل كغذاء عند

---

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ١٦

(٢) ، (٣) خلاصة من المصدر السابق ص ١٦ - ١٧ ، كتاب الماء والحياة بين العلم والقرآن د. عبدالعليم خضر ص ١٩٧ - ٢٠٢ ، المنهج الايمانى فى الدراسات الكونية د. عبدالعليم ص ١٧١ - ١٧٧ ، الشمس فى حياة الانسان ص ٥٠ - ٥٢

بعض الامـــــم .

٣ - للظاهرتين علاقة بنظم الملاحة البحرية فلا بد أن يعرفها الملاحون البحريون بدقة وخاصة عند الدخول فى اى ميناء والخروج منـــــه لان السفن الكبيرة يمكنها ان تدخل كثيرا من الموانى وتغادرهـــا عند حركة المد فقـــط .

٤ - يستفاد من الظاهرتين فى بعض مناطق العالم لتحريك الطواحيـــن الصغيرة . كما وتستخدم اليوم فى توليد الطاقة الكهربائية .

كما وأن لهذه الظاهرتين أثر فلكى وهو الابطاء من سرعة دوران الأرض بحيث يطول النهار بمقدار لا يذكر وذلك لان حركة المد التى تحدث بميـــاه البحار والمحيطات عندما تصطدم بحافات القارات فتسبب مقاومة الاحتكـــاك الذى ينتج عنه حرارة على حساب طاقة دوران الارض حول محورها فيستفيد كمية كبيرة منها فتقل سرعة دوران الأرض . فسبحان الله المسخر لجميع هـــذا الاشياء لخدمة هذا الانسان الخليفة فى الأرض قال تعالى : ﴿ اللـــــه الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمـــرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك تجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾ (ابراهيم ٣٢-٣٣) فمن تسخير الفلك فى جريانها وتسخيـــر الشمـــس والقمـــر مايتعلق بظاهـــرتى المد والجزر .

<u>سادســـا</u> : <u>فى مجال التغذية والطاقـــــة</u> :

سخر الله سبحانه الشمس لفائدة الانسان ومن هذه الفوائد عمليـــة الغذاء حيث للشمس بأمر الله تعالى أثر كبير فى ذلك من جانبين همـــا جانب مباشر وآخر غير مباشـــر .

أما الجانب غير المباشر فهو يتمثل فى أن زراعة المحاصيل الزراعية ونضوج الثمار وتنوعها له علاقة وثيقة بتتباع فصول العام المتعلقة بدورة الشمس الظاهرية فكل فصل من فصول العام له ثمار ومحاصيل خاصة به لاتوجد الا فيه . وكذلك بدورة الماء فوق الأرض التى لها علاقة باشعاع الشمس كما أشارنا الى ذلك قال تعالى : ﴿ وهو الذى انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج به حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمرة اذا ثمر وينعه ان فى ذلكم لأيات لقوم يؤمنون ﴾ (الانعام : ٩٩) .

أما الجانب المباشر بالنسبة للشمس فى بناء الغذاء مايعرف بعملية التمثيل الضوئى وهى عملية حيوية ضرورية لبناء خلايا النباتات .

" تتم هذه العملية بوجود المادة الخضراء التى تعرف باسم الكلوروفيل - اليخضور - ولكى تتم العملية فلابد من وجود ثانى اكسيد الكربون وضوء الشمس الى جانب المادة الخضراء .

تمتص النباتات أشعة الشمس وبتأثير الكلوروفيل يتحلل الماء وثانى اكسيد الكربون الى العناصر الاولية المكونة لهما وهما الاكسجين والكربون والهيدروجين وتتحد هذه العناصر مرة أخرى فى صورة مخالفة مكونة السكر والنشا والدهن وتستقل النباتات تلك المنتجات لبناء خلاياها وتطلق الاكسجين الزائد اثناء عملية التمثيل الضوئى ".[1]

أما بالنسبة للطاقة فأبسط مظاهرها المعروفة لدى البشر النار والتى لايخفى على أحد منافعها على الانسان اذا ما استخدمت الاستخدام المطلوب . ومن اهم مقومات النار هو الوقود الذى يذكرنا سبحانه

---

(١) الشمس فى حياة الانسان ص ٦٥ - ٩٦

بنعمة علينا فى تسخير الشجر لذلك حيث قال سبحانه ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ﴾ (ياسين : ٨٠) .
وقال تعالى : ﴿ أفرايتم النار التى تورون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ﴾ (الواقعة : ٧١-٧٣)

ومن المعلوم ان الشجر الذى يعتبر وقودا مباشرا للنار قد أخذ صورا عدة منها الفحم والبترول المستخرجه من باطن الأرض وذلك بمضى الزمن . وهذا الوقود ماهو الا طاقة شمسية مختزن تكفل الله سبحانه وتعالى برعايتها للانسان بعمليات متعددة منها عملية التمثيل الضوئى الذى يعتمد النبات عليها فى بناء خلاياه الحيوية .

اذا فالشمس تدخل فى عملية الوقود دخولا غير مباشر وينتج عنه الطاقة التى يستفيد منها الانسان .

ومع تقدم الانسان فى العلوم بحكم استخلاف الله له فى الأرض يستفيد من خيراتها أخذة العلوم فى استخدام الشمس كمصدر مباشر للطاقة وذلك فى العديد من المجالات منها :

- توليد الكهرباء عن طريق الخلايا الضوئية التى تأخذ أشعة الشمس وتقوم بتحويلها الى طاقة كهربائية .
- تحلية مياة البحار وذلك عن طريق استخدام الأجهزة الممتصه للحرارة .
- تدفئة البيوت باستخدام الاجهزة الممتصه للحرارة لتسخين الماء حيث يمر فى انابيب داخل حجرات البيوت .
- الافران الشمسية وتعتمد الفكرة على استخدام المجمعات الحرارية كالعدسات والمرآيا .

كما أن هناك مجالات اخرى مازال العلم والتكنولوجيا تكشف عنها

فسبحان الله المسخر لهذا الكون فى خدمة الانسان . يقول الله تعالى بعد أن عدد بعض النعم التى جعلها سبحانه للانسان فى هذه الارض ﴿ وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الله لغفور رحيم ﴾ (النحل : ١٨) . وقال تعالى : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار ﴾ (ابراهيم:٣٤)

النتائـج المستخلصـه من هذا البـاب :

يمكن ان نخرج من هذا الباب بنتائج تعتبر كمقدمه للفصل اللاحق فى شأن العقائد الوثنية وعلاقتها بالفلك وكذلك نستخلص منها بعض الردود على النظريات المتعلقة بالفلك فى الجانب العقدى منها :

أولا : ان هذا الكون له فترة ابتداء وفترة انتهاء وليس هو قديم أزلى وذلك لما ثبت من علم الفلك الحديث بأن لهذه الاجرام السماوية اعمارا تؤدى فيها الدور المطلوب منها والذى كلفها خالقها سبحانه به ثم تنتهى .

ثانيا : ان هذا الكون يجرى حسب سنن الخالق سبحانه وتعالى فيه وليس له محظ ارادة اختيارية فى اداء وظيفته وانما هو مسخر لله سبحانه وتعالى .

ثالثا : ليس لهذه الاجرام حياة عاقلة بالمعنى المفهوم لدى الفلاسفة القدماء وانما هى عبارة صخور واتربه وغازات جعل الله سبحانه وتعالى فيها بعض المميزات والخصائص خدمة لهذا الانسان الخليفه فى الأرض من جانب وتذكيرا له وتوضيح من جانب آخر حتى يكون على بصيرة فى التعامل مع خالقة لما يظهر له من آيات مطابقة للفطرة التى فطر عليها وهى التوحيد .

رابعا : يوضح لنا جانب من حقيقة الابتلاء حيث ربط سبحانه وتعالى بعض الآثار المتعلقة بحياة الانسان بهذه الاجرام اختبارا منه لنا فى كون ارجاع ذلك له والتوجه اليه فى كل حركة من حركات حياتنا أو التوجه الى هذه الاجرام وارجاع الفضل لها .

الباب الرابع

الفلك والعقائد الوثنية ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : العلاقة بين تصور الفلك والعقيدة

الفصل الثاني: التنجيم

الفصل الثالث : عبادة الاجرام السماوية

الفصل الاول

العلاقة بين تصور الفلك والعقيدة

ويشتمل على المباحث :

أولا : الفلسفات الالحادية القديمة فى تفسير الكون

ثانيا: المعتقدون فى الاجرام والقائلون بنفعها

ثالثا: الفلسفات الالحادية الحديثة فى تفسير نشأة الكون

العلاقة بين تصور الفلك والعقيدة :

فطر الله سبحانه وتعالى الخلق على الاقرار بوحدانية وربوبيته وأخذ العهد على بنى آدم فى ذلك قال تعالى : ﴿ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الاعراف : ١٧٢)

لان بنى آدم هم الطرف الثانى فى الابتلاء الذى من أكبر مجالاته الابتلاء بالعبادة قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون ﴾ (الذاريات : ٥٦) .

ولم يترك الله سبحانه البشر بدون هدايه . وهى الدلالة على وجوده وتفرده بالربوبية التى تستلزم اتخاذه الها يعبد دون سواه بلا شريك . وقد جعل الله تعالى فى الكون الآيات الواضحات التى تدل على ذلك والتى تتمثل فى الآفاق بما يشمله من فلك واجرام سماوية وفى الأنفس .

واعقب بذلك أرسال الرسل ومن قبل هذا كله الفطرة الموجودة فى النفس الانسانية التى أشرنا اليها فقد ورد فى الحديث القدسى عن عياض بن حمار المجاشعي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته (الا ان ربى أمرنى أن أعلمكم ماجهلتم مما علمنى يومى هذا ، كل مال نحلته عبدا حلال وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم وانهم أتتهم الشياطين فأجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا) الحديث .[1]

والمقصود بقوله " اجتالتهم " اى ازالتهم عما كانوا عليه

(١) صحيح مسلم ٢١٩٧/٤ - حديث رقم ٦٣
صحيح مسلم بشرح النووى ١٩٧/١٧ كتاب صفة الجنة باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، مسندالامام احمد ١٦٢/٤

من فطرة سليمة مقرة بوحدانية الله ووقعوا فى الضلال كما هو نص رواية الامام احمد حيث قال " فأضلتهم " .

فالشيطان قد توعد بنى آدم باضلالهم قال تعالى حاكيا مقالة أبليس ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ﴾ (ص : ٨٢-٨٣)

والمخلصون هم اتباع الرسل الذين اتبعوا منهج الاسلام أما الذين كتب عليهم الضلال باغواء الشيطان فقد اختلفوا الى فرق قسمها ابن حزم الى ست فرق . (١) هى حسب الترتيب التالى :

"أولا : مبطلو الحقائق والذين يسمونهم بالسوفطائية .

ثانيا : القائلون بقدم العالم وأن ليس له مدبر ولا محدث .

ثالثا : القائلون بقدم العالم وأن له مدبرا قديما .

رابعا : القائلون بأن للعالم اكثر من مدبر .

خامسا : القائلون بحدوث العالم وأن له خالقا واحدا قديما وأبطلوا النبوات .

سادسا : القائلون بحدوث العالم وأن له خالقا واحدا قديما وأن له محدثا قديما واحدا قديما وأثبتوا النبوات لكنهم خالفونا فى بعضها على سبيل الاقرار والانكار" - والمخالفة المقصود بها مخالفة أهل السلف - والفلك والاجرام السماوية ما هى الاجزء من العالم أو العالمين ،والعالمون كل ما سوى الله عز وجل وهو رب كل ماسواه فكل ما سواه مربوب له لانه خالقه ومدبره ومالكه ورازقه وهذا بعض مايتضمنه قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (الفاتحة : ٢٠) من معانى .

ويظهر ان الشبه التى أضل بها الشيطان العباد والتى تتمثل فى

---

(١) الاصول والفروع لابن حزم ١٥٢/٢ ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

القول بقدم العالم والاختلاف فى مدبره ومحدثه ماجعله سبحانه وتعالى لهذه الاجرام من تأثيرات على حياة الانسان فى جميع مجالاته بطريق مباشر أو غير مباشر ابتلاءا منه سبحانه . وكذلك ما أبدعه الله تعالى من نظام لهذه الاجرام وحركاتها مما أبهر العقول قديما وحديثا حيث بدأ الانسان يتطلع الى ملكوت الله عز وجل محاولا استكشاف اسراره فمنهم من هدى الله هداية توفيق لاتباع الحق والاعتراف بخالق الكون ومدبره متفقا مع فطرته التى فطره الله عليها ومنهم من اتبع هواه واطاع شيطانه فأضله الله عز وجل ومن ثم أصبح للشيطان عليه سبيلا . واستحق بذلك عذاب الله فى الآخرة . من هؤلاء .

أولا : بعض الفلاسفة الملحدين الذين انكروا الصانع وقالوا بقدم العالم ، وهذا المذهب لازالت له الى يومنا هذا فلسفات ومذاهب تقوم عليه حيث يلتمس ذلك فى بعض النظريات التى يفسر بها وجود الكون تفسيرا ماديا .

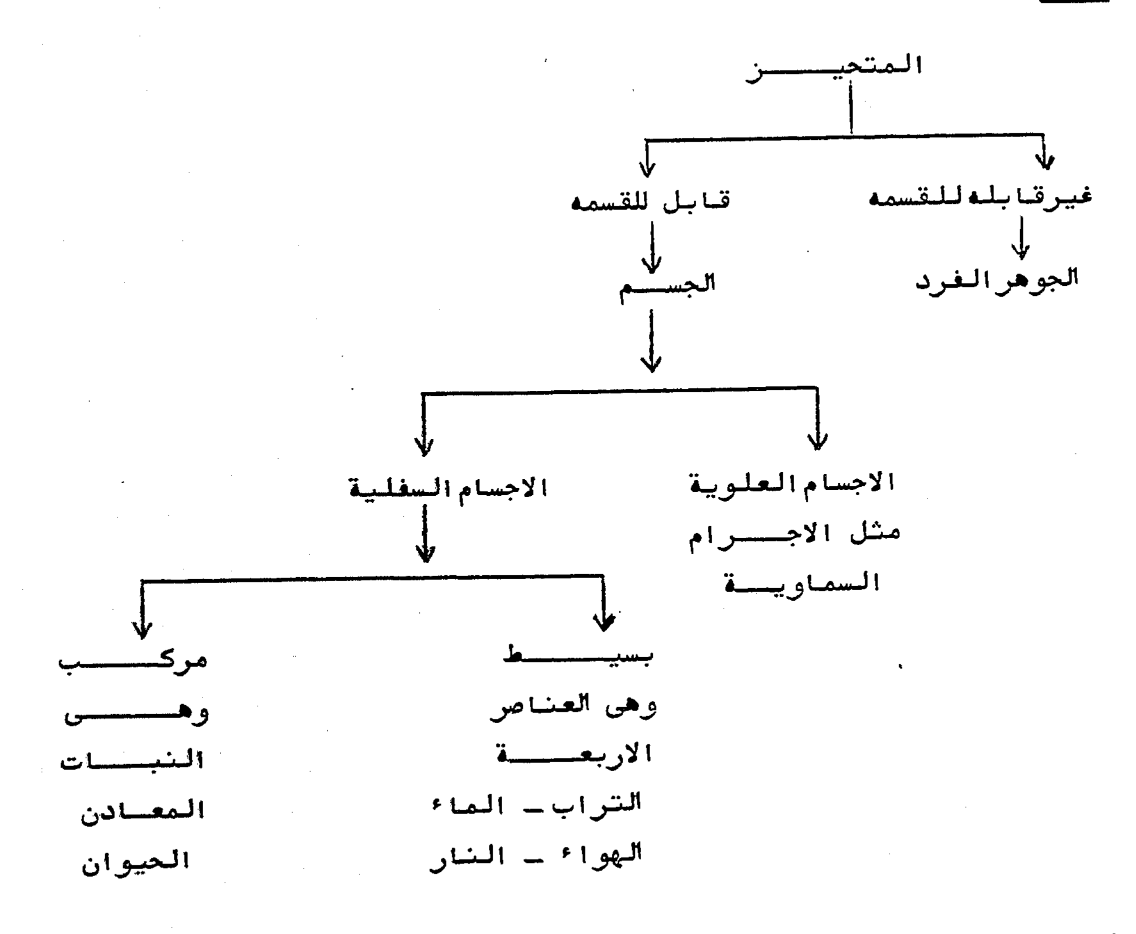
ثانيا : الذين وصفوا الاجرام السماوية بصفات لاتليق الا بالخالق سبحانه وادعوا اشتراكها معه فى التدبير والضر والنفع او على الاصح ان التدبير كله من الاجرام السماوية وأنها تتشبه بالخالق كصفة العاشق لمعشوقه ومن ثم عبدوها وهؤلاء هم الصابئة عبدة الاجرام السماوية وغيرهم من القائلين فى نفعها .

المبحـــــث الأول

الفلسفات الالحاديـــة القديمة فى تفسيـــر الكون :

قبل التعرض للفسلفات الالحادية التى وصفت الاجرام السماوية بصفـات لا تليق الا بالخالق من دعوى اشتراكها معه فى التدبير والضر والنفـــع او ان التدبير كلـه من الاجرام السماوية وأنها تتشبه . بالخالق كصفـة العاشق لمعشوقـــه . لابد ان نستعرض قول الرازى فى تفسيره عـــن تقسيم العالميـن (١) فقد نقل عن الفلاسفة والمتكلمين بأن العالـــم كل موجود سوى اللـه وهو ينقسم الى ثلاثة اقســام :

أولا : المتحيز وهو ينقسم حسب التفريعات التاليـــه

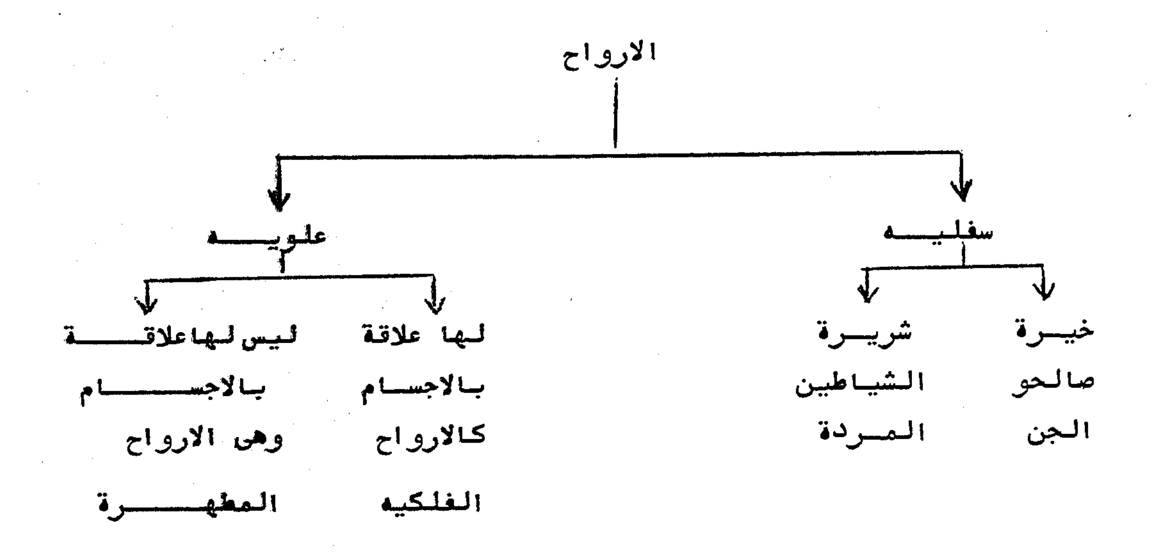


ثانيا : صفـــة المتحيز وهـــى الاعـــراض :

---

(١) تفسيـــر الرازى ٢٢٩/١

ثالثا : غير المتحيز ولاصفة له وهـــى :



ونحن لسنا فى مجال الأخذ والرد لهذه التقسيمات وتفنيد الصحيـــح منها لكنا نلاحظ من خلال التقسيمات دعوى ان للاجرام السماوية ارواحـــا هى الارواح الفلكية . ويظهر ان اتصاف الاجرام السماوية والافــــلاك بالارواح والأنفس كان سائدا فى اعتقاد بعض الناس قديما حتى عصـــور متأخره . لذلك نجد صاحب كتاب التعريفات عندما يعرف النفس الناطقـــة يقول : " هى الجوهر المجرد عن المادة فى ذواتها المقارنه لها فـــى افعالها وكذا النفوس الفلكيـــه " .(١)

واذا كان ذلك صحيحا فانه يقتضى ان الافلاك وما بها من اجرام ذات انفـــس ناطقة وذات حياة تعرف نفسها وتفعل عن اختيار . وهذا ماذهب اليـــــه بعض الفلاسفة قديما كما يقول ابن حزم " زعم قوم أن الفلك والنجـــوم تعقل وأنها ترى وتسمع ولاتذوق ولاتشم " . وقال فى موضع آخر " مــــن اراء الفلاسفة بالنجوم أنها ناطقة مدبرة وكذلك الفلك " .(٢)

(١) كتاب التعريفات للشريف على بن محمد الجرجانى ص ٢٤٤ - الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ١٤٧/٥ ، ٢٣٣/٢ تحقيق د. محمد ابراهيم نصر ،د. عبدالرحمن عميره ،دار الجيـــل ، بيـــروت .

وهم اختلفوا فى تصورها فبعضهم تصور العالم المحسوس بجميع اجرامه السماوية كائن حى ذا نفس وجسد وله تدبير وفعـــل . (١)

وذهب آخرون الى ان لكل فلك عقلا ونفسا وهو ما أوضحه ابن تيميـــه حيث قال : " ذكروا العقول العشرة والنفوس التسعة وقالوا : ان العقل الأول هو الصادر الأول عن الواجب بذاته وانه من لوازم ذاته ومعلول لـــه وكذلك الثانى عن الأول وان لكل فلك عقلا ونفسا " . ويقول فى موضـــع آخر " ويزعمون أن للفلك نفسا تحركه كما للناس نفوس ، لكن قدماؤهـــم يقولون : ان نفس الفلك عرض قائم بالفلك كنفوس البهائم وكما يقـــوم بالانسان الشهوة والغضب ، ولكن طائفة منهم زعموا أن النفس الفلكيـــة جوهر قائم بنفسه كنفس الانســـان ". (٢)

والقول بمرور حياة للاجرام لا نزاع فيه لكنها ليست حياة كحيـــاة الاحياء وانما لها اعمار وآجال تنتهى بانتهاءها لما أقتضه سنه الله فـى الكـــون .

والدراسات الفلكية تخبرنا ان هذه الاجرام ماهى الا عبارة عـــن صخور وأتربه وغازات اعطى الله سبحانه وتعالى لكل جرم منها صفـــه وميزة يتميز بها عن الاجرام الاخرى وتركيبا مغايرا لكن ليس من كـــل الوجوه وانما من بعضها حتى يظهر وجه التشابه والاختلاف فيما بينهـــا ليبدؤ بعض اوجه حكمه الله فى ذلك وصنع ابداعه وجعل الكون فى هـــذا النظام المتقن الدقيق الذى يدل دلالة واضحة على خالقة ومدبره .

ولم تشر هذه الدراسات ان للاجرام السماوية انفسا وعقولا تميز بهـــا

---

(١) القضاء والقدر فى الاسلام . د. فاروق احمد الدسوقى ١٦٠/٣ - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - المكتب الاسلامى - بيروت ، مكتبة الخانـــى الرياض - الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٤٠٥ هـ .

(٢) نقض المنطق لابن تيميه ص ٩٩ - مكتبه السنه المحمدية - القاهـــرة مجموع الفتاوى ٢٧٣/٩

حتى ولم تثبت وجود اى نوع من انواع الحياة عليها ، وان كان البعض يتوقع ذلك . وليس لهؤلاء ادلة علمية ترجح توقعهم حتى الآن .

أما للاجرام عقولا ونفوسا وتميزا فهذا لايكون اذ كيف لصخر وتراب وغاز ان يميز ويعقل كتميز الانسان المتصف فعله بالاختيار فى أغلب شؤونه . وادعاؤهم هذا مبنى على انها تدبر حياة الأنسان كما ذكر ابن حزم عنهم حيث قال محتجهم " لما كنا نعقل وكانت النجوم تدبرنا كانت اولى بالعقل منا " . (١)

والتدبير فى اللغة : هو النظر فى عاقبة الأمور كما يشير صاحب المقاييس بقوله " والتدبير أن يدبر الأنسان أمره وذلك بأنه ينظر الى ما تصير عاقبته وآخره " . (٢)

اما اطلاق صفة التدبير لله سبحانه وتعالى فذلك بما يلائم جلاله وعظمته حسبما وردت بها نصوص الوحى من غير تشبيه . وهى من صفات الأفعال قال تعالى : ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولاشفيع أفلا تتذكرون . يدبر الامر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنه مما تعدون ﴾ (السجدة : ٤ - ٥) .

ونسب التدبير للاجرام كفر بالله سالب لأصل الايمان لأن المعتقد فى تدبير الاجرام جعل الأمر لها أو على الاقل أشركها مع الخالق فى تدبير الأمر والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى سته أيام ثم أستوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه

---

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ٢/٢٣٨
(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٣٢٤

حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (الاعراف : ٥٤) .

ولا أحد ينكر ما للاجرام السماوية من تأثير على حياة الأنسان وقد أثبت خالقها لها ذلك على وجه التسخير منه لا الأختيار منها وفى كتاب الله مايدل على هذا قال تعالى : ﴿ فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ (الانعام : ٩٦ - ٩٧) .

وتأثيرها كتأثير النار بالاحراق والطعام بالتغذية . اما نسب التدبير للاجرام فان ذلك يدل على اثبات فاعلية لها عن اختيار .

والقول بالفاعلية المختارة للاجرام والفلك نتج عنه فساد فى مفهوم الالوهية عند بعض الفلاسفة ومن تبع آثرهم وهو الشرك والالحاد بعينه .

ويظهر ان فساد تصورهم يرجع أيضا الى القول بأن حركة هذه الاجرام فى افلاكها هى حركة اختيارية وليست حركة اضطرارية قسرية . فقد نقل من اقوالهم " لايمكن ان يكون فى السماء شئ يجرى قسرا" وكذلك " الحركة القسرية لا تدوم فى ذاتها بل يعرض لها البطلان وكذلك كل شئ قسرى " . (١)

ويبدوء ان حكمهم على أن حركة الاجرام والافلاك حركة غير قسرية يعتمد على ملاحظاتهم للحركات الظاهرية للاجرام فى افلاكها فهى للمشاهد دائمه . مع قياس ذلك عقلا على التصور الكمالى للانسان فى تحركاته .

---

(١) القضاء والقدر . د. فاروق الدسوقى ٢٦٦/٣

وعلم الفلك الحديث يظهر لنا فساد تصورهم فى ذلك . فمثلا حدوث الانفجارات النجمية الهائلة التى تدعى بالسوبر نوفا والتى فيها تلقى النجوم الكثير من طاقتها بشكل اشعاعات ومواد تلقى فى الفضاء الكونى والتى تفيدنا بأن هذه الاجرام مقسورة على فعلها ليس لها فيه اختيار اذ لو كانت كذلك لما حدث لها هذه الانفجارات وخرجت عن مداراتها والقت بمادتها الى الفضاء .

كذلك يشرح لنا كيفية بقاء الجرم السماوى فى مداره حيث يقع كل جرم سماوى تحت تأثير قوتين تجعله يسير فى مداره بهذه الصفة الدائمة الى الأجل المعلوم الذى يريده خالقة منه على صورة متزنه بحيث لو تغلبت أحد القوتين على الاخرى فان الجرم السماوى يخرج عن مداره وتنتهى صفة الدوام فى حركته بحيث ينتثر أو ينكدر كما يشير الى ذلك التعبير القرآنى فى وصف نهاية الكواكب والنجوم حيث تسرع الى حالة الاستقرار وهو عدم الحركة لانتهاء وظيفتها .

هاتان القوتان تتصف بالتساوى فى المقدار والتأثير المضاد على الجرم السماوى وهما الطاقة الحركية للجرم وقوة الجذب من الجرم لجرم آخر كما هو واضح من نظام الكون . فالشمس فى المجموعة الشمسية هى التى تجذب الكواكب اليها والكواكب بدورها تحاول الافلات من هذا التأثير بما يتمثل فى طاقة حركتها ومن هاتين العمليتين يحدث التوازن الذى يؤثر فيه أيضا مواضع الاجرام بالنسبة الى بعضها فهى مرتبه مكانيا بنسب متقنه بحيث لو زادت أو نقصت هذه المسافات بمقدار صغير جدا لحدث ان انتهى التوازن فى الكون .

والفضاء الكونى الذى تسبح فيه هذه الاجرام رغم مافيه من غبار

وغازات وطاقة بمختلف انواعها الا انه يعتبر فراغا اكمل من اى فراغ يمكن تحقيقه فى المختبرات بالاستعانة بأحدث المعدات ، كل ذلك حتى لايكون هناك عائق يؤثر على حدوث خلل فى حركة الاجرام مالم يأذن بذلك خالق الكون .

فهل يعقل ان يكون هذا الاتقان من فعل الاجرام وماهى الا اشكال متنوعة من المادة والطاقة ؟

وهل يعقل ان يكون هذا الاتقان صدفة ؟

ان القول بالحركة الاختيارية للاجرام فى افلاكها دعوى باطله حيث ثبت علميا أنها حركتها قسرية وقد ذكرنا فى الفصل السابق ان حركة الاجرام تدخل تحت الحركة غير الارادية بمعنى أنها مسخرة ونصوص الوحى تثبت ذلك وتبينه فى اكثر من موضع قال تعالى : ﴿ وسخرلكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (النحل : ١٢) .

اذاً فالتدبير يكون لله سبحانه وليس للاجرام تدبير لما فى الأرض لكونها مسخرة وليست مختارة فى حركتها . وهذه عقيدة المسلم فى الاجرام التى تخالف عقيدة الصابئة فى كون الاجرام مدبرة لما فى الأرض التى ادت بهم الى الشرك والالحاد والتى سنفرد لها مبحثا لاحقا .

وفساد مفهوم الالوهية عند القائلين بالفاعلية المختارة للاجرام والفلك يكمن فى نظريات تؤدى الى نفى صفات الكمال عن الله تعالى وتعطيلها . سببها الفهم الخاطىء والباطل للفلك هذه النظريات الباطله التى أدت بأصحابها الى الشرك والالحاد هى :

١ - العلل الاربع ومبدأ حتمية صدور المعلول عن العلة .

٢ - التولد   ٣ - الفيض والصدور

النظريـــة الاولى العلل الاربـــع :

والعلل المقصـــودة هـــى :

العلـــة الغائيـــة مثل بناء البيـــت لغاية السكـــن .

العلة الفاعليـــة مثل استدعاء النجار لعمل نافذه المنزل .

العلة الماديـــة مثل احتياج كون شئ خشبا كونه مادة .

العلة الصورية والمقصود بالصورة الماهيه اذاً المقصود بالعلة هنـــا هو كون الشئ متشكلا بما يبرز ماهيتـــه .

وما يهمنا من هذه النظرية هو الجانب الفلكى وعلاقته بالاله الخالـــق وهو مايتمثل فى العلة الغائية والعلة الفاعلية .

فالاله بمفهوم القائلين بهذه النظرية هو محرك أول يحرك العالـــم دون أن يتحرك بمعنى أنه علة غائية ويكون دورة فى التحريك " كما يحـــرك المعشوق والمعقول دون أن يتحركا " [1] ويكون علاقة الفلك والاجرام بالاله علاقة شوق والاله بالنسبة للاجرام السماوية معشوقا لها مسلوب الفاعليـــة " حيث تشتهى السماء أن تحيا كحياته ما أمكن لها ذلك لكنها لاتستطيع لماديتهـا فتحاكيها بالتحرك حركة متصلة مادية هى "الحركة الدائرية . فهو غايـــة العالم القصوى لأنه علة الخير فى العالم ، فاننا نرى كل شئ منظمـــا فى ذاته ونرى الأشياء منظمة فيما بينها "[2] ودور هذه الاجرام والفلـــك غير التشبه بالاله ، فعلها من آثار فى الشئ الطبيعى على الأرض بمعنـــى كونها علة فاعلية اى أن حركة الشئ على الأرض مرتبطة فى النهاية بحركة الاجرام . " ان آخر الاجسام المحرك لما يليه من المتحركات يتحرك أيضـــا

---

(١) القضاء والقدر د. فاروق الدسوقى ٩٨/٣ نقلا عن كتاب مابعد الطبيعـــة لأرسطـــو .

(٢) المصـــدر السابـــق ٩٩/٣

لكن لايتحرك الا بالحركة المكانية فقط دون غيرها ، ولاتكون حركتة المكانية مستقيمة ، بل يتحرك حركة مستديرة ". (١)

هذه الحركة المستديرة ليس مصدرها الاله - حسب زعم القائلين بالنظرية - وانما هى حركة ذاتية دون تدخل الاله " والحركة المستديرة مبدؤها القريب نفس فى الفلك تتجدد تصوراتها وارادتها ، وهى كمال جسم الفلك وصورته ". (٢) وهذه الحركة المستديرة غير منتهية لكون النفس الفلكية تعقل عن المحرك الاول - الاله - فتكسب بذلك قوة غير منتهية "والقوة التى فى النفس متناهية لكنها بما تعقل الأول فيسيح عليها نوره دائما فصارت قوتها غير متناهية ، فكانت الحركات المستديرة أيضا غير متناهية " . (٣)

فحاجة الفلك والاجرام للاله - حسب زعم القائلين بالنظرية - كونه علة غائية للتشبه كالمؤتم بالامام للبقاء على الكمال" والتشبه بالخير الاقصى - الاله - يوجب البقاء على اكمل كمال ، ولم يكن هذا ممكنا للجرم السماوى بالعدد ، فحفظ بالنوع والتعاقب ، فصارت الحركة حافظة لما يكون من هذا الكمال ، ومبدؤها الشوق الى التشبه بالخير الأقصى فى البقاء على الكمال ومبدأ الشوق هو مايعقل منه " . (٤)

والمقصود من هذا الكلام ان الاجرام السماوية لاتستطيع البقاء فى اكمل كمال نظرا لكثرتها والاله يتصف بالاحدية لكنها استطاعة المحافظة على شيء من الكمال فى اتصافها بالتعقل وهو نوع مايتصف به الاله - تعالى الله

---

(١) المصدر السابق ٩٥/٣

(٢) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/٢ - تحقيق محمد كيلانى - طبعة ١٤٠٢ هـ - دار المعرفة - بيروت .

(٣) الملل والنحلل للشهرستانى ١٩٢/٢

(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

عن ذلك - وكذلك حفظت بعض الكمال بالتعاقب والمقصود به حركتها المستديرة حيث هى فى حركتها متشوقة الى الاله .

هذه الحركة - عندهم - هى المسببه لوجود الحياة على الأرض " ويلزم عن حركتها - اى الاجرام السماوية - وجود هذه الكائنات "(١)

ويظهر من هذا الاستعراض أنهم وقعوا فى المحاذير الآتية :

١ - وصف الله تعالى بما لايليق بجلاله وعظمته حيث جعلوه عقلا محضا لايعلم شيئا سوى ذاته مسلوب الاراده والقدرة والفاعلية .

٢ - نسب مايحدث فى الكون من تدبير للاجرام السماوية والافلاك .

٣ - وصف الاجرام والفلك بالاختيار لكونها تمتلك نفسا عاقلة .

٤ - اعطاء حركة الاجرام صفة الدوام اللانهاهى بمعنى انها ازليه أبدية وهذا الجانب مايتفق مع النظريات الالحادية الحديثة فى تفسير الكون والتى سترد فى مبحث لاحق .

نقد نظرية العلل الاربع :

بناءا على المعلومات الفلكية الحديثة فى علم الفلك بما يتعلق بالمكونات الاساسية للاجرام السماوية فان الصفات التى نعتت بها الاجرام والفلك من كونها عاقلة ذات نفس عاشقة تشبه بالاله للوصول الى الكمال بما يحدث فيها من حركة دائرية وبما تحدثه فى الكون من أثر منقوضه مردودة . لكون هذه الصفات تدل على الاختيار مع أن حركة الاجرام الدائرية ما هى الا حركة قسرية اجبارية لكونها مسخرة كما دلت على ذلك نصوص الوحى وثبت علميا من خلال نتائج علم الفلك الحديث .

ونضرب مثلا لتوضيح حركة كل جرم سماوى فى الفضاء تحت تأثير قوتين

---

(١) القضاء والقدر . د. فاروق الدسوقى ٢٦٧/٣

متساويتين فى المقدار ومختلفتين فى الاتجاه بتجربة الدلو الممتلىء الى منتصفه ماء ولفه بحركة دائرية سريعة فى الهواء فان الماء سيظل فى الدلو حتى ولو كان مقلوبا . واذا بطأت الحركة الدورانية فسينسكب الماء .

ان الماء يمثل الجرم السماوى وسرعة تلفيف الدلو تمثل السرعة المدارية للجرم السماوى حول جرم آخر والذراع واليد اللتان تقوم بعملية التلفيف تمثلان قوة الجاذبية . وما دام الجرم السماوى متحركا بالسرعة الكافية التى سنها الله له فان القوة الطاردة المركزية الناتجة عن حركته والتى تحاول ابعاده فى الفضاء ستوازن دائما - الى أن يحين انتثاره او انكداره فى الوقت المعلوم الذى كتبه خالقه - قوة الجاذبية وتحفظه فى مداره .

اذا الكمال المزعوم لدى القائلين بهذه النظريه الذى احتفظت به هذه الاجرام بهذه الحركة الدائرية ليس من ذاتها بل من تدبير خالقها وتسخيره الذى له العلم الكامل والأحاطه الكاملة بكل جزئية فى هذا العالم وهذا جانبا مما يتضمنه معنى ربوبيته سبحانه للعالمين .

واذا تأملنا قوله تعالى : ﴿ ان الله لايستحى ان يضرب مثلا مابعوضه فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين ﴾ (البقرة : ٢٦) .

نجد كمال العلم والاحاطه بالجزئيات فى هذا الكون والرد على من زعم ان الله سبحانه لايعقل شيئا الا ذاته . اذا قورن ذلك بين الكون بجميع اجرامه وبين البعوضه التى لاتعتبر الا جزءا بسيطا يكاد لايذكر فى هذا

الكون ورغم ذلك فهو محيط بها وبما هو أصغر منها اذا فهم معنى الفوقيه من جانب عكسى بمعنى أصغر من البعوضه بشىء كثر .

أن الآية تفيد الخبر منه جل ذكره أنه لايستحى أن يضرب فى الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها ابتلاء بذلك عباده واختبارا منه لهم ليميز به أهل الايمان والتصديق من أهل الكفر والضلال الذين يزعمون عدم احاطته وعلمه وفاعليته وارادته ونسب ذلك للفلك والاجرام المتشوقه بحركتها للتشبه بالاله لاستكمال وجهه النقص فيها .

النظريـــة الثانيـــة نظرية التولـد :

تعتمد هذه النظرية أساسا على منطوق نظرية العلل بحيث ان فعل الاله يحدث فى الكون من خلال سلسلة متناسقة من العلل منها القريب المباشر ومنها البعيد المنفصل وآخر العلل هو الفلك حيث أنه المؤثر المباشر فى الحياة على الأرض عن ارادة واختيار . ولنستعرض اقوال القائلين بهذه النظرية حتى يتضح لنا مفهومهم فى تسلسل هذه العلل لتفسير العناية الالهية بالعالم " فأما أولها فمن باريه تعالى وبعض عن بعض فان الأول منها ينفعل فينفعل عنه آخر وينفعل عن انفعال ذلك آخر وكذلك حتى ينتهى الى المنفعل الأخير منها " وأيضا " فأما البارى تعالى فهو العلة الاولى لجميع المفعولات التى بتوسط والتى بغير توسط بالحقيقة لأنه فاعل لامنفعل البته الا أنه علة قريبه للمنفعل الأول وعلة بتوسط لما بعد المنفعل الأول من مفعولاته " . (١)

ويكون التسلسل فى العلل حسبما ورد فى هذا الكلام .

العلة الاولى " الاله " بزعمهم ←يتولد عنه— الفعل الأول ←يتولد عنه— الفعل الثانى ←يتولد عنه— الفلك المؤثر فى الحياة على الأرض .

(١) القضاء والقــــدر ٣/١٧٧ - ١٧٨

ويقصد بالفعل الأول كما يوضح صاحب كتاب القضاء والقدر العقل الكلى للكون الذى احدثه الاله احداثا مباشرا ويقصد بالفعل الثانى النفس الكليه والتى نتجت عن العقل الكلى للكون . (١)

وهذا التصور يتفق مع القول بكون العالم كجسد واحد تعمل فيه نفس كليه وهى التى تولد عنها الفلك المتمثل فى الاجرام السماوية والتى تفعل التدبير المزعوم كما هو مذكور عندهم فى اقوالهم " علة كوننا الفاعلة نطقنا الذى هو نوعنا" .(٢) تعالى الله عمالى يقولون علوا كبيرا حيث نسب له الولد وان لم يكن من جنس ماهو معهود الا ان تعبيرهم مشعر بذلك فى عبارة - وبعض عن بعض - التى لاتفيد ان الاله سبحانه اوجد من عدم وابدع فى نظام . وانما تفيد علاقة مؤثر وقابل للتأثير بحيث ينتج عن ذلك اثر كما يتضح من القول فان الاول ينفعل فينفعل عنه آخر وينفعل عن انفعال ذلك آخر وكذلك حتى ينتهى الى المنفعل الأخير منها فتصبح سلسلة من الاحفاد الأخير منها كثر ابناءه وتشعبوا فصار هو يقوم سلوكهم ويراعى مصالحهم .

هذا المنطوق يتضمن الوقوع فى المحاذير التالية :

١ - نفى صفات الكمال المطلق عن الله سبحانه وتعالى بالقول بالتولد عنه

٢ - يؤدى الى اثبات من او مايساويه فى الكفاءة بجعل العقل الكلى والنفس الكليه للكون والفلك اكفاء لله على الاقل فى الفعل . وقد يتصف الاكفاء بصفات لا يتصف بها الا الخالق سبحانه من الارادة والاختيار والفاعلية المطلقة .

---

(١) المصدر السابق ١٨٠/٣

(٢) نفس المصدر ١٦١/٣

نقـــد نظريـــة التولـــد :

ان القول بالتولد يلزم قائله بأن فعل الله فى الكون فعل آلـى ليس فيه ارادة واختيار حيث سمى البارى تعالى العلة الاولى لجميـع المفعولات ذلك " لأن اطلاق اسم العلة على الفاعل يستتبع قولنا بصـدور مفعلوه عنه صدورا آليا كصدور المعلول عن العلة وفى هذا الغاء لعلمـه وارادته المختارة ونفى لفاعليتـه " . (١)

وفعل الله سبحانه يتصف بالعلم الشامل قال تعالى : ﴿ تبارك الـذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا • الذى له ملك السمـوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقـدره تقديرا ﴾ (الفرقـان : ١ - ٢)•

فالآيات بعد أن أثبتت ان السموات والأرض وما فيها ملك لله نفـت كون الولد والشريك لله كما أثبتت العلم الشامل فى تقدير الاشيـاء المخلوقـة له سبحانه الدالة على مطلق الفاعلية والاختيار .

كما ان الوقوع فى دائرة الشرك التى نهى الاسلام عنها متمثلا فـى القول بهذا المنطوق حيث جعل من العقل الكلى للكون والنفس الكليـه والفلك اكفاء لله فى الفعل والله سبحانه غنى عن الشريك فقد الزم عباده بنفى الشريك عنه فقال تعالى آمرا رسوله ابراهيم عليه السلام ﴿ واذبوآنا لابراهيـم مكان البيت أن لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفيـن والقائميـن والركع والسجود ﴾ (الحج : ٢٦) •

مهما كان هذا الشريك لما دل عليه لفظ " شيئا " فكيف بمن يزعـم باطلا بكون العالم له عقل ونفس تشترك مع الله سبحانه فى الفعل .

---

(١) القضـاء والقدر ١٩١/٣

والرسول صلى الله عليه وسلم يخبرنا فى الحديث القدسى عن ربه عز وجل (أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب) . (١) هذا حال من قال فكيف بمن اعتقد فى تدبير الاجرام كقولهم " علة كوننا الفاعلة نطقنا الذى هو نوعنا " . وليس هو مفهوم بمعنى التسخير من خالقها للتأثير فى الحياة على الأرض لكنه تأثير فيه الاختيار والفاعلية عن تدبير كونها عاقلة ذات نفس وادراك .

النظرية الثالثة نظرية الفيض والصدور :

ومن النظريات الالحادية فى الفلسفات القديمة التى يدعى اصحابها تفسير العلاقة بين الاله والفلك نظرية الفيض والصدور حيث ينسب اصحاب هاتين النظريتين الفاعليه الكاملة المختارة للاجرام السماويه والفلك. فهاتان النظريتان ترتبطان فيما بينها لتفسير هذه العلاقة .

ونظرية الفيض عند هؤلاء كما يوضحها ابن تيمية تتمثل فى قولهم " ان الرب لايفعل شيئا بمشيئته وقدرته وليس عالما بالجزئيات ولايقدر أن يغير العالم بل العالم فيض فاض عنه بغير مشيئته وقدرته وعلمه وأنه اذا توجه المستشفع الى من يعظمه من الجواهر العاليه كالعقول والنفوس والكواكب والشمس والقمر فانه يتصل بذلك المعظم المستشفع به فاذا فاض على ذلك مايفيض من جهة الرب على هذا من جهة شفيعه . ويمثلونه بالشمس اذا طلعت على مرآة فأنعكس الشعاع على المرآة على

---

(١) صحيح مسلم ٨٣/١ - حديث رقم ١٢٥
صحيح مسلم بشرح النووى ٥٩/٢ - كتاب الايمان باب كفر من قال مطرنا بالنوء .

موضع آخر فأشرق بذلك الشعاع فذلك الشعاع حصل له من مقابلة المرآة وحصل للمرآة بمقابلة الشمس " . (١)

ويظهر من هذا المنطق ان مفهوم الفيض يعنى بلغة العصر عمل اوتوماتيكى الا انه لايحدث كما يحدث فى الآلة حيث تحتاج طاقة للانتاج وانما صفته كصفة خروج الماء من النبع .

واما نظرية الصدور تتمثل فى أن الواحد لايصدر عنه الا واحد وخلاصة قولهم فى ذلك " أن أول الموجودات عن الأول واحد بالعدد . وذاته وما هيته وحدة لافى مادة فهى عقل . ومن الموجودات آجسام وكل جسم يجب بغيره وحيث أنه لاسبيل لوجوده الا بواسطة وهذه الواسطة واحدة فبالحرى أن تكون المبدعات الثانية والثالثة وغيرها اثنينية فيها ضرورة " . (٢)

وفى هذه النظرية يظهر دور الوسائط بين الاله والعالم المحسوس وذلك بيقاع اللزوم على فعل الاله بحيث أنه واحد فلا يصدر عنه الا واحد وفعله ماهو الا عبارة عن فيض .

فالعلاقة بين الاله والعالم حسب النظرية تقوم على الحتمية بحيث يحكمها مبدأ حتمية صدور المعلول عن العلة التى هى لب نظرية الفيض والصدور . التى نتج عنها القول بالعقول العشرة .

يقول قائلهم " أن الجسم من حيث هو لايكون مبدأ الجسم ولايكون متوسطا بين نفس ونفس . ولو آن نفسا كانت مبدأ لنفس بغير توسط الجسم فلها انفراد قوام من دون الجسم وليست النفس الفلكيه كذلك فلا تفعل

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٩/١٠٤

(٢) الملل والنحل للشهر ستانى ٢/١٨٧ - ١٨٨

شيئا ولا تفعل جسما فان النفس متقدمة على الجسم فى المرتبه والكمال[١]

واذا رجعنا الى تصورهم فى الفلك بأن لهذه الاجرام السماوية انفسا يظهر لنا المراد من كلامه هذا فهو يقصد ان الجرم السماوى مركب من جسم ونفس .

فالجرم السماوى وجوده ليس من كونه جسم لانه الجسم مادة لها طبيعيه عدميه وليس من كونه نفس رغم انها كمال وصورة للفلك كما هو تصوره .

وهذا المراد مع التجاوز فى أن للفلك نفسا كلام مقبول لو أرجع ذلك الى فعل الله وأنه مبدئ كل شئ لكنه يرجعه الى شئ آخر هو العقل الجوهر المفارق على حد تعبيرهم . يقول فى ذلك " فتعين أن للافلاك مبادئ غير جرمانيه وغير صورة للاجرام - أنفس - والجميع مشترك فى مبداء واحد وهو الذى نسميه المعلول الاول والعقل المجرد ويختص كل فلك بمبدء خاص فيه ويلزم دائما عقل من عقل حتى تتكون الأفلاك باجرامها ونفوسها وعقولها وينتهى بالفلك الأخير ويقف حيث يمكن ان تحدث الجواهر العقلية منقسمه متكثرة بالعدد " .[٢]

ويقول آخر " والاكر - جمع كره - تسع لما دل الرصد عليها. فالعقول المفارقة عشرة تسعة منها مدبرات النفوس التسعة المزاولة وواحد هو العقل الفعال " [٣] والعقل الفعال هو عندهم مبدع ماتحت فلك القمر والاكر - جمع كره - التسع المشار اليها تقوم على المعلومات القديمة عن الفلك والتى تعتبر الأرض فى مركز العالم حيث لاتعتبر كوكبا من الكواكب مع الاعتراف بكريتها وان الافلاك تحيط بها . اولها فلك القمر

---

(١) الملل والنحل ١٨٩/٢

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق ١٢٥/٢

يليه فلك عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشترى ثم زحل ثم فلك النجوم الثوابت فيكون ترتيب العقول على حد زعمهم :

أولا : العلة الاولى " الاله " .

ثانيا : المعلول الاول والعقل المجرد مدبر فلك الثوابت .

ثالثا : المعلول الثانى وهو عقل ومدبر فلك زحل .

رابعا : المعلول الثالث وهو عقل ومدبر فلك المشترى .

خامسا : المعلول الرابع وهو عقل ومدبر فلك المريخ .

سادسا : المعلول الخامس الخاص بفلك الشمس .

سابعا : المعلول السادس الخاص بفلك الزهرة .

ثامنا : المعلول السابع الخاص بفلك عطارد .

تاسعا : المعلول الثامن الخاص بفلك القمر .

عاشرا : المعلول التاسع العقل الفعال مبدع ماتحت فلك القمر .

فالاله - تعالى الله عن ذلك - يفيض فيصدر عنه الأول والأول بشوقه للتشبه به يفيض مثله وهكذا حتى العقل الفعال ثم تتوقف السلسلة ويكون العقل الفعال هو الذى يختص بما تحت فلك القمر اى الأرض من تدبير أمره .

نقد نظرية الفيض والصدور :

ومن الاعتراضات على قولهم بالفيض والصدور فى الوسائط بين الله تعالى وخلقه مع ان هذه الوسائط جزء من خلقه مع أنهم لم يقولوا بالخلق وانما قالوا بالفيض افكار تتعلق بعلم الفلك والمعلومات القديمة فيه التى بنوا عليهم فكرتهم بالفيض والصدور .

النقد العلمى للنظرية :

ان النجوم كثيرة العدد بحيث تتحرك فى الفضاء على شكل تجمعات كل

تجمع يؤلف مجموعة من النجوم تعد بالملايين وهى غير الكواكب بحيث ان كل نجم له فلك خاص به فلماذا لايكون لكل منها عقل بحيث تصبح العقول اكثر من عشرة اى عقول غير معروفة العدد . كما ان مركز الكون ليس هو الأرض - كما عرف من معلومات الفلك القديم والتى ثبت خطأها حديثا - من حولها الافلاك تحيط بها وانما مركز المجموعة الشمسية هو الشمس التى تعد نجم من النجوم وليس كوكبا من الكواكب وهى تضم تسع من الكواكب ليس القمر منها وانما هو تابع لكوكب الأرض ، فيكون بذلك مجموع اعضاء المجموعة احد عشر عضوا غير التوابع الاخرى للكواكب فيخص كل منها عقل حسب زعم القائلين بنظرية الفيض والصدور تضاف الى عقول افلاك النجوم فيصبح لدينا من العقول عددا غير معروف .

فان قالوا الحركة للفلك والنجوم فى فلك واحد ثابته وحركتها بحركة الفلك كما هو قول بعضهم " ان الدوائر تتحرك فقط وان الكواكب ساكنه مشدودة مركوزه موثقه فى الدوائر تسلك بها الدوائر ".(١)

قلنا الدعوى باطله وذلك لان النجوم ليست ثابته فى فلك واحد وان ظهر ذلك من قبة السماء حيث تبدو كذلك وانما هى متحركة بسرعات مختلفة ولكن نظرا للبعد الشاسع بيننا وبينها فانا لانلحظ هذا التحرك . كما أن حركتها فى افلاكها وتغير مواقعها يحدث بنسب متقنه بحيث لايلحظ مدى الابعاد التى تحدث فيما بينها .

وام حركتها بحركة الفلك فالفلك ماهو الا مدار للجرم السماوى فى السماء بمعنى ان الفلك هو الحيز المكانى فى الفضاء الذى يشغله الجرم اثناء دورته حول جرم آخر هو مركز مداره فى الفضاء فحركة الجرم ليست

---

(١) ارسطوطاليس فى السماء والآثار العلوية ص ٢٥٩ - تحقيق عبدالرحمن بدوى - الطبعة الاولى ١٩٦١م - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

بحركة الفلك وليس الفلك مشدود مركوز موثق فى الفلك وانما هو سابح فيه

النقد العقلـــــى الفلسفـــــى :

ان التناقض واضح فى القول بالصدور حيث قالوا لايصدر عن الواحــــد الا واحد لكنهم أثبتوا أن المعلول الاول بزعمهم عقل مجرد اى بسيط غيـــر مركب قد فاض عنه عقل ونفس وفلك وهؤلاء ثلاثه وليسوا واحد " فان قيـــل ان لهذا العقل تعقلين أو ثلاثة تعقلات مما نجم عنه صدور ثلاثة من هــــذا العقل ، قلنا الأول - الاله بزعمهم - له تعقلات أيضا ، تعقله لذاتـــه وتعقله لغيره ، وله علمان ، علمه بذاته وعلم بغيره ومن ثم يلزم عــــن الاله اثنان وليس يلزم عنه صادر واحد ". (١)

كما أن هناك تناقض فى القول بالفيض فالعقل الفعال العقل الأخيـــر بسيط غير مركب اى "وجود لا فى مادة وهو يتعقل الأول مثل سابقيه فلـــم لا يفيض مثلهم عقلا آخر وهكذا" الى سلسلة غير منتهية من الفيوضات .(٢) ما هو السر فى توقف مفعول الفيض عنده ؟ ولماذا لم يصدر هذا العقـــل فيضـــــا ؟

انه تعسف يتعارض مع منطق المذهب القائـــل بالفيض والصـــــدور .

قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يـــوم القيامـــه والسموات مطويات بيمينه سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ (الزمـــــر : ٦٧) .

وقد ذهب بعض الفلاسفة واتباعهم الى ان العقول العشرة عند الفلاسفة هى الملائكة عند الانبياء زعما للتوفيق بين العقول العشرة عندهــــم

---

(١) القضاء والقدر - د. فاروق الدسوقـــــى ٢٦٣/٣
(٢) المصـــــدر السابــــق ٢٦٢/٣

والملائكة فى خلال عرضه نظرية الصدور حيث يقسم الوسائط مع الاله الى ثلاث درجات يأتى فى الدرجة الثالثة العقل الفعال فيقول " وفى الدرجة الثالثة يوجد العقل الفعال فى الانسانية المسمى بالروح القدس وهو الذى يصل السماء بالأرض " .(١)

وبالرجوع الى نصوص الوحى نجد ان الملائكة كما ورد فى القرآن الكريم فى اكثر من موضع يخالف ماذهب اليه هؤلاء الفلاسفة من كونهم عقول بالمعنى المراد من نظريتهم فقد قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير ﴾ (فاطر : ١) .

ومعلوم ان الرسول منفذ لأمر من أرسله أما أنه يفعل من تلقاء نفسه ويدبر بذاته بدون الرجوع الى آمره فذلك وصف ليس فى الملائكة وهذا يخالف لقولهم بالفاعليه لهذه العقول .

كما ان الله سبحانه وتعالى وصف الملائكة بكونهم عباد مكرمون لايسبقونه بالقول قال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ (الانبياء :٢٦-٢٧) كما ان عدد الملائكة لايعلمه الا الله وأما العقول التى قال بها أهل الفيض والصدور هى عشرة .

الفرق بين التولد والصدور :

مع كون كل من الصدور والتولد ينافى عقيدة التوحيد ويؤدى الى الشرك الا ان هناك فرقا بينهما . فالتولد وان كان يثبت نوعا من

---

(١) تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب - محمد لطفى جمعه ص ٣٥

العناية الالهية بالكون عن طريق الوسائط وهذا هو الشرك حيث الوسائط مشاركة لله فى فعله وتدبيره .

أما الصدور فانه لايثبت عناية الهيه للكون وانما ينسب كل العناية للوسائط على انها تعقل وتتشبهه بالاله بزعمهم الذى ليس له دور الافيضه الالى للعقل الأول .

المبحث الثاني

المعتقدون فى الاجرام والقائلون بنفعها

أولاً : معتقدات الصابئة فى الاجرام السماوية :

ان من مبادئ الشرك عبادة الاصنام والاوثان المتمثلة فى جوانب من اكبرها :

١ - شرك قوم نوح عليه السلام وهو عبادة القبور والأموات من الصالحين.

٢ - شرك قوم ابراهيم عليه السلام المتمثل فى عبادة الاجرام والروحانيات وعبده الاجرام السماوية وان كانوا قد اشتهروا بأسم الصائبة الا ان المفسرين قد اختلفوا فى اساس ديانتهم حسب المعنى اللغوى فى مادة صبا فقد اورد ابن فارس فى هذه المادة ثلاثة أصول منها صبأ ما يدل على الامالة وقال " فأما المهموز - صبأ - فهو يدل على خروج وبروز . يقال صبأ من دين الى دين اى خرج ، وهو قولهم صبأ ناب البعير اذا طلع .

والخارج من دين الى دين صابئ والجمع صابئون " .(١)

واختلفت أقوال المفسرين فى الصائبة كما ورد فى تفسير الطبرى وابن الجوزى .(٢)

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٣٣١/٣

(٢) جامع البيان ٣١٨/١ ، زاد المسير ٩٢/١

لكن الرازى أورد فى تفسيره قولا ورجحه . (١) ومفاده أن الصابئة قوم يعبدون الكواكب وأن لهم قولان فى ذلك .

أولا : أن خالق العالم هو الله سبحانه وتعالى الا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم .

ثانيا : أن الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب ثم أن الكواكب هى المدبرة لما فى هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض والخالقة لها فيجب على البشر تعظيمها لأنها هى الأرباب المدبرة لهذا العالم ثم أنها تعبد الله سبحانه .

وهذا القول هو المسوب لقول ابراهيم عليه السلام . وقد احدثوا عبادة الأصنام والأوثان لما كانوا يجدون صعوبة فى تتبع الأجرام السماوية عند غروبها فلم يكن لهم بد من أن يصوروا الأجرام السماوية صورا ومثلا . فصنعوا أصناما واشتغلوا بعبادتها . (٢)

وقد ورد ذكر الصابئة فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد ﴾ (الحج : ١٧) .

---

(١) تفسير الرازى ٣/١٠٥ .

(٢) اتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص ٩٠ - مراجعة على سامى النشار - طبعة ١٤٠٢ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

فهم فرقة من الملل الست ، ويظهر أن منهم مؤمنين فقد قال تعالى:

﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (البقرة : ٦٢) .

وهذا قبل شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث كانوا ينتسبون الى دين الله العام الذى أوجبه الله على جميع عباده الأولين وهو الاعتراف بواحد نيته بما يوافق الفطر .

يقول ابن تيمية فى تفسير الآية السابقة " فالذين آمنوا هم أهل شريعة القرآن وهو الدين الشرعى بما فيه من الملى والعقلى . والذين هادوا والنصارى أهل دين علي بشريعة التوراة والانجيل بما فيه من ملى وعقلى . والصابئون أهل الدين العقلى بما فيه من ملى أو ملى وشرعيات " .(١)

ويذكر الشهر ستانى (٢) أن مذهب الصابئة مداره على التعصب للروحانيين ويدعون انه مكتسب وليس فطرى . وهم مقرون بأن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان . لكنهم عاجزون عن الوصول الى جلاله فيتقربون اليه بالمتوسطات المقربه لديه وهم الروحانيون المطهرون جوهرا وفعلا وحالا .

١ - المطهرون جوهرا هم المقدسون عن المواد الجسمانية المبرؤون من القوى الجسدانيه المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانيه قد جبلوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح .

---

(١) مجموع الفتاوى ٦٤/٢٠

(٢) الملل والنحل للشهر ستانى ٥/٢ - ٨

فيعتبرون عند الصابئة هم الأرباب المتقرب اليهم والمتوكل عليهم للشفاعة عند الله وهو رب الارباب واله الالهة رب كل شئ ومليكه .

٢ - المطهرون فعلا هم الأسباب المتوسطة فى الاختراع والايجاد وتصريف الأمور من حال الى حال وتوجيه المخلوقات من مبدا الى كمال يستمدون قوتهم من الحضرة القدسية ويفيضون على الموجودات السفليه وهم ينقسمون الى ثلاثة اقسام .

أ - مدبرات الكواكب السبعة السيارة فى افلاكها وهى هياكلها فلكل روحانى هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحانى الى الهيكل الذى اختص به كالروح للجسد .

ب - مدبرات الآثار العلوية فى الجو كالمطر والرياح والبرد والصواعق والشهب ومايحدث فى الأرض .

ج - متوسطات القوى السارية فى جميع الموجودات ومدبرات الهداية الشائعة فى جميع الكائنات .

٣ - المطهرون حالا : فأحوالهم من الروح والريحان والنعمة واللذة والراحة والبهجة والسرور فى جوار رب الأرباب .

هذه معتقدات الصابئة فى الروحانيات وفى كلامهم حق وباطل . الباطل فيه اكثر من الحق ، فأما وجه الحق فهو نعتهم للملائكة بالتقديس والتسبيح والتهليل والتمجيد وأنسهم بذكر الله تعالى وطاعته فمن قائم ومن راكع ومن ساجد ، وهذا ماجاءت به النصوص عن صفات الملائكة .

أما ان الملائكة هم ارباب والهة وهم شفعاء للبشر عند الله فيجب على البشر التوجه اليهم بالعبادة بدعوى ان التقرب الى الله عن طريقهم لأنهم الفاعلين الحقيقتين لما فى هذا الكون فهذا باطل مردود بنص القرآن

قال تعالى : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبين اربابا أيأمركم بالكفر بعد اذا انتم مسلمون ﴾ (آل عمران : ٨٠) .

أما قيام الملائكة بتنفيذ اوامر الله تعالى الكونية فى الأرض فهو صحيح على شرط الاعتقاد أنهم يفعلون ذلك عن طاعة دون التصرف من ذات انفسهم وانما يرجعون فى ذلك الى الله سبحانه كما وردت به النصوص ، أما أنهم فاعلين حقيقين بحيث يكون فعلهم هذا عن محض اختيار وعدم روجوعهم الى الخالق بحيث يأخذون صفة الاله والرب سبحانه فان هذا من جنس ماذهب اليه الفلاسفة فى قولهم بالعقول العشرة هى الملائكة . وقد علم بطلان ذلك وأ نه ينافى كمال التوحيد الخالص ولايتفق مع ميزان القرآن والسنه فى صفة الملائكة بأنهم عباد الله لايعصونه وانما يأتمرون بأمرة .

ثم ان هؤلاء الصابئة الذين جعلوا الروحانيات وسائط بين الاله سبحانه وبين الانسان قد اختلفوا فى طريقه التوجه الى هذه الوسائط بحيث اتخذوا لها اشكالا يتقربون اليها . فنقسموا الى فرق وهى (١)

١ - أصحاب الهياكل : وهم من أتخذوا السيارات السبع بحيث أخذت هياكلهم اشكالا هندسية لكل هيكل شكل معين وكوكب معين .

٢ - أصحاب الاشخاص وهم من أقام الاصنام والاوثان مقام الهياكل وهو ما يتمثل فى أصنام قوم ابراهيم عليه السلام .

ويذكر الشهر ستانى ان من فرق الصابئة جماعة تدعى الحرنانية لهم مزاعم كثيرة وعنهم نشأ مذهب التناسخ والحلول وغير ذلك من المزاعم .

ثانيا : القائلون بنفع الاجرام السماوية وضرها والحكم الشرعى فيهم :

هناك صنف لا يقوم بتوجيه عبادة خاصة لهذه الاجرام وانما اعتقد

(١) الملل والنحل للشهر ستانى ٤٩/٢ - ٥٧

فى نفعها وضرها وهم على نوعين .

١ - من اعتقد فى نفع الاجرام من دون الله وان لهذه الاجرام فعل اختيارى وتأثير عن فاعلية مختارة فهذا يدخل فى حكم العابئة الذين توجهوا لهذه الاجرام بالعبادة فاشركوها بالله عز وجل .

٢ - من اعتقد فى تأثيرهامن تسخير الله سبحانه لمصلحة الانسان فانه لايدخل فى دائرة الكفر والشرك .

وقد ورد فى الحديث عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى اثر السماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب) .[1]

وقد اورد الامام النووى فى شرح الحديث أن العلماء قد أختلفوا فى كفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين .

أولا : كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الايمان ومخرج عن ملة الاسلام اذا كان الاعتقاد أن الكوكب فاعل ومدبر لذلك وهذا مذهب الجمهور .

ويذكر ابن حجر فى الفتح .[2] "أنه كفر الشرك بقرينة مقابلته بالايمان " واستدل بما رواه الامام احمد فى مسنده عن معاوية الليثى قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون الناس مجدبين فينزل الله تبارك وتعالى عليهم رزقا من رزقه فيصبحون مشركين فقيل له

---

(١) صحيح مسلم ٨٣/١ حديث رقم ١٢٥

صحيح مسلم بشرح النووى ٦٠/٢ - كتاب الايمان

(٢) فتح البارى ٥٢٣/٢

وكيف ذاك يارسول الله قال يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا) [١] ويقول الامام الشافعي " لان النوء وقت والوقت مخلوق لايملك لنفسه ولا لغيره شيئا ولايمطر ولايصنع شيئا " [٢]

ثانيا: كفر بنعمة الله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكواكب بحيث لا يعتقد تدبيرها .وقد استدل لها النووى وابن حجربأحاديث كثيرة في الباب منها في صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تر الى ماقال ربكم قال: ما أنعمت على عبادى من نعمة الا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب " .

ويذكر ابن حجر" ان الحديث يحمل على المعنيين لتناول الأمرين وذلك لأن طرق الحديث لم يقع فيها شئ بين الكفر والشرك كواسطة . ولايرد الساكت لان المعتقد قد يشكر بقلبه أو يكفر وعلى هذا فالقول فى قوله " فأما من قال " لما هو أعم من النطق والاعتقاد كما أن الكفر فيه لما هو أعم من كفر الشرك وكفر النعمة " .

ومما يدل على كفران النعمة فى نسب الغيث الى الاجرام السماوية مع عدم الاعتقاد فى تدبيرها مارواه النسائى فى سننه عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمسك الله عز وجل المطر عن عباده خمس سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة من الناس كافرين يقولون سقينا بنوء المجدح) [٣]

---

(١) مسند الامام احمد ٤٢٩/٣
(٢) الام للامام الشافعى ٢٥٢/١ - الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - دار المعرفة بيروت .
(٣) سنن النسائى ١٦٥/٣

والمجدح هو الدبران نجم من نجوم كوكبة الثور وسمى دبران لدبورة الثريا . (١)

وقد يكون كفران الشرك اذا صاحبه الاعتقاد فى تدبير النجوم . ولقد انكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الاعرابى وقد مطر الناس قوله " اجاد ما أقرى المجدح البارحة " وذلك لاضافة المطر الى المجدح .(٢)

ولقد اختلف العلماء فى كراهة قول من قال مطرنا بنوء كذا وكان قصده ان الله سبحانه وتعالى انزل المطر وقت نوء كذا اعتبارا بالعادة .

ورجحه النووى وقال " كراهة تنزيه لا اثم فيها وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم " .(٣)

---

(١) صورة الكواكب الثمانية والاربعين لابن الصوفى ص ١٥٤
(٢) الام للامام الشافعى ٢٥٢/١
(٣) شرح النووى لصحيح مسلم ٦١/٢

المبحـــــث الثالـــث

الفلسفات الالحادية الحديثة فى تفسير نشأة الكـــون :

هذه النظريات التى وضعت لتفسير نشأة الكون والتى وجد منكرو الصانع مرتكز لهم فيها تتلخص فى التفسيرات التاليـــة :

١ - نظرية الانفجار الاعظم أو نظرية الذرة البدائيـة الكبرى .

٢ - نظرية الكون الأزلى الثابت أو نظرية التجديد المستمر .

٣ - التفسير الميكانيكـــــى للكون .

النظرية الاولى " نظرية الذرة البدائيـــة":

وهذه النظرية تفيد أنه لم يكن شيئا موجودا من هذه الاجرام" شـــىء واحد كان موجودا - كرة النار المبدئية الساخنه ذات الكثافة العاليـــة التى احتوت كل المادة والطاقة فى الكون - ثم انفجرت كرة النار الـــى غازات سريعة التمدد والبرودة تتكون من البروتونات والنيوتورنـــات والأليكترونات السابحةفى بحر كثيف من الاشعاع . وفى البدايـة حافـــظ ضغط الاشعاع على انتظام التمدد ، ولكن المادة التى يتكون معظمهـــا الآن من الهيدروجيـــن مع بعض الهليوم ، بدأت فى تكوين تجمعات . وقـــد استمرت التجمعات سابحه بعيدا عن بعضها مع أن المادة فى التجمع الواحد كانت تنكمش بسبب تثاقلها الذاتى " . (١)

وعن تكوين النجوم والكواكب تفيد النظرية ان هذه التجمعات الهائلة " ابتدأت فى تكوين ملايين المجرات المنتشره فى الكون وبعد تكويـــن

---

(١) آفاق جديدة فى علم الفلك - جون برندات ، ستيفن مارات ص ١٠

المجرات ابتدأ السديم - الغازات - يتكثف الى قطع أصغر مكونا ملايين النجوم . وعندما تكونت النجوم تكونت معها او بعدها اجرام أخرى أصغر منها وصارت تدور حولها وهى ماتسمى بالكواكب " .(١)

اما عن نهاية هذا الكون فان القائلين بها قد اختلفوا فى هذه النهاية الا ان منهم من يرى ان الكون بدون نهاية رغم احتياجه الى قوة خارجية لبدايته تقول النظرية حسب من يرى ذلك " أن الكون احتاج لقوة ما خارجة عنه لبدايته لكنه مع ذلك كون أزلى ليست له نهاية " (٢)

الملاحظات على النظرية الاولى :

يلحظ على هذه النظرية من جانب عقدى وهو مايهمنا فى هذا المبحث الملاحظات التالية :

١ - ان النظرية لم تشر الى الخالق المدبر سبحانه وتعالى .والحكمة التى من أجلها تم هذا الانفجار رغم اتفاقها فى بعض الوجوه مع الأديان السماوية فى تحديد بداية للكون بمعنى ان الكون حادث .

٢ - افادت النظرية بأن الكون أزلى ليس له نهاية بمعنى انه لايلحقه العدم . وقبل الخوض فى نقد النظرية نؤد استعراض النظرية الثانية لاتفاقها مع الأولى فى جوانب كثيرة .

النظرية الثانية " نظرية الكون الأزلى الثابت" :

وسبب اقتراحها هو اعتراض على النظرية الأولى نظرية الذرة البدائية فى كون استمرار الكون الى الابد مع احتياجه لقوة خارجة عنه . وتقترح هذه النظرية " ان غاز الهيدروجين الذى يستهلك فى المجرات يتجدد

---

(١) مبادىء الكونيات - الأمين محمد كعورة ص ١٨٢
(٢) مبادىء الكونيات ص ١٨٣

فى الكون من لاشئ ، ويوفر هذا الهيدروجين المتجدد الاساس لتكوين نجوم جديدة بدلا من النجوم القديمة التى تتلاشى ، وهو ايضا يتجدد فى الفراغ الناشئ من تمددالكون وابتعاد مجراته عن بعضها . وبهذا يعمل هذا الهيدروجين المتجدد على استمرار بقاء الكون فى حالة اتزان وثبات وهذا يعنى ان الكون أزلى ، بدون نهاية ولابداية ، وهو كما كان عليه سابقا وسيستمر على ماهو عليه " .(١)

الملاحظات على النظرية الثانية :

١ - تتفق هذه النظرية مع سابقتها بعدم الاشارة الى الخالق بل وتشير الى ان الهيدروجين المستهلك من المجرات والمتجدد يوميا يوجد من لاشئ وهذا يتنافى مع القاعدة القائله بأن المادة لا تفنى ولاتستحدث بالتغيرات الفيزيائية او الكيمائية - الا ان يشاء الله - .

٢ - تتفق مع النظرية السابقة فى ان الكون غير منتهى وتختلف فى تحديد البداية فهى تقول بأن الكون ليس له بداية وهذا ما ذهبت اليه بعض الفلسفات القديمة من كون العالم قديم آزلى .

٣ - جعلت هذه النظرية الكون هو المجدد والمحدث لنفسه بنفسه مما يدل على ان القائلين بها ينكرون الربوبيه والالوهيه .

النقد العلمى للنظريتين معا :

من المعلوم علميا ان النجوم تبعث بالطاقة على شكل اشعة مرئية أو غير مرئية وعلى شكل طاقة حرارية فالشمس عبارة عن كرة ضخمة من الغازات المتوهجه " وتتولد الطاقة الشمسية نتيجة نوعين من التفاعلات الذرية أحدهما يحيل الهيدروجين الى هليوم فى قلب الشمس . ويقدر مايتحول

(١) مقتطفات من العلوم العامة - محمد روبين ادريس ص ١١٩ - الطبعة الاولى ١٩٨٤م - دار المستقبل للنشر والتوزيع - عمان / الاردن .

كل ثانية من الهيدروجين بنحو ستمائة مليون طن تصبح خمسمائة وستة وتسعين طن من الهليوم وتنطلق أربعة ملايين طن من الضوء ويقدر ماتستهلكه الشمس فى السنة بنحو واحد الى مليون من مادتها ".[١]

هذه الطاقة المفقودة لايمكن ان تسترجع الى ماكانت عليه سابقا وذلك حسب مايفيده القانون الثانى ألديناميكا الحرارية حيث يتضمن مفهومه العام حقيقة " أن الاجراءات تحدث فى اتجاه معين وليس فى عكسه "[٢] بمعنى ان الحرارة تنقل من و سط اكثر حرارة الى وسط أقل حرارة دون العكس ومعنى ذلك ان الشمس وسائر النجوم سيأتى عليها وقت تفقد جميع طاقتها وتصل الى حالة الاستقرار والنهاية وهذا دلالة على ان الكون باجرامه لابد له من لحظه ينتهى فيها وليس هو آزلى أبدى .

كما يدل ان الفلك كان له لحظه بداية بدأت فيه هذه النجوم تبعث بطاقتها على شكل أشعة وحرارة وهو ماقالت به النظرية الاولى .

كما أن هناك أثر فلكى لحركة المد والجزر التى عرضناها فى الفصل السابق تدل على أن للكون بداية ونهاية هذا الأثر ناتج من احتكاك المياه نتيجة المد والجزر " فيؤثر احتكاك المياه فى قوة دوران الأرض فيشتت منها مايقدر بنحو مليونان حصان ، حيث تدفع مياه المد خلال الممرات الضحلة الضيقه ، ونتيجه لما يضيع من قوة طاقة الدوران فان سرعة الأرض تبطىء بحيث يطول النهار بمقدار واحد الى الف من الثانية فى القرن ".[٣] وهذا معناه أنه لابد من وقت تتوقف الأرض فيه عن الحركة وتنتهى الحياة عليها .

وكذلك ما اكتشفه علماء الفلك "بأن معظم المجموعات الفلكيه التى

---

(١) الشمس فى حياة الانسان ص ٢٠
(٢) الديناميكا الحرارية - جوردون ج - فان وايلن ص ١٦٥ - ترجمة د. عبدالرزاق عبدالفتاح ١٩٧٠ م - مكتبة الخانجى - القاهرة .
(٣) الشمس فى حياة الانسان ص ٥٢

درسوها بواسطة المطياف الضوئى ـ سبكتروسكوب ـ يظهر خطوط ضوئها مائله الى الطرف الأحمر فى الطيف الضوئى . فقالوا ان لهذه المجموعات اتجاها نحو الاحمر . واستنتجوا من ذلك ان كلها تبتعد عنا وأن بعضها يبتعد عن بعض أى أن الكون بكامله يزداد اتساعا فى الواقع ".(١) مثل البالون الذى ينفخ حيث يتسع حين النفخ .

وهذا يدل على حدوث تغير كلى فى الكون ينفى القول بثباته كما ينفى القول بأزلية الكون أى منذ الأزل على ماهو عليه ذلك لان اتساع الكون باستمرار وتباعد اجزاءه . يثبت أنها كانت متقاربه وأن الكون كان فى حجم أصغر بكثير جدا من حجمه الحالى وهذا معناه بالضرورة وجود بداية للكون كما أشارة النظرية الاولى وهذا مايخبر به خالق الكون فى أكثر من موضع من كتابه العزيز .

أما بالنسبة لتدبير الله فى الكون فان المجال الفلكى اكبر شاهد على أن هذا الكون يسير حسب سنن تدل على وجود فاعل مبدع مهيمن على هذا الكون . يقول عالم الرياضيات والفيزياء ايرل تشترريكس "ان دراسة الظواهر الكونية دراسة بعيدة عن التحيز وتتسم بالعدل والانصاف قد أقنعتنى بأن لهذا الكون ألها ، وأنه هو الذى يسيطر عليه ويوجهه ، أى أن هنالك سيطرة مركزية هى سيطرة الله تعالى وقوته التى توجه الكون " . (٢)

النقد العقلى للنظريتين :

ان العقل يحكم بأن هذه الاجرام وكل ماقى هذا الكون " العالم "لايخلو من أحد وجهين :

١ ـ اما أن يكون لم يزل بمعنى أنه قديم اى ليس له بداية .

(١) الموسوعة العلمية الحديثة ـ الكون ص ٨٠
(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ص ١١٥

٢ - واما أنه لم يكن ثم كان بمعنى أنه محـــدث .

فأما النظرية الاولى فقد ذهبت الى ان لهذا العالم بداية بمعنـــى أنه محدث وأما النظريـــة الثانية ذهبت الى أنه قديم فقولهم " يستلـزم امتناع حدوث حادث ، فان القديـــم . اما واجب بنفسه أو لازم للواجب بنفسه ، ولوازم الواجب لاتكون محدثة ولا مستلزمة لمحدث ، فالحـــوادث ليست من لوازمه ، وما لايكون من لوازمه يتوقف وجوده على حدوث سبـــب حادث ، فاذا كان القديم الواجب بنفسه ، أو اللازم للواجب ، لايصـــدر عنه حادث - امتنع حدوث الحوادث " .(١)

لكن قولهم بأن الهيدروجين يتجدد باستمرار يدل على انه حادث وهـــذا تناقض فى القول لأن عبارتهم " وهو كمان كان عليه سابقا وسيستمر علـــى ما هو عليه "تدل على أن هذا الكون قديـــم .

" والقديم اما واجب بنفسه واما بغيره ... واذاكان واجبا " بغيره فلابـــد أن يكون الموجب له قديما " بالضرورة واتفاق العقلاء ... ولا يكون موجبـا " له حتى تكون شروط الايجاب قديمة أيضا "... لأن الموجب المقتضى للفاعـــــل المؤثر يمتنع أن يتأخر عن موجبه الذى هو مقتضاه وأثره معلوم بالضرورة ومتفق عليه بين العقلاء ،واذا كان ذلك فيمتنع أن يكون جميع العالـــــم واجب بنفسه ،اذ لو كان كذلك لم يكن فى الموجودات ما هـــــــــو حــــادث ".(٢)

ومنطوق النظرية يدل على أن الكون يتجدد وذلك بتجدد الهيدروجيـــــن الذى هو العنصر الأساسى فى هـذا التكويـــــــن .

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية ٣٨٩/١ - الطبعـة الاولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلميـــة - بيروت .
(٢) موافقـه صحيح المنقول لصريح المعقول ٣٩٠/١ - ٣٩١ .

اذاً فالحادث يمكن أن يوجد ويمكن الا يوجد وما كان كذلك فلايكون واجب الوجود فضلا عن أن يكون قديما أزليا .

والمشاهدات فى الكون تدل على حدوث موجودات كثيرة حدثت بعد أن لم تكن ونشهد عدمها بعد أن كانت .

وعلم الفلك يخبرنا عن تكون نجوم جديدة وتلاشى نجوم آخرى وهو ما ذهبت اليه النظرية وهذا يدلنا على عدم قدم شئ من العالم .

هذه الحوادث كانت معدومه ثم وجدت اذاً فهى مفتقره الى موجد ومحدث لكن هذا الموجد لها ليس مثل هذه الحوادث لا من كل الوجوه ولامن بعض الوجود وذلك لأن مساوته لها يلزم منه كونه محدثا وهذا يأتى بنا الى التسلسل او الدور .

اذاً فخالق الاشياء وموجدها غنى عن الحوداث وليس هو العدم كما تقول النظرية بأن الهيدروجين يتجدد من لاشئ ، لان العدم كما هو معروف لدى العقلاء ، ليس مصدر للشئ ، وفاقد الشئ لايعطيه .

اذاً فالعالم حادث مفتقر الى خالق غنى لايحتاج . هذا الخالق هو الله سبحانه الذى تدل الآثار كلها فى الكون على وجوده وغناه . القديم الأزلى المتصف بكونه الأول والأخر وكل ماسواه حادث وليس له بقاء .

التفسير الثالث لنشأة الكون " التفسير الميكانيكى " :

هذا التفسير يقوم على آساسيين آثنين :

١ - قانون الصدفة .

٢ - قانون التعليل .

يقول التفسير " ان الكون لم يكن له وجود قبل الفى مليون مليون سنه وأنه لم يكن حينئذ شئ مثل النجوم والسيارات ولكن كانت هناك المادة

التى لم تكن متجمدة بل منتشرة فى كل مكان فى الفضاء الفسيح فى صورة الذرات الاولية الأليكترونات والبروتونات كانت تغمر الكون كلـــه .

وكانت المادة فى حالة توازن تام حينئذ دون أية حركة اطلاقـــا.

وصدفة حدث خلل خفيف فى المادة الراكدة تماما كما يحدث عندمـــا يحرك أحدنا بيده مياها راكدة فى حوض من احواض المياه فان دوائـــر الحركة تكبر حتى تشمل الحوض كله . ثم استمر هذا الخلل فى الكبـــر والانتشار . وكانت النتيجة أن المادة بدأت تتقلص وتتجمع فى مختلـــف الامكنـــة وهذه المواد المجتمعة المتقلصه هى التى نسميها اليـــوم بالنجوم والسيارات والمجرات " .

كما يقرر التفسير وجوب وجود واقعة قبل حدوث واقعة أخرى حتى يمكـن ارجاع نسبة هذه الواقعة الاخيرة الى التى سبقتها .(١)

الملاحظـــــات على التفسيـــــر :

١ - يتفق مع النظريتين السابقتين فى كون العالم قديم أزلـى الا أنـــه ليس بشكله المعهود من نجوم ومجرات وانما فى بنيته الاساسيه وهـــو المادة الاوليـــة .

٢ - يتحاشى القائلون بهذا التفسير الاعتراف بوجود الفاعل الذى هـــو خارج هذا الكون والغنى عنه وهو الله سبحانــــه .

لذلك يرتبون الوقائع ترتيبا تسلسليا بحيث ان كل واقعة تكون علـــة للحادثه التاليـــه لكن يصلون فى النهاية الى الواقعة الاولـــى ويفسرونها بالصدفه المحضه التى لايقبلها العقلاء لما يرى من نظـام

(١) الدين فى مواجهة العلم - وحيد الدين خان - ص ٤٥ - ٤٦ بتصرف ترجمة ظفر الاسلام خان - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - دار النفائـــس بيروت .

الكون ودقة الابداع فيه الدالة على الفاعل المختار .

لذلك يذكر صاحب كتاب الدين فى مواجهة العلم خبرا مقتبسا عن دائرة معارف نشرت عام ١٨٧٤ مفاده .(١)

ان الفلاسفة الطبيعين وبعض علماء الكيمياء والفيزياء يعتقدون أن سببا واحدا ينتج نتيجة واحدة دائما . وأية نظرية لو أثبتت نجاحها فى مثال واحد فانه يلزم فى نظر هؤلاء العلماء ان يظل النجاح مضطردا الى الأبد .

ولهذا لم يعد هناك اى اختلاف فى العلوم الطبيعية حول قانون التعليل والاختلاف الوحيد الذى يوجد ينحصر فى دائرة المؤمنين بما بعد الطبيعة .

نقد هذا التفسير من منطوق رياضى :

ان وجود الكون الحالى بفعل قانون الصدفه لهو من الاستحاله بمكان حسب قوانين الرياضيات . فحساب الاحتمالات الذى يعتبر من اكبر فروع الرياضيات العليا يعتمد اساسا على التجارب العشوائية .

هذه التجارب معلومة النتائج مسبقا . بحيث تحصر جميع النتائج الممكنه لهذه التجارب لكن يستحيل مقدما التنبؤ بحدوث أحد الممكنات دون غيره . وبعض التقديرات العددية للاحتمالات لا تستند الى اساس رياضى ، ولكن تعتمد على احداث وخبرات سابقة مثل توقع نجاح تلميذ باحتمال سبعين فى المائه ، هذا التقدير يرجع الى تتبع الحالة التعليمية للتلميذ . وليس بالضرورة فى حساب الاحتمال " قانون الصدفه" الرياضى وقوع الحادث المنتظر لأن معنى محتمل انه قد لا يحدث . ولنضرب مثالا رياضيا على ذلك .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢

تقضى التجربة برمى مكعب ذى ست أوجه كل وجه برقم فالنتائج الممكنه هو خروج أحد الارقام من واحد الى سته خلال الرمى ، اذن نسبة احتمال خروج الرقم واحد اثناء الرمى هو السدس . اما لو كانت التجربة تقضى برمى مكعبين مختلفين فى اللون فما هو احتمال خروج الرقم واحد من المكعب الاول مع خروج الرقم واحد من المكعب الثانى ؟

نجد النتائج ليست هى من واحد الى سته بل تضاعفت بمقدار ماحاصله ستة ضرب سته أى ان نسبة خروج الوجهين المرقمه بالرقم واحد للمكعبين معا خلال الرمى هى واحد الى ست وثلاثين .

هذا المثال يوضح لنا كيفية تعقد الوقائع بنسبة كبيرة جدا فى مقابل الصدفه . فالغازات على اختلاف اشكالها يحدث فيها تركيبا لتصبح عناصر عظيمة الاهمية للحياة ، فهل يتوقع احتمال واحد على عشرة مليون أن يجتمع هذه الغازات فى تناسبها المطلوب وبجميع خصائصها اللازمة للحياة على كوكب معين بطريق الصدفه .

يقول عالم الطبيعة " آدوين فاست " بعد ان نفى كون هذا العالم بقانون الصدفه " ومهما بالغنا فى تحليل الأشياء وردها الى أصولها الأولى ، فلا بد أن نصل فى نهاية المطاف الى ضرورة وجود قوانين طبيعية تخضع لها ذرات هذا الكون ويعد ذلك فى ذاته دليلا على وجود اله قادر مدبر ، هو الذى قدر لكل ظاهرة من ظواهر هذا الكون أن تسير فى طريقها المرسوم " .(١)

ان التفسير الميكانيكى للكون لهو عاجز من اعطاء التفسير المقنع لوجود الكون ومن وراء وجوده ؟

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم . ص ١٠٠

بل قد يعود بنا الى فكرة سابقة هى تعدد الالهة . يقول صاحب كتاب الدين فى مواجهة العلم " ان هذا التفسير يقتضى وجود الهين اثنين . فمن ناحية يقدم لنا هذا التفسير نكتة قانون الصدفه لشرح الحركة الاولى التى وقعت فى المادة الراكدة ، ولكن هذا التفسير من ناحية أخرى يعجز عن تقديم تفسير مقنع لتسلسل الحركة بواسطة تلك الصدفه نفسها التى وقعت صدفه للمرة الاولى . لذلك وجب البحث عن اله آخر لشرح هذا الجزء الأخير من التفسير الميكانيكى . ذلك الاله هو مبدأ التعليل ويعنى هذا المبدأ أنه بمجرد وقوع الحركة الاولى فى مادة الكون الراكدة وجدت فى الكون تلقائيا سلسلة العلة والمعلول التى تحدث بمقتضاها كل وقائع الكون " (١) واذا كان هذا صحيحا فان كلا الالهين عاجز عن ابداع نظام الكون لأن كل منهما محتاج فالأول يحتاج من الثانى ان يكمل له عمله وفعله حتى يظهر منتظما دون خلل والثانى يحتاج الاول فى وضع اللبنه الاولى لهذا العمل، ومدام انهما محتاجان فان نظام الكون سيكون فى اختلال وفوضى وعدم انسجام لما تقتضيه اختلاف لكل منهما .

لذلك كما قلنا العقل السليم يأبى هذا ، فالعلماء الذين قاموا باكتشاف بعض قوانين الله فى الكون كقانون الجاذبية لم يذهبوا الى هذا التفسير الخاضع للصدفه والتعليل وانما اقوالهم تدل على اقرارهم بوجود الصانع .

يقول نيوتن " هذا هو اسلوب الله فى العمل فالله يجرى مشيئته فى الكون بواسطة اسباب وعلل " .(٢)

---

(١) الدين فى مواجهة العلم - وحيد الدين خان ص ٤٧ ، ٤٨
(٢) المصدر السابق ص ٤٢

الفصل الثاني

التنجيم

ويشتمل على المباحث :

أولا : ظاهرة التنجيم فى عصرنا

ثانيا: تعريف التنجيم وتاريخه واهدافه

ثالثا: التنجيم بين المشروعية والرفض

رابعا : التنجيم والعلم

خامسا: موقف العقل والدين من التنجيم

المبحث الاول

ظاهرة التنجيم فى عصرنا

بالرغم من تقدم العلوم فى جميع المجالات وبالذات علم الفلك الا ان علم التنجيم لازال يجد المكانه فى أخذ حيز من مجالات العلوم عند من يدعون الأطلاع على أمور الغيب .

ولايزال التنجيم يجد - ممن يعتبرة مصدرا من مصادر الغيب - صدرا رحبا واذناً واعية مصغيه وقلبا معتقدا ومصدقا . وذلك فى مجالات عدة من حياة الانسان كالامور الاجتماعية والسياسية وماله علاقة بحياة الانسان على وجه الأرض .

فى أبواب بعض الصحف والمجلات :

نقرأ فى أكثر الصحف والمجالات تحت عناوين تؤثر فى عواطف وعقول الناس وقد تؤثر على اعتقادتهم مثل - أعرف برجك ، أو أنت والنجوم ، أو المهن والحرف الملائمه لمواليد كل الابراج ، أو حظك اليوم - بدعوى مخاطبة النجوم ومعرفة الاسرار التى تخص حياة كل شخص فيما يتعلق بعاطفته وعمله وماله والتى اكثر ما تشغل الشخص وتجعله دائما فى خوف واضطراب ومن أمثلة ما ذكر فى ذلك تحت عنوان انت والنجوم فى بعض المجلات ما أورده الكاتب تحت بعض الابراج (١) فقال فى برج الحمل :

العاطفه : تعيش فى دوامه من الافكار وتشعر بقمامة تحيط بحياتك ستزول سريعا ربما يومى الثلاثاء والخميس ... تسمع خبرا مفرحا وتفكر بالقيام برحلة قصيرة .

العمل : لا تهمل مايجب أن تنجزه فى محيط عملك فان ذلك يترك اثرا

---

(١) مجلة النهضة العدد ١١٢٤ لعام ١٤٠٩ ص ٨٣

سلبيا لدى رؤسائك ، ستوقع على صفقة مهمة عن قريب .

يذكر في برج العذراء .

العاطفة : قديما قالوا : زرغبا تزدد حبا .. هل فهمت المعنى ؟ جو متقلب غير مستقر هذا الاسبوع .

العمل : نشاطاتك الاجتماعية قليلة ، لذلك لم تصل الى النتائج التى كنت تتوقعها ، أسبوع غير مناسب للسفر ، كن حذرا فى قيادة السيارة ليلا .

ويذكر فى برج الميزان :

المال : الزهرة ستوفر لك المال هذا الاسبوع .

الملاحظات فى هذه المقالات :

١ - نسب فاعلية مختارة للاجرام السماوية من جنس ما ورد فى الاحاديث كقول من قال سقينا بنوء المجدح .

٢ - الاحكام المذكورة غالبا تقوم على الحدس والتخمين دون الاستناد الى اى مبادئ علمية أو أسس معقولة وانما هى احكام عامة .

٣ - اثارة للعواطف بالترهيب والترغيب .

٤ - دعوة الى التشاؤم والتطير وان كان فيها جوانب من التفاؤل المبنى على اجتذاب كثير من السذج للتصديق والاعتقاد فى ذلك .

مقال جريدة المسلمون :(١)

أولا : أنتجت أحد الشركات اليابانية منجما وعرافا الكترونيا يوجه النصائح لضحاياه ويقول لهم متى يسافرون وماذا يفعلون وكيف يتخذون

---

(١) جريدة المسلمون العدد (١٧٨) - ٢٢٣ القعدة - لعام ١٤٠٨ - ١٩٨٨م

قراراتهم كما لجأت بعض الشركات الامريكية الى قراءة طالع طالبي وطالبات الزواج وادعاء القدرة على تحديد الزواج السعيد والزواج الفاشل واختيار الزوج المناسب والزوجة المناسبة . وبدأ في الأسواق طرح عراف الكترونى للجيب فى حجم الآلة الحاسبة وادعوا أيضا أنه يعرف المستقبل على أسس علمية .

ثانيا: ابتداء موسم ازدهار أعمال التنجيم وقراءة الطالع مع وصول طلائع السائحين العرب الى اوروبا فى بداية موسم الاجازات الصيفية وامتلأت الصحف والمجلات العربية التى تصدر من اوروبا ومن بعض

أسباب هـــذه الظاهـــــرة :

يمكن تعليل هذه الظواهر بالاسباب الاتيـــــــة :

أولا : الفراغ الروحى الذى يفتقر الى منهج اعتقادى صحيح وذلك فى غيـــر المسلمين أم بالنسبة للمسلمين فهو الابتعاد عن المنهج الايمانـــــى المتمثل فى الروح الاسلاميـــة والالتزام بحدود الشريعـــة .

ثانيا : الابتعاد عن مواطن الذكر وعدم اللجوء الى الله فى حالة الشـــدة فقد قال تعالى : ﴿ واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعــــوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشــــــــدون﴾ (البقـــــــرة : ١٨٦) .

وكذلك نسيان الله تعالى المنعم فى حالة الرخـــــــاء .

ثالثا : عدم الايمان بالقضاء والقدر من الله تعالى الذى هو أحــــــد اركان الايمان الستة . والايمان بانه لانافع ولا ضار الا الله سبحانــه فقد ورد فى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (كنت خلـــف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : ياغلام انى أعلمـــك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فأســـأل اللـــه واذا استعنت فأستعن بالله . وأعلم ان الامة لو أجتمعـــت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ولـــو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليـــك رفعت الاقلام وجفت الصحـــف)(١)

فاذا كانت الامة لاتستطيع ان تنفع او تضر شخص الا بارادة الله فكيـف بجرم سماوى اساس تكوينه الصخر والتراب والغاز . مكونات ليـــس

(١) سنن الترمـــــذى ٤/٦٦٧

فيها جنس الروح او العقل .

رابعا: رغم تقدم العلوم والصناعة وبخاصة علم الفلك وعلوم الفضاء الا ان كثيرا من الناس يعيشون بعقليات خرافيه فيما يتعلق بالأمور الغيبية وعدم ترك امرها لله تعالى عالم الغيب والشهادة فهم يحاولون استطلاع الغيب بأمور تتنافى مع عقيدة الاسلام .

فأستطلاع الغيب لايكون الا بطرق الوحى وأمر الوحى قد أنقطع حيث أنتهت فترة النبوة .

لذلك نجد أن العقول الشيطانية تستقل هذه العقليات الخرافيه بأسم التقدم العلمى فى ترويج اكاذيب معرفة الغيب بأنتاج الآلات الكترونيه تعمل عمل المنجم والعراف فى معرفة الغيب .

مع العلم ان الآلات - كالحاسب الآلى - لايعطى لهذه المعرفة أسسا يقنيه لأن دور الحاسب الآلى قاصر على ابراز المعلومات التى تعطى له فى الوقت المطلوب فان كانت المعلومات صحيحة كان عطاؤه صحيحا وان كانت باطلة كان عطاؤه باطلا .

لذلك نجد من يؤمن بالتنجيم والامور الأخرى التى يدعى اصحابها معرفة الغيب .

فاذا كانت العناية بالتنجيم كبيرة الى هذا الحد فيجب علينا التعرف على التنجيم وحقيقته وما موقف العقل والعلم والدين منه حتى يكون الفرد على حقيقة شبه متكاملة فى هذه الصناعة ليتضح كيفية سلوك الفرد اتجاهها فى اطار العقيدة الصحيحة والشريعة السمحاء .

المبحث الثانى

تعريف التنجيم وتاريخة وأهدافه

التنجيم فى اللغة :

أصله من مادة نجم بمعنى طلع وظهر .[١] والنجم يطلق على عدة أشياء منها النجم بتشديد النون وفتحها وسكون الجيم الوقت المعلوم ويذكر صاحب اللسان " انه من هذا المعنى سمى المنجم " . وتنجم رعى النجوم من سهر او عشق . والمنجم والمتنجم والنجام من ينظر فيها بحسب مواقيتها وسيرها .[٢]

" وتنجيم الدين : هو أن يقرر عطاؤه فى أوقات معلومة متتابعه مشاهرة أو مساناة - اى بالشهور او بالسنين - وتنجيم المكاتب ونجوم المكتابه أصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وغيرها فتقول : اذا طلع النجم حل عليك مالى "[٣]

اذاً خلاصة القول أن التنجيم فى اللغة هو مراعاة النجوم فى أوقات معلومة وحسب سيرها لغرض معين .

التنجيم فى الاصطلاح :

" احكام عقلية يراد بها الاحوال الغيبيه المستنتجه من مقدمات معلومة هى الكواكب من جهة حركاتها ومكانها وزمانها " .[٤]

وهناك تعريف اصطلاحى آخر هو ان التنجيم " علم تعرف به الافعال

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٢٩٦/٥

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادى ١٨١/٤ ، بصائر ذوى التمييز ٢٠/٥ ، لسان العرب ٥٧٠/١٢

(٣) النهاية فى غريب الحديث ٢٣/٥ - ٢٥

(٤) تذكرة داود الانطاكى ٢١/٢ ، كشف الظنون ٢٢/١

الصادرة عن الكواكب وتأثيراتها فيمادون فلك القمر وهو الأرض وما أحاط بها بالتجربة والقياس ".(١)

الملاحظ على التعريفين : -

١ - ارجاع معرفة الاحوال الغيبيه الى احكام عقليه تعود الى مقدمات متعلقة بحركة الاجرام السماوية وهذا مخالف لنصوص كثيرة من القرآن الكريم فقد قال تعالى : ﴿ قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله وما تشعرون أيان تبعثون ﴾ (النمل : ٦٥) .

وقال تعالى : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ﴾ (آل عمران / ١٨٩) .

اذاً فمعرفة الاحوال الغيبية ليست احكاما عقليه ترجع الى نتائج مقدمات تعود الى تحركات الاجرام السماوية وازمانها وانما هى وحيا من الله يجتبى من ارتضاه من عباده فيطلعه على بعض الغيب فهو سبحانه عالم الغيب والشهادة قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصد ﴾ (الجن : ٢٦ - ٢٧) .

٢ - دعوى ان علم التنجيم يقوم على التجربة والقياس . وهى تحتاج الى الدليل ذلك لان التجربة والقياس تعطى احكاما موحدة واكيدة وليست ظنية ومختلفة من شخص الى شخص وما فى صناعتهم يتنافى مع روح المنهج التجريبى القائم على التجربة والقياس ، وانما هو مصادفة

---

(١) احكام الحكيم فى علم التنجيم - عبدالفتاح السيد الطوخى ١١/١

وتخمين والدليل على ذلك ماينقل عن بعضهم على من أنكر أحكامهم ونسبها الى محض الصدفه والاتفاق حيث قال : " ان الاتفاق اذا دام ووقع فى أكثر الاحوال فهو أحد البراهين على أننا نرى أن الشمس تسخن واستمرت التجربة ان القمر يرطب . وفصول السنة تتغير ويختلف هواؤها فى الحر والبرد والانداء بحسب اتصالات الكواكب بعضها ببعض وهذا عيان لايمكن دفعه يقوم مقام البرهان " . (١)

وفى كلامه عن تتابع فصول السنة خطأ علمى قديم حيث اسند ذلك الى اتصالات الكواكب مع أن المعروف حديثا وكما ذكرنا سابقا ان الابداع الالهى فى خلق الأرض حيث جعلها تميل بزاوية معينه على محورها أثناء حركتها ودورانها حول الشمس . هذه الميزه التى قدرها الله فيها هى التى ينتج عنها تتابع الفصول وليس هو اتصالات الكواكب .

وكما ان الاستدال بالامور التى يعرفها كل شخص من حرارة الشمس وتسخينها واختلاف احوال الجو باختلاف الفصول هو من دوام الصدفه والاتفاق بحسب اتصالات الكواكب غير صحيح بل هو من اواهام الصابئة ومن سار على نهجهم . لكن الواقع ان هذه الأمور اجراها الله سبحانه وتعالى فى الكون حسب قوانين ثابته لقيام الحياة على وجه الأرض وليست الصدفه والاتفاق .

ظهور التنجيم وغايته وحقيقته :

يظهر ان التنجيم سبق علم الفلك فى الظهور ، لكن لم يكن يعرف بدايته غير أنه بدأ مع الاعتقاد فى أن مساكن الالهه هى الاجرام السماوية

---

(١) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١/١١ - ١٢

ومع بداية تصور الامم بأن هذه الاجرام فيها من الروحانيات أو أنها تتصف بالروحانيات والعقول التى تقوم بتعريف جميع الأمور على الأرض وما أحاط بها .

ويذكر صاحب قصة الحضارة تعليله بقاء علم التنجيم بقوله " فالتنجيم قد سبق علم الفلك وربما دام وجوده على الرغم من ظهور علم الفلك ذلك لأن النفوس الساذجة اكثر اهتماما بالكشف عما يخبئه لها الغيب منها بمعرفة الزمن ، فنشأت ألوف الخرافات من تأثير النجوم فى خلق الانسان ونصيبه المقدور ولايزال كثير من هذه الخرافات مزدهرا الى يومنا هذا . وربما لم تكن هذه الخرافات خرافات بالمعنى الصحيح ويجوز أن تكون ضربا آخر من الخطأ فى التعليل" .(١)

ورغم سبق التنجيم لعلم الفلك الا أنه يعتبر قديما من فروع الفلك القديم اذ لم يكن هدفا لعلم الفلك . فقد كانوا يقسمون علم الفلك الى ثلاثة أقسام هى : (٢)

أولا : علم التقويمات الفلكية حيث يعرف بها مقادير حركات الكواكب بواسطة القواعد الحسابية أو الجداول .

ثانيا: علم الهيئة وهو علم فلكى يبحث عن الاجرام الفلكية عموما من معرفة خواصها والآلات الموصلة الى هذه المعرفة مع مايشاركها من حسابات .

ثالثا: علم الاحكام النجومية أو التنجيم وهو ثمرة للقسمين السالفين اذا علمنا ذلك تبين أن موضوع التنجيم هو الاجرام السماوية وأوضاعها فى الافلاك من المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس

---

(١) قصة الحضارة ١٣٦/١

(٢) احكام الحكيم فى علم التنجيم ٥/١ - ١٢ بتصرف

والتربيع وغايته هو استطلاع الغيب فى الحوادث الواقعة فى عالمنا عالم الكون والفساد من احوال تتعلق بالجو والمعادن والنبات والحيوان وغير ذلك من احوال الانسان .

اذاً يمكن ان نقول حقيقة التنجيم محاولة استطلاع الغيب بما يظهر من آثار تتعلق بحركات الاجرام السماوية بحيث تعطى احكاما عامة تخمينيه مبنيه على الحدس والظن وأن وقع شئ من هذه الاحكام فهو من قبيل الصدفه وليس شيئا اكيدا يعتمد على التجربة والقياس كما هو زعمهم .

لذلك ينقل ابن تيميه عن احد رؤساء المنجمين فى زمانه قوله " والله انا نكذب مائة كذبة ، حتى نصدق فى كلمة ".(1) لذلك هم يحاولون التستر على معرفة هذه الصناعة لذلك يقول قائلهم " ويجب على طالب هذا العلم أن يستتر به جهد طاقته ".(2)

فروع التنجيم :

تشعبت فروع هذه الصناعة الى فروع عدة نذكر منها على سبيل المثال:

أولا : فرع الاختيارات :

" وهو يبحث عن احكام كل وقت وزمان من الخير والشر وأوقات يجب الاحتراز فيها عن ابتداء الأمور وأوقات يستحب فيها مباشرة الأمور وأوقات بين بين ثم كل وقت له نسبة خاصة ببعض الأمور الخيرية وببعضها بالشرية وذلك بحسب كون الشمس فى البروج والقمر فى المنازل والأوضاع الواقعة بينهما من المقابلة والتربيع والتسديس وغير ذلك ".(3)

لقد جعل الله سبحانه الانسان حرا مختارا فى جوانب كثيرة من حياته

---

(1) مجموع الفتاوى ١٧٢/٣٥
(2) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١٢/١
(3) مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ٣٣٥/١

وعلى أساس هذا الاختيار يحاسبه فى الآخره . لكن هذا الفرع من التنجيم يقضى على حرية الاختيار عند الانسان ، بحيث تجعل الانسان متوقفا على اتخاذ القرار المناسب حسب معطيات وعوامل وعلل مشاهدة طبيعية ، فتكون هذه القرارات مبنيه على اوهام وعلل غير ثابته أو صحيحة لأنها تخمين وظن .

ثانيا : فرع منازل القمر :

ويسمون هذا الفرع منازل المعانى [1] وهو حسبما فهمنا من تذكرة داود [2] يقسم الانسان بمقتضى التشريح الطبى الى ثمانية وعشرين قسما على عدد منازل القمر بحيث تقسم الى جزئين :

الجزء الاول يضم ست عشر قسما توزع على الاجرام السبعة كالاتى:
الشمس لها الوجه - الفؤاد - الكبد - الكليتين أما القمر فله الجلد والجمجمة وأما عطارد فله العروق والعصب كما يخص المريخ الدم والصفراء ويخص زحل الشعر والاظفار وللمشترى اعتدال الجسم وسلامته وللزهرة النفس والصورة .

الجزء الثانى يضم اثنا عشر قسما غير التى ذكرت من اعضاء الجسم فتقسم على البروج بحيث يخص كل برج عضوء من الاعضاء .

ولكل قسم من الاقسام الثمانية والعشرين حروف خاصة لكل منها اربعة طبائع حارة - يابسه - باردة - رطبه .

بحيث تستخدم الحروف وطباعها فى الطب الروحانى فاذا علم مرض عضوء من الاعضاء علم مالذلك العضوء من الحروف والعضو الذى يليه من فوقه ومن

---

(١) كشف الظنون لحاجى خليفه ١٨٢٩/٢
(٢) تذكرة داود الانطاكى ٩١/٢ - ٩٣

تحته فيجمع تلك الحروف وينظر فى كتاب الله تعالى اى آية جمعت تلك الحروف فمن توضأ وصلى ركعتين وكتبها ومحاها وسقاها أوعلقها عليه فهو يبرأ من المرض وان تداعى سائر جسده فأى آية جمعت الحروف كلها فليفعل بها كما مر وأن كان عضو من اعضاء البروج فليفعل ذلك اذا نزل به القمر فهو أقوى .

الملاحظ فى هذا الفرع هو الاستشفاء بالقرآن الكريم وهذا حق لاشك فيه فقد ورد أنه شفاء ، لكن ماهى العلاقة التى تربط بين اعضاء جسم الانسان والاجرام السماوية ، وعلاقة ذلك كله بالحروف ؟ وهل للحروف طبائع كمايقولون ؟ وما هو الدليل على ذلك ؟

كل هذه الاستفسارات تحتاج الى توضيح يخضع لمنهج تجريبى قوامه التجربة والقياس حتى نكون بذلك بعيدين كل البعد عن التخمين والحدس الذى لايؤدى الى نتائج مضمونه مما قد يجعل للانسان عرضه للاضطراب والضلال .

ثالثا : فرع الزايرجه :

وهو عبارة عن دائرة عظيمة فى داخلها دوائر متوازية للأفلاك والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم . وكل دائرة مقسومة بأقسام فلكها اما بروج او عناصر او غيرهما بحيث خطوط كل قسم تمر الى المركز ويسمون هذه الخطوط الأوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة وعلى ظاهر الدوائر جدول بيوت متقاطعة طولا وعرضا فى العرض خمس وخمسين بيتا وفى الطول مائه وواحد وثلاثين وهذه البيوت يكتب داخلها حروف واعداد وبعضها لايكتب فيه شئ وفى حافه الدائرة الكبيرة وهى الزايرجه أبيات شعرية تتضمن صورة العمل فى استخراج

المطلوب من تلك الدائرة الا آنها من قبيل الالغاز فى عدم الوضـــوح . ويعتمد استخراج المطلوب فى هذا الفرع على السؤال لاستخراج الجواب منـه وعلى تحديد البرج الطالع من الفلك للدخول فى دائرة الزايرجة . وهـذا الفرع مشروح فى مقدمـــه ابن خلدون . (١)

ويذكر ابن خلدون فى الرد على هذا الفرع مامعناه ان السر فى ذلـك استنباط الجواب من السؤال بطريقة التناسب للحروف وذلك فى الواقعـــات الحاصلـة فى الوجود أو العلم أما الكائنات المستقبلة اذا لم تعلــم أسباب وقوعها ولم يثبت لها خبر صادق فهى غيب لايمكن معرفتـه .

اذاً القصد من هذا العمل التمويه بمعرفة الغيب مع أن الغيب لايـدرك بأمر صناعى البته .

---

(١) مقدمـــه ابن خلدون ص ١١٦ - ١١٩

المبحث الثالث

التنجيم بين المشروعية والرفض

يزعم أهل التنجيم ان هذه الصناعة هى صناعة ادريس عليه السلام وكانوا يسمونه هرمس العظيم ويقال " هو الذى وضع اسامى البروج والكواكب السيارة ورتبها فى بيوتها وأثبت لها الشرف والوبال والأوج والحضيض والمناظر والتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنه والرجعة والاستقامة . وبين تعديل الكواكب وتقويمها " (١)

وقد اجاب ابن تيميه على هذا الزعم ويمكن تلخيص رده فى ذلك بالنقاط التاليه : (٢)

١ - هذا الزعم قول بلا علم لأن ذلك لايعلم الا بالنقل الصحيح ولاسبيل الى ذلك .

٢ - ان كان أصله مأخوذا عن ادريس فانه كان معجزه له وعلما اعطاه الله أياه ، فيكون من العلوم النبويه وهؤلاء يحتجون بالتجربة والقياس

٣ - ان كان بعض هذه الصناعة مأخوذ عن نبى فمن المعلوم أن فيها من الكذب والباطل أضعاف ما هو مأخوذ من ذلك النبى . وقد ثبت تحريف أهل الكتاب فى كتبهم على أنبياءهم بالكذب والباطل ، ومن المعلوم ان الكذب والباطل فى صناعة التنجيم اضعاف الكذب والباطل عند أهل الكتاب . فاذا كان الحال مع الوحى المحقق مع أنه أقرب الينا من عهد أدريس عليه السلام فما الظن بهذا القدر من الصناعة المنسوبة الى أدريس عليه السلام .

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ٤٥/٢

(٢) الفتاوى ١٧٩/٣٥ - ١٨١

٤ - لا ريب أن علم النجوم نوعان حساب - ماخص علم الفلك - وأحكام - ماخص علم التنجيم - فان كان الأول هو المأخوذ عن أدريس عليه السلام فهذا ممكن والله أعلم بحقيقة الحال وان كان الثانى فهى من جنس السحر وهذا منفى عن الانبياء لأن أضافة ذلك الى بعض الانبياء كاضافة من أضاف ذلك الى سليمان عليه السلام وقد نفاه الله عنه .

أما أدلتهم فى الأخذ بهذه الصناعة فهى تنقسم الى ادلة عقلية وادلة شرعية ولابد من استعراض هذه الادلة حتى نكون على علم بمدى قوتها ومصداقيتها وهل لهم فيها أسس يقنيه يقيمون عليها هذه الصناعة أم لا .

الادلة العقلية :

وهى تتفرع الى اتجاهين . مايختص بالقوى الفعالة السماوية ومنها مايختص بطبائع الاجرام الفلكية .

أولا : مايختص بالقوى الفعالة السماوية فلهم فى ذلك دليلان هما (١)

الدليل الاول :-

القول بوجود ارواح عاليه هى المدبرة لأحوال هذا العالم ولايتم احداث شئ غريب فى هذا العالم الا بالاستعانه بتلك الارواح لأن هذه الارواح هى جواهر للافلاك . أو القول بأن حدوث الحوادث فى هذا العالم منوطه ومربوطه بالحركة المستديرة الفلكية المبرأة عن الانقطاع والتغير وحيث ان الاجرام الفلكية تحتوى على الكواكب التى يحصل من تحركها نسب مختلفة تكون مبادئ لحدوث الحوادث فى عالم الكون والفساد .

---

(١) المطالب العالية من العلم الالهى للرازى ١٤٩/٨ - ١٥٢ بتصرف

الدليل الثانى :-

هناك احوال كثيرة فى هذا العالم مرتبطة بأحوال الشمس فى كيفية حركتها تحت منطقة البروج وهى بهذه الحركة تصير تارة شمالية وتارة جنوبية ولأجل هذا الاختلاف تحصل الفصول الأربعة وبسببها تختلف احوال العالم وأيضا بسبب طلوعها وغروبها فى اليوم تختلف احوال العالم وهذا استقراء قوى وبيان تام فى اسناد احوال هذا العالم بحركات الكواكب .

أما الدليل الاول فهو من اقوال الفلاسفة القائلين بأزلية الفلك والاجرام السماوية وأن حركتها اختيارية ودائمة لاتنقطع أبدا . وأن لهذه الافلاك عقولا وانفسا . وقد أبطلنا هذه الاقوال سابقا بنتائج علم الفلك . أما ان المقصود بالعقول والارواح الفلكية هى الملائكة فالملائكة من عالم الغيب وهم رسل الله وسفرته الى خلقه لهم مهمات يقومون بها امتثالا لأمر رب الكون وخالقه ولايخرجون عن أمره فى تدبير الكون ، أما الكواكب والنجوم فهى من عالم الشهادة . فاذا كان العلم بالملائكة ليس له مصدر الا الوحى . فان الوحى لم يذكر لنا ان الملائكة هى أرواح النجوم والكواكب . لذلك فهو رجم بالغيب ليس له أساس من عقل أو دين أو تجربة .

كما أن الملائكة عباد مخلوقين والمخلوق حادث اى له بداية وله نهاية سواء طالت مدت حياته أو قصرت .

أما الدليل الثانى :- وهو مايسمونه الحجة الاقناعية فهو صحيح فيما أثبتوه من آثار للشمس ناتج عن حركتها كاختلاف الفصول وتتابع الليل والنهار وأن حياة الأنسان تتأثر بهذه الآثار ، لكن الخطأ فى عملية

التعميم بحيث اسندوا آثارا جميع الكواكب فى حياة الانسان ناتجه عن حركتها ، وأن هذه الآثار تتعدى الى اشياء ليس لها علاقة بالكواكب ولا بحركتها كالموت والحياة ووقوع الحروب والفتن والأمن وليس لهم دليل من موضوع الفلك يسعفهم لاثبات ذلك .

ثانيا :

مايختص بالطبائع الفلكية والكواكب " ان الطريق الى ذلك أحد أمور ثلاثة : القياس والتجربة والوحى " (١)

ان القياس والتجربة ادلة عقلية مقنعة لكن بشرط خضوع الدعوى لها بحيث يتيسر لكل فرد ان يحكم باجابة واحدة مقنعة ، بمعنى ان تكون نتائج القياس والتجربة واحدة لاتختلف من شخص لآخر ومن بيئة الى أخرى لأن القياس والتجربة من مناهج البحث التى لاتخضع لها الامور النسبيه فلو وصفنا بأن كوكبا من الكواكب طبيعته السعادة والنحاسة ، فان هذه دعوى لاتخضع لقياس او تجربة وذلك لأن السعادة او النحاسة أمور نسبية بين مفاهيم الناس .

يقول قائلهم فى افراح الكواكب الموافقة للبروج " فرح عطارد فى الطالع وفرح القمر فى الثالث وفرح الزهرة فى الخامس وفرح المريخ فى السادس وفرح الشمس فى التاسع وفرح المشترى فى الحادى عشر وفرح زحل فى الثانى عشر فأى كوكب يوجد فى هذه البيوت فهو فرحان وهى من الحظوظ الصغرى للكواكب . " (٢)

أمور لاتخضع لتجربة أو قياس ، لكنها دعوى مبنية على اوهام قديمة فى كون الاجرام السماوية ذات عقول وانفس وارواح التى اثبت العلم

---

(١) المطالب العالية فى العلم الالهى للرازى ١٥٩/٨

(٢) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١٠٧/١

الحديث فى الفلك بطلانها .

أما طريق الوحى فليس المقصود به الوحى الذى ينزل على الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، لأنه لايوجد فيما نزل عليهم مايثبت دعوى احكام النجوم التى يقول بها المنجمون انما المراد بها مايلهم به المنجم من أمور غيبيه . يذكر عن بعضهم " أنه لما بلغ فى تصفيه النفس ورياضة الذهن لاحت له من الصور الفلكيه ما لايمكن وصفه ".(١)

ومن هذا الطريق تدخل الخرافات والاوهام ، لأنه لايوجد ضابط له وهنا يتوقف دور العقل حتى صدور النتيجة فان وافق الواقع حكم بالصحة وان لم يوافق حكم بعدمها .

اذن العملية اساسا تقوم على الحدس والتخمين ومحض الصدفة فى حصول الامر أو عدم حصوله من وقوع الكوكب الفلانى فى البرج الفلانى مع أتصاله بآخر فى الوقت الفلانى .

الادلة الشرعية :

اما ادلتهم الشرعية التى يزعم المنجمون أنها ادلة على صحة التنجيم فمنها الآيات القرآنية ومنها الاحاديث النبوية ومنها الآثار عن الصحابة والتابعين .

الآيات القرآنية :

احتجوا بأغلب الآيات الخاصة بالفلك مع أنه ليس لهم فيها حجة على صحة احكام النجوم منها الآيات التى وردت فى معرض القسم ببعض الاجرام السماوية كقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (الواقعة : ٧٥ - ٧٦) . وقوله تعالى :

---

(١) المطالب العالية ١٦٠/٨

﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾ (التكوير : ١٥ - ١٦) وقوله تعالى : ﴿ والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ﴾ (الطارق : ١ - ٣) .

وليس فى هذه الآيات دلالة على احكام النجوم وانما هى دلالات على قدرة الله وبديع صنعه التى أوضح لنا منها علم الفلك الحديث جوانب كثيرة وبالذات مايخص المواقع والابعاد الشاسعة التى بينها وان لهذه الاجرام انواع وصفات لم يكن يعرفها البشر قبل تقدم علم الفلك فى هذا العصر والتى تدل دلالات أكيده على عظم خالقها وبديع صنعه أما بالنسبة لشرفها فالله سبحانه اقسم باشياء اخرى غير هذه الاجرام مما ليس له تعلق بها ولله ان يقسم بما شاء من خلقه .

كما احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام وقومه ﴿ فنظر نظرة فى النجوم . فقال انى سقيم . فتولوا عنه مدبرين ﴾ (الصافات : ٨٨ - ٩٠) . بأن خليل الرحمن قد تمسك بعلم النجوم واحكامها حين قال " انى سقيم " وقد ذكر الرازى للعلماء فيها وجوها منها

" ١ - ان قوم ابراهيم عليه السلام كانوا أصحاب النجوم يعظمونها ويقفون بها على غائب الامور فلذلك نظر ابراهيم عليه السلام فى النجوم اى فى علوم النجوم وفى معانيها لا أنه نظر بعينه اليها وانما اراد ان يوهمهم أنه يعلم ويتعرف من حيث يتعرفون حتى اذا قال انى سقيم سكنوا الى قوله .

٢ - لانسلم ان النظر فى علم النجوم والاستدلال بمقايستها حرام لأن من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بقوة وبخاصية لأجلها يظهر منه أثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل وأما

الكذب فغير لازم لأنه ذكر قوله انى سقيم على سبيل التعريض بمعنى أن الانسان لاينفك فى أكثر احواله عن حصول حالة مكروهه اما فى بدنه أو فى قلبه وكل ذلك سقم" . (١)

فالجواب على هذا ان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون عن الخطأ والكذب وقول الزور وعدم اعتمادهم فى تبليغ أمره والدفاع عن دينه بما يخالف أمر النبوة . فالقول بأنه عليه السلام نظر فى علم النجوم وفى معاينته ليس من النبوة فى شئ والا فكيف يفرق بين معجزة النبى وبين قول الساحر حيث قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ان علم احكام النجوم شعبة من السحر (من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد) (٢) وأما ماأورده القرطبى فى تفسيره عن ابن عباس " كان علم النجوم من النبوة فلما حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون أبطل ذلك فكان نظر ابراهيم عليه السلام فيها علما نبويا" . (٣)

هذا الاثر لم يرد فى كتب التفسير وبالذات الكتب المعتمده كما انه بغير اسناد يرفعه الى ابن عباس/فبهذا يكون الأثر مشكوك فى صحته وفى نقله عن ابن عباس كما أنه يتنافى مع ماهو معروف عن النبوة التى تثبت فيها المعجزة للانبياء بدون الاعتماد على مصادر غير يقينيه فى احكامها ، وكيف يكون التنجيم من النبوة وهو شعبة من السحر ؟

ولكن الاصح فى حق هذا النبى ان يؤخذ المعنى على مراد يوافق ماشرف به من نبوة ورسالة وهو ان العرب تقول لم تفكر أنه نظر فى

---

(١) تفسير الرازى ١٤٧/٢٦

(٢) سنن ابن ماجه ١٢٢٨/٢

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٩٢/١٥

النجوم ، والقرآن قد نزل بلغتهم ونقل ذلك ابن كثير عن قتادة وقال " يعنى قتادة أنه نظر الى السماء متفكرا فيما يليهم فقال انى سقيم أى ضعيف ". [1] حيث انه اعتذر عن الخروج معهم الى عيدهم نظرا لما يجده من تضايق فى نفسه من عمل قومه ولم يكن كذبا انما كان صادقا فى ذلك ، لأن الضيق فى النفس والقلب يمرض صاحبه ويسقمه . أما حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (لم يكذب ابراهيم عليه السلام الاثلاث كذبات) .[2] فقد ذكر فيه العلماء انه ليس من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله . ويذكر ابن حجر قوله " واما اطلاقه الكذب على الامور الثلاثة فلكونه قال قولا يعتقده السامع كذبا لكنه اذا حقق لم يكن كذبا لأنه من باب المعاريض المتحمله للأمرين فليس بكذب محض ". [3]

ولقد ترجم البخارى فى الصحيح لأحاديث كثيرة تدخل فى هذا الجانب فى كتاب الأدب - باب المعاريض مندوحة عن الكذب بمعنى الفسحة والمتسع اذا الآية " فنظر نظرة فى النجوم " ليس فيها دلالة على الأخذ بصناعة التنجيم .

الاحاديث النبوية :

اما احتجاجهم بالآحاديث فذلك ماوجدناه فى أحد كتبهم [4] منها ايراد خبر عن بعض الكتب المنزلة عن الله تعالى (أنا الله الذى لا اله الا انا وحدى لاشريك لى محمد المختار عبدى ورسولى أمته الحامدون رعاة الشمس) ثم استشهد بالحديث (ان خير عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر لذكر الله) وهذا الحديث فى الحليه لابى نعيم وعند

---

(١) تفسير ابن كثير ١٣/٤

(٢) صحيح البخارى ١٧١/٤ كتاب بدء الخلق - باب . واتخذ الله ابراهيم خليلا
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣٨٨/٦ كتاب الانبياء .

(٣) فتح البارى ٣٩١/٦

(٤) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١١/١

الحاكم عن ابن ابى او فى بلفظ (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خيار عباد الله الذين يرعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله) . (١)

وذكر ابو نعيم "ان الرواية وردت مرفوعة وموقوفه "وقد تابع الذهبى الحاكم وقال" اسناد صحيح " كما روى الحاكم موقوفا على ابى الدرداء قوله (ان احب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى الناس والذين يرعون الشمس والقمر) .(٢)

فالاحاديث ليس فيها دلالات على التنجيم وانما المراد ذكر الله وبالاخص فى اوقات الصلاة فانها مرتبة بأزمان تتعين بحركة الشمس اليوميه والقمر . وما يؤيد هذا ما ذكره صاحب المقاصد " ان الطبرانى روى فى معجمه الاوسط عن أنس بن مالك يرفعه " لو اقسمت لبررت أن أحب عباد الله الى الله لرعاة الشمس والقمر - يعنى المؤذنين - وأنهم ليعرفون يوم القيامة بطول اعناقهم " .(٣) وهو بمعنى رواية الحاكم عن ابى الدرداء رضى الله عنه . كما احتجوا بحديث عبدالله بن مسعود قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابى فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فأمسكوا). (٤) وقال ابن القيم فى المفتاح " ان الحديث لم يثبت ولو ثبت لكان حجة عليه لاله اذ لو كان علم الاحكام النجومية حقا لاباطلا لم ينه عنه النبى صلى الله عليه وسلم ولا أمر بالامساك عنه .

فانه لاينهى عن الكلام فى الحق بل يدل على أن الخائض فيه خائض فيما

---

(١) حلية الاولياء لابى نعيم الاصفهانى ٢٢٧/٧ ، مستدرك الحاكم ٥١/١

(٢) مستدرك الحاكم ٥١/١

(٣) المقاصد الحسنه للسخاوى ص ٢٠٢ - حديث رقم ٤٤٩

(٤) حلية الاولياء ١٠٨/٤ وقد حكم ابو نعيم على غرابة الحديث .

لاعلم لـه بـه " [1] . وأما احتجاجهم بنهيه صلى الله عليه وسلم عن استقبال الشمس والقمر واستدبارهما عند قضاء الحاجه . فانه لم يثبت ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه شئ ، وانما هى اراء لبعض الفقهاء فى ذلك فقد ذكر ابن القيم والشوكانى انه لم ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك كلمة واحدة لا باسناد صحيح ولاضعيف ولامرسل وليس لها أصل فى الشرع وأن ذلك من غرائب أهل الفروع والحديث مكذوب على الرسول صلى الله عليه وسلم . ويقول الشوكانى" وأعجب من ذلك الحاق النجوم النيرات بالقمرين فان الاصل باطل فكيف بالفرع ؟ " [2]

آثار الصحابه والتابعين :

اما احتجاج بالآثار عن الصحابه والتابعين فما اورده صاحب الاحكام [3] منها :

١ - ماروى عن على رضى الله عنه " من اقتبس علما من علوم النجوم من حملة القرآن ازاد به ايمانا ويقينا " .

٢ - ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما " علم النجوم هو علم من علوم النبوة وليتنى كنت احسنه " .

٣ - ماروى عن ميمون بن مهران " اياك والتكذيب بالنجوم فانه علم من علوم النبوة " .

هذه الآثار الوارده فى هذا المجال تخالف هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ولايعقل من الصحابه والتابعين مخالفة هدى الرسول صلى الله عليه وسلم .

فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد حكم على ان من أقتبس شعبة من النجوم والمراد به التنجيم قد اقتبس شعبة من السحر فكيف يكون من

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢١٤/٢

(٢) المصدر السابق ٢٠٥/٢ ، السيل الجرارالمتدفق على حدائق الازهار للشوكانى ٧٠/١

(٣) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١١/١

حملة القرآن ازداد به ايمانا ويقينا .

كما ان الخبر الوارد عن علي بن ابى طالب رضى الله عنه يتنافى مع انكاره على المنجم الذى حاول منعه من الخروج لقتال الخوارج بحجة أنه لن ينتصر لأن القمر فى برج العقرب فكذبه وخرج وقاتل وانتصر وقال للمنجم " ماكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأبى بكر ولا لعمر منجم بل أخرج ثقة بالله وتوكلا على الله وتكذيبا لقولك " (١) فنصره الله وأخزى عدوه .

واما الادعاء بأن احكام النجوم من النبوة فهذا لم يرد به خبر صحيح من كتاب الله أو سنه رسوله صلى الله عليه وسلم أو اجماع من المسلمين . مع مافى التنجيم من مخالفة للنبوة حيث فيه من الحدس والتخمين بمعرفة الغيب عن النجوم ، والغيب لله سبحانه وتعالى يختص به من شاء من عباده علما يقينا وليس علما ظنيا والصحابه والتابعين رضوان الله عليهم يعلمون علما جازما ان التنجيم يخالف هدى النبوة فكيف يليق بهم الادعاء بأنه من علم النبوة ؟

هذا ماتيسر لنا من ادلتهم العقليه والشرعية .

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/١٢٥

المبحث الرابع

التنجيم والعلم

من المعلوم ان للعلم مجالات لاتخرج عن ثلاث اتجاهات هى مجال الالوهية مجال الكون ، مجال الانسان . وعن طريق ترابط هذه المجالات وتفرقها تنتج فروع العلم .

ومعرفة الغيب من العلم الالهى . والتنجيم هو اصدار احكام غيبية تخص حياة الانسان ونسبها الى بعض اجزاء الكون وهى الاجرام السماوية وأنها هى الفاعله مع ان هذه الافعال من صنع الاله .

اذاً فالتنجيم يبحث فى علاقة الانسان بالالوهية فى مجال الكون . فهو يعتبر بذلك فرعا من فروع العلم له علاقته بالعلوم الاخرى .

وقد يقول قائل كيف يكون التنجيم علما وهو يقوم على الحدس والتخمين فيقال الحدس والتخمين هو ظن وقد ثبت ان الظن علم ، كما تقول هذا يفيد العلم الظنى . وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (ما اقتبس رجل علما من النجوم الا اقتبس بها شعبة من السحر ..) (١)

فالرسول صلى الله عليه وسلم سماه علما وعده شعبة من السحر ولايخفى ان السحر علم بنص القرآن قال تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنه فلا تكفر .. ﴾ (البقرة : ١٠٢)

اذا مادام التنجيم علم ، فهل هو من الظنى البحت ، أم فيه جانب

---

(١) مسند الامام احمد ٢٢٧/١

من اليقين ؟ وما علاقته بالعلوم الاخرى ؟

أتضح لنا من التعريف الاصطلاحى للتنجيم أنه عبارة عن احكام عقلية مرتبة على مقدمات معلومة عن الاجرام السماوية يتعرف بها عن تأثيرات هذه الاجرام فيما دون فلك القمر بحيث تكون الاحكام العقلية أمورا غيبية. اذاً فالامور اليقينية فى هذا العلم مايتعلق بالمقدمات وما وقع تحت التجربة والقياس. اما الاحكام الظنية هو الاحكام المتعلقة بالامور الغيبية التى لاتعد مجالا للتجربة والقياس.

فعلى سبيل المثال مايذكر فى دلالة الكسوف والخسوف حينما يقع فى الابراج "اذا وقع الكسوف فى برج الحمل دل على اتضاع الذهب والفضة وحصولها بيت الاموال هلاك الأموال وقلتها ، فان نظره زحل من تثليث أو تسديس دل على صلاح احوال الملوك وحسن معالجتهم لاعدائهم وان نظرة من تربيع أو مقابلة اسرت اعداؤه بينهم وحدثت الحروب . واما المشترى ان نظر الى موضع الكسوف من اى موضع كان ذلك زيادة فى عز الملوك وادخل السرور والظفر والا من عليهم .." (١)

من هذا يتضح المراد فحادثه الخسوف والكسوف للنيرين حادثه مضبوطة تقع خلال زمن معين يمكن معرفتها عن طريق القياس والتتبع والتجربة ، كما ان معرفة الابراج الموافقة فى الطلوع للحادثتين ومعرفة طلوع الكواكب الاخرى لها بقياس الزوايا للاوضاع من التسديس والتربيع والتثليث ، حيث تقسم الكرة السماوية ثلاثمائه وستين درجة يحسب سدس وربع وثلث هذا المقدار لمعرفة موضع الكواكب الموافق طلوعه فى البرج للحادثتين، أمور مضبوطه يقينيه لوقوعها تحت القياس والتجربة وهى نتائج صحيحه

---

(١) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١٤٦/٤

لعلم الفلك بمناهجه الحديثه وهى كذلك نتائج معلومة لعلم الهيئة الفلك - عند المسلمين .

لكن الامور الظنيه حينما يستخدم المنجمون هذه المقدمات الصحيحه لاستنباط أمور واخبار غيبيه عن مستقبل الانسان فى أحواله الاخلاقيه والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية فان هذا نوع من التنبوء الباطل بالغيب ، اذ لاتوجد اى رابطة بين المقدمات الصحيحة المتعلقة بالفلك وبين مايقوله هؤلاء المنجمون وذلك لأن الجهة منفكه بين المقدمات والنتائج .

وان قال قائل من المعروف ان الشمس بحرارتها تؤثر فى أمزجة الناس وبالتالى تؤثر فى اخلاقهم وحياتهم قيل ان كان ذلك مما يقع تحت القياس والتجربة كما هو شرطكم فهذا مقبول ، كاختلاف عادات الشعوب نظرا لأن اجواء بلدانهم تختلف من حرارة وبرودة والتى لها علاقة بالشمس فهذا أمر محسوس وليس فيه أمر غيبى ، اما اذا كان الأمر فيه شئ من الغيب بحيث لايقع تحت تجربة وقياس وملاحظة مستمرة ينتج عنها حكم قطعى فهذا مجرد حدس وتخمين .

علاقة التنجيم بالعلوم الاخرى :

تتضح علاقة التنجيم بالعلوم فى فرعين من فروع العلم هما علم الفلك والسحر .

أولا : العلاقة بعلم الفلك :

يعتبر علم الفلك اساسا لعلم التنجيم وان كان التنجيم متقدما عليه لكن ليس كل ما فى علم الفلك يحتاجه التنجيم وانما جوانب من علم الفلك يعتمد عليها التنجيم . فمثلا أنظمة المجرات ، ومكونات الاجرام السماوية

والسرعات الحقيقية ، ومواقع النجوم الحقيقية ، ودوران المجرات كل هذا لاتجده فى كتب التنجيم . وانما غالبية مايحتاجه التنجيم من الفلك الحركات الظاهرية للنيرين والكواكب فى البروج والمنازل ، وبعض الآثار المتعلقة بهذه الحركات .

كما أن روح الفلك القديم تظهر بوضوح فى جانب التنجيم . أما المعلومات الحديثه فى علم الفلك وان كانت تتفق فى بعض الأساسيات مع علم الفلك القديم الا جانب التنجيم لايبدو فى انسجام مع المعلومات الحديثة فى الفلك .

فمثلا نجد فرقا واضحا فى اصطلاح نجم وكوكب فى العلم الحديث لكن فى القديم نجده فى أغلب الاحيان بمعنى واحد . ومما يدل على ذلك ما ثبت حديثا فى علم الفلك من ان الشمس نجم من النجوم يحتل المركز فى النظام الشمسى ومن حوله تسع كواكب . اما فى الفلك القديم فالشمس هى أحد الكواكب السبعة وهو المعتبر فى التنجيم ومما يدل على ذلك ماورد فى كتاب احكام الحكيم فى علم التنجيم (1) جدول يعرف منه ما للكواكب السبعة من الجواهر والطعوم . الخ .

فنجد فى الجدول ان الكواكب السبعة هى زحل ـ المشترى ـ المريخ الشمس ـ الزهرة ـ عطارد ـ القمر ـ بنفس فكرة الفلك القديم للكواكب واعتبار القمر كوكبا مستقلا مع انه تابع لكوكب الأرض .

واذ عدنا الى التعريف الاصطلاحى للتنجيم وموضوعه تبين لنا ان علم التنجيم لايعتمد على كل المعلومات الفلكية ، وبالاخص المعلومات الحديثه ، وانما على جزئيات من علم الفلك . فالتعريف يبين ان الاحكام

---

(1) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١٤٧/١

النجوميه مستنتجه من الكواكب من جهة حركاتها ومكانها وزمانها .
اى الحركات الظاهرية ومكانها وزمانها بالنسبة للبروج والمنازل .

وفى التعريف الآخر يقول معرفة الافعال الصادرة عن الكواكب وتأثيراتها فيما دون فلك القمر .

اذن الجوانب المستفادة من علم الفلك فى التنجيم هى :

١ - الحركات الظاهرية للكواكب بما فيها النيرين وعلاقة ذلك بالبروج والمنازل .

٢ - التقويمات الفلكية المعتمدة على الحساب فى تحديد ساعات الطوالع والبروج والمنازل والاعتماد على بعض اجهزة الرصد .

٣ - التأثيرات الفلكية فيما دون فلك القمر . مع العلم ان غالبية التأثيرات المشار اليها فى علم التنجيم ليس لها دليل من علم الفلك ، كالتأثير على الاضطراب والأمن فى دولة من الدول .

ثانيا : علاقة التنجيم بالسحر :

يختلف كثير من الناس فى التعريف الاصطلاحى للسحر وكذلك فى حقيقته وانواعه لكن اغلب المصادر ، اذا لم تكن كلها ، تجمع على ان من انواع السحر ماله علاقة بالنجوم واحكامها . ويرون ان من رياضة السحر التوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية بأنواع التعظيم .

ويذكر الرازى أن النوع الأول من انواع السحر والذى يعتبر أعظمها قوة وأشدها تأثيرا - على مايقال - السحر المبنى على مقتضيات احكام النجوم . ويقول بعد ان ذكر اقسام السحر " واعلم ان شيئا من هذه الاقسام لايتم ولايكمل الا عند الاستعانه بالسحر المبنى على النجوم " (١)

---

(١) المطالب العاليه من العلم الالهى ١٤٣/٨ - ١٤٦

هذا ما تذكره المصادر عن علاقة السحر بالتنجيم ، الا أن العبارة الاخير من كلام الرازى بان أى قسم من اقسام السحر لايتم ولايكمل الا بالاستعانه بالسحر المبنى على النجوم فهذه عبارة لا نعرف مدى صحتها وانما أمرها يرجع لأهل هذا الفن . المهم عندنا القول بأن النجوم واحكامها لها علاقة بالسحر ومصداق هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم (من آقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)(١)

ويذكر الجصاص ان علوم أهل بابل قبل ظهور الفرس والتى يعتمد عليها سحرهم الحيل واحكام النجوم وغيرها . وكانوا يعبدون أوثانا قد عملوها على اسماء الكواكب السبعة وجعلوا لكل واحد هيكلا فيه صنمه ويتقربون اليها بضروب من الافعال حسب اعتقاداتهم من موافقة ذلك الكوكب المطلوب من الدخن والرقى والعقد والنفث عليها . وجميع تلك الرقى بالنبطيه تشتمل على تعظيم الكواكب الى مايريدون من خير أو شر ومحبة وبغض . فهذا أصل سحر بابل ومع ذلك كانوا يستعملون سائر وجوه السحر والحيل .(٢)

ويذكر ابن خلدون ان نفوس السحرة مراتب ثلاثة هى :

١ - نفوس مؤثرة بالهمة من غير آلة ولا معين .

٢ - نفوس مؤثرة بمعين من مزاج الافلاك أو العناصر أو خواص الاعداد

٣ - نفوس مؤثرة بالقوى المتخيله .

ويقول " ان الفلاسفه يفرقون بين التأثير الأول والتأثير الثانى فالأول يسمونه سحر وهو اتحاد روح بروح ، والثانى الطلمسات وهى اتحاد روح بجسم ، ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية بالطبائع السفلية والطبائع العلوية هى روحانيات الكواكب . ولذلك يستعين

---

(١) سنن ابى داود ١٦/٤

(٢) احكام القرآن للجصاص ٤٣/١ - ٤٥

صاحبه غالب الامر بالنجامه ". (١)

ويذكر القرافى فى الفروق ان الطلمسات لها تعلق بالأفلاك والكواكب كما انه قسم السحر الى ثلاثة انواع نوع منها له تعلق بالآثار السماوية من الاتصالات الفلكيه وغيرها من احوال الفلك . (٢)

اذاً فخلاصة القول هو ان التنجيم يعتبر من آكبر الفروع التى يعتمد عليها السحر سواء كانت الطلمسات فرع من فروع السحر أم لم تكن .

---

(١) مقدمه ابن خلدون ص ٤٩٦ - ٥٠٣
(٢) الفروق للقرافى ١٣٧/٤ - ١٤٢

المبحث الخامس

موقف العقل والدين من التنجيم

لأحد ينكر ما لهذه الاجرام السماوية من أثر فى حياة الانسان على الأرض منها ماورد به العلم على وجه التجارب والقياس والتتبع بحيث يقطع بصحة ذلك ومنها ما ثبت بادلة شرعية .

فقد ورد عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم نظرا الى القمر فقال (ياعائشه استعيذى بالله من شر هذا ؟ فان هذا الغاسق اذا وقب) (١) وقد ذكر الترمذى ان هذا الحديث حسن صحيح .

ولفظه وقب" كلمة تدل على غيبة شىء فى مغاب . يقال وقب الشىء: دخل فى وقبه . ووقب القمر وقوبا دخل فى الظل الصنوبرى الذى يكسفه"(٢) وهو مايحدث فى حالة خسوف القمر عندما يقع فى ظل الأرض . وقد ورد فى احاديث الكسوف ان الله سبحانه يخوف بهذه الحادثه عباده حتى يلجأوا اليه .

لذلك ورد الامر الشرعى بالصلاة والذكر حتى ينجلى . والرسول صلى الله عليه وسلم حينما أمر عائشة رضى الله عنها بالاستعاذه من شر القمر اذا وقب فهو من جنس هذا . كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم الاستعاذة من شر الريح وشر ما أرسلت به وهذا من الاستعاذة السابقة وليس المراد انه فيه دلالة على احكام النجوم والأخذ بها .

لذلك نجد ان للعقل والدين موقوفا من التنجيم .

---

(١) مسند الامام احمد ٦١/٦ ، سنن الترمذى ٤٥٢/٥ ، مستدرك الحاكم ٥٤١/٢

(٢) مقاييس اللغة ١٣١/٦ ، لسان العرب ٨٠١/١

أولا : موقف العقـــــــــل :

ان العقل يقف من احكام المنجمين موقف الرفض وعدم الرضا عن هـــذه الاحكام . وذلك لاختلافهم حول قواعد واصول علمهم. من هذه الاختلافات على سبيل المثال الاختلاف فى تأثير الاجرام السماوية فمن اقوالهم التى ذكرها الالوسى فى تفسيره (١)

١ - أنها تؤثر بطبائعهـــــــا .

٢ - لاتؤثر ولكن تدل بطبائعهـــــا .

٣ - تؤثر فى البعض بالعرض وفى البعض بالذات .

٤ - تؤثر بالاختيار لا بالطبع الا ان السعد لايختار الا الخير والنحـــس لايختار الا الشـــر .

٥ - لاتؤثر بالاختيـــــار بل تدل بـــــه .

٦ - منها ماهو سعد ومنها ما هو نحس وهى تسعد غيرها وتنحســـه .

٧ - هى طبيعة واحدة وانما تختلف دلالتها .

٨ - تؤثر فى الابدان والانفـــس جميعـــا .

٩ - تؤثر فى الانفس دون الابدان .

١٠ - كما اختلفوا فى ذكورة وانوثة الابـــــراج .

وغير ذلك من أوجه الاختلاف حتى أن بعض الفلاسفة القائلين بروحانيـــة الكواكب قد زيف أمرهم وأبطله وقال أحدهم " أعلم انك لو قلبت أوضــــاع المنجمين فجعلت الحار باردا والبارد حارا والسعد نحسا والنحس سعـــــدا والذكر أنثى والأنثى ذكرا ثم حكمت لكانت احكامك من جنس احكامهم تصيـــب تارة وتخطىء تارة ".(٢)

---

(١) روح المعانى للالوسى ١٠٣/٢٣
(٢) المصدر السابـــــق ١١٥/٢٣

وقد يقول قائل اذا كان هذا الكلام صحيحا فكيف أنتشر في عصرنا الحديث هذا العلم وأخذ الطابع العصري بحيث اصبح تحديد الطالع واصدار الاحكام النجومية عن طريق استخدام الحاسب الآلي .

وهذا الانتشار انما يدل على ان العقل يقر هذا ويقبله وان هذا علم له أصوله وقواعده نقول هذا الكلام عن انتشار هذا العلم صحيح ، بحيث آخذ الطابع العصري . لكن المروجين له ليس مقصودهم قبول العقل اورده أو صحة الاعتقاد فيه وانما المراد من هذا الترويج هو الكسب المادي الاقتصادي فقط ، بحيث يستغلون حب الناس لاستطلاع الأمور الغيبيه فيوهمونهم بأن هذا أمر منطقي مقبول لاستدرار الاموال الطائله التي تعود بالربح على مصنعي الالات العصرية التي تستخدم في هذا المجال واستغلال النظم العصرية في ذلك . مع ان الحاسب الآلي كما ذكرنا سابقا ليس له دور في اعطاء الاحكام الصحيحة . فحسبما تعطى له المعلومات يكون عطاءه .

وما دام المنجمون متناقضين ومختلفين حول أسس علمهم وأصوله أختلافا كبيرا من غير دليل يمكن معه ترجيح الرأى الاصح ، فأن ذلك مما لا يعول عليه في شئ ولايقبله العقل ولايقره . لذلك يذكر عن بعض الفلاسفة قوله " انه لاسبيل الى اليقين بمعرفة تأثير الكواكب " (١) .

ثانيا : موقف الدين الاسلامي من التنجيم :

ان الدين الاسلامي لايمنع تعلم الأمور الفلكية كعلم قائم بذاته باعتبار أنه أحد الدعائمات التي جعلها الله سبحانه دلائل للخلق للتعرف عليه سبحانه كما قال سبحانه ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم

---

(١) روح المعاني للالوسي ١٢١/٢٣

حتى يتبين لهم أنه الحق او لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣) .

وعلم الفلك هو جزء من آيات الآفاق . كما أنه يفيد فى معرفة عدد السنين والحساب وأوقات الصلاة والحج والصوم .

أما تعلم الاحكام النجومية والتى يرد بها استطلاع الغيب فان الاسلام لايقره . فنجد فى النصوص الشرعية النهى حتى عن مجالسة اصحاب النجوم - اى المنجمون - فقد ذكر الامام احمد فى مسنده وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه حيث قال : (ياعلى اسبغ الوضوء وان شق عليك ، ولا تأكل الصدقه ، ولاتنزل الحمير على الخيل ، ولاتجالس اصحاب النجوم) . [1] فاذا كان النهى عن مجالستهم فما بالك بمن يعمل عملهم .

وذكر الالوسى فى تفسيره . أن الفقهاء أختلفوا فى أمر التنجيم لكن الجمهور على تحريمه [2] لما فى ذلك من المحاذير التاليه .

١ - اعتبر الشرع احكام النجوم من شعب السحر كما قال صلى الله عليه وسلم (من أقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد) [3]

وحيث ان النصوص الشرعية قد ذمت السحر وجعلت عدم الفلاح لأهله كما قال تعالى حكاية عن موسى وقومه ﴿ فلما جاءهم الحق منعندنا قالوا ان هذا لسحر مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولايفلح الساحرون ﴾ (يونس : ٧٦ - ٧٧) .

وقال تعالى لموسى ﴿ والق ما فى يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث أتى ﴾ (طه : ٦٩) .

---

(١) مسند الامام أحمد ٧٨/١

(٢) روح المعانى ١٢١/٢٣

(٣) مسند الامام احمد ٢٢٧/١ ، سنن ابى دواد ١٦/٤ ،سنن ابن ماجه ١٢٢٨/٢

وقد أتضح من اختلاف أهل التنجيم على أصول علمهم عدم فلاحهم .
والانسان يسعى فى هذه الارض لاكتساب الفلاح والنجاح .

٢ - يؤدى الى الاعتقاد فى تأثير الكواكب بنفسها ، وهذا يتنافى مع ماجاء فى نصوص الوحى بأنها مسخرة لما اراده منها خالقها سبحانه

٣ - كما تؤدى هذه الاحكام الى التشاؤم والتطير وقد نهانا الشرع عن التشاؤم والتطير الذى يؤدى بالانسان الى ترك العمل خوفا مما سمعه فقد أورد الامام مسلم فى صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمى حينما سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الطيرة فقال (ومنا رجال يتطيرون قال - قول النبى - ذاك شئ يجدونه فى صدورهم فلا يصدنهم ...) [1] .

كما ذكر البخارى فى صحيحه من حديث عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صفة السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال (هم الذين لا يسترقون ولايتطيرون ولايكتوون وعلى ربهم يتوكلون ...) . [2]

ولأن الطيرة تؤدى الى الشرك فقد ورد عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الطيره شرك - ثلاثا) وقال ابن مسعود " وما منا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل ".[3]

٤ - ما قد تؤدى به من اضرار اجتماعية وسياسية وغير ذلك فمثلا يذكر ابن خلدون - ماينشأ عنها كثيرا فى الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الاعداء والمتربصين بالدولة الى الفتك والثورة - ويقول "وقد شاهدنا من ذلك كثيرا " . [4]

---

(١) صحيح مسلم ٣٨٢/١ حديث رقم ٣٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى ٢٢/٥
(٢) صحيح البخارى ١٦٣/٧ كتاب الطب باب من اكتوى اوكوى غيره
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١٥٥/١٠ ، حديث رقم ٥٧٠٥
(٣) سنن ابى دواد ١٧/٤ - عون المعبود ٤٠٥/١٠ - ٤٠٦ .
(٤) مقدمه ابن خلدون ص ٥٢٢

الفصل الثالث

عبادة الاجرام السماوية

ويشتمل على المباحث :

أولا : عبادة النجوم

ثانيا : عبادة الشمس

ثالثا : عبادة الكواكب

رابعا : عبادة القمر

عبادة الاجرام السماوية :

ان اعتقادات الناس فى الأوثان وفى الاجرام السماوية لا زالت الى يومنا هذا . ففى بعض دول العالم وبالذات الدول ذات الكثافة السكانية كالهند والصين وغيرها من بلاد شرق آسيا تنتشر عبادة بوذا .

ويرى بعض دارسى العقائد ان ديانة بوذا قد تكونت على أساس اساطير الشمس القديمة . (١)

كما أن دولة اليابان على قدر تقدمها فى مجالات العلوم بحيث تعتبر من الدول الصناعية المتقدمة ، الا ان اعتقاداتهم فى الاجرام لازال كماهو على عهد القدماء . فهم يعتقدون ان امبرطور اليابان هو ابن اله الشمس . يقول صاحب قصة الحضارة فى ذلك نقلا عن اقدم مادون فى اليابان من تاريخ " فى البداية كانت الآلهه تولد ذكرا وانثى ثم تموت حتى صدر الأمر فى النهاية من شيوخ الآلهة الى أثنين منهما هما - ايزاناجى ، ايزانامى - وهما أخ وأخت من الآلهة أن يخلقا اليابان فوقفا على جسر السماء العائم وقدفا فى المحيط برمح مرصع بالجوهر ، ثم رفعاه الى السماء فتقطرت من الرمح قطرات أصبحت هى الجزر المقدسة ، وشهدت الآلهة ماتصنعه الضفادع فى الماء ، فتعلمت منها سر اتصال الذكر بالأنثى ومن ثم التقى ايزاناجى وايزانامى التقاء الزوجين وأنسلا الجنس اليابانى وولدت أماتيرا سو - الاهة الشمس - من عين ايزاناجى اليسرى وكذلك حفيدها ننيجى ، فنشأت سلسلة متصلة مقدسة حلقاتها هم أباطره اليابان العظمى . فمنذ ذلك اليوم حتى يومنا هذا لم تشهد اليابان الا هذه الاسرة الحاكمة الامبراطورية " . (٢)

---

(١) قصة الحضارة ٨٦/٣

(٢) المرجع السابق ٨/٥

واذا حاولنا معرفة أسباب انتشار هذه العبادات التى لايزال بعضهـا موجودا الى يومنا هذا . نجد أن من أهم هذه الاسباب ، الفطرة التى لم تسلم من الخلل ، يصحبها الخوف وبالذات من الموت ، وكذلك الدهشة من الحوادث التى تحدث فى الكون والتى لها علاقة بالاجرام السماوية ، مما دفع الانسان للبحث عن علل هذه الحوادث التى كثيرا ما تخفى على الانسان ، وبخاصة فى عصر التخلف الحضارى فيؤدى به الى وصف هذه الاجرام بصفات التقديس التى لاتليق الا بالحق سبحانه وتعالى .

فقد يصفها بالروحانيات والعقول ويتجه اليها بنوع من شعائر العبادات ومظاهر الاجلال التى لاتليق الا بالخالق سبحانه .

وقد لايكون هناك نوع من مظاهر عبادية ، وانما هى اعتقادات فى نسبة الفاعلية المستقلة لها . ومن ثم ينتج عن ذلك سلوك معين من الخوف والرهبة التى لاتكون الا لله .

وربما كان هذا الخوف من نوع الخشية على المصالح مما ينتج عنه نوع من التشاؤم والتفاؤل فى الأقدام على الأعمال او الأحجام عنها .

وقد ثبت ان للعرب قبل الاسلام اعتقادات فى النجوم كما ذكرناها سابقا .

المبحث الأول

عبادة النجوم :

سنخص بالذكر عبادة النجوم عند العرب لكون القرآن قد ذكر نجم الشعرى ردا على بعض القبائل العربية التى اتخذته الها وربا فقال سبحانه وتعالى فى كتابه ﴿ وانه هو رب الشعرى ﴾ (النجم : ٤٩) .

وهو اسم بالعربية لنجمين يقال لهما الشعرى اليمانية او العبور والشعرى الشاميه او الغميصاء " ويزعم العرب انهما اختان فأقبل نجم سهيل من ناحية اليمن واقبلت الشعريان من ناحية الشام حتى أنتهى الفريقان الى شاطئ المجرة فخطبهما سهيل فاجابتاه فعبرت اليه الشعرى اليمانية ولم تستطع الشامية ان تعبر فقعدت تبكى حتى غمصت عيناها اى سال غمصها من شدة البكاء " (١)

ويذكر ابن الصوفى ان القصه هى " ان الشعريين هما اختا سهيل وأن سهيل تزوج بالجوزاء فنزل عليها وكسر فقارها وظهرها فهوهارب نحو الجنوب خوفا من ان يطالب بكسر الجوزاء ولاذ بكبد السماء وان العبور عبرة المجرة الى سهيل وتسمى اليمانية لأن مغيبها فى شق اليمن وتسمى العبور" . (٢)

- اما الزعم الوارد فى دائرة المعارف الاسلامية من ان الشعرى أصلها غير عربى وانهما المرزبان فى لغة العرب فغير صحيح . لان المرزبان نجمان آخران غير الشعرى - المهم انه كان للعرب اعتقادات اسطورية فى هذه النجوم كاعتقاد المنجمين فى الكواكب . حتى أن احدهم لايتحرك

---

(١) دائرة المعارف للبستانى ١/١٥٧ ، ٤٩٥
(٢) صورة الكواكب الثمانية والاربعين ص ٢٨٨

ولايسكن ولايسافر ولايقيم الا بنوء نجم معين .

وكان من شأن الشعرى أن عبدته بعض القبائل العربية ونقل القرطبي والالوسى عن السدى أن من عبدها من العرب حمير وخزاعه .(١)

ويذكر ابن الاثير ان المشركين من أهل مكه ينسبون النبى صلى الله عليه وسلم الى ابى كبشه الخزاعى كان خالف قريشا فى عبادة الاوثان وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبى صلى الله عليه وسلم فى عبادة الاصنام شبهوه به .(٢) .

وذكر فى دائرة المعارف ان طيئا تكرم نجم سهيل اكراما كثيرا فهم يعتقدون بأنه المكفل بأمورها ويقولون ان له اعظم تأثير سعيد على النبات . (٣) .

ومن النجوم التى أعتقد العرب قبل الاسلام فى فاعليتها المستقلة وثم عبدوها . الدبران ، والثريا والمرزم .

فالدبران كانت تعبده قبيلة كنانه وطائفه من تميم . كما ان طيئا عبدت الثريا الى جانب عبادة سهيل . كما ان بعض قبائل ربيعة عبدت المرزم . كما شاركت خزاعة فى عبادة الشعرى بعض قبائل لخم وقريش . (٤)

والدبران هو ما تسميه العرب بالمجدح وهو يتبع الثريا . لذلك سمى دبران لدبوره الثريا .

ويذكر ابن العوفى ان هناك فرجه بين مغيب الثريا ومغيب الدبران تقدر بست درجات من درجات البروج يسميها العرب الضيقه ، لأنهم يستعملون

---

(١) تفسير القرطبى ١١٩/١٧ ، تفسير الالوسى ٦٩/٢٧

(٢) جامع الاصول فى أحاديث الرسول ٢٧٣/١١ ، ويرجع هامش سيرة ابن هشام ١ ، ٤٧٨/٢ ، والروض الانف للسهيل ٢٢٨/٢

(٣) دائرة المعارف للبستانى ١٥٧/١٠

(٤) د راسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، د. السيدعبدالعزيز سالم ص ٤٢٦

نوأها وسقوطها فى المغرب بالغدوات عند طلوع رقبائها وظهورها من تحت الشعاع .

ولقد استنحسوا هذه الضيقه واستنحسوا الدبران أيضا مفردا ، وتشائموا به حتى قالوا ان فلانا أشأم من حادى النجم . كما يتشائمون بالمطر الذى يكون فى نوئه ويزعمون ان سنتهم جدبه فى ذلك .(١)

اما الحديث الذى اورده الامام احمدفى مسنده والطبرانى فى الصغير عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (اذا طلع النجم رفعت العاهة عن كل بلد) وفى رواية احمد أيضا (ماطلع النجم صباحا قط وتقوم عاهة الا رفعت عنهم أو خفت) (٢) والنجم هو الثريا .

فالمقصود ان النجم علامة لارتفاع عاهات الثمار وليس المؤثر فيها وما يؤيد ذلك ماحدث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس حال بيع الثمار يحتجون بعاهات تعيب الثمار فى حال التقاضى . فأشار عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لاتباع هذه الثمار الا فى حالة الصلاح . فكان زيد بن ثابت يتحين طلوع الثريا حيث يدل طلوعها على صلاح الثمار من الأصفر والأحمر . وهذه الحادثه اوردها الامام البخارى فى صحيحه فى كتاب البيوع باب بيع الثمار قبل أن يبدوء صلاحها .

وطلوع الثريا يوافق اوائل الصيف حيث يشتد الحر فى بلاد الحجاز وينضج الثمر . ويقول ابن حجر " فالمعتبر فى الحقيقة النضج ، وطلوع النجم علامة له " . (٣)

ويؤيد ذلك مارواه الامام احمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال

---

(١) صور الكواكب الثمانية والاربعين ص ١٥٤ - ١٥٥
(٢) مسند الامام احمد ٣٤١/٢ ، ٣٨٨ ، معجم الطبرانى الصغير ٤١/١
(٣) فتح البارى ٣٩٥/٤

(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار حتى تذهب العاهه)

فلما سئل ابن عمر متى ذاك قال "حتى تطلع الثريـــــا " (١)

اذاً فقد تبين ان المقصود من الحديث ليس كما كان يعتقده العرب قبـــل الاسلام فى النجوم وبالذات نجم الثريا من الفاعلية المختارة التـــــى تستلزم الاتجاه لهذه النجوم بنوع من العبادة ، وانما هى علامه يهتـــدى بها على ذلك ، فيكون المضمون أن هذا مما يهتدى به من حركات النجوم كمـــا قال تعالى : ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ (النحـــل : ١٦) .

فالانتفاع بمنازل النجوم كدلالة على الفصول ومواعيد الزراعة والحصاد حلال مباح لاغبار عليـــــه .

---

(١) مسنـــد الامام احمـــــد ٥٠/٢

المبحث الثاني

عبادة الشمس :

كان أكثر انتشارها فى البيئات الزراعية كبلاد الرافدين ، ومصر ، واليمن ، والهند واليابان وقد كانت متأخرة عن عبادة القمر .

وربما أدى الى انتشارها مالاحظه الانسان البدائى من أثر للشمس على نمو النبات . أى حينما حلت الزراعة محل الصيد . يقول صاحب قصة الحضارة " ولم يكن كثير من الالهة فيما بعد سوى تشخيص للشمس وتجسيد لها . وكذلك استبقت العصور الوسطى بقية من عبادة الشمس فى الهالات التى كان الناس يصورنها حول رءوس القديسين وامبراطور اليابان فى أيامنا هذه معدود عند معظم شعبة بأنه تجسيد لاله الشمس" . (١)

عبادة الشمس فى اليمن :

قال تعالى حكاية عن الهدهد الذى ذهب الى مملكة سبأ واتى بخبرهم الى نبى الله سليمان ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون ﴾ (النمل :٢٤) فعبادة الشمس شاعت فى اليمن خلال العصور القديمة والآية توضح سجود الناس للشمس آيام حكم بلقيس على دولة سبأ .

فقد كانت الديانه اليمنية القديمة قبل الاسلام ديانة فلكية ، تقوم على عبادة آلهة تجسدها اجرام سماوية . ومهما أختلفت أسماء الآلهة عند قبائل اليمن وممالكها الا أنه يمكن ادراجها تحت أحد اجزاء ثالوث يتكون من الزهرة والشمس والقمر . وقد رمزوا اليها بصفات متعددة .

(١) قصة الحضارة ١٠٣/١

ونظرا لتأنيثهم الشمس بعكس السامين فى الشمال فقد كانت كل الاسماء المؤنثه فى النقوش صفات للشمس .

فهى عند المعينين نكرح وهو أسم يصعب تعليلة أو تفسيره ، وعند السبئين ذات حميم ، وذات بعدن وذات غضران ، وذات برن ، وعند القتبانيين ذات صخرن ، وذات رحبن .

ولم تكن تصور الالهة فى تماثيل وأشخاص غير ان النقوش دلت على ان ديانة اليمن كانت تتمثل فى الديانة الفلكية وذلك ماوجد من رموز مثل رسم قرص الشمس والهلال بصورة خاصة فى المباخر التى تستخدم لحرق البخور . (١)

ويظهر ان الوثنية اليمنيه تأثرت بوثنية بلاد الرافدين حيث ان الاجرام السماوية كان مصدرها الصابئة وبقايا الكلدانيين . وعن أهل اليمن أخذ عرب الشمال هذه العبادة التى تمثل الثالوثى الذى أحد اعمدته الشمس والتى كان يمثلها الاله شمس وهو أقل مرتبه من الاله القمر ، كما كانت تسمى اللات والالهه وهى فى نظرهم زوجة القمر ومنهما ولد عثتر وهو الزهرة .

اما الشمس فصنم عبده العرب قبل الميلاد وبه تسمى كثيرا من الاشخاص وقد ذكر الاخباريون أن أول من تسمى به سبأ الاكبر لأنه اول من عبد الشمس . (٢)

ويذكر الامام البخارى فى ترجمة عمران بن ملحان العطاردى قوله " وانما سمى بنى عبد شمس لأنهم كانوا يعبدون الشمس " . (٣)

---

(١) تاريخ اليمن القديم - محمد عبدالقادر بافقيه ص ٢١٢ - ٢١٤ بتصرف
(٢) دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٤٠٩ - ٤١٠ بتصرف
(٣) التاريخ الكبير ٤١١/٦

عبادة الشمس فى بلاد الرافدين :

كانت الشمس تعرف - بأوتو - عند السومريين فى بلاد الرافدين وهى تعتبر عندهم ابن الاله نانا وهو القمر ، وربما كانت الشمس هى أحد الالهة السبعة عندهم التى كانت تقدر المصائر .

وكانت الالهة عندهم تفضل كل ما هو اخلاقى وروحى فهى تمجد على أنها محبة للخير والصدق والحقيقة والأمانة .

وكان الاشراف على النظام الاخلاقى عملا رئيسا لعدد من الآلهة منها الاله الشمس أوتو . حيث كان يرتبط اسم هذا الاله دائما بالشرائع والقوانين . ففى سنه حموا ربى مثلا ، ترى الملك يتسلم الشريعة من يد هذا الاله المتربع على عرشه . كما أن من اعماله مقاضه الموتى ويشاركه فى تقدير مصير المتوفى الاله القمر نانا ، فمن كانت المقاضه لصالحه فان روحه تعيش بسعادة ورضا وتحصل كل ماترغب فيه . (١)

كما أن الاساطير السومرية تحكى عن هذه الالهه وكأنها بشر تنطبق عليها حياة البشر تماما ، وهو مايلاحظ فى اشعارهم وترانيمهم وقصصهم عنها .

عبادة الشمس فى مصر :

آخذت الشمس أسماء أخرى عرفت بها كآلهه منها رع ، وكذلك أتون وربما هو أوتو كما عند السومريين .

وكان يعبر به عن القوة الكامنه فى قرص الشمس . وقد بنيت له المعابد والهياكل .

---

(١) السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم ص ١٦٣ - ١٨٠ بتصرف

ولعل الفكرة القائمة فى اليابان من آن الامبرطور هو ابن الشمس لم تكن هى الوحيدة ، فقد ادعى احد الفراعنه الذين دعوا الى عبادة الشمس المسمى أتون انه ابن الشمس ، وهو وحده المكلف بعبادته ، أما الناس فكانوا يعرفون آتون بعبادتهم لابنه .

ويرون انه بهذا الاله عاشت الاسماك والوحوش والزواحف والنبات .

ويقول نشيدهم فى هذا الاله آتون . (1)

" أنت تطلع ببهاء فى آفق السماء * يا آتون الحى يابدايه الحياة

عندما تبرغ فى الافق الشرقى * تملأ كل البلاد بجمالك

أنت جميل ، عظيم ، متلألىء ، وعال فوق كل بلد

وتحيط آشعتك بالأراضى كلها التى خلقتها . لأنك أنت " رع " وتصل الى نهايتها . وتخضعها لابنك المحبوب ".

ويلاحظ فى هذا النشيد وصف الاله الشمس - على حد زعمهم - بأنه الخالق يقول النشيد " أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء ، انك أنت الذى يجعل من البذرة السائلة انسانا " . كما يثبت العناية بالانسان للشمس مع آنها عناية الله سبحانه بهذا الانسان فى جميع مراحل حياته من قبل ولادته حتى بعد وفاته يقول النشيد " انك انت الذى يعنى بالطفل فى بطن آمه وأنت الذى يهدئه بما يوقف بكاءه ، لأنك تعنى به وهو فى الرحم . أنت الذى يعطى النفس ليحفظ حياة كل من يخلقهم " كما يستطرد النشيد فى وصف الاله آتون بصفات لاتليق الى بالله سبحانه " أيها الاله الأوحد الذى لاشبيه له . لقد خلقت الدنيا كما شئت ، عندما كنت وحدك " ويقول النشيد أيضا " أنت الذى صنعت الدنيا بيديك . وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم .

---

(1) مصر الفرعونيـة - احمد فخرى ص ٣٠٩ - ٣١٥

فهم يحيون عندما تشرق ، ويموتون عندما تغرب ، انك الحياة بعينها "
يلاحظ من هذا النشيد الشرك فى الربوبيه حيث وصف الاله آتون - الشمس - بأنه الخالق - كما وصف بصفات تخص الله جل جلاله لكونه رب العالمين كالعناية بالخلق .

وهذا مخالف لقول من قال - ان الناس مقرة بتوحيد الربوبية - حيث ان من خصائص الربوبيه الخالقيه والعناية بالخلق من نفع وضر لكونه سبحانه النافع الضار . اذاً يكون توجيه معنى قوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون ﴾ (لقمان : ٢٥) .
وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ (الزخرف : ٨٧) . انه خاص بالعرب فى جاهليتهم - فى آقرارهم بالخالقيه لله ولايعم كل الشعوب لأن غير العرب نسب الخالقيه لغير الله ، مع ان العرب ليسوا موحدى ربوبيه لكونهم نسبوا النفع والضر لآلهتهم .

عبادة الشمس فى الهند :

هناك من توجه الى الشمس بالعبادة وزعموا أن الشمس ملك من الملائكة ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكون الموجودات السفليه وهى ملك الفلك مُتستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء وهؤلاء يسمون الدينيكتيه أى عباد الشمس .

وقد اتخذوا صنما بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص قد بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعا وقربانا ، وله سدنه وقوام فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات . ويأتيه أصحاب الامراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفون به . (١)

---

(١) الملل والنحل للشهر ستانى ٢٥٨/٢ بتصرف

وكان أعظم آلهة تدمر [١] واقواها جميعا الالهة شمس والاله بعـــل وكان من أجمل مبانى مدينة تدمر وأعظمها هيكل الشمس الذى شيد للثالوث الأعظم بعل وبرهبول الشمس وأجبليبول القمر . وبعل عندهم هو الـــه الشمـــس [٢] .

وقد يطول بنا الكلام عندما نحاول استقصاء عبادة الشمس قديما . لكن نقول ان آثارها لازلت الى يومنا هذا فى شرق آسيـــا .

---

(١) تدمر مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيـام معجم البلدان لياقوت الحموى ١٧/٢

(٢) قصة الحضارة ١٢٣/١١ ، ١٢٤ ، دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٨٩

المبحث الثالث

عبادة الكواكب :

ورد ذكرها فى القرآن فى قصة قوم ابراهيم عليه السلام حيث كانوا يصنعون اصناما وتماثيل تمثل فى نظرهم الكواكب يتوجهون اليها توجها كاملا على أنها أرباب تغفر وتنفع وتخلق وتحى وتميت من دون الله .

وهم من الصابئة أصحاب الاشخاص الذين قالوا لابد من التقرب اليها لتقربنا الى الهياكل التى بدورها تقربهم الى الروحانيات بزعمهم ، وبالروحانيات يتقربون الى الله سبحانه . وهو ما أشتهر من ديانة السومريين والبابليين فى بلاد العراق القديمة التى كانت موطن سيدنا ابراهيم عليه السلام الذين اشتهروا بعبادة الهة كثيرة منها الكواكب الخمسة - زحل - المشترى - المريخ - الزهرة - عطارد .

ولقد حاج ابراهيم قومه فى ذلك ، وورد ذكر ذلك فى مواضع كثيرة من القرآن قال تعالى حكاية عن ابراهيم وقومه ﴿ اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباء نالها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآوباؤكم فى ضلال مبين ﴾ (الانبياء : ٥٢ - ٥٤)

كما ان لهذه الالهة المزعومة اوصاف ذكرها صاحب الجواهر فى تفسيره (١) وهى :

المشترى معظم عند البابليين وهو عندهم الرب العظيم وملك الآلهة والاله المجيد والقاضى القديم وقاضى الالهة وبكر السماء وملكها ورب الحروب ، ورب الكائنات ورئيس الالهة والهها .

---

(١) الجواهر فى تفسير القرآن - طنطاوى جوهرى ٢١٥/١٠

زحل يصفونه بأنه الجبار المحارب الظافر قاهر العصاه والرب القدير قاهر الخارجين وهومعظم عند الأشوريين واكثر البابليين وله صورة ثور ورأس أنسان وجناح طائر .

المريخ اله الحرب والصيد والرجل العظيم البطل القدير ملك الحرب المهلك جبار الآلهة وله صورة أسد ورأس أنسان وجناحا طائر .

الزهرة ملكة الحب والجمال وكانوا يعبدونها عبادة خاصة فاحشة ، كما كانت تعبد عند الفينقين واليونان والرومان ، ويجعلها هؤلاء أيضا آلهة الحرب ويقرنونها مع آشور ورئيسه السماء وملكة الالهة والآلهات .

عطارد اله الحكمة والفهم والتعليم ورسول الآلهة وتارة يقولون رب الآرباب الذى لا مثيل له فى القدرة حارس السموات والأرض الذى يسلم الملوك صولجان الملك .

ثم أن هذه الالهة كانت تصنع من الحجارة والمعادن فيكون البدن بدان حيوان والرأس رأس أنسان له جناحا طائر .

وربما كان أبو الهول الذى يعتبر من آثار مصر من هذا القبيل . ويعبدون هذه الاصنام فى معابد خاصة وينشدون الأناشيد ويذبحون الذبائح ويقربون القرابين .

" وقد كان العرب يقدمون القرابين لآلهتهم ويسيرون فى مواكب حول معابدهم وكان المنذر بن ماء السماء فى الحيرة يقدم - يذبح - كثيرا من أسرى المسيحيين لكوكب الزهرة وهو مايسمى بالاله فينوس . كما كان عرب شبه جزيرة العرب يقدمون القرابين البشرية لنفس الكوكب ".(١)

وأشتهر كوكب الزهرة عند اليمنين قديما بالاله عشتر كما ورد فى

(١) تاريخ الاسلام د.حسن ابراهيم حسن ٧٢/١

النقوش . وكما ورد فى تركيب بعض اسماء الافراد مثل ـ أوس عثـــت ، لحى عثت ـ كما أضيف الى ذلك الكوكب اوصاف مختلفة مثل ـ ذو فيـــض ، شرقن ـ وقد كان هذا الكوكب المسمى بعثتر المعبود المشترك لكل قبائـل اليمــــن . (١)

وقد كان لهذه العبادات بيوت خاصة . مثل بيت غمدان بمدينـــــه صنعـاء اليمن المبنى على اسم الزهرة والذى ضربه المسلمون بأمر الخليفـه عثمان بن عفان رضى الله عنه . (٢)

ويذكر الشهر ستانى أن هناك من زعم " ان بيت الله الحرام انمـــا هو بيت لكوكب زحل بناه البانى الأول على طوالع واتصالات مقبوله وسمـــاه بيت زحل ، ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقـــاء لأن زحل يدل على البقاء وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب"(٣) وهذا كذب منافى لما فى التاريخ الصحيح .

كما أن هناك ادعية خاصة كان يتوجه بها الى هذا الكوكب . ذكـــر منها صاحب التذكرة عن ابن سيناء فى كتابة الكنوز بعض الدعوات مثل .(٤)

دعوة الزهـــرة : " أيتها السيدة المباركة الرطبة المعتدله اللطيفـــه العطرة الحسنة الخلقه الضاحكة صاحبة الحلى والزينة والذهب والفضـــه والطرب والسماع الذى به الجيدان صاحبة اللعب والمزاج القاهر الطالبـــة الهائلة المتأكدة عاملة المحبة حرة النكاح صاحبة السرور ، أسالـــك ان تفعلى لـــى مقصودى باذن اللــــه ".

دعوة عطارد : " أيها السيد الصادق الفاضل العادل الناطق البهيـــج

---

(١) تاريخ اليمـــن القديـــم ص ٢١٢
(٢) الملل والنحل للشهر ستانى ٢/٢٣٤
(٣) المصدر السابـــق نفس الصفحـــة
(٤) تذكرة داود الانطاكـــى ٣/٣ ـ ٤

النظر العالم الكاتب الحاسب صاحب الخبث والمكر والدهاء والمساعد للفنون الصادق الفاضل اللطيف الخفيف فلا يعرف لك طبع ، ولطفت فلم يوجد لوصفك حد وأنت مع السعود سعد ومع النحوس نحس ومع الذكور ذكر ومع الاناث انثى ومع النهارية نهاري ومع الليلية ليلى ، تمازجهم فى طباعهم وتشاكلهم كل لك ، أسألك أن تفعل لى مرادى بأذن الله " .

والملاحظ فى هذه الدعوات هى نفس الاوصاف التى يستعملها المنجمون فى طبائع الاجرام ، وبالذات فى السحر المعتمد على دعوات الكواكب .

ومنه يظهر لماذا اعتبر عمل السحر كفر الخاص بالشرك ، وذلك لأن فيه توجه الى غير الله من طلب نفع أو رفع ضر . كما يتصف العامل لذلك بالخضوع للكوكب خضوع المخلوق للخالق .

ففى التوجه الى هذه الاجرام اقرار بالوهيتها ، مع أنه فى آخر الدعوات يقال بأذن الله ، وهذا اما يقصد به التمويه بأن الأصل فى فعلها هو الله . وان كان الدعاء لايشعر بذلك أو أن المقصود هو الاقرار بالشركة بينها وبين الله سبحانه فى الفعل والتوجه اليهما ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فقد ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال (أنا خير الشركاء فمن عمل عملا فأشرك فيه غيرى فانا برئ منه وهو للذى أشرك) .(١)

---

(١) مسند الامام أحمد ٢/٣٠١

المبحث الرابع

عبادة القمر :

ربما كانت عبادة القمر من بين العبادات التى أشرك بها الناس حيث اعتبر القمر فى القديم الها من الالهة .

فقد صورت الاساطير الأولى القمر رجلا شجاعا أغوى النساء وسبب لهن الحيض مرة كلما ظهر . ولقد كان القمر الها محببا للنساء فعبدته ، لأنه فى زعمهم حاميهن بين الآلهة فهو فى ظنهم يهيمن على الجو وينزل من السماء المطر والثلج . ويرون ان الضفادع تضرع للقمر بالدعاء لينزل لها المطر . (١)

عبادة القمر فى الهند :

من الفرق التى عبدت القمر فرقة الجندريكينيه - اى عباد القمر - زعموا ان القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلى . وقد اتخذوا له صنما على شكل عجل يجره أربعة وبيد الصنم جوهر . ومن دينهم أن يسجدوا له ويعبدوه وأن يصوموا النصف من كل شهر ولايفطروا حتى يطلع القمر ثم يأتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ثم يرغبون اليه وينظرون الى القمر ويسألونه حوائجهم ، واذا أستهل الشهر علوا السطوح وأوقدوا الدخن ودعوا عند رؤيته ورغبوا اليه ، ثم نزلوا من السطوح الى الطعام والشراب والفرح والسرور ولم ينظروا اليه الا على وجوه حسنه . (٢)

---

(١) قصة الحضارة ١٠٢/١

(٢) الملل والنحل للشهر ستانى ٢٥٩/٢ بتصرف

عبادة القمـــــر فى اليمـــــن :

كان القمر يمثل أحد ثالوث كوكبى هو القمر والشمس والزهـــــرة عند اليمنيين بحيث كان القمر هو الاله سين الذى كان له المكانه الاولـى فى هذه المجموعة الثلاثية بأعتبارة الأب للاله شمس وكان يرمز للاله سيـــن بالهـــــلال .

كذلك كان للقمر أهميته فى الوثنية اليمنية فكان الاله الاكبر . فسمى عند المعينيين والسبئيين بأسم - ود - وعند غيرهم باسم - ورخ ، وسين - . كما سمى باسماء منها - شهر ، كهل - باعتباره أكبر الالهه سنا والمقدم عليها . وكان يطلق على جميع اسماء القمر لفظ مشترك مثل ال - أو ، أيل - اى الله أو الاله . وكانت للقمر منزله عظمى عند اليمنيين أسمى من منزلة الشمس حيث كان دليل الحادى ورسول القافله ، ولذلك لقب بالحكيم والقدوس والصادق والعادل والمبارك والمعين والحامى . كما رمز لـــــه بالثور ولعل ذلك يرجع الى ان للثور قرنين كالهلال . (١)

ويظهر ان هناك علاقة بين رمز الثور للقمر عند اليمنيين ورمزه بالعجل عند الهنود كما أن هناك رموز أخرى للقمر غير الثور مثل الوعل والنسر .

ومن ذلك أن معتقدات أهل اليمن قديما والتى تشير الى ارتباطهـــــم بالالهة والايمان بقواها الخارقة مايعلقه سكان الريف اليمنى على رقـــاب اطفالهم من تمائم وهى عبارة عن سن الثعلب التى ربما ترمز الى الهـــلال كما يلفت الانظار وجود عادة قديمة ، وهى عبارة عن تركيب قرنى الوعـــل فى زوايا المنازل من الخارج أو وضعها على بعض القبور . وهى تشبـــــه

---

(١) دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٤٠٩ - ٤١١ بتصـــرف

قرنى الثور يذكران بالهلال وذلك لظنهم انها ترد الارواح الشريرة المتمثله فى السحر والحسد والعين . (١)

عبادة القمر فى بلاد الرافدين :

اما عند السومريين فأن القمر كان يعرف بالاله نانا كما يعرف باسم سين وكان ابنه الاله أوتو - الشمس- وابنته الالهة ابنانا اى عشتار - الزهرة - وربما كان هو أحد الآلهه السبعة التى كانت تقدر المصائر . وقد بنيت المعابد للآلهة بحيث كان معبد نانا يشمل منطقة كبيرة تضم عددا كبيرا من المزرات والمخازن والمستودعات ومساكن موظفى المعبد . الى جانب برج مستطيل يبلغ ارتفاعه سبعين قدما على قمته يقع المعبد .

وكان بناء اى معبد أو اعادة بنائه يرافقه العديد من الطقوس والشعائر المتنوعه . ويعتبر السومريون تهديم المعبد أقس كارثة مشؤومة يمكن ان تحل بمدينة وسكانها . (٢)

والجدير بالذكر مانقل عن صاحب كتاب الشرق الخالد فى زعمه بأن أهتمام المسلمين بصلاة الخسوف تعود الى أساطير من بلاد الرافدين عن خسوف القمر بأن سبعة شياطين أو أرواح شريرة تمكنت من القمر .

لذلك هم يقومون بتقديم القرابين ويصلون حتى يعود الى حالته الطبيعية ويقول فى ذلك" كل ذلك رواسب عاشت من الماضى البعيد وأبقى عليها الاسلام فليس لها أى ضرر على المجتمع وعلى العقيدة الاسلامية ". (٣)

---

(١) تاريخ اليمن القديم ص ٢١٤ - ٢١٦ بتصرف

(٢) السومريون تاريخهم وحضارتهم ص ١٦٣ - ١٩٠ بتصرف

(٣) تاريخ وحضارة مصر والعراق وبلاد الشام وايران وتركيا منذ أقدم العصور د. جمال عبدالهادى ، د. وفاء محمد رفعت ص ٢٥٩ - ٢٦١ نقل عن كتاب الشرق الخالد ، د. عبدالحميد زايد .

هذا القول زعم كاذب على المسلمين وأهله ، المراد به تشويه دعـــوة الاسلام وأنه عبارة عن معتقدات قديمة ترجع الى وثنيات سابقــة .

لكن الصحيح ان هذه علامات وآثار تنتج عن حركة الاجرام ، وقت اللــه سبحانه اوقاتها خلال ايام العام حتى يرجع المسلم الى الله بقلب سليـم يذكر فيها ربه منيبا راجيا ويغتنم نفحات ربه فى هذا الزمن . فـــان الانسان معرض للشيطان ومكايده وتعتريه فترات النسيان التى جعلها اللــه طبيعة فيـه . فعندما تحدث هذه الحوادث ، مثل خسوف القمر يتنبـــه

الباب الخامس

التوحيد والفلك ويشتمل على فصلين:

١ - الفصل الاول : معرفة الله سبحانه وتعالى بدلائل الفلك

٢ - الفصل الثانى : معرفة الله تستلزم التوجه اليه وحدة

الفصل الاول

معرفة الله سبحانه بدلائل الفلك

ويشتمل على المباحث :

أولا : توافق نصوص الوحي الخاصة بالفلك مع مبادئ عقيدة التوحيد

ثانيا: من اسمائه وصفاته سبحانه الاول والآخر ودلالة ذلك بالفلك

ثالثا: صفاته سبحانه الداله على علمه وحكمته ولطفه ودلالة ذلك بالفلك

رابعا: صفاته سبحانه الداله على رحمته ودلالة ذلك بالفلك

خامسا: من اسمائه وصفاته الخالق الرازق ودلالة ذلك بالفلك

سادسا: من اسمائه المتعلقة بقدرته وعظمته ودلالة ذلك بالفلك

سابعا: النافع والضار هو الله سبحانه وتوضيح ذلك بالفلك

المبحث الاول

توافق نصوص الوحى الخاصة بالفلك مع مبادىء عقيدة التوحيد :

اذا تدبر الانسان كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وجد أن الله عز وجل قد أنزل الوحى موافقا للواقع المحسوس لايستطيع أن ينكر ذلك الا مكابر طغى عليه هواه واتبع اغواء الشيطان حتى يخرج من عهدة الالتزام التى أخذها الله سبحانه وتعالى على بنى آدم فى الاقرار بوحدانية الله والاتجاه اليه فى كل حين وعلى اى وضع من اوضاع حياة الانسان قال تعالى : ﴿ واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الاعراف : ١٧٢) .

وقد علم الله سبحانه ما سيطرأ على الانسان من النسيان وأخبرنا عن آدم فى ذلك فقال تعالى : ﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ﴾ (طه : ١١٥) .

فاذا كان هذا حال آدم فى نسيان عهد الله اليه فكيف بذريته فانهم لعهد الله أشد نسيانا . نظرا لوجود المؤثرات التى تؤدى الى فساد الفطرة السليمة المقرة بالوحدانيه - وعهد الله هو الاقرار بالربوبيه وما يستلزم ذلك من أمور - لذلك نجد أن رحمة الله سبحانه بهذا المخلوق لم تتركه لهذا النسيان ، بل وضع سبحانه الدلائل المسانده للفطرة والموضحه له الطريق الصحيح فى السلوك لما يريده خالقه منه ، وأعقب ذلك بأرسال الرسل عليهم السلام بالوحى لزيادة التوضيح والبيان لكيفية سلوك هذا الطريق فجاءت معانى النصوص ودلالاتها موافقه لما فى الكون من الآيات والحقائق ومنها آيات الافاق والتى يعتبر الفلك جزءا منها .

قال تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (الفاتحة : ١) .

والفلك وما به من اجرام سماوية هى جزء من العالمين . والرب فى الاصطلاح اللغوى يدل على أصول هى :

" أولا : اصطلاح الشئ والقيام عليه .

ثانيا: لزوم الشئ والاقامة عليه .

ثالثا: ضم الشئ للشئ " (١)

واذا تأمل الناظر فى هذه الأصول وجد أنها تعود الى أصل واحد ومنبع واحد . وهو : صفات الله تعالى الدالة على ربوبيته التى يتجلى خصائصها فى الآفاق ، لكون الآفاق من صنع الله وفعله ، والفعل دلالة على بعض صفات الفاعل .

ولو أستعرضنا بعض نصوص الوحى ليتضح لنا بعض هذه الاصول فنجد قوله تعالى : ﴿ الم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولى ولانصير ﴾ (البقرة : ١٠٧) .

" والملك هو المتصرف بالأمر وبالنهى فى الجمهور وذلك مايختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال ملك الناس ولايقال ملك الاشياء " (٢)

والله سبحانه وتعالى هو المتصرف بالأمر والنهى فيما يخص الناس والاشياء فهو لا يستغنى عنه شئ وهو مستغنى بذاته وصفاته عن كل ماسواه لان الله تعالى له الملك المطلق فهو القائم على خلقه والمتصرف فى شؤونهم بما يصلحهم قال تعالى : ﴿ و لله ملك السموات والأرض والله كل شئ قدير ﴾ (آل عمران : ١٨٩) .

---

(١) مقاييس اللغه ٣٨١/٢ - ٣٨٢

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٤٧٢

والسموات كما علمنا سابقا كل ما علاك فأظلك ، وحيث ان الاجرام السماوية تبدو لنا دائما عاليه حتى ان المسافر الى الفضاء الخارجي يرى كوكب الأرض فى جهة العلو . فهى داخله تحت هذا الملك .

فالآية توضح لنا الملك العام المطلق لله سبحانه لهذه السموات والأرض وهذه الملكية متضمنه لكل جزئية فى كل منهما قال تعالى : ﴿ لله ما فى السموات وما فى الأرض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير ﴾ (البقرة : ٢٨٤) .

فاذا علمنا ان الملك المطلق له سبحانه وانه وحده تعالى المالك لكل شئ فانا لانجد شيئا من المخلوقات له تصرف فى شئ الا بارادة الله الذى اعطى لكل مخلوق تأثيره فى غيره وتأثره بغير حسب سنن ثابتة بمشيئته سبحانه وقدرته .

لذلك نجد ان سيدنا ابراهيم عليه السلام لما كان يحاج ملك زمانه فى تفرد الله تعالى بالربوبية وان التصرف المطلق بيده سبحانه فقد احالة على أمر ليس لذلك الملك حق التصرف فيه فقال تعالى حكاية عن ابراهيم ﴿ الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحى ويميت قال أنا أحى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين ﴾ (البقرة : ٢٥٨) .

فالشمس وهى أحد اجرام السماء والتى تعتبر النجم المركزى فى المجموعة الشمسية لايستطيع أى مخلوق مهما كانت عظمته ان يغير فى نطاقها وحركتها لأنه سبحانه هو خالقها ومقدر حركتها وخط سيرها .

وحقيقة الملك كصفة لله تعالى أن يكون قادرا على الايجاد مع كمال قدرته على التصرف فيه .

وحيث أنه قادر على الايجاد فقد أوجد المخلوقات بعد ان لم تكن شيئا وهذا من أهم صلاح أمرها لأنها لم تكن شيئا يذكر ثم صارت شيئا . ذلك لأن خلق السموات والأرض كان بأمره الالهي .

" والتوحيد الذى دعت اليه الرسل ونزلت به كتبه نوعان توحيد فى الاثبات والمعرفة وتوحيد فى الطلب والقصد . وغالب سور القرآن متضمنه لنوعى التوحيد . بل كل سورة فى القرآن" . (١)

فالله سبحانه وتعالى عرفنا باسمائه وصفاته المشتمله على ربوبيته للعالمين وكل اسم له اوصفه تتضمن أصلا من الاصول التى تدل عليها معنى كلمة الرب .

والقرآن الكريم المتضمن لنوعى التوحيد يدعونا دائما الى التفكر فى هذا الكون لنستدل بالمشاهدات على ذاته سبحانه ، هذه المشاهدات تتعلق فى أكبر جوانبها بالآفاق قال تعالى : ﴿ ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب ﴾ (آل عمران : ١٩٠).

والنصوص القرآنية الخاصة بالفلك تشيرا دائما الى النوع الاول من أنواع التوحيد المتعلق بأثبات الربوبيه لله وحده . قال تعالى: ﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قدير﴾ (المائدة:١٢٠)

فهذه الآية تشير الى الملك والقدرة ومن اسماء الله وصفاته الملك والقادر . ومن صفاته سبحانه أنه فاطر السموات والأرض قال تعالى :

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨ - تحقيق جماعة من العلماء - مكتبة الدعوة الاسلامية - شباب الازهر .

حكاية عن الرسل ﴿ قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذبونكم ويؤخركم الى أجل مسمى ﴾ الآية (ابراهيم : ١٠) اى مبدئها على غير مثال وفى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد يقول (اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق ....) (١)

ففى الدعاء يشير الى صفات لله تعالى متعلقة بالفلك مثل القيوم والملك والنور والحق . وصفاته سبحانه تنقسم الى قسمين صفات ذات وصفات فعل .

ونصوص الوحى المتعلقة بالفلك لم تخل من هذين القسمين وذلك لأن خالق الكون يعرفنا باسمائه وصفاته بالقرآن والسنه وعن طريق تجلى ذلك فى الكون . مما يدل على مدى التوافق بين نصوص الوحى المتعلقة بالفلك وبين التوحيد الذى من جوانبه التوحيد العلمى الخبرى الذى يدلنا دلالة واضحة على أن لهذا الكون ربا والها يتصف بصفات الكمال مستحقا للعبادة دون سواه . قال تعالى : ﴿ سبح لله مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . له ملك السموات والأرض يحى ويميت وهو على كل شىء قدير . هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم. هو الذى خلق السموات والأرض فى سته أيام ثم أستوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء ومايعرج فيها وهو

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣/٣ كتاب التهجد حديث رقم ١١٢٠ ، صحيح البخارى ٢/٦٠ ـ باب التهجد بالليل .

معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير . له ملك السموات والأرض والى الله ترجع الامور . يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور * (الحديد : ١ - ٥) .

المبحث الثاني

من اسمائه وصفاته الاول والآخر ودلالة ذلك بالفلك :

ورد فى الآيات السابقة من سورة الحديد فى اسماء الله وصفاته الأول والآخر وفى مضمونها ردا لمن قال بقدم العالم وازليته وأنه ليس له بداية او نهاية .

والكون شاهد على ذلك فان القوانين التى سنها الله سبحانه وتعالى تدل على أنه الاول والآخر وان الكون منتهى الى زوال كما أنه مبتدء من لاشىء .

" فقوانين الديناميكا الحرارية تدل أن مكونات الكون تفقد حرارتها تدريجيا وأنها سائرة حتما الى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة حرارة بالغة الانخفاض هى الصفر المطلق ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة ولامناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عندما تصل درجة حرارة الاجسام الى الصفر المطلق بمضى الوقت " . (١)

كما أن المادة الدخانية التى تكونت منها السموات ماهى الا عبارة عن ذرات اوليه من الكترونات والبروتونات كانت تغمر الكون كله كما أشارت الى ذلك بعض النظريات فى تفسير نشأة الكون .

هذا التركيب للمادة يدل دلالة واضحة على أنها حادثه وأن هناك بداية لتكوينها حيث جمعت فيها الالكترونات والبروتونات لتكون ذرات المادة الدخانية التى منها خلقت السموات . مما يدل على أن الكون حادث ومن ثم له محدث سابق بوجوده لكل حادث وأول بداية قبل كل شىء ولاشىء قبله .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ١٢

تفسير المقصود من اسمه الاول والآخر من السنه :

ورد فى الحديث الذى رواه عمران بن حصين رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (اقبلوا البشرى يابنى تميم . قالوا : قد بشرتنا فأعطنا ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن أن لم يقبلها بنو تميم . قالوا : قد قبلنا يارسول الله : قالوا جئنا نسألك عن هذا الأمر . قال كان الله ولم يكن شىء غيره . وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شىء . وخلق السموات والأرض ...) الحديث وورد بلفظ (ولم يكن شىء قبله ... ثم خلق السموات والأرض) . (١)

قال الراغب فى المفردات " كان عبارة عما مضى من الزمان وفى كثير من وصف الله تعالى تنبى عن معنى الازليه... وما استعمل منه فى جنس الشىء متعلقا بوصف له هو موجود فيه فتنبيه على أن ذلك الوصف لازم له مثل قوله تعالى : ﴿ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ (الاسراء : ٢٧) . واذا استعمل فى الزمان الماضى فقد يجوز أن يكون المستعمل فيه بقى على حالته ويجوز أن يكون قد تغير نحو كان فلان كذا ثم صار كذا ولا فرق بين أن يكون الزمان المستعمل فيه كان قد تقدم تقدما كثيرا ... "(٢)

اذاً فالحديث يفيد ان وجود الله سبحانه كان ازليا وأن غيره من المخلوقات هى حادثه من العدم بعد اذ لم تكن لأن روايه الحديث بلفظ

---

(١) صحيح البخارى ١٢٨/٤ كتاب الخلق ، ١٥٢/٩ كتاب التوحيد .
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٢٨٦/٦ حديث رقم ٣١٩١ ، ٤٠٣/١٣ حديث رقم ٧٤١٨ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٤٤٤

" ولم يكن شىء غيره " صريحة فى العدم كما ذكر ذلك ابن حجر وقال " وفيه دلالة على أنه لم يكن شىء غيره لا الماء ولا العرش ولاغيرهما لأن كل ذلك غير الله تعالى ويكون قوله " وكان عرشه على الماء " معناه أنه خلق الماء سابقا ثم خلق العرش على الماء ". (١)

وذكر ابن حجر ان الحديث ورد بلفظ " ولم يكن شىء غيره ،وفى رواية .... " كان الله قبل كل شىء " وهو بمعنى " كان الله ولا شىء معه وهو أصرح فى الرد على من أثبت حودات لا أول لها ". (٢)

ويذكر ابن تيمية فى الفتاوى (٣) ان الناس فى المقصود بالحديث على قولين :

١ - ان مقصود الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم بأن الله كان موجودا وحده ثم ابتدأ احداث جميع الحوادث واخباره بأن الحوادث لها ابتداء بجنسها واعيانها مسبوقة بالعدم وأن جنس الزمان حادث لا فى زمان وجنس الحركات والمتحركات حادث .

٢ - ان مقصود الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم عن خلق هذا العالم المشهود الذى خلقه فى سته أيام ثم آستوى على العرش .

وقد رجح القول الثانى بأربعة عشر وجها منها مايتعلق باللفظ الوارد فى الحديث حيث رجح رواية " ولم يكن شىء قبله " قائلا "والألفاظ الثلاثة فى البخارى والمجلس كان واحدا وسؤالهم وجوابه كان فى ذلك المجلس وعمران الذى روى الحديث لم يقم منه حين انقض المجلس بل قام

---

(١) فتح البارى ٢٨٩/٦
(٢) فتح البارى ٤١٠/١٣
(٣) مجموع الفتاوى ٢١١/١٨ - ٢٤٣

لما أخبر بذهاب راحلته قبل فراغ المجلس . وهو المخبر بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم فدل على أنه قال أحد الألفاظ والآخران رويا بالمعنى وحينئذ فالذى ثبت عنه لفظ القبل " .

وقد استدل لذلك بما رواه الامام مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى ومنزل التوارة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته انت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقضى عنا الدين واغننا من الفقر) . (١)

وقال ابن تيمية "واذا ثبت فى هذا الحديث لفظ القبل فقد ثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم قاله واللفظان الآخران لم يثبت واحدا منهما أبدا . وكان أهل الحديث انما يرونه بلفظ القبل " .

وقد ذكر ابن حجر أن الجمع بين الروايات يقتضى حمل الحديث على لفظ " ولم يكن شئ غيره " لا العكس . والجمع يقدم على الترجيح بالأتفاق . (٢)

اذاً خلاصة القول ان وجود الله سبحانه وتعالى منذ الأزل لكونه الأول والأول اسم من اسماء الله الذى لا ابتداء لوجوده والآخر الذى لانتهاء لوجوده وهما صفتان يستحقهما سبحانه بذاته قال تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم . هو الذى خلق السموات

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٣٦/١٧ ، صحيح مسلم ٢٠٨٤/٤ كتاب الذكر والدعاء حيث رقم ٦١

(٢) فتح البارى ٤١٠/١٣

والأورض فى سته أيام ثم أستوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير * (الحديد : ٣ - ٤)

ثم ان السموات والأرض وجدت بعد اذ لم تكن مما يدل على حدوثها وليس كما يزعم الملاحدة . وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك قوله (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنه . قال وعرشه على الماء) . (١) وهو رد صريح على من قال ان الكون يجدد نفسه بنفسه وانه ازلى ابدى . وانما هو من صنع صانع عليم خبير عالم باسرار الكون وما هو صالح له وان مرجعه الى ربه سبحانه الذى هو الأول والآخر بلا أنتهاء .

النصوص المتعلقة بالفلك الدالة على كونه سبحانه الآخر :

قد دلتنا الكشوف الحديثة المتعلقة بالقوانين التى سنها الله فى الكون الى انه أى الكون ليس أبديا . فهذه قوانين الدنياميكا الحرارية تؤكد ان الكون لابد أن يصل الى لحظه يستحيل فيها البقاء . والنصوص القرآنية تخبرنا عن صور من نهاية هذا الكون عند الوقت المعلوم من هذه الصور .

١ - مايحدث للنجوم من طمس ضوئها وذهابه وانكدارها من مواقعها وسقوطها فى الفضاء الكونى المعبر عنه بالسماء .

٢ - مايحدث للشمس من تكوير حيث تلف وتجمع ثم يرمى بها الى الفضاء الكونى .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٣/١٦ ، صحيح مسلم ٢٠٤٤/٤ ، كتاب القدر حديث رقم ١٦

٣ - مايحدث للأرض فى نهايتها من الزلزلة والرج والدك .

٤ - مايحدث للسماء من الضعف والفطر والشق ثم الكشط . .

كل هذه الاحداث تصير للاجرام والكون ثم بعد ذلك تطوى صفحة هذا الكون بفضائه السحيق قال تعالى : ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ﴾ (الانبياء : ١٠٤) .

هذه النهاية للكون لابد ان يحدثها الآخر الباقى الذى ليس بعده شئ والذى له ملك كل شئ وهو الله سبحانه . قال تعالى : ﴿ ولله ملك السموات والأرض والى الله المصير ﴾ (النور : ٤٢) .

كما يخبر سبحانه ان قهره لكل شئ حتى للكافرين والمشركين من الناس الذين يظنون واهمين انهم خرجوا عن عبوديتهم لله لحبه اياهم واصطفائهم على الخلق كما حدث من اليهود والنصارى فتبين لهم أن كل ماسواه مخلوق له ، وأن خلقه عبيد مملوكين له يفعل بهم مايشاء ، وأن الرجوع فى الآخره اليه لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا قال تعالى مخبرا عن أهل الكتاب ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير ﴾ (المائدة : ١٨) .

وفى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم " اللهم رب السموات ورب الأرض .... وأنت الآخر فليس بعدك شئ " وبعد أن وصف خالقه بالربوبيه المطلقة التى من أصولها أتصافه سبحانه بكونه الآخر لكون الربوبية لزوم الشئ والاقامة عليه قال " وأنت الآخر فليس بعدك شئ"

ولفظ شئ لفظ عموم يدخل تحته كل ما يتصور وما لا يتصور .

فلو أن هناك شئ أصغر من البروتونات والالكترونات التى تتكون منها المادة الموجوده فى الكون والتى تكونت منها الاجرام السماوية فانها سائره الى نهاية ومرجع لان خالقها وعد بأعادة الخلق كما بدأه ، ووعد الله سبحانه لاينقض . ولا يكون هذا الا ممن أتصف بكونه الاول بلا ابتداء والآخر بلا أنتهاء .

المبحث الثالث

صفاته الداله على علمه وحكمته ولطفه ودلالة ذلك بالفلك :

من صفاته العليم :

من اسماء الله وصفاته العليم وهى صفه ذات .

فالله سبحانه وتعالى عالم بجميع الموجودات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك فى العلويات أو السفليات . لذلك نجد أنه سبحانه يقرر ذلك فى أكثر من موضع من كتابه قال تعالى : ﴿ ان الله عالم غيب السموات والأرض آنه عليم بذات الصدور ﴾ (فاطر : ٣٨) .

وقال تعالى توضيحا لنا بأن حركة الشمس ماهى الى من تقرير المحيط علما بكل جزئية فى الكون ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (ياسين : ٣٨) .

والشمس ماهى الا نجم من نجوم السماء التى لايحصها الا خالقها ولايقدر حركتها الا العالم بها لذلك نجد اللفظ القرآنى يؤكد على ان العلم المطلق هو لله سبحانه . قال تعالى : ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم أستوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم ﴾ (البقرة : ٢٩) .

والعلم صفة لازمة لمن اتصف بالربوبية للعالمين ذلك ان اصلاح الشئ والقيام عليه يتطلب العلم الشامل المطلق . والله سبحانه متصف بالعلم قبل خلق هذا الكون لان علمه من صفات ذاته سبحانه .

والعلم فى اللغه " يدل على آثر بالشئ يتميز به عن غيره "[1] الاان

---

(١) مقاييس اللغة ١٠٩/٤

الفرق بين علم الله سبحانه وعلم العبد هو " أن علم الله تعالى غير مستفاد من الاشياء بل الاشياء مستفادة منه . وعلم العبد بالأشياء تابع للأشياء حاصل بها " .(١) والمعلومات الفلكية توضح جانبا بسيطا من علمه سبحانه ، لأن الاحاطه بعلمه مستحيله الا بقدر مايسمح لنا خالقنا من علم . قال تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولايؤده حفظهما وهو العلى العظيم﴾ (البقرة : ٢٥٥)

والنصوص المتعلقة بالفلك والمتضمنه لجانب من علمه سبحانه فيها رد على من ادعى ان الا له لايعلم الا ذاته وأن الفلك يتشبه به للوصول الى الكمال .

لذلك نجد فى تذيل بعض الآيات المتعلقة بالخبر عن السموات وعن الاجرام السماوية الأشارة الى العلم المطلق له سبحانه .

فالله سبحانه وتعالى بعد أن قضى بكون السموات سبعا واوحى فى كل سماء قانونها وسننها التى قضاها فيها وبكل مايصلح هذا الخلق ، كان من قضائه تزين السماء الدنيا بهذه الاجرام وحفظها . كل ذلك الصنع والاتقان والأمر لم يكن خبط عشواء أو صدفه وانما يدل على علم شامل مطلق مقدر قال تعالى فى شأن السماء ﴿ فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (فصلت : ١٢) .

فكل جزئية فى الكون تخبر بلسان الحال عن احاطة علم خالقها فالهواء مثلا المحيط بالكرة الارضية والذى يعتبر جزءا من السموات موضوع بنسب لو أختلفت هذه النسب بمعدل بسيط جدا لأختل توازن الكون وحصل

---

(١) المقصد الأسنى فى شرح اسماء الله الحسنى لابى حامد الغزابى ص ٨١

فيه الاضطراب .

واكبر شاهد ماحصل فى طبقة الاوزن التى أقلقت علماء العالم فى جميع مجالات العلوم لتلافى الأسباب التى أدت الى ذلك والتى هى من صنع الانسان ، الذى قد يؤدى به علمه الى الاتلاف وليس الاصلاح .

وتوازن الكون الذى يؤثر فيه أختلاف نسب الهواء انما يدل على ان واضع هذا التقنيين والتقدير على أحاطة كاملة بما يصلح لعمار هذا الكون أو فساده . وأحاطته الكاملة انما هى دلالة على كمال علمه .

كذلك نجد عظم المسافات الشاسعة بين الاجرام السماوية والتى تلحظ دائما ثابته للمشاهد العادى ان هذه الأجرام تتحرك بسرعة رهيبة فى الفضاء الكونى .

هذه المسافات لو تأملها الأنسان واستشعر فيها عظمه الخالق فى علمه لكانت دلالة كبيرة على أن خالق هذه الاجرام المتميزه بالحركة الدائمة والمشاهدة ثابته دائما على علم كامل شامل بضبط نسب المسافات فيما بين هذه الاجرام رغم سرعاتها الرهيبه . لذلك نجد الآية التى تتحدث عن مواقع النجوم تنتهى بالاشارة الى العلم قال تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وأنه لقسم لوتعلمون عظيم ﴾ (الواقعه ٧٥-٧٦)

وعلم الانسان لايوضع فى ميزان علم الله ، لأن علم الله سبحانه متصف بالشمول والاحاطه بكل جزئية فى الكون أو خارج الكون فعلمه سبحانه وتعالى سابق للاحداث والاسباب والمسببات . كما أنه مسبب لها .

أما علم المخلوق فهو متعلق بالاشياء فهو جزئى حاصل بحصول الاشياء .

وأكبر مثل على ذلك علم الفلك الحديث . فالعلماء فى هذا المجال

لايعطون تحديدا دقيقا لحدود الكون المرئــــى .

لذلك فمن دلائل علم الله سبحانه مايوضحه مجال مواقع النجـــوم فمهما توصلت علوم الانسان فى هذا المجال فانها لاتزال عاجزة عن تحديـد هذه المواقع وذلك لقصور الانسان عن الاحاطه الكاملة التى تستلزم العلـم الشامل والذى لايتصف به الا الخالق جل وعــلا .

ولازال علم الفلك يكتشف اشياء جديدة فى هذا الكون تنبىء عـــن احاطة علم خالقها وصانعها وموجدها .

وفى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (كتب اللـــه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنه) .(١)

فاذا كانت مقادير الخلائق كتبت وقيدت قبل حصول الكون بهذه المدة التى لانعلم ضابطا لقياسها آهى بمقياس زماننا على الأرض المحدد بـدورة الشمس والقمر والتى هى من زينة السماء الدنيا أم بمقياس آخر - فـان ذلك دلالة على أن علم الله سبحانه وتعالى سابق لوجود السمــوات والأرض وأنه صفه ملازمة له سبحانه وأن هذا العلم متصف بالشمول والاحاطـــة المطلقـــــة .

فمهما تقدمت العلوم من اكتشافات فى هذا الكون فما هى الا توضيح لقليـل من التقدير الذى كتبه سبحانه قبل خلق السموات والأرض .

من صفاتـــه الحكيـــم :

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خير لكم وان تكفروا فان لله مافى السموات والأرض وكان الله عليمـــا حكيمـــا ﴾ (النســـاء : ١٧٠) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٣/١٦ ، صحيح مسلم ٢٠٤٤/٤ - حديث رقم ١٦

ذيل الله تعالى هذه الآية بأثبات العلم والحكمه لنفسه بعد أن اثبت لنفسه الملك الشامل للسموات والأرض ولكل شيء .

والحكيم " هو المحكم لخلق الاشياء " (١) وهذا المعنى متضمن لأصل من الأصول التى تشملها معنى كلمة الرب فى اللغة من اصلاح الشيء وضم الشيء للشيء فرب العالمين سبحانه متصف بأنه حكيم ومن مظاهر ذلك فى الخلق ما يظهر جانبا منه فى علم الفلك وما يتعلق بالاجرام .

فان المتمعن والمتدبر فى خلق الله للسموات والأرض وما بينهما يتضح له من الدلائل على كونه سبحانه حكيما ظواهر كثيره منها .

١ - وضع الأرض بين الكواكب فى الفضاء الكونى الفسيح وعلى بعد معين من الشمس بحيث لو اقتربت منها أو ابتعدت عنها بمسافة غير التى وضعت عليها لاستحالت الحياة عليها .

٢ - حجم الأرض بالنسبة للكون فى توازن محكم فلو كان حجمها اكبر من ذلك لتضاعفت جاذبيتها وازداد ضغط الهواء على المتر المربع مما يوءدى الى عدم قيام حياة كما هى معروفه الآن على سطح الأرض .
ولو نقص حجمها وأصبح فى حجم القمر لما وجد غلاف جوى او بخار ماء عالق فيه مما يؤدى الى استحالة قيام الحياة .

٣ - مواقع النجوم والاجرام السماوية موضوعة فى الخريطه الكونيه على أبعاد ثابته بين بعضها وبعض بصورة تضمن عدم السقوط والتصادم والاضطراب وفق توازن دقيق وسنه ثابته هذا التوازن يتضح بالمعادلة التاليه :

تأثير قوى التجاذب = تأثير طاقة الحركة

---

(١) الاعتقاد على مذهب السلف للبيهيقى ص ٢٠

وتكون مضادة لها . بحيث لو أختل أحد طرفى المعادلة بزيادة أو نقص عن الآخر لتباعدت هذه الاجرام ولسارت على غير هدى وتناثرت فى الفضاء .

٤ - خص الله سبحانه الأرض بميل محورها على مستو فلك الأرض بزاوية معينة ينتج عنها تتابع الفصول الاربعة واختلاف فى طول الليل والنهار فى كل من نصفى الكرة الأرضية وذلك خلال رحلة حول الشمس فى عام كامل .

ومعلوم ان هذه النتائج لميل المحور ضرورية لاستمرار الحياة على الأرض .

٥ - عملية دورة الماء فوق الأرض بما يحصل من تبخير لمياه البحار والميحطات بطاقة الشمس الحرارية ثم مايحصل له من التكثيف فى الطبقات العليا والنزول على شكل غيث رحمة بالخلق كل ذلك دلالة على الاحكام فى الخلق .

٦ - الغلاف الجوى ينقسم الى طبقات عدة كل طبقة تقوم بعمل ومهمة معينه بحيث هذه المهمة يلحظ فيها الاتقان والابداع . فمن هذه الطبقات ما تقوم بامتصاص الاشعة الضارة الواصلة الى الأرض . ومنها ما يتكون فيه الماء على شكل سحب تنزل مطرا حينما يرد خالقها . ومنها ماتقوم بعمل المرايا تعكس الاشعة فى الفضاء لتعطى السماء الزينه المتصفه بالزرقه أو بالوان قوس قزح أو بلون الشروق أو الغروب كل هذا دلالة على الاحكام فى الخلق .

كل هذه الدلائل وغيرها مما يوفق الحصر تدل على ان خالق الكون حكيم علم بحاجه الكون فأحكم التوازن فيه . وخلق كل شىء لحكمة

وجعله محققا لهذه الحكمه واحكامه سبحانه للكون يلحظ فى كل جزئيه فيه ذلك لانه الاله الواحد فى السماء وفى الأرض. قال تعالى :

﴿ وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله وهو الحكيم العليم ﴾ (الزخرف : ٨٤ - ٨٥).

ودلائل حكمته هى دلائل علمة أيضا لأن من اسمائه وصفاته المتعلقة بعلمه كونه حكيما فهو سبحانه أحكم عن علم شامل مطلق سابق على الاشياء.

ولقد ورد وصفه سبحانه بكونه عليم حكيم مترادفه فى ست وثلاثين موضعا من كتاب الله بحيث تقدم وصفه بالعلم على وصفه بالحكمة فى احدى وثلاثين آية . خص الآيات المتعلقة بالسموات والأرض فى التذييل بوصفه بالعلم والحكمة ثلاثة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ هو الذى انزل السكينه فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما ﴾ (الفتح : ٤) .

وفى هذا دلالة على أنه سبحانه علم فأحكم فى الخلق .

فكل جزئية فى الكون هى من جنود الله سواءا لسماوية أو الأرضية فأحكم نظامها لأنه سبحانه الحكيم العليم السابق علمه على الاشياء .

من صفاته اللطيف :

قال تعالى حكاية عن لقمان فى نصحه ابنه ﴿ يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخره أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ﴾ (لقمان : ١٦) .

واللطيف هو " البر بعبادة وهو من صفات فعله ، وقد يكون بمعنى العالم بخفايا الامور ، فيكون من صفات ذاته " . (١)

---

(١) الاعتقاد للامام البيهيقى ص ١٩

والآية تشير الى ان معنى اللطيف يقصد به صفه ذات . اى العالم بخفايا الامور فقد ذكر ابن كثير فى معنى الآية فى المقصود باللطيف " اى لطيف العلم فلا يخفى عليه الاشياء وان دقت ولطفت وتضاءلت" (١)

ويؤيد ماذهب اليه ابن كثير في المراد بمعنى اللطيف ماورد عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى حكاية عن الهدهد فى انكاره على قوم سبأ حيث كانوا يسجدون للشمس من دون الله ﴿ الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ماتخفون وما تعلنون ﴾ (النمل : ٢٥) .

قال " اى يعلم كل خفيه فى السماء والأرض" (٢) وهذا يوضح لنا جانبا من معنى اخراج الخبء فى السموات والأرض . فالمعلومات الحديثة فى علوم عصرنا وبالذات علم الفلك تؤكد ماذهب اليه ابن كثير وما ورد فى تفسير ابن عباس حيث ان الاجرام السماوية تبعث بالطاقة اشكالا وانواعا منها المرئى ومنها غير المرئى بحيث يمتلىء الفضاء الكونى بالاشعة الكونية التى لاتحس ولاترى الا بأجهزة دقيقة جدا مصممة لاكتشاف ذلك . وهذا مما يدلنا على أن خالقها ومبدعها علم بها وبخفاياها وذلك لكونه لطيف العلم لايخفى عليه شىء من الاشياء فهو خالقها وموجدها .

وهى مع خفائها فان لها من الاثر الكبير على الشىء الذى تقع عليه والتى لو وصلت الى الأرض لدمرت كل ما عليها من حياة .

لكنه سبحانه مع كونه عالم بكل خفايا الامور فانه بر بعبادة لكونه اللطيف فهو يجنب الانسان المعد للحياة على الأرض وللخلافه فيها ،مخاطر

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٤٥/٣

(٢) الدر المنثور ٣٥٢/٦

هذه الاشعة الصادرة من الاجرام وذلك بما يسره وسخره لنظام الأرض من تجهيز لها بحصن منيع هو الغلاف الجوى لرد ضرر هذه الاشعة حيث يحتوى هذا الغلاف على طبقات تقوم بتشتيت الاشعة بحيث لايسقط منها الى جو الأرض الا مقادير بسيطة تحتاجها الأرض بقدر مايصلح لحياة الانسان وما زاد فانه يكف ويطرد بخاصية التشتيت فى هذه الطبقات .

من هذه الاشعة التى تتأتى من أعماق الفضاء الخارجى الاشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس وهى أشعة محرقة لا يسمح الغلاف الجوى بأن يصل منها الى سطح الأرض الا جزء صغير جدا يفيد فى بعض العلاجات الطبية كالكساح .

كما أن من لطفه سبحانه بعبادة ما جعل أيضا للغلاف الجوى من خاصية لرد السيل المتدفق من الشهب التى لو وصلت الى الأرض لما بقيت حياة عليها نظرا لما تحدثه هذه الشهب من اضرار عند سقوطها على سطح الأرض . فسبحان اللطيف الخبير .

المبحث الرابع

صفاته الدالة على رحمته ودلالة ذلك بالفلك :

من صفاته الرحمن الرحيم :

وردت هاتان الصفتان كثيرا فى القرآن الكريم غير ورودها بصيغة الفعل " رحم ، يرحم ، ترحم ، ارحم " أو بصيغة المصدر " رحمة " . فأسمه الرحمن ورد فى سبع وخمسين موضعا من كتاب الله واسمه الرحيم ورد فى مائة ورابعة عشر موضعا " من الكتاب الكريم .

ترادف هذان الاسمان فى ست مواضع من كتاب الله قال تعالى:﴿ الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم ﴾ (الفاتحه : ٣) .

الا ان الملاحظ فى نعته سبحانه باسمه الرحمن لم يرد مرادفا الى اى اسم من اسمائه الا اسمه الرحيم . لكن اسمه الرحيم لم يرد مفردا الافى ثلاثة مواضع كقوله تعالى : ﴿ ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما ﴾ (الاسراء : ٦٦) .

كما ورد اسمه الرحيم أكثر ماورد مرادفا لاسمه الغفور . وقدنعت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ (التوبه : ١٢٨) .

مما يدل ان هناك فروق بينهما . ويذكر ابن حجر اختلاف العلماء فى اشتقاقهما الى اقوال هى :

" ١ - الرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة

٢ - هما اسمان من غير اشتقاق .

٣ - يرجعان الى معنى الارادة ، فرحمته ارادته تنعيم من يرحمه .

٤ - يرجعان الى تركه عقاب من يستحق العقوبـــــه .

٥ - ان معنى الرحمن أنه مزيح العلل لأنه لما أمر بعبادته بيـــن حدودها وشروطها فبشر وأنذر وكلف ما تحمله بنيتهم فصـــارت العلل مزاحه والحجج منهم منقطعـــه .

ومعنى الرحيم انه المثيب على العمل فلا يضيع لعامل أحســن عملا بفضل رحمته أضعاف عملـــه .

٦ - أن الرحمن مأخوذ من الرحمة مبنى على المبالغه ومعنـــاه ذو الرحمة لانظير له فيها ولذلك لايثنى ولايجمع - وهـــو راى الجمهور - فالرحمن ذو الرحمة الشاملة للخلق . والرحيـــم فعيل بمعنى فاعل وهو خاص بالمؤمنين " (١)

كما ذكر ابن حجر أيضا عن بعض العلماء بأن " الرحمن خاص فـــى التسمية عام فى الفعل ، والرحيم عام فى التسمية خاص فى الفعل ".(٢)

وعلى كل فان شواهد رحمته بالخلق ظاهرة ومنها مايتعلق بالآفـــاق الشئ الكثير وفى القرآن الأشارة اليها كثيرا فقد قال تعالى : ﴿ قـــل أرايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غيـــر الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفــلا تبصرون .ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا مـــن فضله لعلكم تشكرون ﴾ (القصـــص : ٧١ - ٧٣) .

فرحمته هنا شاملة لجميع الخلق على هذه الأرض . فقد خصها سبحانـه بالموضع المناسب من الشمس ومن الفضاء الكونى حسب تقدير واختيـــار

(١) فتح البارى ١٣/٣٥٨ - ٣٥٩
(٢) المرجـــع السابـــق ١٣/٤٣٥

لصلاح هذا الكوكب لحياة الأنسان المعد للخلافة فى هذا الكوكب .

ومن صلاح حياة الانسان على الأرض مايحدث من تعاقب الليل والنهار حيث يكون الليل للسكنى والراحة والنهار للسعى والحركة وابتغاء الفضل منه سبحانه .

ونظام حركة الكواكب حول الشمس يوضح لنا جانبا من معنى الآية فى كيفية جعل كل من الليل والنهار سرمدا ورحمة الله سبحانه بالناس على الأرض فى تعاقب الليل والنهار للراحة والحركة .

فان من المعروف أن كوكب عطارد "يدور حول الشمس مرة كل ثمانية وثمانين يوما ويدور حول محوره مرة كل تسع وخمسين يوما ".(١) وهذا مايدل على نهاره طويل جدا بحيث يغلب عليه اكثر العام حيث عامة يقدر بدورانه حول الشمس ونهاره يقدر بدورانه حول محوره .

والقمر وهو التابع الوحيد لكوكب الأرض يتميز بمواجهة للشمس بوجهة واحد .

"فالشمس تشرق على جانب واحد منه ، فيكون نصفه دائما نهارا فى حين يكون النصف الآخر ليلا " . (٢)

اذا فالحياة البشرية لاتصلح عليه نظرا لعدم توفر ليل ونهار متعاقبين على سطحه مما يجعله صالحا للسكنى .

وهذا يوضح لنا رحمة الله سبحانه بالانسان المعد لخلافة الأرض بتسير وتسخير تعاقب الليل والنهار على سطح الأرض للراحة والسكنى والحركة والعمل .

---

(١) النظام الشمسى ص ١٢
(٢) اقرب الجيران الى الأرض ص ٥

كما أن رحمة الرحمن الرحيم بعباده يتضح لنا فى أمساك الله تعالى للسموات حسب قوانين الهية جعلها دلائل للخلق للتعرف عليه من خلال الكون وأنظمته . فالفعل دلالة على بعض صفات الفاعل وعظم قدرته قال تعالى : ﴿ الم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء ان تقع على الأرض الا بأذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ (الحج : ٦٥) .

فالسموات ممسوكة بالعمد غير المرئية دليل على كمال القدرة كما أن فيها جانب الرأفة والرحمة بالعباد فى عدم سقوط هذه الاجرام على أرضهم التى جعلت لهم فراشا ومهدا وقرارا .

فالسماء فوق أرضهم بناء متكامل متماسكا فى أحسن صورة لايرى فيها التفاوت مما يدعو الى الاطمئنان وأن هذا الرب المتكفل بامساك هذه السماء رحيم رءوف بالعباد .

وهذا مدعاه الى التوجه اليه باسمائه وصفاته وعدم صرف شيئا من التوجه الى غيره من جرم سماوى أو حجر ارضى أو غير ذلك .

ومن دلائل رحمته أيضا والمتعلقة بالاجرام السماوية وما جعل لها من أثر فى حياة الانسان قوله تعالى : ﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقنه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ (الاعراف : ٥٧) .

فالرياح لها تأثر بحرارة الشمس فى الانتقال من مناطق الضغط المرتفع الى مناطق الضغط المنخفض فينتج عن هذه العملية حركة الرياح التى تقوم بعملية نقل السحاب وهو عبارة عن بخار الماء المتكثف فى الجو

الذى انتقل من البحار والمحيطات بالتبخير الناتج عن تأثير حرارة الشمس

فهذه رحمة الله تعالى الرحيم بخلقه فلو لم يسخر سبحانه الشمس للقيام بهذه العملية لانعدمت الحياة على الأرض .

كما ان عملية نزول الغيث تؤدى الى تلطيف الجو . وكذلك يعتبر العنصر الاساسى فى زراعة المحاصيل التى ينتج عنها ثمرات مختلفه ، بدونها لايحيا الانسان .

فالله سبحانه رحمن رحيم لايعجل على خلقه بالعقوبه بل ييسر كل مقومات الحياة على الأرض مع ما يفعله العباد من جحود لنعمته وكفران بها . بل قد يصل الامر ببعضهم الى نسب ذلك الى غيره .

ذلك لانه كتب على نفسه الرحمة فهو فى غير حاجة لأحد من خلقه قال تعالى : ﴿ قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون ﴾ (الانعام : ١٢) .

فهذه الرحمة متمثله فى كل جزئية من جزئيات الكون حيث طوعت لخدمة الانسان رحمة ورأفه به .

فهو سبحانه مع كونه متصف بالرحمة ، فانه خلق مائة رحمة كل واحدة كطباق السماء والأرض جعل منها واحدة فى الأرض تتراحم بها الخلائق وفى حديث سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق مابين السماء والارض فجعل منها فى الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة) .(١)

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٩/١٧ _ كتاب التوبة، صحيح مسلم ٢١٠٩/٤ حديث رقم ٢١

فاذا تصورنا عظمة هذا الكون من اجرام سماوية وابعاد شاسعة بينها في هذا الفضاء الكوني المرئي وغير المرئي الذي لم يحدد الى الآن اقصى مسافة للابعاد فيه التي تكون طباق مابين السماء والأرض ، تبين لنا عظمة خالق هذه الرحمة الذي لم يكتفي سبحانه بواحدة بل اوجد مائة ، أنزل واحدة الى الأرض يتضح آثرها على خلقه بالتراحم بها . وابقى لديه تسع وتسعين رحمة يكملها بالرحمة التي جعلت في الأرض ليرحم بها يوم القيامة .

ولولا أنه سبحانه حق لايخلف الميعاد حيث قضى سبحانه بأثابة المطيع وعقاب العاصي ، لشملت رحمته جميع الخلق حتى العصاه . ذلك لأنه سبحانه كتب في كتابه ان رحمته سبقت غضبه . فقد ورد في الحديث الذي رواه ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي) (١) وفي الحديث القدسي عن النبي صلى الله عليه وسلم (قال الله عز وجل سبقت رحمتي غضبي) (٢) فسبحان الرحمن الذي خلق السماء والأرض والنواميس والسنن التي يسير عليها كل شئ محققة لحاجات الناس وراحتهم واستمرار حياتهم الى الاجل الذي حدده الله تعالى للحياة الدنيا . وسبحان الرحيم الذي فتح باب التوبه للعصاه للفوز بمغفرته وجنته في الآخرة .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٨/١٧ ، صحيح مسلم ٢١٠٧/٤ حديث رقم ١٤
(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة - حديث رقم ١٥

المبحث الخامس

من اسمائه وصفاته الخالق الرازق ودلالة ذلك بالفلك :

أولا : من صفاته الرزاق :

يذكر ابن حجر عن بعض أهل العلم أن الرزاق صفه فعل من افعاله سبحانه وتعالى " فهو من صفات فعله لأن رازقا يقتضى مرزوقا ، والله سبحانه وتعالى كان ولا مرزوق وكل مالم يكن ثم كان فهومحدث والله سبحانه موصوف بأنه الرزاق ووصف نفسه بذلك قبل خلق الخلق بمعنى أنه سيرزق اذا خلق المرزوقين ".(١)

ويذكر ابن الاثير ان الرزاق من اسماء الله تعالى هو" الذى خلق الأرزاق واعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها اليهم . وان الارزاق نوعان : ظاهرة للأبدان كالأقوات ، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم ". (٢)

ومعنى هذا ان الرزق الذى تكفل الله سبحانه به للخلائق نوعان

١ - الرزق الحسى كالأقوات وما يؤدى اليها من حركة فى الحياة وهو ماله علاقة بالبدن ومقوماته .

٢ - الرزق المعنوى وهو ماله علاقة بالقلب والنفس من ايمان ومعارف وعلوم .

وما يخصنا فى الجانب الفلكى هو الرزق بمعناه الحسى ، فالاثار التى جعلها الله سبحانه وتعالى من اسباب الرزق كثيرة منها ماله علاقة بالاجرام السماوية لانها جزء من السماء وما يقابلها من أسباب فى الرزق وله علاقة بالارض قال تعالى : ﴿ ياأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم

---

(١) فتح البارى ١٣/٣٦٠

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/٢١٩

هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى توفكون ﴾
(فاطـــر : ٣) .

فمثلا دورة الماء فى الكون اكبر دليل على ان المتكفل بالرزق فـى السماء والأرض هو خالق هذا الكون . حيث تنقل كتل كبيره من مياه البحار والمحيطات الى أعالى الجو عن طريق التبخير الناتج من أشعة الشمـس وانتقال هذه المياه بواسطة الرياح بحيث تتكون السحب التى تنزل بشكـل امطار تكون من اكبر عوامل المياه الجوفيه والسطحية التى يستفاد منهـا فى عمليه الزراعة والرى واستخراج الطاقة الكهربائية التى تدخل فـى كل مجال من مجالات حياة الانسان كل ذلك تسهيلا من الله سبحانه لحيـاة الانسان . وهذه اهم عوامل الرزق .

كما أن تقلبات الاجواء خلال العام بما يعرف بالفصول له أثر كبيـر على تنوع المحاصيل الزراعيـة .

وتوفر الرزق يظهر ايضا فى مجال السياحة والتجارة التى ترتبـط بأثر حركة الشمس وأشعتها . فالناس عندما ينتقلون من بلد الى آخـر قاصدين السياحة انما أغلب دافع لهم فى ذلك هو تغير درجات الحرارة علـى مدار الفصول الاربعـة . فيحاولون الرحيل الى مناطق معتدلة الجو بقصـد الاستجمام وفى ذلك تنشيط لعملية السياحة فى البلدان مما يتسع بهـا دائرة الرزق على أهل البلاد الاكثر سياحة .

كما أن التجارة تتطلب التنقل من بلد الى بلد بقصد الرزق وأكثـر الاعتماد فى ذلك على حركة المواصلات كحركة السفن فى البحار التى لازالـت تعتمد على حركة الرياح . قال تعالى : ﴿ ان فى خلق السمـوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع النـاس

وما أنزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون * (البقرة : ١٦٤) .

كما أن حركة الرياح المتعلقة بتأثير أشعة الشمس يستفاد منها الآن فى انتاج الطاقة لخدمة الانسان فى مجالات كثيرة .

ان ذلك كله تسهيل الله الخالق الرزاق اذا لولا تسخيره لقوى الكون لحياة الانسان لصعب اكتساب الرزق على الانسان ، ذلك لأن من صفاته سبحانه الرزاق الرحيم الذى من رحمته بخلقه أنزل عليهم نعمة من خزائنه التى لاتنفذ والتى توجد فى السموات والأرض يقول تعالى ردا على المنافقين القائلين بعدم الانفاق * هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون * (المنافقون : ٧) .

ملكية تامه شامله يتصرف فيها سبحانه حسبما يريد .

فالرزق قد تكفل به ولم يحجبه عن أحد وأنما جعل معايش الناس مختلفة كل له قدره من الرزق والمعاش . وليس ذلك الخشيته من الفقر فهو الغنى سبحانه انما قضى سبحانه بمشيئته تقدير نزول الأرزاق من هذه الخزائن بقدر معلوم . قال تعالى : * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأبنتنا فيها من كل شئ موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وان من شئ الا عندنا خزائنه وما تنزله الابقدر معلوم * (الحجر : ١٩ - ٢٠) .

ثانيا : من صفاته الخالق :

وردت مادة خلق اثباتا لصنع الخالق فى كتابة العزيز فى مواطن كثيرة الا أنها وردت بصيغة أسم الفاعل فى أحد عشر موضعا قال تعالى مفردا نفسه بالخلق والرزق مما يوجب افراده بالالوهيه ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى توفكون ﴾ (فاطر : ٣) . وقال تعالى : ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ (الحشر : ٢٤) .

ووردت بصيغة المبالغة فى معرض الاشارة الى خلق السموات والأرض فى موضعين قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتيه فأصفح الصفح الجميل . ان ربك هو الخلاق العليم ﴾ (الحجر : ٨٥ - ٨٦) .

وقال تعالى فى الرد على من زعم عدم الاعادة والبعث ﴿ أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ (ياسين : ٨١) .

كما أن ورود مادة خلق فيما يخص السموات والأرض ومابينهما فى كتاب الله لايقل عن خمسة وستين مرة قال تعالى : ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ (الانعام : ١) .

وقال تعالى مدللا على ربوبيته للخلق ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر

تبارك الله رب العالمين ﴾ (الاعراف : ٥٤) .

والكون كله يشهد شهادة حق بلسان واحد بأن له ربا خالقا ان لم يكن بلسان ناطق فهو بلسان الحال . ونظامه يشهد بذلك . فهو سبحانه أوجد المخلوقات من العدم بعد اذ لم تكن الا ان الاشارة الى ايجاد هذا الخلق ورد بمترادفات مادة خلق مثل فطر وجعل . فما المقصود بكل من هذه المترادفات ؟ وما علاقة كل منهما بمادة خلق ؟ وما وجه الاختلاف بينهما .

مادة خلق ومترادفاتها :

مادة خلق فى اللغة تدل على التقدير [1] يقول ابن الاثير " ومن اسماء الله الخالق وهو الذى أوجد الأشياء جميعها بعد أذ لم تكن موجودة. وأصل الخلق التقدير ، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها ، وباعتبار الايجاد على وفق التقدير خالق ". [2] قال تعالى : ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا ﴾ (الفرقان : ١ - ٢) .

فهو سبحانه قادر على الايجاد ومتصرف فيه بحيث اوجد كل شئ مقدرا بقدره ولو تأملت الكون بكل ما فيه من جزئيات لوجدت الدقة فى كل شئ .

وقد انتهت العلوم الحديثة الى نفى نظرية الصدفه والاحتمال فى الاشياء فمثلا كما يخبر علم الفلك لو أن المادة التى يتركب منها نجم من النجوم اختلفت نسب التركيب فيها بقدر حوالى واحد الى عشرة امامها

---

(١) مقاييس اللغة ٢/٢١٣ ، بصائر ذوى التمييز ٢/٥٦٦

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/٧٠

ستون صفرا لما وجد نجم من النجوم على ماهو عليه الآن .

وهذا دلالة واضحة على أن العشوائية لايصدر عنها كون بهذا النظام المحكم الدقيق ذلك لأن الله تعالى هو خالقه ولأن من اسمائه وصفاته الخالق الذى اوجد وابدع حسب تقدير مسبق محكم . ذلك لأن خلق تستعمل فى ابداع الشئ من غير أصل ولا احتذاء قال تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ﴾ (البقرة : ١١٧)

ويقول صاحب البصائر " وليس الخلق بمعنى الابداع الا الله تعالى ، ولهذا قال تعالى فى الفصل بينه وبين غيره ﴿ أفمن يخلق كمن لايخلق ﴾ (النحل : ١٧) ".(١)

اما مادة فطر فان آسم الفاعل منها فاطر وقد ورد من صفات الله سبحانه الفاطر بحيث وردت هذه الصفه فى الكتاب العزيز ست مرات كلها متعلقه بخلق السموات والأرض قال تعالى : ﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ (الزمر : ٤٦).

وقال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحه مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير ﴾ (فاطر : ١) .

وقال تعالى حكاية عن الرسل فى جدال اقوامهم لاثبات احقية العبادة له سبحانه ﴿ قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا تريدون آن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴾ (ابراهيم : ١٠) .

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى ٥٦٦/٢

وفطر تعنى فى اللغة مادل على فتح شئ وابرازه - والفطر اظهار الحادث باخراجه من العدم الى الوجود كأنه شق عنه فظهر والفطرة : الشق والفطرة بكسر الفاء : الابتداء والاختراع . (١)

اذاً فالفاطر هو المبتدئ فى الايجاد بحيث أبرز الحادث بأخراجه من العدم .

أما مادة جعل فهى " كلمات غير منقاسة لايشبه بعضها بعضا "(٢) فهى ترد بمعنى وضع ، صنع ، صار ، عمل ، خلق ، قال "وفى الجملة تكون بمعنى فعل فى أصل المعنى وعلى أى معنى ذكرته فلا يخلو من معنى الفعل . والجعل اعم من الفعل والصنع وسائر اخواتهما " . (٣)

ويذكر صاحب نزهة الأعين " والجعل اذا اضيف الله تعالى فهو ينقسم فى حقه الى قسمين هما :

١- بمعنى الخلق ومنه قوله تعالى : ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ (الانعام: ١)

٢ - بمعنى التصير ومنه قوله تعالى : ﴿ انى جاعلك للناس اماما ﴾ (البقرة : ١٢٤) ". (٤)

ويذكر صاحب الفروق " ان الجعل يأتى بمعنى تغيير صورة الشئ بايجاد الأثر فيه وبغير ذلك . والجعل أيضا يكون بمعنى الاحداث " (٥)

اذاً ترد جعل بمعنى احدث واوجد واظهر وصير .

وفى الآيات القرآنية المتعلقة بالفلك التى وردت فيها مادة جعل جاءت بهذه المعانى الا أنه فعل متضمن وجود آثر الشئ وصفته قال تعالى :

---

(١) مقاييس اللغة ٥١٠/٤ ، الفروق اللغوية ص ١٠٩ ، لسان العرب ٥٥/٥ -٥٦
(٢) مقاييس اللغة ٤٦٠/١
(٣) بصائر ذوى التمييز ٣٨٤/٢
(٤) نزهة الاعين النواظر لابن الجوزى ص ٢٢٩
(٥) الفروق اللغوية لابى هلال العسكرى ص ١١٠ ، ١١١

﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ﴾ (البقرة : ٢١ - ٢٢) .

فهو سبحانه اوجد الأرض متصفه بكونها فراشا للانسان واوجد السماء كصفة البناء .

وقال تعالى فى موضع آخر ﴿ فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (الانعام : ٩٦) .
فهو سبحانه قدر وجود الليل واخترعه ليكون سكنا للانسان فى حالة الراحة والنوم وهى نعمة منه سبحانه على عباده كما قد اوجد وابدع نظام الشمس والقمر بحيث يمكن الانسان من معرفة عدد السنين والحساب والتوقيت وهذه من الخصائص التى جعل الله حياة البشر على الأرض متأثره ومرتبطة بالاجرام فى هذه الناحية .

وقال تعالى : ﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ (الانعام : ٩٧) .
أى اوجد النجوم واحدثها متصفه ومتميزه بأثرها فى حياة الناس بحيث يعتمد عليها فى تحديد الاتجاه خلال السير فى البر او فى البحر .

كما ذكر سبحانه فى بعض خصائص السماء وصفاتها حينما أوجدها وأظهرها على غير مثال سبق قائلا ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمر منيرا . وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد أن يذكر أو اراد شكورا ﴾ (الفرقان : ٦١ - ٦٢) .

هذه صفات للسماء وما فيها من شمس وقمر وما يطرأ من تعاقب الليل

والنهار على الأرض نتيجة لحركة الشمس والقمر فى المسار الظاهرى للبروج وما ينتج من أثر حاصل من كون الشمس سراج والقمر نور على الحياة على هذه الأرض لإصلاح شأن أهلها .

أوجدها خالق الكون بهذه المميزات لانه رب هذا الكون والقائم على اصلاحه بما يتلائم مع الارادة والمشيئة والاختيار المطلق لله سبحانه .

اذاً فخلق ومترادفاتها كفطرو جعل تدل على الايجاد والاظهار والاختراع الا آن بينها فروقا .

فخلق هو الايجاد من العدم بحيث يتضمن معنى التقدير فلا مجال للصدفه والا ادى ذلك الى فساد نظام الكون . يقول بعض علماء الفلك "ان مصادفة مرور نجمين متقاربين لدرجة تكفى لاحداث خفاق هدام هى فى نطاق الملايين وان مصادفة التصادم هى نادرة لدرجة وراء الحسبان " (١)

فهو ايجاد مقدر ذلك لان الخالق سبحانه حينما اوجده قدره تقديرا من اسمه الخالق فهو الذى اخترع الكون على غير مثال سبق .

وأما فطر فهو الايجاد من العدم بالاظهار بحيث يتضمن معنى الابتداء من غير شئ سابق وعلى غير مثال سابق فقد اوجد واظهر من العدم .

والدليل على ان فطر تتضمن معنى الابتداء ماروى عن ابن عباس قال : " ما كنت أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى احتكم الى عرابيان فى بئر فقال احدهما : أنا فطرتها . أى ابتدأت حفرها " . (٢)

وأما مادة جعل فهو الايجاد المتضمن لوجود أثر الشئ أو صفته وقد أتضح لنا ذلك من الآيات السابقة التى تتحدث عن ايجاد السموات والأرض وما

---

(١) العلم يدعو للايمان - كرسى موريسون ص ٥٢
(٢) غريب الحديث والاثر ٤٥٧/٣

فيهما وما بينهما بأستخدام مادة جعل والأمثلة من ذلك كثيـــرة .

فسبحان الخالق الذى تظهر دلائل خلقه فى هذه الآفاق وما أحدثـــه فيها من آثر أوصفه تعود على هذا الانسان بالخير الحسى والمعنوى .

المبحث السادس

من اسمائه المتعلقة بقدرته وعظمته سبحانه ودلالة ذلك بالفلك :

القادر ، العظيم ، العزيز ، العلى ، الجبار ، القوى ، القهار، المهيمن .

ان دلائل الافاق لتوضح جانبا من هذه العظمه والقدرة . فالسموات والأرض كما هو واضح من علوم اليوم مدى عظمتها وسعتها ، والمسافات الشاسعة بينها الا انها بالنسبة لخالقها الذى ابدعها واوجدها من العدم لاتساوى شيئا . وهذه العظمه وهذه القدره تبينها لنا النصوص القرآنية والأحاديث الشريفه .

من صفاته القادر :

قال تعالى : ﴿ او لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا ﴾ (الاسراء : ٩٩) .

والقادر فى اسماء الله " هو الذى له القدرة الشاملة والقدرة له صفه قائمة بذاته "(١) وفى الآيات القرآنية تأكيدا لقدرته سبحانه الشامله على كل شىء لكون ملك السموات والأرض وما فيهن راجع اليه قال تعالى : ﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شىء قدير ﴾ (المائدة : ١٢٠) .

وتوضيحا لجانب من قدرته سبحانه نستعرض مافى علم الفلك الذى يبين لنا جانبا من علم الآفاق فعلى سبيل المثال :

---

(١) الاعتقاد للبيهقى ص ٢١

١ - أشباه النجوم التى تعتبر من انواع النجوم التى حاول العلماء وضع التصورات والتفسيرات التى تفسر حقيقة هذه الاجرام من حيث نظام حركتها وطريقة تصرفها حيث يدعو ذلك الى التأمل والتعجب من صنع من له القدرة الشاملة على تصريف حالها وامرها فما يصدر عنها يدعو الى الوقوف والتدبر فهى - تبعث مقدارا من الطاقة يعادل مليون شمس مثل شمسنا .

- السرعة الكبيرة التى تتحرك بها مبتعدة عنا تحقيقا لقوله تعالى :

﴿ والسماء بنيناها بأييد وانا لموسعون ﴾ (الذاريات : ٤٧) .

- مايصدر عنها من موجات راديويه يقرع هوائيات المراقب بشدة .

٢ - انواع من الاجرام السماوية تسمى الثقوب السوداء تدعو الانسان الى التفكر فى صنع من له القدرة سبحانه ، فهى تتصف بصغر حجمها لكن كتلتها تصل الى حد كبير جدا ، فهو تتميز بانضباط المادة فيها الى حد ان يقال بأمكانية التحام نويات الذرات حتى يصغر حجمها . لكن كتلتها على ماهى عليه قبل الالتحام .

فمثلا لو أن الأرض تحولت الى ثقب آسود فان حجمها يصبح بحجم كرة صغيرة لايتعدى نصف قطرها تسعة وثمانين بالمائة من السنتمتر ولكنها وهى فى هذا الحجم محتفظه بوزنها وجاذبيتها .

كما ان الثقوب السوداء تتصف بأن جاذبيتها لاتسمح لشىء بالافلات منها حتى شعاع الضوء ، ولهذا لايمكن ان نرى من هذه الاجسام شيئا مهما تحسنت أجهزة الرصد . (١)

وآثار قدرته سبحانه واضحة فى هذا الكون فالاجرام السماوية على قدر احجامها وكتلها تسبح فى هذا الفضاء فوق رؤوسنا دون ان يسقط

---

(١) مجلة الفيصل العدد ٤٣ لعام ١٤٠١ ص ١٢٣ بتصرف .

منها شئ ذلك لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بامساك السموات بما وضع من قوانين وسن من سنن تجعل من هذه الاجرام كتلا متماسكة مع ماهى فيها من نظام حركة قال تعالى : ﴿ ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا ﴾ (فاطر : ٤١) .

ومن صفاته العظيم :

كما أن الكون دليل من دلائل عظمة الله الخالق . فالكون مع عظمته الا انه بالنسبة لبعض مخلوقات الله لايعد شيئا فكيف بعظمته سبحانه . قال تعالى فى آية الكرسى موضحا كمال عظمته ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ولايؤده حفظهما وهو العلى العظيم ﴾ (البقرة : ٢٥٥)
وأود فى اللغة تدل على " العطف والانثناء . آدت الشئ عطفته
والى هذا يرجع آدنى الشئ يؤودنى ، كأنه ثقل عليك حتى ثناك وعطفك " . [١] فيكون معنى الآية لا يثقله حفظ السموات والأرض . وهذا كمال العظمه والقدرة والعلو .

وقد اورد الطبرى حديثا يوضح عظمة ملك الله ، وأن السموات والأرض لاتعد شيئا بالنسبة لعظمة ملك الله سبحانه وقدرته فعنه صلى الله عليه وسلم (ما السموات السبع فى الكرسى الا كدراهم سبعة القيت فى ترس) [٢]
وعن ابى ذر رضى الله عنه قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما الكرسى فى العرش الا كحلقة من حديد القيت بين ظهرى فلاة

---

١ - مقاييس اللغة ١ / ١٥٤
٢ - جامع البيان للطبرى ٣/١٠

من الأرض) . (١)

وقد اختلف المفسرون فى المراد من الكرسى الا ان من الاقوال فيه انه موضع قدمى الرحمن سبحانه فقد أورد الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال " الكرسى موضع قدميه والعرش لايقدر قدره " .(٢)

فاذا كان السموات بهذه العظمه وهذه المسافات الشاسعة وهذه الحركة الكبيرة التى تدل الارصاد الفلكية على أنها تبتعد عنا بعدا كبيرا ، علما بأن علم الفلك لايخبرنا الا عن مجال ضيق جدا فى حدود السماء الدنيا فما بالك بالسموات السبع والارضين السبع والفضاء الذى بين كل منهما الذى يقدر بحوالى خمسمائه عام كما اشارت الاحاديث والآثار . وهى لاتعد شئ بالنسبة لكرسى الرحمن الا كدراهم سبعة القيت فى ترس ، وهذا الكرسى بالنسبه لعرش الرحمن كحلقة فى فلاة من الأرض .

منتهى العظمه والعزة والملك سبحانه . قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامه والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (الزمر : ٦٧) .

كمال العظمه والقدرة له سبحانه كما ان ذلك دلالة على صفات القوة والجبروت له سبحانه .

---

(١) جامع البيان ٣/١٠
هاذان الحديثان لم تخرجها الكتب السته وليست عند أحمد أو فى الموطأ وانما ذكر السيوطى فى الدر المنثور أن حديث ابى ذر أخرجه غير الطبرى ، أبو الشيخ فى العظمه وابن مردوية والبيهيقى فى الاسماء والصفات بلفظ (أن اباذر سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكرسى فقال : ياأباذر ما السموات السبع والأرضين السبع عند الكرسى الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وان فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة) .. الدر المنثور ٣/١٧

(٢) مستدرك الحاكم ٢/٢٨٢

من صفاتـه القوى الجبـار :

والقوى وهو " أن يكون تام القدرة لايستولى عليه عجز فى حالة من الاحوال ، ويرجع معناه الى صفة القدرة " (١) قال تعالى : ﴿ ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز ﴾ (الحـج : ٧٤) .

اى هو " القوى الذى بقدرته وقوته خلق كل شئ " (٢)

وان الاجرام السماوية لهى اكبر دلالة على قوة خالقها وعدم عجزه فى اى حال . فالسرعات التى تتحرك بها هذه الاجرام فى افلاكها من يوم ان خلقها سبحانه الى هذه اللحظه والى حين ان يأذن الله فى انتشارها او انكدارها حينما تنتهى مهمتها التى خلقها من آجلها تنفيذا لأمره الكونى لتدل دلالة على كمال القوة له سبحانه .

فالشمس مثلا تتحرك فى مدارها بسرعة كبيرة جدا فهى " تدور ووراءها توابعها حول مركز مجرتنا - طريق التبانه - بسرعة مائتين ميل فى الثانية " (٣)

كما آن هناك " جزئيات مشحونه كهربائيا من الشمس تنتقل بسرعة تتراوح بين ثمانمائه وثلاثة الالف كيلو متر فى الثانية " . (٤)

وحديثنا فى توضيح جانب من قوته سبحانه لايتعدى السماء الدنيا وزينتها ، لان علم الفلك على قدر تقدمه لم يتوصل الى سبر كامل لزينة السماء الدنيا فما بالك بالسموات الاخرى ومابينها من فضاء وما فيها من مخلوقات التى لايعلم عنها شيئا الا بقدر ما تخبرنا به نصوص الوحى

---

(١) الاعتقاد للبيهيقى ص ٢١

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢٣٥

(٣) الشمس فى حياة الانسان ص ٢٩

(٤) المصدر السابق ص ٢٦

التى افادت عظم هذه المخلوقات ومدى قوتها فما بالك بخالقها سبحانه المتصف بكمال القوة والهيمنه والقهر لهذا الخلق سبحانه .

والجبار فى صفاته" هو الذى لاتناله الايدى ، ولايجرى فى ملكه غير ما أراد ، وهو من الصفات التى يستحقها بذاته ". (١)

وكل مافى الكون يشهد على جبروت خالقه لاتناله الايدى ولايجرى فى ملكه غير ما أراد . فعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض) . (٢) - منتهى الجبروت .

فالأرض التى تعتبر بالنسبة لنا كبيرة عظيمه لما فيها من جبال وبحار وفضاء واسع فى جميع الانحاء ، التى يحار الانسان فى عظمة خالقها الذى أوجدها بهذا النظام وهذا القرار مع كونها تسبح فى الفضاء ، فهى بالنسبة للخالق سبحانه يوم القيامة كالخبزة فى يد الخباز حينما يعمل العجينة فعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (تكون الأرض يوم القيامه خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ احدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة) (٣) .

ففى الحديث توضيحا لعمل الجبار المتصف بكمال العظمه والقدرة والجلال بهذه الارض كما يعمل الخباز بالعجينه عندما يميلها ويقلبها بيده حتى تصبح كهيئة القرص . مع أن هناك فارق بين صنع الخالق الجبار القادر العظيم وبين صنع المخلوق ، لأنه سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير .

---

(١) الاعتقاد للبيهقى ص ١٨

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣٧٢/١١ ، صحيح البخارى ١٣٥/٨

(٣) المصدر السابق نفس الصفحه ، صحيح البخارى ١٣٥/٨ - باب يقبض الله للأرض .

وفى الحديث اثبات لبعض صفات الرب سبحانه ورد على من انكر ذلك . عظمه وجبروت وكمال قدره لكونه سبحانه متصف بصفات الكمال .

ومن صفاته المنتقم :

وهى صفه من صفات سبحانه تدل على عظمته وقدرته "وهو الذى ينتصر من اعدائه ويجازيهم بالعذاب على معاصيهم ، وقد يكون بمعنى المهلك لهم " . (١)

لذلك جعل الله سبحانه النار فى الآخرة للعصاه له سبحانه ولاعدائه التى يخبرنا عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم بأمر واقع محسوس له علاقة بالفلك ففى تعاقب الفصول الأربعة تذكير بالآخره وبنار جهنم وبشدة انتقامه سبحانه من اعدائه يقول صلى الله عليه وسلم (قالت النار : رب اكل بعضى بعضا فأذن لى أتنفس فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حرأ وحرور فمن نفس جهنم) . (٢)

فاذا كانت شدة الحرارة التى تعتبر لنا فى واقعنا المحسوس أثر من آثار الشمس نظرا لما تشعه الشمس من طاقة حرارية حيث تصل حرارتها على السطح ست الالف درجة مطلقة وفى جوفها الى عشرين مليون درجة مئوية فما بالك بحرارة جهنم التى من انفاسها مايحسه الانسان فى شدة الحر فى الصيف .

واذا نظرنا الى النجوم فانها تعتبر افران شديدة الحرارة لاتعد شمسنا بالنسبة اليها الاجزء بسيط اذا ماقورنت بها حراريا .

---

(١) الاعتقاد للبيهقى ص ٢٢

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١١٩/٥ ، صحيح مسلم ٤٣٢/١ ، حديث رقم ١٨٧

فاذا كانت هذه الافران التى تعد من عالم الشهادة بهذه الحرارة الشديدة فما بالك بنار جهنم التى تعد من عالم الغيب الذى نفس من أنفاسها هو أشد أيام الحر فى الصيف والذى لايطيق الانسان تحمله ويسعى جهده لتفاديه بكل الوسائل .

فكيف بجهنم التى اعدها سبحانه للانتقام من اعدائه . فسبحان من له العظمه والكبرياء والجبروت والعزة المتصف بصفات الكمال والجلال .

المبحث السابع

النافع والضار هو الله سبحانه وتوضيح ذلك بالفلك :

قال تعالى : ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا ﴾ (الفتح : ١١) .

فالنافع فى صفات الله سبحانه " هو موصل النفع الى من يشاء " والضار فى صفاته سبحانه " هو موصل الضرر الى من اراد ".(١)

وهذه من صفات ربوبيته للخلق سبحانه فهو سبحانه عندما ينفع أو يضر الخلق انما يعود ذلك لقضية الابتلاء التى من أجلها خلق الانسان قال تعالى : ﴿ وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ﴾ (هود : ٧) .

ونفعه سبحانه لخلقه فى تسخير هذا الكون لخدمة الانسان متمثلا فى كل جزئية ففى مجال الشمس والقمر جعل أحدهما ضياءا واحدهما نورا كما جعلهما علامه لمعرفة السنين والحساب . وبالرجوع الى ماذكرنا سابقا فى الحديث عن آثار الاجرام السماوية التى جعلت مسخره من الله يتضح المنافع الجمة التى جعلها الله سبحانه لهذا الانسان فى هذه الارض ،ويذكرنا سبحانه وتعالى بنعمة علينا حيث ذكر فى مواطن كثيره من كتابه العزيز مجالات تسخير الكون قال تعالى : ﴿ الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لأيات لقوم يتفكرون ﴾ (الجاثيه : ١٢ - ١٣) .

---

(١) الاعتقاد على مذهب السلف للبيهيقى ص ٢٣

فالنفع والضر هو من الافعال الخاصه بالله سبحانه وتعالى كالاحياء والاماته والتدبير والخالقية ونسبة ذلك الى غيره يعتبر من الشرك والكفر وان المتتبع لديانه الامم السابقة والتى من ضمنها ديانات فلكية يجد ان هذه الامم لم تعمد الا عبادة هذه الاوثان والاصنام والاجرام السماوية الا معتقدة فى نفعها وضرها . كما هى مزاعم قوم من الصابئة تسمى الحرنانية حيثوا زعموا " أن الله تعالى أجل من أن يخلق الشرور والقبائح والأقذار والخنافس والحيات والعقارب . بل هى كلها واقعة ضرورة من اتصالات الكواكب سعادة ونحوسه . واجتماعات العناصر صفوة وكدرة فما كان من سعد وخير وصفو فهو المقصود من الفطرة فينسب الى البارى تعالى وما كان من نحوسه وشر وكدر فهو الواقع ضرورة فلا ينسب اليه . بل هى اما اتفاقيات وضروريات واما مستندة الى أصل الشرور والأتصال المذموم " .(١)

وهذه دلالة على ان الشرك والكفر لم يكن فقط فى احقية العبادة لله تعالى وانما تعدى ذلك الى الشرك والكفر فيما يخص الله سبحانه وتعالى من أفعال .

وهذا برهان واضح على ان الامم السابقة ومنها العرب فى جاهليتها لم تقر بالتوحيد المتضمن الاثبات والمعرفة لله سبحانه وأنما أثبتت جانبا من الفاعلية له سبحانه وهى الخالقية .

وهذا ليس توحيدا لله وانما هو اثبات لجانب من جوانب الفاعلية لله سبحانه متمثلا فى الخالقية ولكنهم ينسبون الضر والنفع لالهتهم وهذا

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ٥٦/٢

هو شرك الفاعلية كما يتضح من الحديث الذى رواه مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الم تروا الى ما قال ربكم قال ما أنعمت على عبادى نعمة الا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب) . (١)

وهذا يعنى ان نسب النفع أو الضر الى غير الله سواءا كواكب او غيرها يؤدى بالانسان الى الشرك . والله سبحانه غنى عن الشرك كما أشارت بذلك النصوص القرآنية والاحاديث النبوية .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ٦٠ ، صحيح مسلم ٨٤/١ حديث رقم ١٢٦

الفصـــــل الثانـــى

معرفة الله تعالى تستلزم التوجه اليه وحـــده

ويشتمـــل على المباحـــث :

أولا : التوحيد العلمى والطلبى وعلاقته بالفلـــك

ثانيا : عبادة الكون لله عز وجل ونقض عقيدة الصابئه ونسب الفاعليه له .

ثالثا : واجب الانسان حينما يرى الكون مشاركا فى العبادة للـــه .

رابعا : التوجه بالشفاعة لله سبحانه ونقض عقيدة الصابئه فى ذلك .

المبحث الاول

التوحيد العلمي والطلبي وعلاقته بالفلك :

ان الله سبحانه وتعالى أستشهد على استحقاقه للعبادة باسمائه وصفاته وبكونه ربا والها قال تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم . ذالكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فأعبدوه وهو على كل شئ وكيل ﴾ (الانعام : ١٠١ - ١٠٢) .

فالله سبحانه وتعالى بعد أن عرفنا باسمائه وصفاته المشتملة على ربوبيته للعالمين بما أنزله فى كتابه العزيز وبما وضحه رسوله صلى الله عليه وسلم فى سنته مساندا لما فى الفطرة من الاعتراف بربوبيته قال تعالى : ﴿ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الاعراف : ١٧٢) .

فقد جعل فى الآفاق والأنفس علامات ظاهرات على اتصافه سبحانه بالكمال المطلق والفاعلية المطلقة ووضح ذلك لنا بالدلائل . وما زالت هذه الدلائل تظهر لكل ذى لب تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى تبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣) .

وان المستقرئ لجزئيات الكون يتضح له ويعلم بذلك علم يقين ان خالق الكون يتصف بصفات الكمال المطلق ويجد من النصوص الشرعية مايؤكد له ما علمه من استقراء . فالكون كله يشهد شهادة حق باتصاف خالقة بصفات

الكمال لأنه فعل الله الخالق فهو مرآه لبعض صفات خالقه .

والمؤمن صادق الايمان يكفه شهادة ربه ذلك لأن الله المحيط بكل شيء علما أخبر ووضح وبين . الا ان المعاند الضال مهما أتضحت له السبل فى ذلك فهو أعمى عنها وعماه من عمى البصيره قال تعالى : ﴿ أفلا يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ (الحج : ٤٦)

لذلك نجد أن نصوص الوحى تدعو دائما الى الوحدة فى الاعتقاد وهذا الاعتقاد يتمثل فى التوجه اليه سبحانه والاستسلام له فى جميع الامور لأن ذلك هو الاسلام المطلوب من جميع الخلق نحو ربهم والهم وخالقهم المتصف بصفات الكمال المطلق .

ولقد جعله الله الدين الحق قال تعالى : ﴿ ان الدين عند الله الاسلام وما أختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب ﴾ (آل عمران : ١٩) .

والكون كله مقرا بهذا الدين حيث يتمثل فى خضوعه واستسلامه لما سن به ربه من قوانين قال تعالى : ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون ﴾ (آل عمران : ٨٣) .

الا ان الاسلام المطلوب من الانسان يختلف عن اسلام جزئيات الكون والتى منها الاجرام السماوية فاسلام هذه الاجرام هو اسلام قسرى جبرى اما اسلام الانسان فلا بد ان يكون عن طاعة واختيار ذلك لان الله سبحانه كرمه وجعل من دعائم تكريمه جانبا اختياريا فى بعض شئون حياته ومع أنه تكريم الا أنه فى حد ذاته ابتلاء ليحقق العبودية لله التى هى حق الله عليه وذلك بعد ما عرف من الكون أن ربه وخالقه متصف بصفات الكمال .

هذا العلم المساند للفطره والمدعم بأرسال الرسل الذين جاءوا بالوحى من الله ليتعرف هذا المخلوق حق آله وخالقة عليه بتوحيده طلبا وقصدا بعد توحيد علما ومعرفة .

ذلك لأن التوحيد العلمى الخبرى يستلزم التوحيد الطلبى القصدى .

هذا التوحيد هو المعروف بتوحيد العبادة لله تعالى حيث كل أفعال العبادة ما هى الا ارادة الطلب ممن ثبت له الكمال المطلق والفاعلية المطلقة . حيث قد عرف العبد بدلالة الآفاق وبدلالة الأنفس المؤيدة بنصوص الوحى من صاحب الشرع ان ربه وآلهه وخالقه هو المتصف بصفات الكمال المطلق والفاعليه المختارة المطلقة وأثبتها له عن معرفة تامه فلزم عليه اذاً التوجه اليه بالطلب والقصد بما يشمل انواع العبادة المتضمنه لذلك التوجه ونصوص الوحى كما أوضحت وبينت النوع الاول من التوحيد فانها الزمت بالنوع الثانى من التوحيد ذلك لأن للعبادة هى حق الله على عباده كما أوضح الحديث الذى رواه معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه (حق الله على عباده أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا ...)[1] ذلك لأن الله سبحانه خلق الانسان للابتلاء الذى أول شئ فيه هو العباده قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾(الذاريات ٥٦ -٥٨) والنصوص المتعلقة بالفلك والمشتمله على الالزام بتوحيد العبادة لله كثيرة منها على سبيل المثال . قوله تعالى: ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (القصص :٧٣)

---

(١) صحيح البخارى ٢١٨/٧ كتاب اللباس
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣٩٨/١٠ حديث رقم ٥٩٦٧

والشكر لله سبحانه هو نوع من العبادة ذلك لأن فيه قصد وتوجه وطلب لله سبحانه . فالله سبحانه الزم بالشكر بعد ان بين ان الفاعلية منه المشتملة على رحمته هى التى جعلت من تعاقب الليل والنهار الذى هو أثر لحركة الشمس الظاهرية مجالا للسكنى وابتغاء الفضل . اذاً فيجب على المكلف التوجه بالشكر لواهب هذه النعمه . وفى قول ابراهيم عليه السلام لقومه حينما سفه احلامهم والهتهم قال تعالى حكاية عنه ﴿ انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ (الانعام : ٧٩) .

فالتوجه لله سبحانه هو جوهر العبادة لذلك نجد أن خليل الرحمن لما أتضحت له الرؤيا فى ملكوت الله وعرف الاله الخالق بأن من صفته الدوام وعدم الزوال وعدم الفناء قصده وطلبه واراده وأنكر على قومه فى توجههم الى أصنام على امثلة الاجرام السماوية التى تتصف بالافول والغياب فى حركتها الظاهرية فهى غير دائمة والاله صفاته تنافى هذه الصفه اذاً فالتوجه يكون لمن يتصف بالكمال فى الدوام ذلك لأن من صفاته الدائم . وخليل الرحمن لما حاجه قومه وادعوا بأن آلهتهم سوف تمسه بالسوء والخبل وخوفهم عليه من ذلك اجابهم بأن هذه الالهة غير مالكه للضر والنفع فلا يخاف منها بل الخوف يكون ممن خلقها . والخوف من الله سبحانه هو توجه اليه وهو نوع من العبادة قال تعالى حكاية عن ابراهيم وقومه ﴿ وحاجة قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ماتشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع كل شىء علما أفلا تتذكرون ﴾ (الانعام : ٨٠)

وانواع العبادة التى يقوم عليها النوع الثانى من التوحيد لها جوانب كثيرة هذه الجوانب يمكن تقسيمها الى نوعين من الاعمال .

١ - اعمال العبادة الخاصة بالقلب .

٢ - اعمال العبادة الخاصة بالجوارح .

الا أن كلا الجانبين له علاقة بالقلب لأن الاعمال مرجعها الى النية كما أشار الحديث الذى رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى ..) الحديث .[1] والنيه محلها القلب فبصلاحها تصلح الامور وبفسادها تفسد الامور كما أشار الى ذلك حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه فيما رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم (الا وان فى الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب) .[2]

وكلا النوعين من الاعمال هو ما يحدد الايمان والاسلام ذلك لأن أصل الايمان التصديق المنعقد من القلب وأصل الاسلام الاستسلام والانقياد فى الظاهر . وكلاهما دعامته التوحيد فى جانبه الاول ومتلبس بهما فى جانبه الثانى .

والكون كله يشارك الانسان فى الاسلام كما أشارة بذلك الآية قال تعالى: ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون ﴾ (آل عمران : ٨٣) .

وتوضح النصوص الشرعية أن للكون اعمالا خاصة بالتوحيد تشارك فيها الانسان فى التوجه بها الى خالق الكون الا ان هذه الاعمال اقرب الى اعمال الجوارح كالتسبيح والسجود والانقياد والطاعة .

---

(١) صحيح البخارى ٣/١ باب كيف بدء الوحى .
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٩/١ كتاب بدء الوحى حديث رقم (١)

(٢) نفس المصدر ٢٠/١ كتاب الايمان - باب فضل من استبراء لدينه
فتح البارى ١٢٦/١ حديث رقم ٥٢ .

المبحث الثاني

عبادة الكون لله عز وجل ونقض عقيدة الصائبة ونسب الفاعلية له :

الانقياد والطاعة :

فالانقياد والطاعة متمثله فى استجابتها لخالقها لما سخرها وكل الآيات الدالة على التسخير لجزئيات الكون لحياة الانسان على الأرض فيها دلالة على الطاعة والانقياد لخالق الكون . قال تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سنوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (فصلت:١١-١٢)

ويذكر أهل التفسير" أن الله جل ثناؤه قال للسماء والأرض جيئا بما خلقت فيكما أما أنت ياسماء فأطلعى ماخلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم وأما أنت يا أرض فأخرجى ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات وتشققى عن الانهار " قالتا أتينا طائعين" أى جئنا بما أحدثت فينا من خلقك مستجيبين لأمرك لانعصى أمرك . وذكر عن ابن عباس فى قوله " ائتيا " : أعطيا وفى قوله " قالتا أتينا " قالتا أعطينا . ويذكر الطبرى ايضا أن قوله " طائعين " اجرى به الخبر عن الرجال لأن بعض أهل العربية يقولون : ذهب به الى السموات والأرض ومن فيهن وقال آخرون منهم قيل ذلك كذلك لأنهما لما تكلمتا أشبهتا الذكورمن بنى آدم"[1] اذاً فالأجرام السماوية حينما تتحرك وتؤثر فى حياة الناس بحكم ماعلق بها من أثر انما هى طاعة لله سبحانه وتعالى وأن كان التسخير يفيد القسر والجبر على فعلها لكن الآية أفادة أن السموات والأرض قبلت من خالقها القسر

---

(١) تفسير الطبرى ٢٤/٩٩

والجبر على فعلها عن طاعة ورضا وهو نوع ما خص به الانسان من تكليف نحو خالقه لكن الفرق هو ان الانسان ترك له جانب الاختيار فى الفعل وعدمه نظرا للتكريم الذى اراده الله له وعلى هذا الاختيار يحاسب . وهذا الاختيار هو جانب الامانه التى عرضت على السموات والأرض والجبال كما آشار الى ذلك تفسير ابن عباس فى قوله تعالى :﴿ انا عرضنا الأمانه على السموات والأرض والجبال فأبين آن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ﴾ (الاحزاب : ٧٢) .

فقد اورد الطبرى فى تفسيره عن ابن عباس قال " ان أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لايقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله " وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا "عزا"بأمر بالله" (١) لذلك نجد ان الكائنات التى لاتدخل تحت دائرة الاختيار فى اداء افعالها تنكر على الانسان فى عدم التزام امر الله والانقياد له وصرف نوع من العبادة لغيره كما هو ملاحظ على انكار الهدهد على قوم بلقيس قال تعالى حكاية عنه ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون ﴾ (سورة النمل : ٢٤) .

التسبيح :

كما آن من اعمال العبادة التى أثبتتها النصوص للسموات والأرض وما بينهما عملية التسبيح فقد ورد فى الذكر الحكيم تنزيه الله سبحانه وتعالى لنفسه عن الشريك فى الكمال المطلق والفاعلية المطلقة بحيث لايمكن كون الالهة معه سبحانه وتعالى كما آثبت سبحانه ان التسبيح له

---

(١) تفسير الطبرى ٥٤/٢٢

تعالى صادر عن جميع مخلوقاته فقال تعالى : ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا . سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ﴾ (الاسراء: ٤٢- ٤٤)

والآية تفيد ان التسبيح واقع من جميع جزئيات الكون سواء من اجرام أو غيرها لما يفيده العموم المذكور وهو تسبيح على الحقيقة لكنه غير مفهوم لنا وانما كل بلغته التى جعلها الله له حيث اشارة الآية الى عدم فقهنا لهذا التسبيح . وقد اختلف العلماء فى العموم هل هو مخصص أم لا ؟ فذهب منهم الى انه غير مخصوص لكنهم انقسموا الى فرقتين :

" ١ - فمنهم من قال هو تسبيح الدلالة وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر .

٢ - ومنهم من قال هذا التسبيح حقيقة وكل شئ على العموم يسبح تسبيحا لايسمعه البشر ولا يفقهه " (١)

وهناك آخرين قالوا أنه مخصوص فى كل حى ونام وليس ذلك فى الجمادات وقد أستدل القرطبى على ان التسبيح للعموم على الحقيقة اى بلسان المقال بأدلة منها تسبيح الجبال مع داود قال تعالى : ﴿ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق ﴾ (ص : ١٨) . كما رجح ابن كثير هذا الوجه (٢) لما ثبت من الاحاديث والآثار فى هذا الباب كتسبيح الطعام وتسبيح الحصى .

وهذه التسبيح سماه النبى صلى الله عليه وسلم صلاة . فقد ورد فى مسند الامام احمد عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى صلى الله

---

(١) تفسير القرطبى ٢٦٦/١٠
(٢) تفسير ابن كثير ٤٢/٣

عليه وسلم قال (ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه انى قاص عليك الوصية آمرك باثنتين وانهاك عن اثنتين آمرك بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع لو وضعت فى كفه ووضعت لا اله الا الله فى كفة رجحت بهن لا اله الا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن الا اله الا الله وسبحانه وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر ...) الحديث (١)

اذاً فالكون كله يشارك فى افعال العبادة كالانقياد والتسبيح والصلاة وقد عبر القرآن الكريم عن تسبيح السموات والأرض وما فيهن ومن فيهن بزمن الماضى وزمن الحاضر الدال على الاستمرارية من هذه المخلوقات فى التسبيح فقد قال تعالى فى سورة الحشر والصف ﴿ سبح الله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ (الحشر : ١) وبصورة الاستمرار قال تعالى : ﴿ يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم ﴾ (الجمعه : ١) .

فاذا كانت السموات بما فيهامن اجرام والأرض بما فيها من كائنات تشترك بأفعال العبادة لله تعالى مع المكلفين من الثقلين معترفة بعجزها وضعفها امام خالقها ومقرة له بالوحدانية فى الاقرار والخضوع والانقياد منزهة له سبحانه عن النقائص . فهى بالانسان احرى واليق ذلك لأن خالق الكون قد خصه بالتكريم على هذه المخلوقات فوجب عليه ولزم ان يعرف حق خالقه عليه وأن يخصه بالتوجه دون سواه . لأن ماسواه أثبت خضوعه لهذا الخالق . فلا يتجه الى جرم سماوى او صنم أو وثن وغير ذلك من كائنات ارضيه ذلك لأن قدره عند خالقه اعظم من هذه المخلوقات اذا عرف

---

(١) مسند الامام احمد ٢/١٧٠ ، ٢٢٥

ما لخالقه من حق لايشترك معه غيره فيه .

السجود :

والسجود لله تعالى هو من افعال العبادة الدال على الوحدانية له سبحانه فيلزم على الانسان المكلف الحرص على فعله ذلك لأن الانسان في حال السجود هو اقرب مايكون الى مولاه عز وجل سبحانه كما وردت بذلك الاحاديث فقد اورد الامام مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء) (١)

ونصوص الوحى قد أثبتت أن للكون سجودا اقرارا لوحدانية الله وان كنا نجهل حقيقته وكنهه فقد قال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وكثيرا من الناس وكثير حق عليه العذاب فمن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل مايشاء ﴾ (الحج : ١٨) . وهو سجود حقيقى له صفة معينه لانه وصف زاد على الخضوع المعبر عنه بالتسخير فى آيات كثيرة ولأن الآيات أوضحت خضوع السموات والأرض بما فيها لله وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا آتينا طائعين ﴾ (فصلت : ١١) .

وقد اختلف العلماء فى معنى سجود هذه المخلوقات التى منها الاجرام السماوية فذكر ابن حجر عن ابن العربى قوله "أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن وتأوله قوم على ماهى عليه من التسخير الدائم ".

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة ٢٠٠/٤ ، صحيح مسلم ٣٥٠/١ حديث رقم ٢١٥ .

وقال ابن حجر فى سجود الاجرام السماوية والتى منها الشمس حيث الحديث عنها "يحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة أو تسجد بصورة الحال فيكون عبارة عن الزيادة فى الانقياد والخضوع فى ذلك الحين". (١)

والراجح والله أعلم هو سجودها هى بصفة فيه حركة غير معروفة لنا لما رواه الطبرى والقرطبى فى تفسيرهما عن ابى العاليه الرياحى قوله "مافى السموات نجم ولاقمر ولاشمس الا يقع ساجدا لله حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له فيرجع من مطلعه". (٢) ويؤيد ذلك ما رواه الامام مسلم فى صحيحه عن سجود الشمس عن ابى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوما (أتدرون أين تذهب الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال ان هذه تجرى حتى تنتهى الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى ارجعى من حيث جئت فترجع فتصبح طالعه من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهى الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ولاتزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى ارجعى من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى لايستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى الى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارتفعى أصبحى طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون متى ذاكم ذاك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى يمانها خيرا". (٣)

ويذكر النووى فى الشرح قوله "وأما سجود الشمس فهو بتميز وادراك بخلق الله تعالى فيها" ويذكر ابن حجر عن الخطابى قوله "يحتمل أن يكون

---

(١) فتح البارى ٦ / ٢٩٩

(٢) تفسير الطبرى ١٧/١٣٠ ، تفسير القرطبى ١٢/٢٤

(٣) صحيح مسلم ١/١٣٨ حديث رقم ٢٥٠
صحيح مسلم بشرح النووى ٢/١٩٥ - ١٩٦ كتاب الايمان .

المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقرارا لانحيط به نحن ، ويحتمل أن يكون المعنى أو علم ما سألت عنه من مستقرها تحت العرش فى كتاب من كتب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها فيقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويبطل فعلها وليس فى سجودها كل ليلة تحت العرش مايعيق عن دورانها فى سيرها " قال ابن حجر" وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجرى " . (١)

واذا عرفنا اختلاف اوقات الصلاة من بلد الى بلد بحيث يرتبط ارتباطا كبيرا بحركة الشمس الظاهرية فان سنلاحظ ان الشمس تشرق وتغرب على مدى اربع وعشرين ساعة على انحاء العالم وهذا يعنى ان سجودها مستمر خلال زمن مقداره اربع وعشرين ساعة حيث عند كل غروب يكون سجود لها تحت العرش وهو مستقرها المكانى مما يلى الأرض فى ذلك الجانب وهى أينما كانت فهى تحت العرش وجميع المخلوقات لأنها سقفها كما أشار الى ذلك ابن كثير فى تفسيره . (٢) وكما أشارت بذلك الاحاديث أن العرش فوق السماء السابعة . وسجودها تحت العرش عند الغروب لايتنافى مع قوله تعالى فى قصة ذو القرنين ﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا ﴾ (الكهف : ٨٦) .

لأن المراد بالآية نهاية مدرك البصر اليها حال الغروب وسجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب كما أشار الى ذلك ابن حجر . (٣)

---

(١) فتح البارى ٥٤٢/٨
(٢) تفسير ابن كثير ٥٧١/٣
(٣) فتح البارى ٥٤٢/٨

وذكر سجود الاجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم بالنص فى الآية التى فى سورة الحج لأن هذه الاجرام قد قصدت بالعبادة ومنها السجود فدلت الآية على أنها تسجد لخالقها وأنها مسخرة مربوبة فلا يصح من أى شخص كان التوجه اليها بالعبادة كما فاد النهى منه تعالى فى اكثر من نص قرآنى عن ذلك قال تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ﴾ (فصلت : ٣٧) ففى الآية تذكير منه تعالى بنعمة على خلقة واحقيته بالعبادة التى منها السجود الذى لاينبغى لغيره . وليس هذا منه الا رحمة بعبادة فانه غنى عنهم لأن جميع خلقه مقر له بالوحدانية والعبادة الا طوائف من عبادة المكلفين ممن جعل لهم الاختيار فى الطاعة والخضوع له سبحانه وبذلك يكون الحساب والجزاء . أما الذين عنده سبحانه من خلقه لايسئمون عن عبادته وهى من صفات الملائكة قال تعالى : ﴿ فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسئمون ﴾ (فصلت : ٣٨) .

المبحث الثالث

واجب الانسان حينما يرى الكون مشاركا فى العبادة لله :

هذه جوانب من العبادات التى هى حق الله سبحانه على عباده والتى اشتركت فيها جميع الخلائق مقرة معترفه بأن لهذا الكون ربا والها يتصف بصفات الكمال المطلق المستحق للحمد والشكر والثناء من خلقه على ربوبيته لهم حيث أنه رحيم رؤوف لطيف بعباده لايرضى لهم الظلم لأنه جعل الظلم محرم على نفسه وحرمه على خلقه . والمسلم عندما يتوجه الى الله فى صلاته التى من اركانها قراءة الفاتحه والتى قسمت بين الرب سبحانه وبين عبده فالعبد عندما يقرأ " الحمد لله رب العالمين " فانه يقر ويعترف ويمجد ويتوجه الى هذا الأله الخالق الذى اتصف بربوبيته لجميع العالمين ما علم منها وما لم يعلم والتى لم يوضح لنا علم الفلك منها الا القليل فى الاجرام السماوية وفى حسن نظامها وابداع خالقها فيها والتى تعد من أكبر مخلوقات الله سبحانه بالنسبة لخلق الانسان قال تعالى : ﴿ لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لايعلمون ﴾ (غافر : ٥٧)

فاذا كانت هذه من اكبر مخلوقات خضعت واطاعة وسبحت وسجدت لله سبحانه وتعالى مقرة له بالوحدانية أفلا يستحق الله سبحانه وتعالى من هذا الانسان التوجه الكامل الذى خصه بخصائص على سائر المخلوقات والتى منها التكريم والله سبحانه غنى عنه لكن التوجه من الانسان اليه يعود عليه هو حيث يثاب بالجنه لأنه حافظ على الامانة التى استرعاه الله عليها .

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم والعلاقة بالآفاق :

لذلك نجد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حينما كان يتوجه الى ربه بالدعاء يذكر فى دعائه خصائص الربوبية والالهية والاسماء والصفات الداله على توحيد الاثبات والمعرفة والتى لها علاقة بدلائل الآفاق لأنها من أعظم الدلائل على وحدانية سبحانه فقد ورد فى ادعيته صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول : (لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم) (١) ففى هذا الدعاء توجه الى الله سبحانه بصفات كما له ومنها ربوبيته للسموات والأرض التى هى من أكبر المخلوقات لله سبحانه والتى لا يخفى على أحد عظمتها فكيف بخالقها الذى هو الملتجىء فى ازالة الكروب وتنفيسها .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال (قال ابوبكر : يارسول الله مرنى بشىء أقوله اذا أصبحت واذا أمسيت ؟ قال : قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه ، قال : قله اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعك) . (٢)

ففى الحديث أمر بالتوجه لله الخالق سبحانه بنعمته بنعوت الكمال التى منها العلم والاحاطه بالغيب والشهادة بكونه الفاطر للسموات

---

(١) صحيح البخارى ٩٣/٨ كتاب الدعوات .
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١٤٥/١١ حديث رقم ٦٣٤٥
(٢) سنن الترمذى ٤٦٧/٥ حديث رقم ٣٣٩٢

والأرض وربا ومليكا لكل شئ مع الاقرار بشهادة التوحيد فى كف شر النفس والشيطان وشركه . والحديث فيه اثبات معرفة الغيب لله تعالى وتوكيل الامر اليه لا اللجوء الى من يدعى معرفة الغيب كالمنجمين .

ومن الادعية التى يفتتح به الصلاة بالليل مارواه على بن ابى طالب رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة قال (وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ان صلاتى ونسكى ومحياى مماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ...) الحديث (١)

تفويض كامل لله رب العالمين وتوجه اليه بوصفه موجد السموات والأرض على مثال لم يسبق .

وفى الحديث أيضا حال رفعه من الركوع قوله (اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات والأرضين وملء ما بينهما وملء ماشئت من شئ)

توجه بالشكر والحمد الذى هو نوع من العباده بما له تعلق بالقلب هذا الحمد والشكر يملأ السموات والأرضين ومابينهما وغير ذلك مما يعلمه سبحانه فاذا تصور الانسان سعة الفضاء الكونى الذى هو من السماء الى الأرض ظهرله عظمة خالقه وأن الشكر والحمد له بملء هذه الاجرام وما بينهما لايوازى شيئا من نعمة على خلقه .

ورغم ذلك فهو المنعم دائما لايمنع رزقه عن خلقة سواءا أقر العبد بوحدانية الله وعمل ما يلزمه من ذلك الاقرار من انواع العبادة او لم يعمل . وانعامه الدائم لاتصافه بالجود والكرم لانه الكريم الذى لاينتظر على كرمه جزاء . وانما العامل بما يستوجبه الاقرار بالخالق

---

(١) المصدر السابق ٤٨٥/٥ حديث رقم ٣٤٢١

مرد ذلك اليه بالثواب والجزاء او بالعقاب نظرا لأن الخالق أعد دارا للجزاء لمن أقر بالتوحيد وعمل بمقتضاه او لم يقر ولم يعمل بهذا المقتضى .

لذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحث أمته على التوجه دائما الى الخالق فى جميع الاحوال والمناسبات .

ففى احاديث الخسوف والكسوف يأمر صلى الله عليه وسلم بالاسراع الى الصلاة والتوجه الى الله سبحانه وأن الجرمين السماويين الذى ينتج عنهم أثر الخسوف والكسوف ما هى الا مأمورة بأمر خالقها تؤدى ما وجب عليها من فعل وليس لها تأثير فى حياة او موت وانما المحى والمميت هو خالقها سبحانه .

ففى الحديث الذى روته أم المؤمنين عائشه رضى الله عنها حينما كسفت الشمس فى عهد رسول الله ففزع الى الصلاة ولما أنصرف وقد تجلت الشمس خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (ان الشمس والقمر من آيات الله وأنهما لاينخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتموها فكبروا وادعوا الله وصلوا وتصدقوا ...) الحديث (1) بل الأمر اكبر من ذلك فهى غير أنها تؤدى ما أمرت به فهى فى حالة خشوع لله سبحانه لما يظهر من جلال الله سبحانه فقد ورد فى أحد طرق احاديث الخسوف والكسوف مارواه النعمان بن بشير رضى الله عنه (قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يجر ثوبه فزعا حتى آتى المسجد فلم يزل يصلى بناحتى انجلت فلما انجلت قال : ان ناسا يزعمون ان

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٠/٦ - كتاب الكسوف - صحيح مسلم ٦١٨/٢ حديث رقم ١

الشمس والقمر لاينكسفان الا لموت عظيم من العظماء وليس كذلك ان الشمس والقمر لاينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آتيان من آيات الله عز وجل ان الله عز وجل اذا بدا لشيء من خلقه خشع له فاذا رأيتم ذلك فصلوا كأحدث صلاة صليتموها من المكتوبة) (١)

فاذا كانت هذه الاجرام تخشع لما يظهر لها من أفعال خالقها فكيف بنا وآثار نعمته علينا تظهر فى كل شىء لنا . ويدعى بعض الناس ان لها أثرا بحياة أو موت او فعل من افعال خالقها .

ان كل شىء فى الكون يدعو الى توحيد الله سبحانه التوحيد الخالص الداعى الى التوجه والقصد له وطلب النفع ودفع الضر منه سبحانه .

---

(١) سنن النسائى ١٤١/٣ كتاب صلاة الكسوف .

المبحث الرابع

التوجه بالشفاعة لله سبحانه ونقض عقيدة الصابئة فى ذلك :

علمنا سابقا ان الصابئة تقر بأن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان . لكنهم يرون انهم عاجزون عن الوصول الى جلاله فيتقربون اليه بالمتوسطات ، اما بالروحانيات أو بالاشخاص . فعمدوا الى هياكل السيارات السبع أو الى أصنام تمثل اشخاص هذه الهياكل يستشفعون بها ويتقربون بها الى الله تعالى . (١) لتقربهم الى الله زلفى .

والشفاعة اختص الله سبحانه بها دون غيره يمنحها من شاء لمن شاء ذلك لان فيها توجه وطلب فالطلب والتوجه لايكون الا لصاحب الملك المطلق وهو الله سبحانه .

قال تعالى : ﴿ أم آتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون . قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون ﴾ (الزمر : ٤٣ - ٤٤) .

فالله سبحانه وتعالى يخبرنا ان هؤلاء المشركين لايفيدهم اتخاذ الشفعاء من دونه لكونه المالك للسموات والأرض . فوجب ان تكون العبادة له والتوجه له والطلب منه .

لان معنى الشفاعة يفيد " الانضمام الى آخر ناصرا له ومسائلا عنه واكثر مايستعمل فى انضمام من هو أعلى مرتبة الى من هو أدنى مرتبة ."(١)

فالناصر هو الله والمطلوب هو الله ، والمخلوق يرجو من الله

---

(١) الملل والنحل للشهر ستانى ٤٩/٢ - ٥٠

(٢) بصائر ذو التمييز للفيروز آبادى ٣٢٨/٣

لكون الخالق اعلى مرتبة من المخلوق .

فاذا كان الله سبحانه وتعالى هو خالق السموات والأرض ومالكها والمتصرف فى أمرها ايجادا وعدما . وفى ضبط قانونها وتدبير حالها فكيف بهذا الانسان يتجه الا اجرام يستشفع بها لدى ربها مع كونها عاجزة عن تدبير أمرها . بل هى عابده له طاعة وانقيادا وسجودا وتسبيحا. والله سبحانه يشير فى مواضع كثيرة من كتابه الا ان الشفاعة لاتكون لأحد من خلقه الا بأذنه قال تعالى : ﴿ ان ربكم الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ﴾ (يونس : ٣) .

والمشركون من الصائبه وعبدة الاصنام ادى بهم استشفاعهم بهذه الاصنام والاجرام السماوية الى عبادتها لظنهم أنها تضر وتنفع من دون الله وهذا شرك فى الربوبية لكون النافع والضار هو الله سبحانه . حيث ادى ذلك بهم الى الشرك فى الالوهية .

قال تعالى مخبرا عن حالتهم ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (يونس : ١٨) والروحانيات عند الصائبه ،منهم مدبرات الكواكب السبعة السيارة فى أفلاكها وهى هياكلها .[١]

وهم شفعاءهم على حد زعمهم عند الله . والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز : ﴿ وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ (النجم : ٢٦) .

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ٦/٢ - ٧

وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه سبحانه ، بحيث لايتجاسر أحد على أن يشفع لأحد الا باذنه له فى الشفاعة . ذلك لان طلب الشفاعة فيها خضوع لمالك الشفاعة سبحانه فقد ورد فى الحديث الذى رواه ابو هريرة رضى الله عنه فى شفاعته صلى الله عليه وسلم قوله صلى الله عليه وسلم (فيأتونى فأسجد تحت العرش ، فيقال : يامحمد ارفع رأسك وأشفع تشفع وسل تعطه) . (١)

هذا حال الشافع أمام مالك الشفاعة ، فى خضوع وذله لكون ذلك طلب وتوجه ورجاء وخشية من مالكها مالك السموات والأرض .

فالشفاعة تتطلب اذنا من مالك الشفاعة كما تتطلب ايضا رضا منه عن المطلوب له الشفاعة .

والمطلوب له الشفاعة لابد ان يتحقق فيه شرط العبودية لله وليس العبودية لغيره من اجرام سماوية أو اصنام أو روحانيات ، التى هى بزعمهم شفعاء عند الله .

لذلك لاتكون الا لأهل التوحيد وليس لأهل الشرك.ففى الحديث الذى رواه أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه انه هو ومعاذ بن جبل رضى الله عنه قالا (يارسول الله ادع الله عز وجل ان يجعلنا فى شفاعتك فقال صلى الله عليه وسلم أنتم ومن مات لايشرك بالله شيئا فى شفاعتى) . (٢)

فالشفاعة التى يأذن الله سبحانه وتعالى للشافع فيها لابد ان يتحقق فيه الرضا منه سبحانه عن الشافع والمشفوع له . وكل ذلك يتحقق بكون العبودية لله سبحانه والالتزام بكلمة التوحيد . فعن ابى هريرة

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى - كتاب الانبياء ٣٧١/٦ حديث ٣٣٤٠
صحيح البخارى ١٦٤/٤ كتاب بدء الخلق .

(٢) مسند الامام احمد ٤٠٤/٤

رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه ، أونفسه)[(1)] ويستفاد من الحديث ان من عرف ربه وخالقه بدليل الفطره أو دلائل الآفاق وتصديق ماورد من نصوص الوحى عن معرفة هذا الخالق المتصف بصفات الكمال واتجه اليه وقصده وطلبه ، حقت له شفاعة الله الذى يأذن بها سبحانه لمن شاء من خلقه المتحقق فيهم رضاه عنهم . وهذا تأكيد لنفى عقائد المشركين من صائبه وغيرهم فى الشفعاء عند الله من اصنام واجرام سماوية لكونها لاتعقل ، ولكون الشفيع لابد له من الاذن فى الشفاعة من مالك الشفاعة لتحقيق معنى العبودية والاستسلام لله سبحانه .

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١٩٣/١ كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ، حديث رقم ٩٩ ، صحيح البخارى ٣٥/١ - ٣٦ كتاب العلم .

المراجع

١ - أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك
د. على عبدالله الدفاع
الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت

٢ - احكام الحكيم فى علم التنجيم
عبدالفتاح السيد الطوخى
طبع مكتبه القاهرة بالأزهر - ص . ب ٩٤٦ مصر

٣ - احكام القرآن
لابى بكر احمد الرازى الجصاص
دار الفكر - بيروت

٤ - احكام القرآن
لابى بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربى
تحقيق محمد البجاوى - دار المعرفه - بيروت

٥ - أدب الكاتب
لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه
تحقيق محمد الدالى - الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م مؤسسة الرسالة
بيروت .

٦ - ارسطو طاليس فى السماء والاثار العلويه
تحقيق عبدالرحمن بدوى - الطبعة الاولى ١٩٦١ م - مكتبة
النهضة المصرية - القاهرة .

٧ - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم - تفسير ابى السعود
لابى السعود بن محمد العمارى الحنفى
تحقيق عبدالقادر احمد عطا - طبعة عام ١٤٠١ هـ - دارالفكر - بيروت

٨ - الارصاد الجوية
د. محمد جمال الدين الفندى
الطبعة الثانية ١٩٨٥م - دار النشر - بدون

٩ - الموسوعة العلمية الحديثة - الارض
جيلن بترى
طبعة عام ١٩٨٥ م - الاهلية للنشر والتوزيع - بيروت

١٠ - كتاب المعرفة - الارض والكون
الناشر : شركة تراد كسيم - جنيف
الانتاج : شركة انماء النشر والتسويق - طبعة عام١٩٨٧م- بيروت

١١ - الازمنة وتلبية الجاهلية
ابى على محمد بن المستنير الشهير بقطرب
تحقيق د. حاتم صالح الضامن - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - مؤسسة
الرسالة - بيروت .

١٢ - الاسلام يتحدى - وحيد الدين خان
ترجمة ظفر الاسلام خان
الطبعة الثامنة ١٩٨٤م - دار المختار الاسلامى للنشر بالقاهرة

١٣ - اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم
الحسين بن محمد الدامغاني
تحقيق عبدالعزيز سيد الأهل - الطبعة الرابعة ١٩٨٣م
دار العلم للملايين - بيروت

١٤ - الاصول والفروع
لابن حزم الاندلسي
الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

١٥ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين
الامام فخر الدين الرازى
مراجعة على سامى النشار - طبعة ١٤٠٢هـ - دارالكتب العلمية- بيروت

١٦ - الاعتقاد على مذهب السلف
للامام الحافظ ابى بكر احمد بن الحسين البيهقى
السلام العالمية للطبع والنشر - دار الثقافة للطباعة والنشر
القاهرة .

١٧ - آفاق جديدة فى علم الفلك
جون براندت ، وستيفن مارات
ترجمة احمد حسين سلامة ، د. ممدوح اسحق ونس
مكتبة الوعى العربى

١٨ - الافصاح فى فقه اللغة
عبدالفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى
الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

١٩ - أقرب الجيران الى الأرض
برتا موريس باركر
ترجمة ادوار رياض

٢٠ - الاكتشافات العلمية الحديثه ودلالتها فى القرآن
د. سليمان عمر قوش
الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - دار الحرمين للنشر - الدوحة - قطر

٢١ - كتاب الف باء
لأبى الحجاج يوسف محمد البلوى
عالم الكتب - بيروت

٢٢ - الله يتجلى فى عصر العلم
نخبة من العلماء الامريكيين
ترجمة د. الدمرداش عبدالحميد سرحان
دار القلم - بيروت - لبنان

٢٣ - اللـه والكـون
د. محمد جمال الدين الفندى
طبعة ١٩٧٦ م - الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٤ - الام
للامام الشافعى
الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - دار المعرفة - بيروت

٢٥ - الانسان فى الكون بين العلم والقرآن
د. عبدالعليم خضر
الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - عالم المعرفة للنشر والتوزيع
جده - المملكة

٢٦ - انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى
ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوى
مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت

٢٧ - الاية الكبرى فى شرح قصة الاسرا
للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى
تحقيق - محى الدين مستو - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ
دار ابن كثير - دمشق - بيروت - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة .

٢٨ - البداية والنهاية
للحافظ ابن كثير
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

٢٩ - بصائر ذو التمييز فى لطائف الكتاب العزيز
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى
تحقيق محمد النجار - المكتبه العلمية - بيروت

٣٠ - تاج العروس من جواهر القاموس
للامام السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدى
دار الفكر - بيروت

٣١ - تاريخ الاسلام
د. حسن ابراهيم حسن
الطبعة السابعة ١٩٦٤ م - القاهرة

٣٢ - تاريخ بغداد
للحافظ ابى بكر احمد بن على الخطيب البغدادى
دار الكتب العلمية - بيروت

٣٣ - تاريخ العلوم عند العرب
د. عمر فروخ
الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م - دار العلم للملايين - بيروت

٣٤ - تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب
محمد لطفى جمعه
المكتبة العلميه - بيروت

٣٥ - التاريخ الكبير
للحافظ الامام ابى عبدالله اسماعيل بن ابراهيم البخارى
طبع تحت مراقبة - د. محمد عبدالمعيد خان
توزيع دار الباز للنشر والتوزيع .

٣٦ - تاريخ وحضارة مصر والعراق وبلاد الشام وايران وتركيا
منذ آقدم العصور .
د. جمال عبدالهادى - د. وفاء محمد رفعت
دار الشروق - جدة .

٣٧ - تاريخ اليمن القديم
محمد عبدالقادر بافقيه
طبعة ١٩٧٣ م - المؤسسة العربية للدراسات والنشر
سوريا .

٣٨ - تذكرة أولى الالباب والجامع للعجب العجاب
للشيخ داود الضرير الانطاكى

٣٩ - كتاب التعريفات
الشريف على بن محمد الجرجانى
الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - دارالكتب العلمية - بيروت

٤٠ - تفسير ابن عيينه
جمع وتحقيق احمد محمد محايرى
الطبعة الاولى ١٤٠٣ - المكتب الاسلامى - بيروت - دمشق
مكتبه اسامة - الرياض .

٤١ - التفسير العلمى للآيات الكونيه فى القرآن
حنفى أحمد
الطبعة الثالثة - دار المعارف - القاهرة

٤٢ - تفسير القرآن العظيم
للحافظ عماد الدين ابى الفداء - اسماعيل بن كثير
طبعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - دار المعرفة للطباعة والنشر
بيروت .

٤٣ - التفسير الكبير
الامام الفخر الرازى
الطبعة الثالثة - دار احياء التراث العربى - بيروت

٤٤ - تفسير المنار
محمد رشيد رضا
الطبعة الثانية - دار المعرفة - بيروت

٤٥ - تقريب التهذيب
احمد بن على بن حجر العسقلانى
تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف
الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ - دار المعرفة - بيروت

٤٦ - تهذيب التهذيب
احمد بن على بن حجر العسقلانى
الطبعة الاولى - دار المعارف النظامية - حيدر آبار
الهند .

٤٧ - التوحيد
للشيخ عبدالمجيد الزندانى
الطبعة الاولى ١٤٠٥ - دار السلام الطباعة والنشر -
دار المجتمع للطباعة والنشر - جدة

٤٨ - توحيد الخالق
عبدالمجيد عزيز الزندانى
الطبعة الثالثة ١٤٠٨ - دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة

٤٩ - ثلاث كتب فى الاضداد
للاصمعى وللسجستانى ولابن السكيت
دار الكتب العلمية - بيروت

٥٠ - جامع الاصول فى احاديث الرسول
للامام المبارك بن محمد بن الاثير الجزرى
تحقيق عبدالقادر الأرناووط - الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - دارالفكر
بيروت .

٥١ - جامع البيان عن تأويل اى القرآن
لابى جعفر محمد بن جرير الطبري
طبعة عام ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م - دار الفكر - بيروت

٥٢ - الجامع لاحكام القرآن
لابى عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبي
تحقيق - احمد عبدالعليم البردونى ، ابو أسحاق ابراهيم اطفيش
الطبعة الثانية ١٩٦٦م - ١٩٦٧م - دار احياء التراث العربي
بيروت .

٥٣ - الجغرافيا الفلكية " دراسة فى المقومات العامة "
شفيق عبدالرحمن على
دار الفكر العربي - بيروت

٥٤ - الجواهر فى تفسير القرآن
للشيخ طنطاوى جوهري
دار الفكر

٥٥ - الحبائك فى اخبار الملائك
للامام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
تحقيق محمد السعيد زغلول - الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ
دار الكتب العلمية - بيروت .

٥٦ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
للحافظ ابى نعيم احمد بن عبدالله الاصبهاني
الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ - دار الكتاب العربي - بيروت

٥٧ - الحيوان
لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيق عبدالسلام هارون - دار احياء التراث العربى - بيروت

٥٨ - خلق افعال العباد
للامام محمد بن اسماعيل البخارى
الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت

٥٩ - دائرة المعارف
للمعلم بطرس البستانى
دار المعرفة - بيروت

٦٠ - دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام
د. السيد عبدالعزيز سالم
موسسة شباب الجامعة - الاسكندرية

٦١ - دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب
حكمت نجيب عبدالرحمن
الطبعة الرابعة ١٩٨٥ م - جامعة الموصل

٦٢ - دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة
موريس بوكاى
دار المعارف - القاهرة

٦٣ - الدر المنثور فى التفسير المأثور
للامام جلال الدين عبدالرحمن السيوطى
الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - دار الفكر - بيروت

٦٤ - الديناميكا الحرارية
جوردون - فان وايلن
ترجمة د. عبدالرزاق عبد الفتاح
مكتبة الخانجى - القاهرة

٦٥ - الدين فى مواجهة العلم
وحيد الدين خان
ترجمة ظفر الاسلام خان
الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - دار النفائس - بيروت

٦٦ - كتاب المعرفة -
الذرات والالكترونات
طبعة ١٩٨٧ م - شركة انماء النشر والتسويق - الناشر
تراد كسيم - جنيف

٦٧ - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى
شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى
دار احياء التراث - بيروت

٦٨ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين
شمس الدين محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية
طبعة ١٤٠٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

٦٩ - زاد المسير فى علم التفسير
لابى الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن على الجوزى القرشى
البغدادى
الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - المكتب الاسلامى - بيروت - دمشق

٧٠ - سنن ابن ماجه
للحافظ ابى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى
تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى - دار الفكر - بيروت

٧١ - سنن ابى داود
للامام ابى داود سليمان بن الاشعث السجستانى
مراجعة وتعليق محمد محى الدين عبدالحميد
دار الفكر - بيروت

٧٢ - سنن الترمذى
لابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى
تحقيق احمد شاكر
دار احياء التراث العربى - بيروت

٧٣ - سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشية السندى
الطبعة الاولى ١٣٤٨ هـ - دار الفكر - بيروت

٧٤ - السومريون تاريخهم وحضارتهم
صموئيل نوح كريمر
ترجمة د. فيصل الوائلى
وكالة المطبوعات بالكويت

٧٥ - السيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار
للشيخ محمد بن على الشوكانى
تحقيق محمود ابراهيم زايد
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

٧٦ - شرح السنه
للامام الحسين بن مسعود البغوى
تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - المكتب الاسلامى - بيروت

٧٧ - شرح العقيدة الطحاويه
تحقيق جماعة من العلماء
مكتبة الدعوة الاسلامية - شباب الازهر

٧٨ - الشمس في حياة الانسان

د. طه عثمان الفرا ، محمد محمود محمدين

طبعة عام ١٣٩٦ هـ - مكتبة دار العلوم - الرياض

٧٩ - صحيح البخاري

للامام الحافظ ابى عبدالله اسماعيل بن ابراهيم الجعفي

البخاري

طبعة مقتبسه من النسخة اليونينيه - دار احياء التراث - بيروت

٨٠ - صحيح مسلم

للامام ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى

تحقيق محمد عبدالباقى

دار احياء التراث - بيروت

٨١ - صحيح مسلم بشرح النووى

دار الفكر - بيروت

٨٢ - صور الكواكب الثمانية والاربعين

لابى الحسين عبدالرحمن بن عمر الرازى المعروف بالصوفى

دار الافاق الجديدة - بيروت

٨٣ - الطبيعيات والاعجاز العلمى للقرآن

د. عبدالعليم خضر

الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ - الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة

٨٤ - الطريق الى النجوم

فان دريت ويلى

ترجمة د. عمر فروج

الطبعة الثانية ١٩٧٤ م - دار العلم للملايين - بيروت

٨٥ - الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن
د. عبدالعليم خضر
الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ - الدار السعودية للنشر - جدة

٨٦ - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات
بحاشية كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى
زكريا بن محمد بن محمود القزوينى
دار الفكر - بيروت

٨٧ - العظمة
لابى الشيخ محمد بن عبدالله بن جعفر الاصبهانى
تحقيق رضا الله المباكفورى
الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - دار العاصمة - الرياض

٨٨ - العلم الحديث حجة للانسان أم عليه ؟
د. عبدالله العبادى
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - دار الثقافة للنشر - قطر - الدوحة

٨٩ - علم الفلك
د. رضا مدور
طبعة ١٩٧٠ م - الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية - القاهرة

٩٠ - عون المعبود فى شرح سنن ابى داود
لابى الطيب محمد آبادى
تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان
دار الفكر للطباعة والنشر - الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - بيروت

٩١ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان
نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى
تحقيق : ابراهيم عطوه عوض
الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى
مصر .

٩٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري
احمد بن علي بن حجر العسقلاني
تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي
دار المعرفة - بيروت

٩٣ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية
من علم التفسير .
محمد بن علي الشوكاني
طبعة عام ١٤٠١ هـ - دار الفكر - بيروت

٩٤ - الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين
سليمان العجيلي الشهير بالجمل
دار احياء التراث العربي - بيروت

٩٥ - الفروق
شهاب الدين ابي العباس الصناجي المشهور بالقرافي
وضعه أ. د. محمد رواس قلعة جي
دار المعرفه - بيروت

٩٦ - الفروق اللغوية
لأبي هلال العسكري
تحقيق : حسام الدين القدسي
طبعة ١٤٠١ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

٩٧ - الفصل في الملل والاهواء والنحل .
لابي محمد علي بن احمد المعروف بابن حزم
تحقيق : د. محمد ابراهيم نصر
د. عبدالرحمن عميره
دار الجيل - بيروت

٩٨ - فقه اللغة وسر العربية
لابى منصور اسماعيل الثعالبي
دار الكتب العلمية - بيروت

٩٩ - الفلك عند العرب
عبد الرحيم بدر
الطبعة الاولى ١٩٨٦م - مؤسسة مصرى للتوزيع - لبنان

١٠٠ - الفهرست لابن النديم
طبعة عام ١٣٩٨ هـ - دار المعرفة - بيروت

١٠١ - فى سبيل موسوعة علمية
د. احمد زكى
الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ - دار الشروق

١٠٢ - فى ظلال القرآن
سيد قطب
الطبعة العاشرة ١٤٠٢ هـ - دار الشروق - بيروت - القاهرة

١٠٣ - القاموس المحيط
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى
دار الجيل - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت

١٠٤ - قصة الحضارة
ول ديو رانت
ترجمة د. زكى نجيب محمود
الادارة الثقافية فى الجامعة العربية

١٠٥ - القضاء والقدر فى الاسلام
د. فاروق احمد الدسوقى
الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - المكتب الاسلامى - بيروت - مكتبة
الخانى - الرياض

١٠٦ - قواعد الجغرافيا العامة
د. جوده حسين ، د. فتحي ابو عيانة
طبعة عام ١٤٠٦ هـ - دار النهضة العربية - بيروت

١٠٧ - الكشاف
لابى جار الله محمود بن عمر الزمخشرى
دار المعرفة - بيروت - توزيع دار الباز

١٠٨ - كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون
المولى مصطفى بن عبدالله القسطنطنى المعروف بحاجى خليفه
طبعة ١٤٠٢ هـ - دار الفكر - بيروت

١٠٩ - الموسوعة العلمية الحديثة " الكون "
كولين رونان
طبعة عام ١٩٨٥ م - الاهلية للنشر والتوزيع - بيروت

١١٠ - الكون والاعجاز العلمى
د. منصور محمد حسب النبى
شركة دار الصفا للطباعة - ١٩ شارع المنفلوطى - السيدة زينب

١١١ - لسان العرب
لابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور
الطبعة الاولى دار صادر - بيروت

١١٢ - لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف
الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلى
دار الجيل - بيروت

١١٣ - الماء والحياة بين العلم والقرآن
د. عبدالعليم خضر
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - الدار السعودية للنشر - جدة

١١٤ - مبادىء الكونيات
الأمين احمد كعورة
الطبعة الثالثة ١٩٧٩م - عالم الكتب - بيروت

١١٥ - مجمل اللغة
احمد بن فارس
تحقيق : زهير عبدالمحسن
الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت

١١٦ - مجموع فتاوى ابن تيمية
جمع وترتيب عبدالرحمن النجدى
مكتبة ابن تيمية - مصر

١١٧ - المختار فى تفسير القرآن العظيم
الشيخ محمد متولى الشعراوى
مكتبة التراث الاسلامى - مصر

١١٨ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة
لابن قيم الجوزية الدمشقى
اختصار الشيخ محمد بن الموصلى
الطبعة الاولى ١٤٠٥ - دار الكتب العلمية - بيروت

١١٩ - مرويات ابن عباس فى التفسير من كتب السنة
د. عبدالعزيز الحميدى
جامعة أم القرى - مركز البحث العلمى واحياء التراث

١٢٠ - مستدرك الحاكم وبذيله التلخيص للذهبى
للحافظ ابى عبدالله الحاكم
دار المعرفة - بيروت - توزيع دار الباز

١٢١ - مسند الامام احمد وبذيله كنز العمال
الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ .
فهرس الالبانى
المكتب الاسلامى - دمشق - بيروت

١٢٢ - مصر الفرعونية
احمد فخرى
الطبعة الثالثة ١٩٧١ م - مكتبة الانجلو المصرية

١٢٣ - المطالب العالية من العلم الالهى
للامام فخر الدين الرازى
تحقيق : د. احمد حجازى السقا
الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - دار الكتاب العربى - بيروت

١٢٤ - معالم التنزيل فى التفسير والتأويل
لابى محمد الحسين بن مسعود البغوى
طبعة عام ١٤٠٥ هـ - دار الفكر - بيروت

١٢٥ - معانى القرآن
لابى زكريا يحيى بن زياد الفراء
الطبعة الثانية ١٩٨٠ م - عالم الكتب - بيروت

١٢٦ - المعجم الاوسط
للحافظ الطبرانى
تحقيق : د. محمود الطحان
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - مكتبة المعارف - الرياض

١٢٧ - معجم البلدان
ياقوت الحموى
طبعة ١٣٩٩ هـ - دار احياء التراث العربى - بيروت

١٢٨ - معجم الطبراني الصغير
للحافظ القاسم سليمان بن احمد اللخمي الطبراني
طبعة ١٤٠٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

١٢٩ - مفاهيم قرآنية حول حقيقة الانسان
د. فاروق احمد الدسوقي
الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - المكتب الاسلامي - بيروت

١٣٠ - مفتاح دار السعادة
للامام ابى عبدالله محمد بن ابى بكر الدمشقي
المشتهر بأبن قيم الجوزية
دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت

١٣١ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة
طاش كبرى زاده
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

١٣٢ - المفردات في غريب القرآن
لابى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني
تحقيق : محمد سيد كيلاني
دار المعرفة - بيروت

١٣٣ - المقاصد الحسنة
للامام محمد بن عبدالرحمن السخاوى
تصحيح وتعليق : عبدالله محمد الصديق
الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

١٣٤ - مقاييس اللغة
احمد بن فارس
تحقيق : عبدالسلام هارون
طبعة عام ١٣٩٩ هـ - دار الفكر - بيروت

١٣٥ - مقتطفات من العلوم العامة

محمد روبين ادريس

الطبعة الاولى ١٩٨٤ م - دار المستقبل للنشر والتوزيع

عمان - الاردن

١٣٦ - مقدمة ابن خلدون

عبدالرحمن ابن خلدون

الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ - دار الباز للنشر والتوزيع

١٣٧ - المقصد الأسنى فى شرح اسماء الله الحسنى

لابى حامد الغزالى

تحقيق : محمد عثمان الخشت

مكتبة القرآن للطبع والنشر - بولاق - القاهرة

١٣٨ - الملل والنحل

لابى الفتح محمدبن عبدالكريم بن احمد الشهرستانى

تحقيق : محمد كيلانى

طبعة ١٤٠٤ هـ - دار المعرفة - بيروت

١٣٩ - المنهج الايمانى للدراسات الكونيه فى القرآن

د. عبدالعليم خضر

الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - الدار السعودية للنشر والتوزيع

جدة .

١٤٠ - موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول

لشيخ الاسلام احمد بن تيميه

الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

١٤١ - الموسوعة العربية الميسرة
اشراف محمد شفيق غربال
دار الشعب بمصر ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
دار احياء التراث العربي - بيروت .

١٤٢ - موطأ الامام مالك
للامام مالك بن انس
تحقيق وتعليق محمد عبدالباقي
دار احياء التراث العربي - بيروت

١٤٣ - نزهة الاعين النواظر في عالم الوجوه والنظائر
لابى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى
تحقيق : محمد عبدالكريم كاظم الراضي
الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت

١٤٤ - النظام الشمسي
سوبيكليك
ترجمة د. خليل هندى
الطبعة الاولى ١٩٨٧ م - المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت

١٤٥ - نقض المنطق
شيخ الاسلام احمد بن تيميه
تحقيق : الشيخ محمد عبدالرزاق حمزه - والشيخ سليمان الصنيع
مكتبة السنة المحمدية - القاهرة

١٤٦ - النهاية في غريب الحديث والاثر
مجد الدين المبارك بن محمد الجزرى - ابن الاثير
تحقيق طاهر احمد الزاوى - محمود محمد الطناحي
دار الفكر - بيروت

١٤٧ - هندسة النظام الكوني في القرآن
د. عبدالعليم خضر
الطبعة الثانية ١٤٠٥ - الناشر تهامة - جدة - المملكة العربية السعودية .

- مجلة البحوث الاسلامية
رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر
عام ١٣٩٥ - ١٣٩٦هـ
شركة العبيكان للطباعة والنشر - الرياض

- مجلة الفيصل عدد ٤٣
لعام ١٤٠١ هـ
مجلة الفيصل عدد ٤١
لعام ١٤٠٠ هـ
مجلة الفيصل عدد ٤٨
لعام ١٤٠١ هـ

- مجلة النهضة
العدد ١١٢٤
لعام ١٤٠٩

- مجلة الموسوعة العلمية
العدد الثالث
دار المعارف للطباعة والنشر - سوسة - تونس

- جريدة المسلمون
العدد ١٧٨
١٧ ذو القعدة لعام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
محمد عبدالباقي

فهرس الاحاديث

فهرس الاحـــــاديث

فهرس الاحـــاديث

فهرس الاحـــاديث

فهرس الاحــــاديث

فهرس الاحاديث

فهرس الاحـــاديث

فهـرس الموضوعـــــات